32101 025628421

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

MCS 2/2/98
NYRG98-I290

Ishaqi

كتاب اخبار الاول فيمن تصرف
في مصر من ارباب الدول تاليف
العبد الفقير الى عفو ربه الكريم
الباقي محمد عبد المعطي بن
ابي الفتح بن احمد بن عبد
المغني بن علي
الاسحاقي
المنوفي

مسايل عبده ابن سلوم

فناجاة موسى عليه السلام

قصة الجاريه

قصة سيدنا زين العابدين
رضي الله عنه

(Arabic)
8271
.50464
.352
1859
(RECAP)

الحمد لله الملك العزيز فى ملكه واقتداره الذى ملك الوجود بقوته
واوجده بارادته واختياره وملك منه ماشاء لمن شاء مع علمه
بسترة على سريره قبل اختباره فاوت بين مراتب الملوك وأمد بالملكة
كل خاشع لسلوك ونظمه فى سلك أبراره ووعد من راعى رعاياه
أن يظله فى ظل عرشه يوم يلقاه ويتلقاه برحمته وابراره فسبحان
من أراد فاد ار الافلاك بالحكمه وانفذ فى براياه قضاياه وحكمه
وسلم من سلم اليه الامر من ظلم سواء والمكاره أحمده سبحانه وتعالى
لا احصى ثناء عليه كما هو أثنى على نفسه سائلا من منه ان يجعل
ظل الخلافة مستمدا من حضرات قدسه وأشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة ندخل بها مع السابقين أوسع جنته
وتكون لنا من النيران أنفع جنته واشهد ان سيدنا محمدا صلى الله
عليه وسلم عبده ورسوله أول شارع لسنة السماحة والحماسه
وشارح للصدور بالقول الشارح قضايا الشرع والسياسه
وشارط النصح على العمال أهل الولايات والسياسه القائل

وقوله لا سبيل الى ردّه ولا لرفضه مصر كنانة الله فى أرضه صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود وخاصة الاتباع والاشياع
والجنود الذين عاد بهم الدين فى مقام الاعظام والتمييز وشادوا
قواعده فهى من عروّ النقص والنقض فى حرز حريز ولا يزال ان شاء
الله تعالى الى يوم القيامة بكل قائم منهم وهو عزيز وبعد فانه
لا يخفى على كل ذى ذوق سليم وفهم رائق مستقيم أن فن التاريخ
من فاكهة الفاكهة بالغاية القصوى ونهاية الشأن فى الطلاوة
والجدوى لانه توقيع وقائع الزمان وتدوين الحوادث الدائرة بها
الدوران الف نفائس كتبه لاليا والف مطالعته من
رقّ طبعا وراق لبّا يطلع الشاهد على ما كان فى الغائب مختبا
ويودع السمع اسماء اسمار كان لرؤية أهلها محبّا كما قال من حاول
المعنى وأنبا فاتنى ان أرى الديار بعينى فلعلى أرى الديار بسمعى
فكم صدر فى الصدر الاول من عجائب يتوقف منه عليها وغرائب
أحوال نهتدى بسطور الطروس اليها وما برح المؤرخون يتناولون
المقبول من المنقول عن الدول والمناصب فمن متقن منسق ومن
جامع مكثر والناس فى الفنون مراتب كما قيل

لقد غرسوا حتى أكلنا وانا لنغرس حتى تأكل الناس بعدنا

فعنّ لى ان أحبر ما يليق بالجمع وأسطر ما يروق بالسمع من حكايات
باهره واذكر من ولى مصر والقاهره ذاهبا مذهب الايجاز والتهذيب
اخذا عن النقل المبرّء من التكذيب فما سمعت فوعيت وجمعت
فأوعيت مع اثراد ما شاهدته فى الزمن عيانا وخففت عن معنى
نوادره البديعة بيانا فكان كتابا حسنا فى بابه ممتعا لمن تعلق باسبابه
أنيسا يجلو مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته تستروح اليه
النفوس وتجد فى مطالعته ما تجده فى معاطات الكؤس شعر

لم يبق شئ من الدنيا تسرّ به الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

فجاء بحمد الله فى حاشية نسجه الرفيع وطرة نسخه البديع فى دولة
رافع عماد المملكة الشريفه مجدد نظام الدولة العثمانية المنيفه

شامل الرعايا بظل معدلته الوريفه مجمل التخت الشريف بعز حضرته
اللطيفه المختص بما استحق ان يكون على الخليقة الخليفه القائم من
الالتفات الى الصلاح والاصلاح بأرفع وظيفه الراقى مراتب العز لما كمل
طالعه سعدا وشرفا الماحى بصوارمه من بغى فى الارض بغيا وسرفا
من اقتدى بابيه وجده فى عدله وجده واقتفى سرسر الملك مولانا
السلطان مصطفى لا برحت أنوية ولايته فى الخافقين خافقه
والسنة أقلام مدى الايام بمدحه ناطقه ولا برحت الكواكب تقبل
سدته العليه والثريا لائمة فى العلا عاتقه كما غدت ريح الصبا
لثرى أعتابه ناشقه والآفاق بفائق مجده وحدائق انسه باسقه
وسميته لطائف اخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من ارباب
الدول وقد رأينا ان نقسم هذا الكتاب على مقدمة وعشرة ابواب
وخاتمه للمقدمة فى فضائل مصر وذكرها فى كتاب الله المبين وما
ورد فيها من أحاديث سيد المرسلين ومن كان بها من الانبياء والصديقين
وغير ذلك على ما ياتى بيانه مفصلا ان شاء الله تعالى والله تعالى
أسأل أن يحسن بختامه كالاول الباب الاول فى خلافة الخلفاء
الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسين بن على بن ابى طالب الباب الثانى
فى دولة بنى أمية الباب الثالث فى الدولة العباسية الباب الرابع
فى من ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى امية والعباسية وما دخلها
من تغلب بنى طولون والاخشيدية الباب الخامس فى دولة الفواطم
الباب السادس فى دولة الايوبية السنية السنية الباب
السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية الباب الثامن
فى دولة الجراكسة الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان وهى
دولة أقرت العيون وسرت الاعيان اذ جاءت منقادة لشرع سيد ولد
عدنان ادام الله تعالى بقاها ما دام الفرقدان الباب العاشر
فيمن تصرف بمصر من نواب آل عثمان المكرمين وأخصاء الوزراء المعظمين
وانزاد اخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية واحكامهم الخاتمة
فى مواعظ ونصائح وسلوك وآداب للسلاطين والملوك المقدمة

أقول وبالله المستعان أما مصر حرسها الله تعالى فان الله عز وجل ذكرها
في كتابه العزيز في ثمانية وعشرين موضعا منها ما هو صريح ومنها
دلت عليه القرائن وكتب التفسير قال الله تعالى مخبرا عن فرعون أليس
لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي قال ابن الجوزي يفتخر فرعون
بنهر ماء الله أجراه ما أجراه وقال تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ
صدق وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
الى وأورثناها بني اسرائيل وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون
الى وأورثناها قوما آخرين يعني قوم فرعون وان بني اسرائيل ورثوا
مصر بعدهم وقال بعض المفسرين المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان
لهم من المنابر والمجالس وقيل سمي كريما لانه مجلس الملوك قاله مجاهد
وسعيد بن جبير وقالا هي المنابر وقال تعالى واوينا هما الى ربوة قال
ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن يزيد
ابن أسلم هي مصر والربا لا تكون الا بمصر وقال تعالى اهبطوا مصرا
وقال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى ونمكن لهم
في الارض وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة وقال تعالى لكم الملك
اليوم ظاهرين في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا وقال تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك وقال تعالى
وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتا وقال تعالى
أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وقال تعالى اجعلني على خزائن
الارض وقال تعالى ولقد مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث
يشاء وقال تعالى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة
الدنيا وقال تعالى وقدر فيها اقواتها وقال تعالى ارم ذات العماد قال
محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية وقال تعالى عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض وقال تعالى وجاء من اقصى المدينة
قال بعض المفسرين هي منف وقال تعالى ان فرعون علا في الارض
وقال تعالى فلن أبرح الارض وقال تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض قال ابن عباس سميت مصر بالارض كلها في عشرة مواضع

(ومن السنة) قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال له أبو بكر رضى الله عنه لم يا رسول الله قال لانهم وازوا جهم فى رباط الى يوم القيامة وفى حديث ستفتح عليكم بعدى مدينة يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقالوا أما رحمهم فأم اسمعيل عليه السلام وأما ذمتهم فأم ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم ويقال هاجر من قرية يقال لها أم دنين وقيل أصلها من مدينة عين الشمس التى تسمى الآن بالمطرية ومادية من قرية يقال لها حفن وقيل من أهل كورة انصنا واسم أبيها شمعون وتوفيت فى المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالمدينة وقوله صلى الله عليه وسلم فى اهل مصر ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال عليه أفضل الصلاة والسلام مصر أطيب الارض ترابا وعجمها أطيب العجم وقال عليه افضل الصلاة والسلام قسمت البركة عشرة أجزاء تسعة بمصر وجزء بالامصار كلها وقوله عليه افضل الصلاة والسلام مصر خزائن الله والجيزة غيضة من غياض الجنة وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت من حديث نبيط بن ريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله فى أرضه ذكر ذلك المقريزى فى خططه عند ذكر الجيزة قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها وبناها وخرابها ومن يملكها من الامم ومن يسكنها فلما راى مصر وارضها ذات نهر جار ومادته من الجنة تتحدر فيه البركة وتمر خير الرحمة وراى جبلا من جبالها مكسوا بالنور لا يخلو من نظر الحق اليه فى سفح أشجار مثمرة فرغها فى الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام فى النيل بالبركة ودعا فى ارضها بالرحمة والبر والتقوى وبارك فى سهلها وجبلها سبع مرات فقال ايتها الجبل المرحوم سفحك

جنة وتربتك مسكة لاخلتك يامصر من بركة ولازال فيك ملك وعز
فيك الخبايا والكنوز سال نهرك عسلا كثر الله زرعك وأدر ضرعك
وذكى نباتك وعظم بركتك فائدة النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون
والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فمسكن
النقباء الغرب و مسكن النجباء مصر و مسكن الابدال الشام
والاخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث
مكة فاذا حدث للعامة امر ابتهل النقباء ثم النجباء ثم الابدال
ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلة
حتى تجاب دعوته وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح
عليه افضل الصلاة والسلام اربعة من الولد حام وسام ويافث
ويطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة
فى ولده وذريته حتى يعاملوا بالنماء والبركة فوعده بذلك فنادى
نوح ولده وهم نيام عند السحر فلم يجبه الا ابنيه سام وأرفخشد فانطلق
معه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على ارفخشد وسأل الله عز وجل
أن يبارك فى سام وان يجعل الملك والنبوة فى ولده أرفخشد ثم نادى
حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من
ولده فدعى الله عز وجل نوح أن يجعل ولده اذلاء وان يجعلهم عبيدا
لولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام نائما الى جنب جده حام
فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا جدى
قد أجبتك اذ لم يجبك ابى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من
دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال انى قد أجبت دعوتى
فبارك فيه وفى ذريته واسكنه الارض المباركة الطيبة التى هى ام
البلاد وغوث العباد قال الشاعر

من شاهد الارض واقطارها ... والناس أنواعا وأجناسا
ولا رأى مصرا ولا أهلها ... فما راى الدنيا ولا الناسا

وقال ايضا

لعمرك ما مصر بمصر وانما ... هى الجنة العليا لمن يتفكر

واولادها الولدان من نسل آدم ... وروضتها الفردوس والنهر كوثر

وقال أيضا

اذا كنت في مصر ولم تك ساكنا ... على نيلها الجاري فما أنت في مصر
وان كنت في مصر بشاطئ نيلها ... وما انت في شئ فما أنت في مصر
وان كنت في شئ ولم تك صاحبا ... لالف له لطف فما أنت في مصر
وان كنت ذا الف ولم تك ماكثا ... لكيس حوى الفا فما انت في مصر
وان حزت ما قلنا ولم تك هائما ... تميل لمن تهوى فما أنت في مصر

وكان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل واسماعيل ويعقوب واثنا عشر سبطا من أولاد يعقوب وولد بها من الانبياء ادريس وموسى وهارون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ولقمان وعيسى بن مريم ولد بها ناس ثم سار الى الشام قال الجلال السيوطي رحمه الله ناظما لمن حل مصر من الانبياء بوفاق وخلاف ومن جملتهم الاربع نسوة المختلف في نبوتهن

شعر

قد حل في مصر فيما قد رووا زمر ... من النبيين زادوا مصرتأنيسا
فهاك يوسف والاسباط مع أبهم ... وحافد وخليل الله ادريسا
لوطا وأيوب ذا القرنين خضرهم ... سليمان أرميا يوشعا هارون مع موسى
وأمه سارة لقمان آسية ... ودانيالا وشعيا مريما عيسى
شيثا ونوحا واسماعيل قد ذكروا ... لازال من أجلهم ذا المصر محروسا

وكان بها من الصديقين مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل، وكان بها وزراء فرعون الذين وصفهم الله بالعقل وفضلهم على قوم فرعون حين قالوا ارجئه واخاه وقال وزراء نمرود اقتلوه أو حرقوه قال البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى اجعل لي وزيرا من أهلي ان اشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن أميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجأ اليه في أموره ومنه الموازرة وقيل أصله ازير من الازر بمعنى القوة كالعشير والجليس وكان بها من السحرة الذين احضرهم فرعون لموسى اثنا عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر عشرون عريفا تحت يد كل عريف ألفا من السحرة فكان جميع السحرة

مائتى ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين ساحرا بالرؤساء والعرفاء
فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقاوم أمر
الله وآمنوا جميعا فى ساعة واحدة ولم يعلم جماعة أسلموا فى ساعة
واحدة اكثر من جماعة القبط **قال** المهدوى فى تفسيره ان السحرة
الذين حشرهم فرعون من سبع مداين وهى شطا وبوصير وبنها
وطنان وارمنت واسيوط وانصنا ومع ذلك لم يغن عنهم عدوهم
ولا كثرة عددهم بل لما ألقى موسى عصاه باذن الرب الاله خروا له ساجدين
وقالوا آمنا برب العالمين قيل انه لما القى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
اى حية صفراء فاتحة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وقيل ارتفعت
من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة حنكها الاسفل فى الارض
والاعلى على سطح القصر الذى فيه فرعون فوثب فرعون هاربا وأحدث
قيل اخذته البطنة فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وحملت على الناس
فانهزموا ومات منهم خلق كثير **ذكر** البيضاوى فى تفسيره فى سورة
الاعراف عند قوله تعالى فالقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين لما انهزم
الناس مزدحمين مات منهم خمسة وعشرون الفا **وذكر** ان فرعون
صاح وقال خذها يا موسى وانا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل
فأخذها فعادت عصى ولم يؤمن فرعون بل كفر وعصى **وكان** بمصر
من الصديقات آسية امرأة فرعون التى سألت ربها عز وجل ان يبنى لها
عنده بيتا فى الجنة وأن ينجيها من فرعون وعمله فاستجيب لها بصبرها
على محنة فرعون **قال** نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شممت فى الجنة
ليلة الاسرا رائحة ما شممت اطيب منها فقلت يا جبريل ما هذه فقال
رائحة آسية امرأة فرعون **وصاهر** أهل مصر من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ابراهيم الخليل تسرى بها جرام اسماعيل وتزوج
يوسف الصديق ببنت عين شمس وتزوج ايضا زليخا بعد أن عجزت
وعميت فدعى الله تعالى فرد عليها بصرها وجمالها ورزق منها الولد
وتسرى نبينا صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التى أهداها
له المقوقس ملك مصر فولدت من النبى صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه

السلام ومات رضيعا ودفن بالبقيع ظاهر طيبة على ساكنها افضل الصلاة
والسلام ولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ومات فى ربيع الاول
سنة عشرة وكان عمره ستة عشر شهرا وصلى عليه النبى صلى الله عليه
وسلم وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضى الله عنه
وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان له ظرا اى مرضعا يتم رضاعه
فى الجنة وقال عليه افضل الصلاة والسلام لو عاش ابراهيم لوضعت
الجزية عن كل قبطى وحزن عليه صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا حتى دمعت عيناه
الشريفتان فقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضى
ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون قال ابو بكر البرقى جميع أولاد
النبى صلى الله عليه وسلم سبعة القاسم وعبد الله وابراهيم وزينب
ورقية وام كلثوم وفاطمة كلهم من خديجة الا ابراهيم ولما مات
القاسم ثم عبد الله قال العاص بن وائل السهمى قد انقطع ولده فهو ابتر
فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر ولم تزل مصر دار العلماء والحكماء
فمنهم الاسكندر ذو القرنين صاحب السد الذى ذكره الله فى كتابه
العزيز فى سورة الكهف فانه على اختلاف الاقوال ملك الارض كلها وبلغ
مغرب الشمس ومشرقها وبنى الاسكندرية المشهورة واسكندرية
أخرى ببلاد الجون واسكندرية أخرى ببلاد الروم وبنى سمرقند
والمناظر والابراج ذكر الدمامينى فى كتابه عين الحياة ان محمد بن الربيع
الجيزى روى فى مسنده عن من دخل مصر من الصحابة عن عقبة بن عامر
رضى الله عنه انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه فاذا أنا
برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف وكتب فقالوا استأذن لنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف اليه صلى الله عليه وسلم وأخبرته
بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم مالى ومالهم يسألونى عما لا أدرى
انما انا عبد ولا أعلم الا ما علمنى ربى تعالى ثم قال ابغ وضوءا فتوضأ ثم قام الى
المسجد فى بيته ثم ركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرق السرور فى وجهه
والبشر ثم انصرف فقال اذهب فأدخلهم ومن وجدته معهم بالبناب من
أصحابى فادخلهم فلما رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم

سألتم

سألتم وان شئتم أخبرتكم قالوا بلى اخبرنا قبل أن نتكلم قال جئتم تسألونى
عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه عندكم مكتوبا انه أول أمره
انه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى جاء ساحل أرض مصر فابتنى
عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به
حتى انتقله فرفعه ثم قال انظر ماذا تحتك فقال أرى مدينتى وأرى مدائن
معها ثم عرج به فقال انظر فقال اختلطت مدينتى مع المدائن فلم أعرفها ثم
زاد فقال انظر فقال أرى مدينة واحدة لا ارى غيرها فقال له
الملك انما تلك الارض كلها والذى يرى محيط بها هو البحر وانما أراد
ربك عز وجل ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا وسوف تعلم الجاهل
وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس
ثم أتى الى السدين وهما جبلان لبنان يزلق عنهما كل شئ فبنى السد
ثم قال يا جوج وماجوج ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه
الكلاب يقاتلون يا جوج وماجوج ثم قطعهم فوجد قوما قصارا
يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى فوجد امة
من الحيات تلتقم الحية منهم الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المحيط
بالارض فقالوا نشهد ان أمره كان هكذا كما ذكروا نا نجد هذا فى كتبنا
وكان بمصر حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلوم الرصد والحساب
والمساحات عدة منهم افلاطون وبطليموس وسقراط
وارطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول تسير الى مصر
أرباب العلوم والحكم لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وروى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان
واختلاف سكانها فقال ان الله لما خلق الاشياء جعل كل شئ لشئ فقال
العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الخصب وانا
لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الشقاء وانا لاحق بالبادية
فقالت الصحة وانا معك ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم
عشرة اشياء الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق
والغنا والفقر والذل والشقاء فقال الايمان انا لاحق باليمن فقال

فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشأم فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر انا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنا انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر انا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال المكر عشرة اجزاء تسعة منها فى القبط وواحد فى سائر الناس ويقال ان الغدر عشرة أجزاء تسعة فى اليهود وواحد فى سائر الناس والحمق عشرة أجزاء تسعة فى المغاربة وواحد فى سائر الناس والقسوة عشرة أجزاء تسعة فى الترك وواحد فى سائر الناس والشجاعة عشرة أجزاء تسعة فى العرب وواحد فى سائر الناس والبلم عشرة اجزاء تسعة فى العبيد وواحد فى سائر الناس وقد ملك مصر سبعة من الكهنا ولهم الاعمال العجيبة والأمور الغريبة الكاهن الاول اسمه صنيم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وانثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا الكاهن الثانى اسمه اعشامش من اعماله العجيبة انه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع الظالم الكاهن الثالث عمل مرآة من المعادن فينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب فيها وما أجدب وما حدث من الحوادث وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فأى امرأة أصابها وجع فى جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها الكاهن الرابع عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا تقرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كدان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت فى مكانه

ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سبع سنين
الكاهن الخامس عمل شجرة من نحاس فكل وحش وصل إليها لم
يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس في أيامه لحما وعمل على باب
المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن شماله فاذا دخل أحد
ان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذي عن يمين الباب وان كان من أهل
الشر بكى الصنم الذي على يسار الباب الكاهن السادس عمل درهما
اذا ابتاع صاحبه شيئا اشترط ان يزن له بزنته من النوع الذي يشتريه
فاذا وضع في الميزان ووضع في مقابلته كلما وجد من الصنف الذي يريد
شراءه لم يعد له ووجد هذا الدرهم في كنوز مصر في أيام بخامية
الكاهن السابع كان يعمل اعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس
في السحاب في صورة انسان عظيم فاقام مدة ثم غاب فاقاموا بلا ملك
الى أن رأوه في صورة الشمس في برج الحمل فأخبرهم انه لا يعود اليهم
وان يتولوا فلانا بعده ومن فضائل مصر انها تمير أهل الحرمين
وتوسع عليهم ومصر يحمل خيرها الى ما سواها وأهلها يستغنون بها
عن كل بلدة حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها
بها عن سائر البلاد ومن محاسن مصر انه يوجد فيها في كل شهر
من شهور القبط صنف من المأكول والمشموم فيقال رطب توت
ورمان بابر وموزها نور وسمك كيك وماء طوبه وخروف مشير
ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل
أبيب وعنب مسرى ومن محاسن مصر أيضا ما روى عن مجير
الغفاري انه سمع ابن العاص يقول في خطبته اعلموا يا اهل مصر انكم
في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم
اليكم والى ديارهم فان ديارهم معدن الزرع والمال والخير الواسع
والبركة النامية وعن عبد الرحمن الاشعري أنه قدم من الشام الى
عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له عبد الله ما اقدمك بلادنا فقال
كنت تحدثنا ان مصرا سرع الارض خرابا ثم أراك قد اتخذت فيها القصور
واطمأننت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمها بختنصر فلم يدع

فيها الا السباع والضباع فهي اليوم أطيب الارض ترابا وأبعدها خرابا
ولا تزال فيها بركة مادام في شئ من الارض بركة ويقال ان مصر متوسطة
فالدنيا سلمت من حر الاقليم الاول ومن برد الاقليم السادس والسابع
ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخف بردها
وسلم أهلها من مشائ الاهواز ومصايف عمان وصواعق تهامة
ودمامل الجزيرة وخرب اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق
وطحال البحرين وعقارب عسكر ومحمى خيبر وأمنوا من غارات الترك
وهجوم العرب ومكائد الديلم وترف الانهار وقحط الامطار وقال
عبد الله بن عمر خلقت الدنيا على خمس صور على صورة الطير برأسه
وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر
الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق أمة يقال لها
واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق وخلف ذلك أمم لا يعلمها
الا الله تعالى والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف
الهند أمة يقال لها ناسك وخلف ناسك أمة يقال لها منسك
وخلف ذلك امم لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذات الحمام الى المغرب
وشر ما في الطير الذنب وقد ملك مصر أربعة وثلاثون فرعونا
أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم
أعتى ولا أشر من فرعون موسى قال وهب بن منبه كان فرعون
موسى قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر
ذراع قال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب
سادة كان في زمن الخليل مصر الثاني الريان بن الوليد وهو فرعون
يوسف الثالث الوليد بن مصعب ملك مصر وهو فرعون موسى
وهو عات وكل عات فرعون والعتاه الفراعنة فائدة لا باس
بذكرها روى ابو الحاكم قال أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل
ابن الشيخ الصنعاني ويقال الزماري والزمارة قرية من قرى
صنعاء على مرحلتين منها ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة سيدنا
عثمان بن عفان رضي الله عنه لقي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو

ابن العاص وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وأبا
هريرة وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك والنعمان بن بشير وأبا
سعيد الخدري وعن أحمد بن عطا قال سمعت سلمة بن همام بن
منبه يذكر عن آبائه ان وهبا أصله من خراسان من بلد هراة ومنبه من
أهل هراة خرج فوقع الى فارس أيام كسرى وكسرى أخرجه من هراة
ثم أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن هو وأولاده
باليمن وقد روى عن أبي ذرعة أنه قال وهب بن منبه يماني ثقة
وفي رواية لغير ابي ذرعة ان وهب بن منبه تابعي ثقة توفي بصنعاء
سنة ست عشرة ومائة وقيل سنة اربع عشرة ومائة وهو ابن
ثمانين سنة روى عن مثنى بن الصباح أنه قال رايت وهب بن منبه
اربعين سنة لم يسب شيئا فيه روح ولبث عشرين سنة لم يجعل
بين العشاء والصبح وضوءا قال وهب بن منبه لقد قرأت ثلاثين
كتابا نزلوا على ثلاثمين نبيا وفي رواية لمسلم بن خالد قال لبث
وهب بن منبه اربعين سنة لا يرقد على فراش وقال وهب بن منبه
لقد قرأت تيفا وسبعين كتابا في الكنائس وتيفا وعشرين كتابا
لا يعلمها الا قليل من الناس وجدت فيها كلها من وكل نفسه الى شيء
من المشيئة فقد كفر ومن كلام وهب بن منبه ثلاثة من كن فيه
أصاب أبر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام
وقال أيضا اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمنن ان يذمك
بما ليس فيك وقيل جاء رجل الى وهب بن منبه فقال له ان فلانا
شتمك فقال له أما وجد الشيطان بريدا غيرك وعن جابر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في أمتي رجلان
أحدهما يقال له وهب بن منبه يؤتيه الله الحكمة والآخر يقال له
غيلان هو على أمتي أشد من ابليس رجعنا الى ما نحن بصدده
من أمر فرعون موسى قيل ان فرعون موسى ملك مصر خمسمائة سنة لم
يصبه ألم ولا نصب ولم يزل مخولا في نعم الله تعالى الى أن أخذه الله
نكال الآخرة والاولى قال ابن عباس رضي الله عنهما الاولى قوله ما علمت

لكم من اله غيري والاخرى قوله أنا ربكم الاعلى قال فعذبه الله في أول النهار بالماء وفي آخره بالنار ولم يكن فرعون من اولاد الملوك وانما كان عطارا بأصبهان افلس وركبته الديون فخرج هاربا فاتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى نفسه عامل الاموات وصار يأخذ من كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره وكلمه فاعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل الوزير فسار في الناس سيرة حسنة وكان عدلا سخيا يقضي بالحق ولو على نفسه فاحبه الناس لكثرة عدله فتوفي الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاث قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى وقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فاطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون جحد لك مائتي سنة فكيف أمهلته فاوحى الله تعالى الى موسى انه عمر بلادي وأحسن الى عبادي فلما أراد الله تعالى هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه الصلاة والسلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمته فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون الف أدهم وقيل مائة الف حصان من الدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بني اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه الصلاة والسلام الى هاهنا فخاض يوشع الماء فقال الذي بكم أيمانه وهو جبرئيل مومن آل فرعون يا كليم الله اين أمرت فقال ههنا فكبح جبرئيل فرسه اى نخعها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها البحر فارتسبت في الماء اى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم

ويقال بركة فرعون

بينهما

بينهما مسالك فدخل كل سبط من بني اسرائيل مسلكا يرى بعضهم
بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في اثرهم فلما استقروا
جميعا اطبق الله البحر عليهم فاغرق فرعون ومن معه جميعا كما قال
الله تعالى في كتابه المبين وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا
الآخرين وممن غلب على مصر من الفراعنة بخت نصر وهو من قرية
من قرى بابل يقال لها هولم يعرف له أب واختلف في اثمانه حتى اشتبه
بانمان سحرة فرعون وذلك بعد ان خرب بيت المقدس وملك
مصر واستولى عليها وأخذها من أيدي القبط وبقيت مصر خرابا
اربعين سنة ليس بها أحد ثم ردهم بخت نصر فعمرها وملك عليهم
رجلا من جهته ومن ذلك الوقت بقيت مصر معمورة قال
صاحب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ان أرميا النبي عليه
افضل الصلاة والسلام راى بخت نصر قديما وهو صبي اقرع
ياكل وينغوط ويأكل قملا فقال له ما هذا فقال اذى يخرج ومنفعة
تدخل وعدو يقتل فقال له سيكون لك شأن وكان ولاية بخت نصر
قبل الهجرة الشريفة بالف وثلاثمائة وتسعة وتسعين سنة وماتة
وسبعة عشر يوما وقد أهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت في
دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل ولم يبق ببابل أحد قيل
سئل وهب بن منبه عن بخت نصر امات مسلما فقال وجدت اهل
الكتاب مختلفين فيه فقال بعضهم امن قبل ان يموت وقال بعضهم
قتل الانبياء وخرب بيت المقدس فلم تقبل منه توبة فائدة من
الانس الجليل اول من بنى الاقصى الملئكة ثم جدده ادم ثم سام بن نوح
ثم يعقوب بن اسحاق ثم داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام
وروى ان مفتاح بيت المقدس كان عند سيدنا سليمان بن داود
لا يأمن عليه احدا فقام ليلة ليفتحه فتعسر عليه ثم استعان بالانس
فتعسر عليهم ثم استعان بالجن فتعسر عليهم ثم جلس كئيبا حزينا
فظن ان ربه قد منعه منه فبينما هو كذلك اذ اقبل عليه شيخ يتكاء
على عصى له وقد طعن في السن وكان من جلساء داود عليه السلام

فقال يا بني الله أراك حزينا فقال قمت لهذا الباب افتحه فتعسر علي فاستغث بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبي بين يديك استغفرك وأتوب اليك ياحنان يامنان فلما قالها فتح ثم ظهرت الروم وفارس على سائر البلاد وقاتلت أهل مصر ثلاث سنوات برا وبحرا الى ان صالحوهم على شئ يدفعونه اليهم في كل عام فرضيت الروم وفارس بذلك وجعلوا نصف مال مصر لكسرى والنصف لهرقل وأقاموا على ذلك تسع سنين ثم غلبت الروم فارس فاخرجوهم وصار صلح مصر كله للروم وذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية والحديبية بئر قريب من مكة المشرفة على طريق جدة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وفيها كانت بيعة الرضوان التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم قريشا تحت الشجرة وهم العشرة المقطوع لهم بالجنة قال العلامة ابن حجر الهيثمي ناظما

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة ... بجنات عدن كله فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر ... ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وولاه خرجها وخراجها وكانت فارس قد بدأت بعمارة الحصن المعروف بقصر الشمع ثم تممت الروم بناءه ولم يزالوا فيه الى حين الفتح ولما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر الانام ليظهر الاسلام ويبين لهم الاحكام أقام صلى الله عليه وسلم بمكة قبل البعثة وبعدها ثلاثا وخمسين سنة وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الأول لعشري نيسان عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنان واربعون سنة وأقام في بني سعد خمس سنين وتوفيت امه وهو ابن ست وكفله جده عبد المطلب الى ان توفي وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن اثنى عشر سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن

خمس وعشرين سنة وتزوجها فى تلك السنة وبنت قريش الكعبة
ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن
أربعين سنة وتوفى عمه ابو طالب وهو ابن سبع وأربعين سنة
وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبى طالب ثلاثة
أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة
فأقام بها شهرا ثم رجع الى مكة فى جوار المطعم بن عدى ولما تمت
له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تمت له احدى
وخمسون سنة اسرى به وعاش ثلاثا وستين سنة وتخرفى حجة
الوداع ثلاثا وستين بدنة واعتق ثلاثا وستين رقبة صلى
الله عليه وسلم وكان الفيل فى العام الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم
والمشهور عند الاكثرين انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعده
بخمسة وخمسين يوما وقيل بشهرين وقيل باربعين يوما قال
الكلبى كان مولده قبل الفيل بعشرين سنة وقال مقاتل باربعين
سنة وقال الدمامينى فى عين الحياة ان أبرهة بن الاشرم ملك
الحبشة حضر الى الكعبة يريد هدمها فى المحرم سنة اثنين وثمانين
وثمانمائة من تاريخ اسكندر الثانى الملقب بذى القرنين المتقدم
ذكره ومبدؤه من السنة التى خرج فيها من مقدونية وطاف الارض
وهى السنة السابعة من ملكه وطريق معرفة سنيه أن تزيد على سنى
القبط التامة خمسمائة وتسعين سنة يحصل سنى الروم المطلوبة وبينه
وبين السنة التى هاجر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى
المدينة تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة وخمسة وخمسون يوما
وأول سنى الروم تشرين الاول ومدخله فى رابع بابه تشرين الثانى
أوله خامس هاتور كانون الاول أوله خامس كيك كانون الثانى
أوله سادس طوبه سباط أوله سابع أمشير اذار أوله خامس برمهات
نيسان أوله سادس برموده ايار أوله سادس بشنس حزيران
أوله سابع بؤنه تموز أوله سابع أبيب آب أوله ثامن مسرى ايلول
أوله رابع نوت وكان النبى صلى الله عليه وسلم حملا فى بطن أمه

وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين وبُعث يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم
الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر
يوم الاثنين ورجعنا الى قصة الفيل وذلك ان أبرهة بن الاشرم
المذكور بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد صرف الحاج عن
الكعبة اليها ثم ان جماعة من قريش خرجوا في تجارة حتى جاءوا قريبا
من تلك الكنيسة فاضرموا نارا ثم ارتحلوا فهبت ريح فأحرقت الكنيسة
فغضب النجاشي فقال له ابرهة لا تحزن فنحن نهدم الكعبة فطلب
أبرهة من النجاشي فيله المعروف بمحمود ومعه عشرة من الفيلة
وقيل اثنا عشرة وقيل ألف فيل ولما قرب ابرهة من مكة أمر بالغارة
على أهل الحرم فأخذ لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم مائتي بعير
وجهز ابرهة رسولا الى عبد المطلب يقول له لم آت لقتال وانما أتيت
لهدم هذه البنية فجاء الرسول الى عبد المطلب وبلغه الرسالة فقال
عبد المطلب هذا بيت الله وبيت ابراهيم خليله ونحن ما نريد ان
نقاتل هذا الملك وتوجه مع الرسول الى ابرهة ودخل عليه بعد ما عرفوه
بشرفه فأكرمه أبرهة وعظمه ونزل عن سريره وأجلسه معه على البساط
وقال لترجمانه قل له يسأل عن حاجته فقال يرد الملك علي الابا عر التي
أخذها فقال أبرهة قل له قد زهدتك في عيني أنا جئت لهدم بيت
هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم فلم تكلمني فيه وتسألني عن رد
مائتي بعير فقال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب يحميه
ويمنعه فقال أبرهة ما كان ليمنعني منه فقال دونك فرد عليه ابله
فعاد عبد المطلب الى مكة وأمر قومه ان يتفرقوا في رؤس الجبال وأتى
الى البيت وحده وأصبح أبرهة بجيشه يقدمهم فيله محمود فبعثه الى نحو
الحرم فلم ينبعث فضربوه بالمعول في رأسه فابى وبرك فوجهوه نحو
اليمن فقام وهرول وقد روي ان عبد المطلب أخذ بحلقة باب
الكعبة وقال

يارب لا ارجو لهم سواكا ... يارب فامنع منهم حماكا

ان عدو البيت قد عاداكا امنعهم ان يخربوا قراكا

وان عبد المطلب لم يزل آخذا بحلقة باب الكعبة حتى نشأت من قبل اليمن من البحر طير فقال عبد المطلب أرى طيرا ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية اشباه اليعاسيب قد اقبلت يكسع بعضها بعضا امام كل فرقة طير تقودها أحمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت الى الجيش والقت على رأس كل واحد حصاة فكان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب فى الارض من شدة وقعها وكانت تقع على رأس الرجل وتخرج من دبره فهلكوا جميعا واما ابرهة فانها كانت تتساقط اعضاؤه فتسقط انمله ويتبعها مدة ودم وقيح حتى وصل صنعاء وطائره فوق رأسه وهو لا يشعر حتى أتى النجاشى فقص عليه القصة فلما انتهى القى الطائر عليه الحجر فمات بين يدى النجاشى واختلف فى قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل فقال سعيد بن جبير هى طير تعيش بين السماء والارض وتفرخ لها خراطيم الطير واكف الكلاب وعن عكرمة هى طير خضر خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى كالبلسان وعن عائشة رضى الله عنها هى شبه شئ بالخطاطيف وقيل السنونو الذى يأوى المسجد الحرام والسنونو بضم السين والنونين نوع من الخطاطيف لله فائدة اذا دخل أحد على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حمعسق ويعقد لكل حرف من هذه الحروف العشرة اصبعا من اصابع يديه يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام اليسرى فاذا فرغ من عقد جميع الاصابع قرأ فى نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة اصبعا من الاصابع المعقودة فاذا فعل ذلك أمن من شره وهو مجرب عجيب وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر اربعين سنة ويوما بعثه الله رسولا الى سائر الامم من عرب ومن عجم فكان بعد ذلك لا يمر على شجر ولا مدر الا وقال السلام عليك يا رسول الله وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل النبوة قال القاضى عياض هو الحجر الاسود وروى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى الاسلام من أول ما نزل عليه الوحى ثلاث سنين مستخفيا ثم أمر باظهار الدعوة قال صاحب المواهب اللدنية ان مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين النبوة الى حين خروجه منها بضعة عشر سنة ويدل على ذلك قول صرمة

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه فى الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهى ارض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور فقال قد اخبرت بدار هجرتكم الا وهى يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويتوافقون فكان اول من دخل المدينة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة الاسدى ثم قدم بعده عامر بن ربيعة مع زوجته ليلى وهى أول ظعينة قدمت الى المدينة ثم صار القوم يرحلون من مكة أولا باول ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضى الله عنهما ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوة دار قصى بن كلاب وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها ويتشاورون ماذا يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع أمرهم على قتله وتفرقوا على ذلك فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر فخرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال لهم ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله قد خرج محمد عليكم ما ترك

منكم

منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وفى رواية ابى حاتم كما صححه الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفى ذلك نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الآية فقال ابو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناهما أحسن جهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة ووقف على المروة ونظر الى بيت الله الحرام وقال والله انك لاحب ارض الله الىّ ولولا أهلك أخرجونى ما خرجت منك ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها فلم يجدوه فشق على قريش خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در الابيصيرى حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض ... ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه ... وقلوه وودّه الغرباء
أخرجوه منها واواه غار ... وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ... ما كفته الحمامة الحصداء

وروى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشى أمامه وطورا يمشى خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه افضل الصلاة والسلام ما هذا يا ابا بكر فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا باس عليك يا أبا بكر الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحفى فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدخل الغار قال أبو بكر والذى بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل فاسبره قبلك فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلتمس بيده الغار فى ظلمة الليل

مخافة ان يكون فيه شئ يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيئا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وبانا فيه وامر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار ولله در القائل

ودود القز اذ نسجت حريرا ... يجل لبسه فى كل شئ
فان العنكبوت أجل منها ... بما نسجت على رأس النبى

وروى عن عطا بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه افضل الصلاة والسلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على راس النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى تاريخ ابى القاسم ابن عساكر ان العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا سنة احدى وعشرين ومائة واقام مصلوبا اربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته الى القبلة فاحرقوا الخشبة وجسده وقال ابن خلكان فى تفسير ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقى انه وقف بالقاهرة على البيتين المشهورين الى جماعة من الشعراء وهما

ألقتى فى لظى فان أحرقتنى ... فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ... ليس داود فيه العنكبوت

فقال ابن صابر فى جوابهما شعرا

أيها المدعى الفخار دع الفخر ... لذى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى طعب النا ... ر مزيل فضيلة الياقوت

ومن خواص العنكبوت أنه اذا جعل نسجها على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم واذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها والعنكبوت الذى ينسج على الكنيف اذا علق على المحموم يبرأ باذن الله وان الله سبحانه وتعالى امر اليراع فنبتت على فم الغار وحمامتين فعششتا وباضتا وأقبل فتيان قريش يسهامهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى اثره فما ادرى بعد ذلك اصعد الى السماء ام غاص فى الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال امية بن خلف ما تنظرون الى الغار وان عليه

لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وفى الصحيحين عن انس قال قال أبو بكر نظرت الى اقدام المشركين من الغار على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخولهم وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار والى هذا يشير صاحب البردة رضى الله تعالى عنه بقوله

أقسمت بالقمر المنشق ان له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق فى الغار وتصديق لم يرتا ... وهم يقولون ما بالغار من ارم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر فى الغار ثلاث ليال واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق الساحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا اللبن ولحما يشترون منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لها من لبن فقالت هى اجهد من ذلك فقال أتأذنى لى أن أحلبها قالت نعم بابى أنت وأمى ان رأيت لها حلبا فاحلبها فدعى بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فسمت الله ودرت ودعى باناء يسبع الجماعة فحلب فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة أخرى وبقيه قصة أم معبد مذكورة فى المواهب اللدنية فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع ثم تعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه سراقة

ابن مالك المدلجي وعلم انهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن اتى بهما
فركب فرسه وتبعهما بزعمه فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله أتينا قال
كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه
فطلب الامان وقال أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا الي ولكما أن أرد الناس
عنكما ولا اضركما قال سراقة فوقفا لي ثم ركبت فرسي حتى جئتهما قال فوقع
في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبرتهما بما يريد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزءاني
ولم يسألاني الا أن قال اخف عنا فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر
عامر بن فهيرة فكتب لي كتابا في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانطلقت راجعا ولقيت بعبدا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه بعد ذلك
من شاء من طريق البيهقي عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى
الله عليه وسلم وابو بكر مستخفيين مر ابعبد برعي غنما فاستسقياه
اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير أن هنا شاة حملت عام أول وما
بقي لها لبن قال فادع بها فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح
ضرعها ودعا الله حتى نزلت وجاء أبو بكر بمحن فحلب فسقى ابا بكر ثم
حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما
رأيت مثلك فقال واراك نكتم علي حتى أخبرك قال نعم قال فاني محمد
رسول الله قال فاشهد انك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت
الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك أني
قد ظهرت فأتنا ولما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يغدون كل يوم الى الحرة ينتظرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا الانتظار
فلما آووا الى بيوتهم وافا رجل من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينتظر
اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب
فلم يملك اليهودي نفسه فنادى باعلا صوته يا بني قيلة هذا جدكم الذي
حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج
بسلاحهم فتلقوه فنزل بقبا على بني عمرو بن عوف وعن اسعد انه قال
قدم النبي صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين لهلال ربيع الاول وتعد على
رضى الله عنه بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام ثم
أدركه بقبا يوم الاثنين واقام صلى الله عليه وسلم بقبا يوم الاثنين
والثلاثا والاربعا والخميس واسس مسجد قبا على التقوى من اول يوم
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة حين ارتفع
النهار فادركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من
المسلمين وهم مائة فى بطن وادى رانونا براء مهملة ونونين ممدودا
وركب راحلته يوم الجمعة متوجها الى المدينة وكان عليه افضل
الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام
عندهم يقولون يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة اين قول الانصار
رضى الله عنهم من قول أهل مكة وقسوتهم واخراجهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة وهى بلد ومسقط رأسه ولقد انصف من قال

لا تنكرن لاهل مكة قسوة والبيت فيها والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم حتى حمته أهل طيبة منهم

لان اهل مكة كانوا يؤذونه فى نفسه ويقصدون نكايته فى أهله
قتلوا اعمامه وعذبوا أصحابه وأخرجوه من أحب البقاع اليه ولما يسر
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فتح مكة دخلها بغير حمدهم فظهرت
كلمته فيها على رغمهم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه وشكره على ما منحه
من الظفر ثم قال لهم أقول لكم كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ذكر عبد الرحمن بن رجب الحنبلى
فى كتابه لطائف المعارف لو قام المذنبون فى الاسحار على اقدام الانكسار
ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر
وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين
عليها لا تثريب عليكم اليوم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
يا يعقوب الهجر هب ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعادت بعد
العمى بصيرا ولوجدت ماكنت لفقده فقيرا نقل الغزى نزيل مكة
فى كتابه قال الشيخ مظفر الدين الامشاطى أهل مكة عندهم أنفة

وتعاظم وكبر وحسد والكذب فاش بينهم والنميمة والخداع والطمع
فيما في أيدي الناس وبغض الغريب الا ان يكون مع الغريب شئ من الدنيا
فهم عبيد له يسلبون ما معه ثم يلمزونه بالسوء ويسلقونه بالسنة
حداد وأما أهل المدينة يغلب على أهلها الترحم وجب الغرباء ومواساتهم
والاحسان اليهم وفي طبعهم الجود والكرم ويحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار خلوا
سبيل الناقة فانها مأمورة وقد ارخى زمامها وما يحركها وهي تنظر
يمينا وشمالا حتى اتت دار مالك بن النجار ثم سارت وهو صلى الله
عليه وسلم عليها حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري ثم سارت وبركت
في مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها
فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل
أبو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار
اوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جد النبي صلى
الله عليه وسلم وقد ذكر ان بيت ابي ايوب بناه التبع الاول للنبي
صلى الله عليه وسلم لما مر بالمدينة وترك فيها اربع مائة عالم وترك
كتابا له صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وسأله ان يدفعه للنبي
صلى الله عليه وسلم فتداول الملاك الدور الى ان صارت الى بني ايوب
وهو ولد ذلك العالم قال وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة
والسلام من اولاد اولئك العلماء فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا
منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقت
المدينة بحلوله فيها وسرت القلوب قال أنس بن مالك رضي الله عنه
لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
أضاء منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجين عند قدومه
يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعى
لله داع ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع وروى البيهقي
عن أنس لما بركت الناقة على باب ابي ايوب خرج جوار من بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار فقال صلى الله عليه وسلم
تحبونني قلن نعم يا رسول الله فقال عليه افضل الصلاة والسلام
ان قلبي يحبكم ووعك ابو بكر وبلال بالمدينة فقال بلال اللهم العن
شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما اخرجونا من أرضنا الى ارض الوباء
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة
أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها وصححها لنا وانقل حماها الى
الجحفة وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث
الحديد وبهذا تمسك مالك رضي الله عنه في تقديم اجماع فقهاء المدينة
على الحديث ولم يركب مالك رضي الله عنه ظهر دابة بالمدينة قط ويقول
استحي أن أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما أشرف ابو الفضل الجوهري رحمه الله على المدينة نزل عن راحلته
وأنشد قول ابي الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاد العرفان الرسوم ولا لبّا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وأقام صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب سبعة أشهر ولما اراد عليه
الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم
فقالوا لا نطلب ثمنا الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعها
صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير اداها من مال أبي بكر قال انس
وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور
فنبشت والخرب فسويت والنخل فقطعت وامر بتحاذفها فأخذت
وبني المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل وكان صلى
الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قائما فقال ان
القيام قد شق علي فصنع له المنبر وحنين الجذع في السنة الثامنة
من الهجرة وجزم ابن سعد بانه عمل في السنة السابعة قال الشيخ
ابن عبد الله بن النعمان حديث حنين الجذع الذي يخطب عليه النبي صلى
الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجمع الكثير والجم الغفير قال جابر فصاحت الخشبة صياح

الصغير فضمه اليه وفي بعض الروايات والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تخزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا حدث هذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه ونظم في ذلك بعضهم فقال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته لكل امرئ من دهره ما تعودا

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود اكثرها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وعن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن ابي وقاص يقول صلى صلى الله عليه وسلم بعد ما قدم المدينة ستة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم حول بعد ذلك الى المسجد الحرام قبل بدر بشهرين قال الزهري صرفت القبلة نحو المسجد الحرام لرجب على رأس ستة عشر شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله في جوابهم قل لله المشرق والمغرب اي الحكم والتصرف لله كله فحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم الى جهات متعددة فنحن عبيده في تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وقيل قالت اليهود اشتاق الى بلد أبيه وهو يريد ان يرضى قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذي ننتظر أن يأتي فانزل الله وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهكم اليها بما في كتبهم عن انبيائهم

فائدة

فائدة في ذكر نزول جبريل عليه السلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام
نزل على آدم اثنتي عشرة مرة ونزل على ادريس اربع مرات ونزل على
نوح خمس مرات ونزل على ابراهيم اثنين واربعين مرة مرتين في صغره
ونزل على موسى اربع عشرة مرة ونزل على عيسى عشر مرات ثلاث
في صغره ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف
مرة ذكر ذلك ابن عادل في تفسيره في سورة النحل عند قوله ينزل
الملائكة بالروح من أمره وروى ان جبريل عليه السلام نزل على النبي
صلى الله عليه وسلم في مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدي
فقال نعم يا رسول الله انزل عشر مرات ارفع العشر جواهر من الارض
قال يا جبريل وما ترفع منها قال الاول ارفع البركة من الارض الثاني
أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الاقارب
الرابع ارفع العدل من الامراء الخامس ارفع الحياء من النساء السادس
أرفع الصبر من الفقراء السابع ارفع الورع والزهد من العلماء الثامن
أرفع السخاء من الاغنياء التاسع ارفع القرآن العاشر أرفع الايمان
قال وان عدة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف واربعة وعشرون
ألفا منهم مرسل ثلثمائة وثلاثة عشر نبيا مرسلا والمذكور منهم
في القرآن باسمه العلم ثمانية وعشرون ومنهم من لم يكن مرسلا
وبعضهم كان يوحى اليه في المنام وبعضهم كان يسمع الصوت من الملك
من غير ان يرى شخصه نبذة من أخبار الانبياء عليهم الصلاة
والسلام روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلق الله آدم طوله ستون ذراعا وأنزل عليه تحريم المية
والدم وحروف المعجم في احدى وعشرين ورقة وفيها ألف لغة وعلمه
ألف حرفة وخلق حواء من ضلع آدم في آخر النهار من يوم الجمعة
وفيه أهبط الى الارض وأنزل معه الحجر الاسود وعصى موسى وكانت
من آس الجنة ومرض آدم أحد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه
شيث وفي رواية كان طوله ستين ذراعا في عرض سبعة اذرع وانزل
الله عليه الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين الف باب من العلم

ولم يمت حتى بلغ ولد ولده أربعين ألفا واختلف في موضع قبره فقال أبو اسحاق دفن في مشارق العزدوس وقال غيره دفن بمكة في غار أبي قبيس وهو غار يقال له غار الكنز وقال ابن عباس دفن ببلاد الهند في موضع يقال له بوزبا فلما كان أيام الطوفان حمله نوح عليه السلام ودفنه ببيت المقدس وقال عروة لما مات آدم عليه السلام وضع بباب الكعبة وصلى عليه جبريل والملائكة ودفن في مسجد الخيف وقد روى ان الله تعالى أتحف آدم بثلاث تحف على يد جبريل عليه السلام بالعقل والحياء والدين وقيل له يا آدم اختر أيهن شئت فألهمه الله ان اختار العقل فقيل للحياء والدين ارتفعا فقالا أمرنا أن لا نفارق العقل وقد روى ان الله تعالى لما خلق آدم قال له من أنت قال أنت أعلم يا رب فقال أنت انسان فقال وما الانسانية يا رب قال اطلاق الوجه وطلاقة اللسان وبسط اليدين والخلق الحسن قال صاحب البردة يشير الى النبي صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

وفي الحديث ان حسن الخلق معلقة بسلسلة في باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب فلا تزال به حتى ترده الى الجنة وان سوء الخلق معلقة بسلسلة بباب جهنم مربوطة بصاحبه فلا يزال به حتى يدخله النار فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا روى الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن انه قال ان أحسن الحسن الخلق الحسن شيث عليه السلام نبي مرسل وأنزل عليه خمسين صحيفة وهو اول من بنى الكعبة بالطين والحجر وعاش سبعمائة سنة وعنه أخذت الشريعة ادريس عليه السلام نبي مرسل أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ولد بمصر وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من بنى لها كالوسجد لله فيها وفي عصره انتهت اليه الرياسة في علم النباتات واسرار الحروف وغير ذلك من الحقائق الحكمية والادوار الفلكية وهو أول من رتب الناس على ثلاث طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة

سنة

سنة وعشرين سنة نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن
ادريس نبي بعث بعد ادريس وهو ابن خمسين سنة او اربعين سنة
وهو اول من قسم الارض بين اولاده فاما سام فاعطاه بلاد
الحجاز واليمن والشام وهو ابو العرب والفرس والروم واما حام
فاعطاه بلاد المغرب وهو ابو السودان والبربر والقبط واما يافث
فاعطاه بلاد المشرق وهو ابو ياجوج وماجوج والترك والصقالبة
ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان طول السفينة
ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا
وجعل لها ثلاث بطون فجعل في اسفلها الدواب والوحش وفي
وسطها الانس وفي اعلاها الطير وروى انه كان اذا ارادت
تجري قال بسم الله فجرت واذا ارادت ترسو قال بسم الله فرست
وعاش بعد الغرق خمسين سنة هود عليه السلام نبي مرسل
بعثه الله الى عاد بن صفوان بن سام وبعثه الى ثمود فكذبوه
فاهلكهم الله بالصواعق والزلزلة وعاش ثمانمائة سنة وخمسين
سنة حنظلة بن صفوان عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى
اصحاب الرس فقتلوه واحرقوه بالنار فسخطهم الله بحجارة
ابراهيم عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى النمروذ بن كنعان
فاهلكه الله ببعوضة قال ابو الحسن الماوردي ابراهيم
بالسريانية اب رحيم وانزل عليه عشر صحائف وهو اول من
قاتل بالسيف واول من اختتن واول من لبس السراويل واول
من جز شاربه واول من قص اظافره واول من راى الشيب واول
من اضاف الضيوف واول من ثرد الثريد وعاش مائة وخمسة
وسبعين سنة ودفن عند قبر سارة بمزرعة حبرون بالحاء المهملة
ذو القرنين كان في زمن ابراهيم عليه السلام قال عكرمة كان
ذو القرنين نبيا وقال علي بن ابي طالب كان عبدا صالحا وكان
الخضر وزيره وابن خالته وكان له مربع مائة في مائة موضوع على الزاوية
وبها فتح اقاليم البلاد قال المفسرون ملك الدنيا مؤمنان

ذو القرنين وسليمان وكافران بخت نصر ونمروذ بن كنعان توفي
الاسكندر اثنان رومي وهو صاحب الخضر ويوناني وهو صاحب
أرسطو وأيضا دانيال اثنان الاكبر وهو الذي حفر دجلة والفرات
وكان أنقذ ذراعا وهو بعد نوح عليه السلام ودانيال الاصغر
وهو بعد سليمان ولقمان اثنان العادي وهو في زمن ذي الحكم
ولقمان الثاني وهو في زمن داود عليه السلام روي انهما ملكت
عاد بقي لقمان بالحرم فقال يا رب اعطني عمر سبعة أنسر وكان
يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات النسر السابع مات لقمان
وموسى اثنان موسى بن بيشار وموسى بن عمران وهو صاحب فرعون
لوط عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى اهل سدوم فكذبوه
فاهلكهم الله بحجارة من سجيل وعاش ثمانين سنة اسماعيل
نبي مرسل بعثه الله الى العمالقة وهو أول من ركب الخيل ومن
ولده فيدار وعاش مائة وثمانين سنة اسحاق عليه السلام
نبي مرسل ولد بعد اسماعيل بثلاثة عشر سنة وولد اسحاق العيص
ويعقوب وهو ابن ستين سنة فاما العيص فانه تزوج بنت عمه
اسماعيل عليه السلام فولدت الروم وصاروا ملوك الارض والثاني
من ولده وعاش مائة وثمانين سنة وتوفي بفلسطين ودفن عند قبر
أبيه بمزرعة حبرون يعقوب عليه السلام نبي مرسل وهو
اسرائيل الله وعاش مائة وسبعة وعشرين سنة يوسف عليه
السلام نبي مرسل وهو اول من صنع القرطاس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وعاش
مائة وعشرين سنة بمصر ايوب عليه السلام نبي مرسل وكان رومياً
من أولاد عيص بن اسحاق استنباه الله سبحانه وتعالى وكثر أهله
وماله فابتلاه الله سبحانه وتعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم
وذهاب امواله والمرض في بدنه ثمانى عشرة سنة او ثلاث عشرة او
سبعة وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته قالت له يوما

لو دعوت الله سبحانه وتعالى ان يشفيك فقال لها كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال استحى من الله سبحانه وتعالى ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وعاش ثلاثا وتسعين سنة
وكان فى ضياعه أربعون ألف وكيل شعيب نبى مرسل بعثه الله
الى اهل مدين فكذبوه فاهلكهم الله بالصيحة وهو خطيب الانبياء
عاش مائة واربعين سنة وقبره بالمسجد الحرام قبالة الحجر الاسود
موسى عليه السلام نبى مرسل ارسله الله تعالى واخاه هارون عليه
السلام الى فرعون فكذبهما فاغرقه الله وجنوده فى اليم وانزل على موسى
عشر صحائف والتوراة فى ألواح الزمرد وهى الف سورة فى كل سورة
الف آية روى ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال كلم الله موسى مائة الف وعشرين الفا وثلثمائة وثلاثة عشر
كلمة وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة وقبره
عند الكثيب الاحمر بفلسطين وعاش هارون مائة وعشرين سنة
ومات قبل موسى بثلاثين سنة فى التيه الخضر عليه السلام قيل
انه نبى من الانبياء وقيل انه ولى من أولياء الله تعالى يوشع بن نون
عليه السلام نبى مرسل بعثه الله بعد موسى عليه السلام وقدر د
الله له الشمس فى قتال الجبارين على مدينة اريحاء وهو الذى ارسل الله
تعالى على قومه ظلمة فمات منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا وعاش
مائة وعشرين سنة كالب بن يوفنا عليه السلام قيل انه نبى وقيل
انه ولى حزقيل عليه السلام قيل انه نبى بعثه الله الى بنى اسرائيل وهو
حزقيل بن بورى الذى أحيا الله له القوم الذين خرجوا من ديارهم
بعد موتهم بدعائه ولا بعله قال عطاء الخراسانى
كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال
ابو مالك ثمانين الفا وقال ابن جريج اربعين الفا وقال ابن ابى رباح سبعين
ألفا الياس عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى بنى اسرائيل فاعطاه
الله قوة سبعين نبيا وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكان انسيا
ملكيا ارضيا سماويا اليسع بن عدى بن سوادن افرائيم بن يوسف

الصديق بعثه الله بعد الياس عليه السلام الى بنى اسرائيل وعاش
خمسا وسبعين سنة ذو الكفل عليه السلام بعثه الله بالشام وهو
من اولاد ايوب عليه السلام قال ابو موسى الاشعرى ان ذا الكفل لم
يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا وقيل هو الياس وقيل هو زكريا
شمويل عليه السلام بن بالى بن علقمة بن حام ارسله الله الى بنى اسرائيل
ومعناه بالعبرانية اسماعيل وهو الذى اقام لطالوت الملك داود
عليه السلام نبى مرسل وانزل عليه الزبور بالعبرانية وهى مائة
وخمسون سورة والآن له الحديد ولم يعط احد من الخلق مثل صوته
وكان لا ياكل الا من عمل يده وهو اول من قال اما بعد قال ابن عباس
رضى الله عنه كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثون الفا وكان عمر داود
مائة سنة وشيع بجنازته اربعون الف راهب وكان الانس والجن
يستمعون لحسن قراءته اذا قرأ الزبور وكذلك الوحوش والطير يستمعون
وكان يحمل من مجلسه فى بعض الاوقات اربعمائة جنازة ممن قد مات
فى مجلسه من لذة سماع صوته وحسن قراءته سليمان عليه السلام
نبى مرسل قال كعب بن محمد القرظى كان عسكر سليمان عليه السلام
مائة فرسخ وخمسة وعشرين فرسخا الانس ومثلها الجن ومثلها للوحوش
ومثلها للطير وهو اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم
واول من دخل الحمام واول من صنع له النورة وكان حرس سليمان ستمائة
الف وكان له الف بيت من قوارير على خشب فيها ثلثمائة امرأة
وسبعمائة سرية قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فى مطبخ سليمان
مائة الف رجل وكان يذبح له كل يوم الف شاة وثلاثون الف بقرة
وكان ياكل الشعير ويلبس الصوف وعاش ثلاثا وخمسين سنة
بينما هو متكئ على عصاه فمات فدفن على ساحل بحيرة طبرية
لقمان الحكيم بن باعورا ابن اخت ايوب عاش خمسمائة وخمسين سنة
واختلف فى نبوته فقال عكرمة كان نبيا . وقال حذيفة كان عبدا صالحا
وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل وقيل كان عبدا اسود نوبيا من سودان
مصر وقيل كان خياطا او نجارا او راعى غنم وقد اخذ الحكمة عن النبى

وقبره مابين مسجد الرملة وسوقها وفيه قبر سبعين نبيا وكان داود عليه
السلام يقول يالقمان لقد أوتيت الحكمة وصرفت عنك النقمة
فائدة المعمرون شيث عليه السلام عاش سبعمائة سنة نوح عليه
السلام لبث فى قومه الف سنة الاخمسين عاما وعاش بعد الغرق
خمسين عاما ابراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين
عاما اسماعيل عليه السلام عاش مائة وثمانين عاما وكذلك اسحاق
عليه السلام يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعين عاما
يوسف عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما شعيب عليه السلام
عاش مائة وأربعين عاما موسى عليه السلام عاش مائة وعشرين
عاما وكذلك هارون عليه السلام وكذلك يوشع عليه السلام
لقمان عاش خمسمائة وستين عاما المستوعر بن زيد عاش ثلثمائة
وثلاثين عاما معديكرب الحميرى عاش مائة وخمسين عاما عامر بن
الظرب عاش ثلثمائة عام وكذلك اكثم بن صيفى وكان من حكماء العرب
وأدرك الاسلام واختلف فى اسلامه قس بن ساعدة الايادى
عاش ستمائة عام وكان من عقلاء العرب وشعرائهم وهو اول من
أقر منهم بالبعث واول من قال فى الخطبة أما بعد دريد بن الصمة
عاش دهرا طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد
حنينا عبيد الجرهمى عاش مائة وعشرين سنة معاذ بن مسلم
عاش مائة وخمسين عاما صحب بنى مروان وفيه يقول الشاعر

قل لحاذ اذا مررت به قد ضج من طول عمرك الابد

رجعنا لما نحن بصدده من أخبار الانبياء يونس عليه السلام
نبى مرسل بعثه الله الى اهل نينوى قرية بمصر وهو ابن اربعين عاما
فالتقمه الحوت فمكث فى بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل
أربعين يوما شعياء عليه السلام من انصنا بعثه الله تعالى الى
بنى اسرائيل وهو الذى بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
أرميا عليه السلام نبى بعثه الله الى بنى اسرائيل فكذبوه فأرسل
لهم بخت نصر فخرب بيت المقدس واحرق التوراة وقتل من بنى اسرائيل

سبعين الفا وأسر سبعين الف غلام وذهب بهم الى بابل وفيهم دانيا
وخر قيل النبي عليهما السلام وسبعة الاف من آل داود عليه السلام
عزير عليه السلام بن شريق عليه السلام أماته الله وهو ابن اربعين
سنة فاماته مائة عام ثم بعثه وهو ابن مأية واربعين سنة وقيل
ابن مائة وعشرين سنة واحيى حماره دانيال عليه السلام
نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وهو ممن آتاه الله الحكمة والنبوة
والقاه بخت نصر في اتون الحمام فلم يحترق وبه انقذ الله بني اسرائيل
من ارض بابل وقبره بالسويس زكريا عليه السلام بعثه الله
الى بني اسرائيل فقتلوه وكان نجارا يحيى عليه السلام روى انه
تنبأ وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين او سبع وقتل بدمشق
واسم المرأة التي قتلته ارميل وانها قتلت سبعين نبيا آخرهم يحيى
عليه الصلاة والسلام قال يحيى بن المسيب لما دخل بخت نصر دمشق
رأى دم يحيى عليه السلام يفور فقتل عليه سبعة وخمسين الفا
وقد بعث الله بين موسى وعيسى الف نبي من بني اسرائيل عيسى
عليه السلام نبي مرسل بعثه الله على راس ثلاثين سنة من عمره
فكذبوه فرفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنزل
عليه الانجيل باللغة السريانية وهو كلمة الله وأمه مريم بنت عمران
وهو من اولى العزم المرسلين واحيى الله له سام بن نوح عليه السلام
بعد أربعة الاف سنة قال كعب بعث الله بعد عيسى بن مريم
رسولين من الحواريين من مدينة انطاكية حبيب النجار وهو ثالث
الرسل وقبره بانطاكية وشمعون ومن زمن هبوط آدم عليه السلام
من الجنة الى رفع عيسى عليه السلام خمسة الاف وخمسمائة وخمسون
سنة وكانت الفترة التي لم يبعث فيها رسول اربعمائة وأربعا وثلاثين
سنة فائدة لا بأس بذكرها وهو ان الصفي الحلي صحف اسم
عيسى فقال

سألت الحب ما اسمك وهو ظبي ... من العرب الكرام فقال عيسى الاسم
فقلت له انتسبت لاى قوم ... تكون من الكرام فقال عيسى عيسى

نسبة الى مصر

فقلت

فقلت وما صنيعك في البوادي ... لتحصيل الحطام فقال عيسى عشبي
فقلت وما انيسك في الفيافي ... باناء الظلام فقال عيسى عيسي
فقلت وعمّ تسأل كل غاد ... يمر على الدوام فقال عيسى عتسي
فقلت ولم عصيت نصيح حب ... دعاك الى المقام فقال عيسى عيشي
فقلت لقد سلبت القلب مني ... بلحظك والقوام فقال عيسى عشني
فقلت عساك تسمح لي بوصل ... ايا بدر التمام فقال عيسى عسني
فقلت وما الذي يدعوك حتى ... تجافي بالكلام فقال عيسى عبتني
فقلت له صدقت واي شيء ... تقول على النظام فقال عيسى غبتني
فقلت بمن اعيش وانت سؤلي ... وتنجد بالغرام فقال عيسى عشبي

ذيّله الشهاب الحجازي بما اخل به الصفي الحلي من الالفاظ المصحفة

فقال

فقلت اراك يا سؤلي طروبا ... لانشاد النظام فقال عيسى غنيتني
فقلت اراك حيرانا ذهولا ... فما تسال هديت فقال عيسى عنبيتي
فقلت من الهوى حملت ثقلا ... بما حملتنيه فقال عيسى عييتني
فقلت ولا اريد سواك فاعطف ... على فقري اليك فقال عيسى غنيتني
فقلت اراك ذا نظر لخود ... تثنت بالقوام فقال عيسى عبثتني
فقلت فنيت في حبيك فارحم ... وداوي ذا السقام فقال عيسى عنيتني
فقلت معاتبا فاحمر خدا ... لماذا الاحمرار فقال عيسى عتبتني
فقلت ملاطفا من اي شيء ... تمايل ذا القوام فقال عيسى عنتني

فائدة أول من تكلم بالتصحيف في الاسلام الامام علي رضي الله عنه من ذلك قوله كل عنب يغطيه الكرم الا عنب الذئب معناه كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الدين ومنه نجم عشق يحيى معناه نجم عسق نجني رجعنا لما نحن بصدده لاحقة في ذكر جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دراوست الفارسي عليه السلام وهو نبي وقيل ولي من عباد الله الصالحين وهو من اهل فلسطين بعثه الله الى قوم يعبدون الاصنام فدعاهم الى الله سبعين مرة شمويل وخرقال وشمعون وجيعون من انبياء بني اسرائيل

من الغناء
عن بيتي
من الاعيا
ضد الفقر
من العناية
من العتاب

خالد بن سنان العبسي كان في الفترة عليه السلام وله

شهيد على أحمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيراله وابن عم

محمد رسول الله وقد تقدم الكلام على بعثته ومقامه بمكة وهجرته ولما استقر عليه أفضل الصلاة والسلام بالمدينة المنورة واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار اسلام شرع الله له جهاد الاعداء فكان مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى حين وفاته عشر سنوات وفي سنة ست من الهجرة كاتب النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس ودعاه الى الاسلام وكان الرسول اليه حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ذكر البيضاوي في تفسيره في اول سورة الممتحنة في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب المذكور فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يغزو أهل مكة كتب اليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بني عبد المطلب فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها تمت فجدت فسل علي عليها السيف فاخرجته من عقيصتها فاستخضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكنني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره رجعنا الى ما نحن بصدده فلما انتهى حاطب الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فلما حاذا مجلسه أشار بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فأمر المقوقس

بحمل حاطب فلما وصل اليه ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته ووصفه
في كتاب الله وانا لنجد صفته انه لا يجمع بين أختين في زواج وانه لا
يقبل الصدقة ويقبل الهدية وان جلساءه مساكين وان خاتم النبوة
بين كتفيه ثم قرأ الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند محمد
رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام الله على من اتبع الهدى
أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين
يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباباً من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما أتم المقوقس قراءة الكتاب
أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه وارسل ليلا أخذ حاطباً
عنده وليس عنده أحد الا ترجمانه فقال له الا تخبرني عن أمور
أسالك عنها فاني أعلم ان صاحبك قد نخيرك حين بعثك فقال حاطب
لا تسألني عن شيء الا صدقتك فيه فقال الى ما يدعو محمد فقال ان
نعبد الله ولا نشرك به شيئا ونخالف ما سواه ويأمر بالصلاة فقال
كم تصلون فقال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان
وحج البيت الحرام والوفاء بالعهد وينهى عن اكل الميتة والدم قال من
اتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل بعثك قومه قال
نعم قال صفه لي بصفته قال فوصفه بصفة من صفاته قال بقي اشياء
لا أراك ذكرتها في عينيه حمرة قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة
يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي
من لاقى من عم ولا ابن عم قلت نعم هذه صفاته قال كنت اعلم ان
نبيا قد بقي وكنت اظنه يخرج من الشام وهنا كانت تخرج
الانبياء من قبله فاراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبوس
والقبط لا تطاوعني فارجع الى صاحبك ثم دعا بكاتب يكتب
بالعربية فكتب أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وكنت اظنه يخرج من الشام وقد اكرمت

رسولك وبعثت اليك جاريتين لهما مكانة فى القبط وهى مارية وأختها
شيرين وخصيا يقال له مابور ويغلة وحمارا وعسلا وقباطى من
قباطى مصر وكان الذى بعثه المقوقس مع الهدية شخص اسمه جبير
القبطى فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الهدية فقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية فلما نظر الى مارية وأختها اعجبتاه
وكره أن يجمع بينهما فقال اللهم اخترلنبيك فاختار الله له مارية
فاسلمت وآمنت ومكثت اختها ساعة وأسلمت فوهبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه ولم تزل
مصر فى يد المقوقس مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام خلافة
أبى بكر رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه وفتحت
مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة روى أن سيدنا عمر بن الخطاب
رضى الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال يا أمير
المؤمنين ائتأذن لى بالمسير الى مصر فانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين
وعونا لهم وهى اكثر أهل الارض اموالا واعجزهم حربا وقتالا فتخوف
عمر رضى الله عنه على المسلمين فلم يزل يعظم أمرها عنده حتى ركن لذلك
عمر رضى الله عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل وقال له سر وامض
واستعن بالله واستنصره فسار عمرو حتى نزل العريش وهو من
حدود أرض مصر ثم سار حتى وصل قريبا من مصر فقاتله المقوقس
قتالا شديدا فكتب عمرو بن العاص الى سيدنا عمر بن الخطاب يستنجده
فأمده باثنى عشر ألفا منهم أربعة فوموا باربعة آلاف وهم الزبير
ابن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن
مخلد فوصلوا اليه وأحاطوا بالحصن فنصب عمرو رضى الله عنه
الفسطاط وهو البيت الذى من الشعر فاقاموا على باب الحصن
سبعة أشهر فلما رأى المقوقس ذلك نزل فى سفينة كانت بباب الحصن
وهو قصر الشمع ومعه أهل القوة فلحق بالجزيرة وهى الروضة وسأل
فى الصلح فبعث اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه عبادة بن الصامت
والمقداد بن الاسود فصالحه المقوقس عن القبط والروم وجعل الخيار له

فى الصلح الى أن يوافى كتاب ملكهم بما يكون وأن القبط يعطون عن كل
بالغ من الرجال دينارين فكان عدتهم يوم الصلح ستة آلاف نفس
وان عليهم الضيافة للواردين ثلاثة أيام وذلك فى سنة ثمانى عشرة من
الهجرة ثم ان المقوقس توجه الى الاسكندرية وفى سنة تسع عشرة
هلك ملك الروم وفتحت الاسكندرية وقت الظهر يوم الجمعة مستهل
محرم سنة عشرين وذلك بعد ان حوصرت أربعة عشر شهرا وقتل
من المسلمين ثلاثة عشر رجلا والله تعالى أعلم

الباب الاول

فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن ابى طالب
رضى الله عنه روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ان لحوضى أربعة اركان ركن منه فى يد ابى بكر والثانى فى يد عمر
والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر
لم يسقه ابو بكر ومن احب عمر وأبغض ابا بكر لم يسقه عمر ومن احب
عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن احب عليا وابغض عثمان
لم يسقه على ومن احسن القول فى ابى بكر فقد اقام الدين ومن
احسن القول فى عمر فقد اوضح السبيل ومن احسن القول فى عثمان
فقد استنار بنور رب العالمين ومن احسن القول فى على فقد
استمسك بالعروة الوثقى ومن احسن القول فى اصحابى فهو مؤمن
ومن أساء القول فى اصحابى فهو منافق ويروى عن على بن ابى طالب
رضى الله عنه انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على ابى بكر
وعمر وهو يقول هكذا نحيى وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة روى
محمد بن ادم قال رأيت بمكة أسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذى
أخرجك عن دين آبائك فقال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذاك
قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الامواج
تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها اشجار كثيرة ولها
ثمر احلى من الشهد والين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على
ذلك وقلت آكل من الشجر واشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بامره

فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة فنمت على
غصن من أغصانها فلما كان في جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح
الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي
المختار ابو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الامصار
عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة
العزيز الجبار ومأواهم النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات
الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد
محمد رسول الله الهادي الرشيد أبو بكر الموفق السديد عمر بن الخطاب
سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد علي بن ابي طالب ذو البأس الشديد
فعلى مبغضيهم لعنة الملك المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس
نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب
سمكة فخشيت على نفسي الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح
يا هذا قف ولا تهلك فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية
فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمي
الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام فقالت
تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلتها فقالت اتم اسلامك
بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فقلت ومن
اتاكم بذلك قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق
فصيح الهي قد وعدتني ان تشيد اركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت
اركانك بابي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم
قالت الدابة أتريد المقام ههنا ام الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى
أهلي فقالت اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت
تجري فأومأت اليهم فدفعوا الى زورقا فنزلت فيه ثم جئت اليهم
فوجدت المركب فيها اثنا عشر الف رجل كلهم نصارى فقالوا ما الذي
جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا كلهم واسلموا عن آخرهم
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يحكى عن عبد الله بن زيد

قال

قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد صنما
فقلت له يا رجل من تعبد فاومأ الى الصنم فقلت ان معنا فى المركب من
يسوى مثل هذا ليس هذا باله يعبد قال فانتم لمن تعبدون قلنا الله
قال ومَا الله قلنا الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى الاحيا
والاموات قضاؤه قال كيف علمتم بذلك قلنا وجه الينا هذا الملك
رسولا كريما فاخبر بذلك قال فما فعل بالرسول قلنا لما ادى الرسالة
قبضه الله اليه قال هل ترك عندكم علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك
قال اروني كتاب الملك ينبغي ان تكون كتب الملوك حسانا فاتيناه
بالمصحف فقال لا اعرف هذا فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل
نقرأ عليه وهو يبكى حتى ختمنا السورة فقال ينبغي لصاحب هذا الكلام
ان لا يعصى ثم اسلم وحملناه معنا وعلمناه شعائر الاسلام وسورا
من القرآن وكنا حين جن الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا
فقال لنا يا قوم هذا الاله الذى دللتموني عليه اذا جن الليل ينام
قلنا يا عبد الله هو حي قيوم لا ينام قال بئس العبيد انتم تنامون
ومولاكم لا ينام فاعجبنا كلامه فلما قدمنا عباد ان قلت لاصحابي
هذا قريب عهد بالاسلام فجمعنا له دراهم واردنا اعطاها اياه فقلت
ما هذا فقلنا نفقة تنفقها فقال لا اله الا الله دللتموني على طريق ما
سلكتموها أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنما من دونه ولم يضيعني
فيضيعني وانا اعرفه فلما كان فى بعض الايام قيل لي انه فى الموت
فاتيته فقلت هل لك من حاجة فقال قضى حوائجي من جاء بكم الى
الجزيرة قال عبد الواحد فغلبتني عيني فنمت عنده فرأيت مقابر
عباد ان روضة وفيها قبة وفى القبة سرير عليه جارية لم ير أحسن
منها فقالت سالتك بالله الا ما عجلت به فقد اشتد شوقي اليه فانتبهت
فاذا به قد فارق الدنيا فقمت اليه فغسلته وكفنته وصليت عليه
ووارية فلما جن الليل نمت فرأيته فى القبة مع الجارية وهو يقرأ
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار

اسمه عبد الله بن ابى قحافة واسم ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب
ابن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القيمى القرشى يلتقى مع
النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن
سعيد بن تيم بن مرة مات مسلمة قيل كان اسم ابى بكر عبد رب الكعبة
فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله وانما سمى عتيقا لان النبى
صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى
ابى بكر وهو اول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة
بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وايام وكان أبيض اللون خفيف
العارضين بويع له فى شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة
فجلس على المنبر وخطب الناس فقال أيها الناس قد وليت امركم
ولست بخيركم انما انا متبع ولست بمبتدع فان احسنت فاعينونى
وان زغت فقومونى فان الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف
فيكم قوى عندى حتى اريح عليه حق الله ان شاء الله والقوى فيكم
عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع الجهاد قوم فى سبيل
الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء
أطيعونى ما اطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا
طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله ثم قام سيدنا عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس كنت قلت لكم مقالة ما كانت
فى كتاب الله عز وجل ولا كانت عهدا عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم
الينا ولا كانت عن رأى ان الله عز وجل قد جمع امركم على خيركم
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين فى الغار فقوموا فبايعوه
فبايعوه فقام الناس الى مبايعته عامة ولما بايع على رضى الله عنه
أبا بكر اعتقاوا وتباكيا وسر المسلمون بذلك فقال ابو سفيان
ابن حرب ارضيتم يا بنى عبد مناف ان تليكم تيم وان يلى امركم ابن ابى
قحافة والله لئن شئتم لأملأنها عليكم خيلا ورجالا فقال على رضى
الله عنه يا ابا سفيان ان المسلمين قد نصح بعضهم لبعض ولولا ان

رأينا أبا بكر أهلا لها مما بلغناه نبذة في فضائله رضي الله عنه
منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في مرض موته بتجهيز اسامة
ابن زيد في سبعمائة بطل لغزو الروم وانه أمير عسكره وذلك في يوم
الاثنين لاربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة وقال له سر الى
موضع مقتل ابيك فاوطهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغد
صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير فان ظفرك الله عليهم
فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع
فلما كان يوم الاثنين بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع فتم
وصدع فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء
بيده لاسامة ثم قال اغز بالله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله
فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة بن الحطيب الاسلمي فكلم
قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقد عصب رأسه
بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة
ولئن طعنتم في امرتي أسامة فلقد طعنتم في امرتي أباه من قبله وايم الله
ان كان أبوه لخليقا للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة فاستوصوا
به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين
يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
يقول انفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الاحد اشتد الوجع برسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مغمور فطفق أسامة يقبله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل
يرفع يديه الى السماء ويضعهما على اسامة وعاد أسامة الى معسكره
فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الاول
بلا خلاف حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى من يوم الاثنين
في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة واختلفوا في تعيين ذلك اليوم
من الشهر فقيل كان اوله وقيل كان ثانيه وقيل ثاني عشر وقيل

ثالث عشره وقيل خامس عشره والمشهور انه كان ثانى عشر شهر ربيع
الاول وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم فى أواخر شهر صفر وكان
مدة مرضه ثلاثة عشر يوما فى المشهور وقيل اربعة عشر يوما
واختلفوا فى وقت دفنه صلى الله عليه وسلم فقيل دفن من ساعته
وقيل بعد وقيل من ليلة الثلاثا وقيل يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا
ثم ان عسكر أسامة دخل المدينة ودخل بريد باللواء حتى اتى به باب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزوه فلما ولى ابو بكر الخلافة أمر
الناس بما كان أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الانصار
لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل لابى بكر يرجع بالمسلمين فان أبى ان لا
يفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة فبلغ أسامة ذلك
فارسل الى عمر بن الخطاب يسأله فى عرض ذلك على ابى بكر رضى الله عنه
وهل يأذن لى ان ارجع بالناس فان وجوه الناس معنا ونخاف ان اثقال
المسلمين يخطفها المشركون فاتى عمر أبا بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك
فقال ابو بكر رضى الله عنه لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد
قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعند ذلك رجع عمر
الى أسامة والانصار فذكرهم مقالة ابى بكر رضى الله عنه فقام الانصار
وقالوا لعمر لابد ان تراجع ابا بكر فى ذلك فراجعه عمر رضى الله عنه
فقام ابو بكر فاخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن
الخطاب استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأمره وتأمرنى
ان أنزعه قال فعند ذلك رجع عمر رضى الله عنه الى الناس وأخبرهم
بالجواب فتجهزوا وخرجوا وخرج ابو بكر فشيعهم وهو ماش
وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابى بكر فقال
أسامة لابى بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لانزلن فقال
أبو بكر والله لا اركب والله لا تنزل والله ما ضر فى ان أغبر قدمى فى
ساعة فى سبيل الله وعاد ابو بكر وسار اسامة بالجيش ولم يضره
حداثة سنه وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد الا وقالوا لولا ان
هؤلاء قوة ما خرج هذا من عندهم وان أسامة وصل الى اهل ابنى

فى عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وحرثهم
وأجال الخيل فى عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وكان أسامة على فرس
أبيه فقتل قاتل أبيه فى الغارة ووصل الى المدينة سالما وكان سن
أسامة سبع عشرة سنة (وذكرت) على سبيل الاستطراد بعض
لطائف لاجل المناسبة يأتى ذكرها فيه (منها) ما حكاه المسعودى
فى شرح المقامات ان المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية
وهو صبى وخلفه اربعمائة من العلماء وأرباب الطيالسة واياس
يقدمهم فقال المهدى أف لهذه الغثاثين أماكان فيهم شيخ يقدمهم
شير هذا الحدث ثم ان المهدى التفت الى اياس وقال له كم سنك يا فتى
سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين ستة أسامة بن زيد بن حارثة لما
ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا وكان فى الجيش من الصحابة
من هو أقدم سنا من أسامة فقال له تقدم بارك الله فيك (وحكى
أن يحيى بن أكثم لما ولاه المأمون قضاء البصرة وكان سنه عشرين
سنة فاستصغروه فقال أحدهم كم سن القاضى فقال أنا أكبر من
عتاب بن أسيد الذى وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا
على مكة يوم الفتح وأنا اكبر من معاذ بن جبل الذى وجه به رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن واكبر من كعب بن سوار الذى
وجهه عمر قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا (وحكى) ان
المأمون لما حضر اليه يحيى بن اكثم المذكور أطال النظر اليه وكان
يحيى بن اكثم دميم الخلقة فقال له يا أمير المؤمنين انظر الى خلقى
ولا تنظر الى خلقى فقال له المأمون هلك هالك عن ابوين وعن
أختين ولم تقسم التركة حتى ماتت احدى الاختين عن من ذكر فى مسألة
فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول ذكر أم أنثى فعرف المأمون
فضله وقال بفرقك بين الذكر والانثى قد سهل عليك الجواب
(وقد ذكر انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز قدم عليه وفود اهل
كل بلد فقدم وفد اهل الحجاز فتقدم منهم غلام للكلام فقال
عمر يا غلام ليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين

انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو كان الامر بالسن لكان هنا من هو أحق بمجلسك فقال عمر صدقت فهذا هو السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لم يكن بقدمنا اليك رغبة ولا رهبة الا أنا قد امنا في أيامك فاخفنا وادركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سن الغلام فقيل له عشر سنين (وقد روى ان محمد ابن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر وقد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا امير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان قوما خدعهم الثناء وعزهم الشكر قولك اقدامهم فهووا في النار اعاذك الله ان تكون منهم والحقك بسالف هذه الأمة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ

وقد سمعت من بعض الافاضل ان أبا عبد الله المازري وهو غلام لم يبلغ الحلم جلس نهارا في شهر رمضان لتدريس العلم الشريف وخلفه ما ينوف عن مائة رجل من طلبة العلم الشريف يستفيدون منه ما يلقيه لهم من العلوم فقال لهم اصبروا حتى اتغدى فقال له شخص من الحاضرين نكون شيخ هذه الطائفة وتتغدى نهارا في رمضان فأجابه بان قال له يا طويل الاذان ما وجب علي صوم فجعل الرجل (وحكي انه كان للعتابي غلام بديع الحسن حسن الصورة وكان مشغوفا بحبه فكتب اليه يقول قد علمت أيدك الله مسألتي اليك واستمالة قلبي عليك وأنت تؤثر بعدي وتكره قصدي وانا أشكو احوالي كلها اليك واستعين بك عليك (فأجابه) الغلام يقول شكواك بقتضي انصافك وايثار صيانتنا تمنعني اسعافك ومكروه مع صيانتنا أولى من الاجتماع على فضيحتنا فان وجدت أيدك الله فرصة ليس معها انتهاك الستر وقبح الذكر صرت اليك ومع هذا اني في بلوغ الشهوات باسقاط المروآت ولا خير في شئ تذهب لذته وتبقى تبعته فاختر أيدك الله أحد الامرين اما طاعة الله لسخطك او سخطه لطاعتك قال بل طاعة الله احب

وأوجب والرجوع اليه أحسن وأقرب والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون شعر في المعنى

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من معتبها لا خير في لذة من بعدها نار

قال ابراهيم بن محمد المهلبي الواسطي شعر

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن اهوى فيقنعني منه الفكاهة والتحديث والنظر
اهوى الملاح وأهوى ان أجالسهم وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية لا خير في لذة من بعدها سقر

وحكي ان شخصا نظر الى ولد امرد جميل الصورة فكتب اليه يقول

ماذا تقول اذا اجتمعنا في غد وأقول للرحمن هذا قاتلي

فأجابه الولد بان قال اقول له يارب هذا طلب مني فعل السوء فما وافقته (وحكي) ان رجلا خلى بولد امرد فقيل له في ذلك فقال أردت ان أريه باب الفاعل والمفعول فقيل له وما هذا المتحرك بينكما فقال حرف جاء لمعنى وحكي عن علي بن بسام البغدادي أنه قال كنت أتعشق غلاما لخالي ابن حمدون فنمت ليلة عنده وقمت لادب عليه فلسعتني عقرب فانتبه خالي فقال لي ما أتى بك ههنا فقلت له قمت لابول قال صدقت في است غلامي وانشد يقول

وداري اذا نام سكانها يقيم بها حرس العقرب
اذا غفل الناس عن مالهم فان عقاربها تضرب

وفي المعنى يقول

ولقد سريت مع الظلام لموعد حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة سوداء قد علمت أوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها انها دبابة دبت الى دباب

ومن عجيب امر العقرب انها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك شيء من بدنه وربما لسعت الافعى فمات والى ذلك اشار عمارة اليمني فقال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحقرن كيدا ضعيفا فربما ... تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ... وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه من التضييع فى غير واجب
وبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب

وفى ربيع الابرار ان ارض حمص لا تعيش بها العقرب وزعم أهلها ان ذلك لطلسم وان طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها وقد سمعت من شخص من اهل حمص انه رحل منها وسكن فى مصر وكان من جملة أمتعته الذى اصحبها معه بساط ففرشه بالمنزل الذى سكن فيه بمصر فكلما دب عليه عقرب مات لوقته وهذا عجيب (وروى) الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان والمستغفرى فى الدعوات والبيهقى فى الشعب عن على رضى الله عنه أنه قال لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة فلما فرغ قال لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره الا لدغته وتناول نعله فقتلها بها ثم دعى بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين (وروى) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة قال اما انك لو قلت حين أمسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله (حكاية) عن جابر قال كان بالمدينة رجل يكنى ابا مذكور يرقى من العقرب وينفع بها الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا مذكور ما رقيتك هذه فقال أبو مذكور شجينة قرينة ملحة بحر قف طا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا باس بها انها مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام

(عدنا الى ذكر الدب وما أدراك ما الدب قال ابو نواس شعر

اذا هجع النيام فضل عنى ... وعن من كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا ... بمنع الحب او منع الرقيب

وقال الاشعرى

كنت مثل النسيم عند د بيبي سحرا نحو ورد في حبيبي
فلهذا فتحت زهرة ورد بقضيب عند الهبوب رطيب

وقد جمع ابن دانيال آلات الدب في بيت

قل لمادب في السماعات الا لقبوني باللائط الدباب
ولعمري قد كنت افتحم الدب وآلاته معي في جراب
مثل درج وابرة وخيوط وعقيد وبيضة وتراب

قال في القاموس دب يدب دبا ودبيبا مشى على هينة كالسقم في الجسد والبلاء في الثوب سري وعقارب سرت عليه وأذته وهو دبوب ودبيوب والدبيوب الجامع بين الرجال والنساء والنمام والفواد (وحكي) ان رجلا حكى وبعض القضاة حاضر ان الجاحظ مر على مكتب فرأى غلاما حسنا فخلف لابد من تقبيله عشرا فلما استوفى يمينه قال الغلام بيننا الحاكم فحضرا فادعى الغلام وأقر الخصم فقال القاضي ما حملك على فعلك فقال

تعلم العطف من خديه فانعطفا وكان من دينه ان لا يفي فوفا
دب العذار على ميدان وجنته حتى اذا هم ان يسري به وقفا
كأنه كاتب عن المداد به اراد يكتب لاما فابتدا الفا

فقال القاضي اتحبون ان احكم بينكم بحكم الله أو بحكم الناس فقال الصبي بحكم الله قال القاضي قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به رم قبله كما قبلك فغضب الغلام وقال لا أريد ذلك فانشد القاضي يقول

اذا كنت للتعنيق والبوس كارها فلا تمش في الاسواق لا منقبا
ولا تخرج الاصداغ من تحت طرة وتظهر منها فوق خديك عقربا
فتهتك مستورا وتشلف عاشقا وتترك قاضي المسلمين معذبا

فانشد الغلام يقول

وقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا فاعقبني بعد الرجاء قنوط
متى تفلح الدنيا وتفلح أهلها اذا كان قاضي المسلمين يلوط

(حكاية لطيفة) وهي عشق صبي جارية في مكتب فجعل نفسه عند

الفقيه مريفا فترقب العريف غفلة الفقيه وكتب في لوحها

ماذا تقولين في صب أخي وله ... اضحى بحبك بين الناس ولهانا
ولم يجد فرجا مما يكابده ... الا عرافته الكتاب تبيانا

فكتبت تحته تقول

ان العريف اذا ما كان ذا وله ... بحبنا وبنا قد صار ولهانا
او اصلنه على غيظ الوشاة فدع ... لمن يكون علينا كيف ما كانا

فنظر الفقيه ذلك اللوح وقرأه وكتب تحته

صلي العريف ولا تخشين من أحد ... ان العريف حزين القلب ولهانا
اما الفقيه فلا تخشين حرمته ... لانه قد بلي بالعشق انوانا

فبينما هم كذلك اذ دخل ابو الجارية فأخذ اللوح وقرأ ما فيه وكتب تحته يقول

والله والله لا فرقت بينكما ... ولا اكون على ما قلت ندمانا
أما الفقيه فلا والله ما نظرت ... عيناي أعرض منه قط انسانا

(حكي) ان بعضهم راى امراة حسناء في طاقة فاحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت طاقتها الى ان اعيا وقل صبره وحصل على الاياس منها فدق عليها الباب فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال ادعي سيدتك تبول في هذه الصحفة فمالت في الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع فلم يزل الى ان دخل بعض الخرابات فوضع ازره في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق

(ذكر وفاة سيدنا ابي بكر رضي الله عنه)

عن ابن شهاب ان ابا بكر واسمه عبد بن كلدة كان يأكل حريرة اهديت لابي بكر فقال الحارث ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها لسم سنة وانا وانت نموت في يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل اغتسل في يوم بارد فحم جسمه خمسة عشر يوما فقيل له أندعو الطبيب فقال قد رآني فقالوا فأي شيء قال فقال لهم قال اني فعال لما اريد وقيل سبب موته لما لذعته الحية في الغار تنقض عليه السم ذكر ذلك ابن الاثير في جامعه (فكانت

خلافة ابى بكر من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وثلاثة اشهر وتوفى ليلة الجمعة سابع جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصى ان تغسله زوجته فغسلته ودفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم (روى) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه لما بلغه وفاة ابى بكر رضى الله عنه جاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا ابا بكر والله لقد كنت اول القوم اسلاما واخلصهم ايمانا واشدهم يقينا واخوفهم بالله واحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحسنهم صحبة وافضلهم مناقبا واكرمهم سوابقا واقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشبههم برهديا وخلقا وسمتا وفضلا واكرمهم عليه واوثقهم عنده فضلا وفخرا فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله فى كتابه العزيز صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وانسته حين تخلفوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته فى الشدة اكرم صحبة ثانى اثنين فى الغار والمنزل عليه السكينة ورفيقه فى الهجرة ومواطن الكره فقويت حين ضعف اصحابك وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا وقمت حين كسلوا ومضيت بقوة الله عز وجل حين وقفوا كنت اطولهم صمتا واشغلهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا فحملت اثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما اضاعوا ووعيت ما اهملوا وعلوت اذ ظلعوا وصبرت اذ جزعوا وكنت كالجبل لا تحركه العواصف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ضعيف فى بدنك قوى فى امر دينه متواضع فى نفسه عظيم عند الله محبوب الى اهل الارض والسموات فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا قال حسان رضى الله عنه شعرا

اذا تذكرت شجوا من اخى ثقة ... فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها ... بعد النبى واوفاها بما حملا

الثانى التالى المشهود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يبدل به رجلا

(خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن عبد العزى بن رياح ابن عبد الله بن رواح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لؤى بن كعب (وأمه) حشمة بنت هشام وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (اسلم) بمكة وشهد المشاهد واسلامه سنة ست من النبوة وبه تمت الاربعون وهو أول من دعى امير المؤمنين وأول من كتب التاريخ واول من أشار الى ابى بكر رضى الله عنه بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان (كان) ابيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين فى عارضيه خفة اعسر صفته فى التوراة قرن من حديد أمير شديد (ولما) أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وقال عليه الصلاة والسلام عمر سراج أهل الجنة فى الجنة (بويع له بالخلافة بعد موت أبى بكر رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة عن الهجرة (وادفن ابو بكر صعد المنبر فجلس دون مجلس ابى بكر رضى الله عنه ثم قام فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فالهمنى الى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم منى ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب الموت قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ابتغى بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فانى كثير الغفلة والنسيان والهمنى ذكرك على كل حال ثم قال الا ورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ثم نزل (نبذة) فى مناقبه رضى الله تعالى عنه (منها) انه لما استخلف

حمل اليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضى الله عنهما فالتفت
اليه ولده عبد الله وقال يا أبت أنا أحق أن تقدمنى بالعطية لمكانك
فى الخلافة فقال له هات لك أباكا بهما أو جدا كجدهما حتى أقدمك
بالعطية فجاء وأعاد ذلك على بهما رضى الله عنه فالتفت اليهما وقال
مرالله وفرحاه بانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل
عن الله عز وجل ان عمر سراج اهل الجنة فجاؤا بشراه بذلك ففرح
فرحا شديدا وقال خذا بهذا الذى ذكرتما خطا على رضى الله عنه فجاؤا
اليه واخذ لخطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضى الله عنه قال لولده
اذا مت فادفنوا معى خط الامام على رضى الله عنه ففعل ذلك
(ومنها) انه خرج يطوف ليلة من الليالى بالمدينة ببعض السكك
فسمع امرأة من نساء جنده وهى تقول

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وارقنى الا ضجيع الاعبه
لقد ضرتنى من كنت الف قربه ... ولم أنسه لما نسته اقاربه
فوالله لولا العار والنار بعده ... لحرك من هذا السرير جوانبه

ثم تنفست وقالت هان على ابن الخطاب وحشتى فى بيتى وغيبة
زوجى عنى فلما اصبح بعث اليها نفقة وبعث الى عامله يرد زوجها
ثم ان عمر رضى الله عنه ابنته حفصة كم تصبر المرأة فقالت
أربعة أشهر وعشرا (ومنها) انه لما قدم بيت المقدس وقف
بطور سيناء ولم يأمر بقتال فارسل البطريق الذى ببيت المقدس
رجلا من اعظم اصحابه وقال انظر الى ملك العرب وائتنى بحليته
فجاء فرآه راكبا على فرسه وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل
الشمس بوجهه ومخلاة فرسه معلقة فى قرنوس السرج وعمر
يدخل يده فى المخلاة فيخرج منها خبزا فيمسحه من اللبن ويلوكه
فوصف ذلك للبطريق فقال هذا الذى يفتح بيت المقدس فسلموا
له من ساعته (ومنها) انه فتح فى خلافته بلاد الروم والترك
وبعض الصين والهند والجزر والشام والعراق والسواحل
ومصر وقبرس والاسكندرية وسليس والنوبة (ومنها) ان

عمرو بن العاص لما افتتح مصر اتى اليه أهلها وقالوا أيها الامير ان
لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما هى قالوا انه اذا كان
لثنتى عشرة ليلة تخلو من بؤنة من شهر القبط عمدنا الى جارية بكر
وأخذناها من ابويها وحملناها من الحلى والثياب افضل ما يكون
ثم نلقيها فى النيل فقال لهم عمرو لا يكون هذا فى الاسلام وان الاسلام
يهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وابيب ومسرى لا يجرى النيل فيها
لا قليلا ولا كثيرا حتى هم اهل مصر بالرحيل فلما راى عمرو بن العاص
ذلك كتب الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى عمرو
ابن العاص انى كتبت اليك بطاقة فالقها فى النيل فاخذها عمرو بن العاص
فقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين
الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله
الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك
فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما
اصبحوا يوم الصليب اجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة
واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن اهل مصر وصار
يعمل فى ليلة وفاء النيل المبارك فى كل سنة اشارة عظيمة كبيرة
ينصب بها قناديل تعلق بحبال كثيرة على اخشاب مرتفعة توضع
بمركب وتوقد القناديل وتسير فى البحر يميناً وشمالا وتزفى بالطبول
وتسمى عروسة البحر وذلك باق مستمر الى تاريخه ومنها عن زيد
ابن أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر
ابن الخطاب الى جمرة واف وهى منزلة بظاهر المدينة فراى نارا فقال
لابن اسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب اضربهم الليل والبرد فقلت
لا اعلم يا امير المؤمنين قال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول
فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون
قال عمر رضى الله عنه السلام عليكم يا اهل هذا الضوء وكره ان
يقول يا اهل هذه النار فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته ادن بخير او فدع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون

قالت

قالت من الجوع قال فما فى هذا القدر قالت ماء اسكتهم به قال لها عمر
يرحمك الله ما الذى يدرى عمر بن الخطاب بحالكم فالتفت امير المؤمنين
الىّ وقال انطلق بنا فرجعنا نهرول الى المدينة حتى اتينا دار الدقيق
وقال احمل هذا العدل علىّ فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال
ثانيا احمله علىّ فقلت انا أحق به عنك يا امير المؤمنين فقال ثالثا
احمله ثكلتك امك انت تحمل عنى وزرى يوم القيامة قال فحملته
عليه وانطلق وانطلقت معه وهو يهرول حتى اتينا اليها فالقى
ذلك العدل عندها فاخرج قطعة من ودهن والقاها فى القدر وجعل
يقول للمرأة دربى وأنا أحرك لكم قال اسلم والله لقد رأيت امير المؤمنين
وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر
ثم أنزله بيده وقال لها أعطنى شيئا فأتته بقصعة أو قال بصحفة
فافرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة
وجعل يربض كما يربض السبع وانا اقول يا امير المؤمنين ما خلقت
لهذا فلم يلتفت الىّ حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قاموا
وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى ثم قصدنا
المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون
فاحببت أن أفارقهم وهم يضحكون ومنها ما ذكره القاضى
البيضاوى فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله عز وجل من كان
عدوا لجبريل قيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود فسألهم
عن جبريل فقالوا اذاك عدو لنا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب
كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب كل خصب والسلام فقال
وما منزلتهما من الله سبحانه وتعالى فقالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لان كانا كما تقولون
فليسا بعدوين وانكم لاكفر من الحمير ومن كان عدوا أحدهما فهو
عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه افضل
الصلاة والسلام لقد وافقت ربك يا عمر ومنها ان طائفة من
النصارى جاءت اليه رضى الله عنه وسألته بان قالت له لأى شئ

آدم دخل الجنة وخرج منها فقال لهم جنة الله نظيفة مليحة لا يكون
فيها الا النظيف اخرج آدم منها حتى نظف ظهره من الزبالة التي
مثلكم في الدنيا ولما صار نظيفا أدخل الجنة ومنها ان الشعبي
روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حججنا مع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فلما أخذ في الطواف استقبل الحجر وقال اعلم انك حجر
لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك
ما قبلتك ومضى فقال له علي بن ابي طالب يا امير المؤمنين بل يضر
وينفع قال له لم قال بكتاب الله عز وجل قال وابن ذلك من كتاب الله
تعالى قال في قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى خلق الله آدم ومسح بيده
على ظهره أخرج ذريته من ظهره فعرفهم بانه الرب وانهم العبيد
وأخذ عليهم مواثيقهم وكتب ذلك في رق وكان لهذا الحجر عينان
ولسان فقال افتح قال فالقمه ذلك الرق وقال اشهد لمن وافاك
يوم القيامة فهو يضر وينفع قال عمر أعوذ بالله ان أعيش في قوم
لست فيهم يا ابا الحسن (ذكر البيضاوي في تفسيره عند قوله
واذن في الناس بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه الصلاة
والسلام صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت ربكم فأسمع
الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب
من سبق في علمه انه يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أمره بذلك في حجة الوداع (غريبة) نقلتها من حياة الحيوان
وهي بينما عمر رضي الله عنه جالس واذا برجل معه ابنه فقال له
ويحك ما رأيت غرابا اشبه بغراب من هذا منك قال يا امير
المؤمنين هذا ما ولدته أمه الا وهي ميتة فاستوى عمر جالسا
وقال حدثني قال خرجت وأمه حامل به فقالت تخرج وتتركني على
هذا الحال حاملة مشتغلة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت
وغبت اعواما ثم أتيت فاذا بابي مغلق فقلت ما فعلت فلانة فقالوا
ماتت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم انطلقت الى قبرها فبكيت

فاك

عندها

عندها ثم رجعت فجلست الى بنى عمى فبينما انا كذلك اذا ارتفعت لى
نار من بين القبور فقلت لبنى عمى ما هذه النار فقالوا نرى على قبر
فلانة كل ليلة فقلت انا لله وانا اليه راجعون أما والله لقد كانت
صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلق بنا اليها فانطلقنا فأخذت
الفاس واتيت القبر فاذا القبر مفتوح واذا هى جالسة وهذا
الولد يدور حولها واذا منادى ينادى ايتها المستودع ربه وديعة
خذ وديعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها فأخذته وعاد
القبر كما كان والله يا امير المؤمنين (فائدة) اذا علق منقار الغراب
على انسان حفظ من العين واذا غمس الغراب الاسود جميعه فى الخل
بريشه وطلى به الشعر سوده وزبل الابلق ينفع من الجنازير
واذا صر فى خرقة وعلق على الصبى الذى لم يبلغ الحلم نفعه من
السعال المزمن وقطعه (ونظيره) ما حكاه الكمال الدميرى
ان رجلا من البهنسا اخبرنى شفاها ان بها شخصا مشهورا بابن الميتة
قال وذلك ان امه ماتت وهى حامل به فلما مضى مدة من دفنها ماتت
امرأة من اقاربها ففتحوا قبرها لدفن تلك الميتة فاحس الحفار
بشئ يدور حول الميتة فطلع الحفار وهو مرعوب وأخبر من حضر
بما شاهده فى القبر فظنوه وحشا ثم اوقدوا نارا واشرفوا على داخل
القبر فوجدوا ولدا معلقا بالميتة ملتقما ثديها وقد أجرى الله فيه
اللبن لرضاعه فأخذ الحفار الولد وضمه الى صدره وعصب عينيه
خوفا من مفاجأة النور واطلعه من القبر وعاش وتزوج ورزق
الاولاد فسبحان من يحيى العظام وهى رميم (وايضا) سمعت
من بعض الافاضل انه قال لى شفاها طالعت مسامرة الشيخ الاكبر
فرأيت بها اعجوبة وهى ان الشيخ الاكبر حكى ان بعض التجار اخبره
انه سافر الى بلاد الهند يتجر فدخل مدينة من مدائن الهند
فباع لشخص منها متجرا بالف مثقال ذهبا نسيئة وتوجه بما بقى
معه من البضايع الى مدينة اخرى فباع ما بقى معه ومكث الى ان
قبض ثمن ما باعه ثم عاد الى المدينة الاولى فوجد الرجل الذى اخذ منه

البضايع بالف مثقال مات يوم قدومه ودفن فحصل له من الغم والحزن
مالا يوصف وقال انا لله وانا اليه راجعون قد ذهب مالي لاحول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم فقال له شخص من اهل المدينة لا تحزن فانه
لا يضيع لك شئ من مالك قال وكيف لا احزن والرجل قد مات
ومن اين اجد حق بضاعتي فقال لي صاحبك الميت يطلع من قبره
بعد ثلاثة ايام ويفتح حانوته ويقضي ديونه قال فاستبعدت ذلك
وقلت كيف يتصور ذلك وصرت متفكرا متعجبا من ذلك فلما مضت
الثلاثة ايام طلع الرجل من قبره وفتح حانوته وجلس نهارا والناس
حوله من ورثته وغيرهم ثم جئت اليه فقال لا باس عليك وأخذ دفترا
كان بجانبه ونظر فيه وقال لك الف مثقال ذهبا فقلت نعم فنقدها
لي فاخذتها وتقدم اليه بعدي ممن كان له علاقة فما زال يوفي
ديونه الى ان قضاها جميعا وضبط ما بقي من امتعته وقفل حانوته
وسلم مفتاحها الى ورثته وتوجه الى المقبرة فتبعته الى ان تلاحقت
به وقبضت على ثوابه وقلت له الله عليك انت صاحبنا المتوفى
ام لا فقال لا وانما انا ملك من ملائكة ربي وقد جرت عادة الله في
اهل هذه المدينة اذا مات منهم احد يلقي الله شبهه على ملك من
الملائكة ويطلع بعد ثلاثة أيام ويفعل ما رأيت قال فتعجبت من ذلك
غاية العجب وانصرفت الى حال سبيلي وهذا من العجب العجاب قلت
وفي ذلك من دقائق حكمة الله ما يبعث اولي الافكار على الاعتبار يخرج
الحي من الميت ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار (وأقام) عمر رضي الله
عنه في الخلافة عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال (ذكر وفاته
رضي الله عنه) حكى الطبري قال جاء كعب الاحبار اليه رضي الله عنه
فقال له يا امير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما
يدريك قال اجد صفتك وحليتك في التوراة وانه قد اقترب اجلك
وكان عمر رضي الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا المما فلما كان الغد
جاء كعب الاحبار وقال يا امير المؤمنين ذهب يومان وبقي يوم وليلة
قال فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا

فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر فى الناس فدخل ابو لؤلؤة فى الناس وفى يده خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن النضر الليثى فلما وجد عمر حر الحديد سقط الى الارض وقال أفى الناس عبد الرحمن ابن عوف قالوا نعم يا امير المؤمنين قال فليتقدم يصلى بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الارض ثم حمل الى داره ثم قال لولده اخرج فانظر من قتلنى فقال له يا امير المؤمنين قتلك ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلتى الا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب الى عائشة فاسالها هل تأذن لى ان ادفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس ان يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون والمهاجرون والانصار يسلمون وكان كعب الاحبار فى الناس فلما نظر عمر الى كعب الاحبار انشا يتمثل

فاوعدنى كعب ثلاثا اعدها ولا شك ان الحق ما قاله كعب
وما بى حذار الموت انى لميت ولكن حذار الموت يتبعه الذنب

ثم توفى ليلة الاربعاء لثلاث ليال من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه)

هو ابو عبد الله عثمان بن عفان بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وامها ام حكيم بنت عبد المطلب اسلم قديما وهاجر الهجرتين وأروى أسلمت رضى الله عنها وأسلم عثمان

رضى الله عنه فى أول الاسلام على يد ابى بكر قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم ولم يشهد بدرا لانه تخلف لمرض (كان ابيض اللون وقيل اسمر اللون رقيق البشرة كثير شعر الراس عظيم اللحية وسمى ذا النورين لجمعه بين بنتى النبى صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم وسمع ابو سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ان عثمان رضيت عنه فارض عنه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله عنه على مائة بعير ثم حث فقال على ثلاثمائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا وكان عثمان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته ياكل الزيت بالخل (بويع له بالخلافة) اول محرم سنة اربع وعشرين من الهجرة (نبذة) من فضائله رضى الله عنه (منها) انه سئل من على رضى الله عنه عن عثمان قال ذاك امرؤ يدعى فى الملا الاعلى ذا النورين وعن ابى سعيد الخدرى قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى طلوع الفجر يقول اللهم انى رضيت عن عثمان فارض عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة وفى رواية جابر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه فقيل له يا رسول الله ما نراك تركت الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فابغضه الله عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يشفع عثمان فى سبعين الفا عند الميزان ممن استوجبوا النار وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال دخل عثمان رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاستحى ممن استحيت منه الملائكة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال

ليلة أسرى به لما اسرى بى الى السماء دخلت جنة عدن فاعطيت تفاحة
فلما وضعتها فى كمى انقلبت عن حورآء عيناء مريضة الاجفان عينها
قوادم النسور فقلت لها لمن انت فقالت للخليفة من بعدك يقتل
ظلما عثمان بن عفان (ومن فضائله) رضى الله عنه عن ابى قلابة قال
كنت فى رفقة بالشأم فسمعت رجلا يقول واويلاه النار فقمت
اليه واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين اعمى العينين منكب على
وجهه فسألته عن حاله فقال انى كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار
فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله
يديك ورجليك واعمى عينيك وادخلك النار قال فاخذتنى رعدة
عظيمة وخرجت هاربا ولم يبق من دعائه الا النار (ومن فضائله)
رضى الله عنه انه افتتح فى ايام خلافته سابور وافريقية وسواحل
الاردن وسواحل الروم واصطخر الاخرة وفارس الاولى وطبرستان
وكرمان وسجستان والاساورة ومنها انه اختصم يوما هو وابو
عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهما فقال ابو عبيدة يا عثمان
تخرج علىّ فى الكلام وأنا افضل منك بثلاث فقال عثمان وما هن
قال الاولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وانت غائب والثانية شهدت
بدرا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد فى الوقعة ولم
تثبت انت فقال عثمان صدقت أما يوم البيعة فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثنى الى مكة فى حاجة ومد يده عنى وقال
هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرا من يدى وأما
وقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة
ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها
حتى ماتت ودفنتها وأما انهزامى يوم أحد فان الله عفا عنى واضاف
فعلى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا عنهم ان الله غفور
حليم فحصره عثمان اى غلبه (ذكر قتله) حوصر رضى الله عنه فى ذى
الحجة سنة خمس وثلاثين وهو بداره اكثر من عشرين يوما روى

عن ابى على الكندى انه قال اشرف علينا عثمان يوم الدار وقال ايها
الناس لا تقتلونى فانكم ان قتلتمونى كنتم كهاتين وشبك بين
أصابعه وعن عبد الله بن سلام قال اتيت عثمان يوم الدار فدخلت
لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا يا اخى فقلت ليسرنى لو كنت
فداك يا امير المؤمنين فقال الليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد مثل لى فى هذه الخوخة واشار عثمان بيده الى خوخة فى أعلى داره
فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى
دلوا شربت منه فها أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديى وبين كتفى
فقال ان شئت فطرت عندنا وان شئت نصرت عليهم فاخترت
الفطر وكان عنده بالدار ستمائة رجل ثم دخلوا عليه من دار بنى حزم
الانصارى فضربه نيار بن فياض الاسلمى وقيل جبلة بن الايهم
وقيل سوار بن حمران وقيل رومان اليمانى وضربه بمشقص فى
جبهته فسال الدم فى حجره وكان قتله بالمدينة يوم الجمعة لثمان
عشرا وسبع عشر ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين
وهو يومئذ ابن اثنين وثمانين سنة ودفن بالبقيع ليلا وصلى
عليه جبير بن مطعم (فكانت خلافته) اثنى عشر سنة الا اثنى
عشر ليلة

خلافة سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه

وهو على بن ابى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه
فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهى اول هاشمية ولدت
هاشميا اسلمت وهاجرت الى المدينة فى حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو اول من اسلم من الذكور والصبيان واختلف
فى سنه قيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة شهد
المشاهد كلها غير تبوك وكان رضى الله عنه شديد الادمة عظيم
العينين اقرب الى القصر أبطن كثير الشعر عريض اللحية بويع
له بالخلافة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان
اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام على رضى الله عنه

وقالوا

وقالوا لا بد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لى فى امركم
فمن اخترتموه رضيته قالوا نختارك قال اذا ولا بد فان بيعتى لا
تكون خفية فخرج الى المسجد وعليه ازار وقميص وعمامة خز وبغلاه
فى يده متكئ على قوسه وبايعه الناس وكان أول يد مدت اليه
يد طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة فنظر اليه حبيب بن ذويب
وقال انا لله أول يد مدت اليه بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر
وكانت البيعة يوم الجمعة ثم ان عليا صعد المنبر وحمد الله
واثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان هذه
امركم ليس لاحد فيها حق الا من امرتموه وقد افترقنا بالامس
على امر وكنت كارها لامركم فأبيتم الا ان اكون عليكم أميرا وليس
لى ان آخذ درهما دونكم فان شئتم والا فقالوا بلى نحن على ما فارقناك
عليه بالامس وبايعه الناس كافة ثم دخل بيته فدخل عليه المغيرة
ابن شعبة وقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة قال وما
هى قال ان أردت ان تستقيم لك الخلافة فاستعمل طلحة بن عبد الله
على الكوفة وعبد الله بن الزبير بن العوام على البصرة ومعاوية
ابن ابى سفيان على الشام على ما كانوا عليه حتى تلزمهم طاعتك
وتأتيك بيعتهم فاذا استقر قرارها رأيت فى رأيك تعزل من
تريد وتولى من تريد فقال أما طلحة والزبير فسأرى فيهما رأيى
وأما معاوية فوالله لا يرانى الله أستعين بر على حالتى ولكننى
ادعوه الى البيعة فان هو أجابنى والا حاربته فانصرف المغيرة
مغضبا وهو يقول

نصحت عليا فى ابن هند مقالة ... فردت فلم اسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له اوجز عليه بعهده ... وبالامر حتى يستقر معاويه
وتعلم أهل الشام ان قد ملكته ... وان أذنه صارت لامرك واعيه
فتحكم فيه ما تريد فانه ... لداهية فارفق به اى داهيه
فلم يقبل النصح الذى قد نصحته ... وكانت له تلك النصيحة كافيه

فلما بلغ معاوية كتب الى على رضى الله عنه أما بعد فلو علمنا انا لحرب

يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وان كان قد غلب على عقولنا فقد بقي لنا ما نرم به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشأم على ان لا يلزمني لك طاعة وانا ادعوكم اليوم لما دعوتكم اليه بالامس فانك لا ترجو من البقا الا ما أرجو ولا تخاف من اللقا الا ما أخاف وقد والله رقت الاجساد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستدل به على عزيز ولا يسترق به حر فكتب اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انا لو علمنا ان الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لن نبلغها واما طلبك مني الشأم فاني ما اعطيتك بالامس فامنعك اليوم واما استواؤنا في الخوف والرجا فليس على حد سواء وليس اهل الشأم على الدنيا باحرص من أهل العراق واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك وليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق ولا المؤمن كالمدغل وفي ايدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام فكتب اليه معاوية رضي الله عنه يا أبا الحسن انا لي فضائل كثيرة كان ابي سيدا في الجاهلية وصرت أنا ملكا في الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي فقال علي رضي الله عنه افاخر في معاوية اكتب يا غلام

محمد النبي اخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن امي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا احمد ولداي منها ... فايكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طفلا ... صغيرا ما بلغت اوان حلمي
واوجب طاعتي وفرضا عليكم ... رسول الله يوم غدير خمي
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يرد القيامة وهو خصمي

فكتب اليه معاوية أما بعد يا علي فانك قلت ما يضرك وتركت ما ينفعك وأيم الله لأرمينك بشهاب قابس لا تدركه الرياح

ان وقع فى الارض ارتسب أو وقع فى الصخر ثقب والسلام فكتب اليه
على امّا بعد يا معاوية فانى قاتل عمك وجدك وخالك والسيف
الذى قتلتهم به معى لم استبدل بالسيف سيفا ولا بغير الله ربا
ولا بغير النبى نبيا فافعل ما شئت ستجدنى بطلا شديدا قاتل
كل جبار عنيد وطوى الورقة ودفعها الى رجل أسود يقال له
الطرماخ فتعمم الطرماخ بعمامة سوداء وركب ناقة ثم
سار حتى وافى دمشق فقال اعوان معاوية هذا اعرابى قدم من
عند على بن ابى طالب قوموا حتى نهزء به فقالوا له يا اعرابى معك
خبر من اهل السماء جئت به الى اهل الارض وما خلفت وراءك
قال ملك الموت لقبض ارواحكم فقالوا انحب ان ندخل على امير
المؤمنين فقال الطرماخ نحن المؤمنون فمن أمّره علينا فذهبوا
الى معاوية يخبروه بقدوم الطرماخ فامر باحضاره فلما دنا من
قصر معاوية واذا يزيد بن معاوية جالس على باب القصر فقال
الطرماخ من يكون هذا الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على
الخرطوم قالوا هذا يزيد بن معاوية امير المومنين فقالوا انحب
الدخول على الملوك فقال أحبا لدخول على ابن اكالة الاكباد الضالة
عن طريق الرشاد التى قال الله فى حقها فى جيدها حبل من مسد
فلما حضر بين يدى معاوية لم يطأ بساطه فقال له معاوية هات
كتابك فقال الطرماخ لمعاوية تنزل عن مرتبتك وتأخذ كتابى
بيدك فقد أمرت ان لا اسلمه الا من يدى الى يدك فقام معاوية
من مكانه وقبل الكتاب فضمه فلما قرأه اغتاظ غيظا وقال
للطرماخ كيف خلفت عليا واصحابه قال خلفته خصما سالما
سليما ان أتى جيشا هزمه وان أتى حصنا هدمه واصحابه
حوله كالنجوم الزاهره والعصابة القاهره وهو بينهم كالقمر
المنير ان نهاهم ارتدعوا وان أمرهم ابتدروا فامر له معاوية
بالف دينار فأخذها وانصرف وفيما اوردناه كفاية والله اعلم
بحقيقة الحال واليه المرجع والمآب (نبذة) من فضائل الامام

علي رضي الله عنه منها ما حكى عن كميل رضي الله عنه قال دخلت
على امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبين يديه قصعة
فيها ثريدة خبز شعير وملح وزيت فقال يا كميل هلم الى الزاد
فتقدمت واكلت ثم قلت يا امير المؤمنين لو احسنت الى نفسك في لون
يتخذ لك فانه حكى لي من دخل على معاوية وحضر الطعام عنده انه
قدم له مائدة فيها مائة وستون لونا وفيها لو ذم لم نعرفه فسألت
معاوية فدعا بصاحب مطبخه فساله عنه فقال اد مغة الكراكي
في مصادين البط مقليا بدهن الفستق والعسل والسكر الطبرزد
والزعفران والماورد فقال يا كميل ذاك طعام الجبابرة وروى عن
عبد الله بن أسد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري
بي أتيت الى ربي عز وجل فأوحى الي اوامرني في علي بثلاث انه سيد
المؤمنين ووالي المتقين وقائد الغر المحجلين وروى عن انس
رضي الله عنه أنه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج
فادع لنا ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف وسعيد بن ابي وقاص والزبير وعدة من الانصار
قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم وكان علي
غائبا في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه
المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمائه وأرضه الذي
خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بنبيه محمد
وأن الله تبارك اسمه وتعالى عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا
وأمرا مفترضا اوشج بها الارحام والزم بها الانام فقال عز من قائل
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا
فامر الله يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدرته ولكل قضاء
قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرني ان ازوج فاطمة
بنت خديجة من علي بن أبي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على

أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك ثم دعى بطبق من بسر فوضعه
بين أيدينا ثم قال انهبوا فنهبنا فبينما نحن ننهب اذ دخل علي على
النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه
وقال ان الله امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة
ارضيت بذلك فقال رضيت بذلك يا رسول الله قال انس فقال
النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما واسعد جدكما وبارك
عليكما وزوجتك بكرا كبيرا طيبا قال انس فوالله لقد خرج منهما
كبيرا طيبا ومنها ما حكي عن ضرار رضي الله عنه انه قال كان
علي رضي الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا
ويحكم عدلا تتفجر الحكم من جوانبه وينطق العلم من نواحيه
يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستانس بالليل ووحشته
كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يخاطب نفسه يعجبه
من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا
يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه
ونحن والله مع تقريبه اياانا وقربه منا لا نكلمه هيبته
ولا نبتديه لعظمته فان تبسم تبسم عن لؤلؤ منظوم يعظم اهل
الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس
الضعيف من عدله واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد
ارخى الليل ستوره وغارت نجومه وقد تمثل في محرابه قابض
على لحيته يتململ تململ السقيم ويبكي بكاء الحزين ويقول
يا دنيا غري غري لا حاجة لي بك اياي تعرضت والي تشوقت
هيهات هيهات قد بتتك ثلاثا لا حاجة لي فيك فعمرك قصير
وخطرك حقير آواه آواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
فقيل لضرار ما حزنك عليه قال لحزن امرأة ذبح ولدها في حجرها
فلا ترقى لها عبرة ولا تنقضي لها حسرة واخبرنا ابو عبد الله بن
منصور بن سكبان النسترى قال اخبرنا محمد بن الحسن بن غراب
قال حدثنا القاضي موسى بن اسحاق قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن

ابى شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله الاسدى قال كان
على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول فى مناجاته الهى لولا ما جهلت
من امرى ما شكوت عثراتى ولولا ما ذكرت من الافراط ما سخنت
عبراتى الهى فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات وهب كثير
السيئات لقليل الحسنات الهى ان كنت لا ترحم الا المجد فى طاعتك
فانى يلبخى المخطؤن وان كنت لا تكرم الا اهل الاحسان فانى يصنع
المسيئون وان كان لا يفوز يوم الحشر الا المتقون فكيف يستغيث
المذنبون الهى ان كان لا يجوز على الصراط الا من اجزته براءة عمله
فانى بالجواز لمن لم يتب قبل حلول اجله الهى ان كان حجبك عن موحد
عهد جنايا تهم او قعهم غضبك بين المشركين فى كرباتهم الهى
فاوجب لنا بالاسلام مدخور هباتك واستصف لنا ما كررته
الجرائم بصفح صلاتك الهى لرحم غربتنا اذا ضمتنا بطون لحودنا
وعمت علينا بالبين سقوف بيوتنا واضجعنا على الايمان فى قبورنا
وخلفنا فرادى فى اضيق المضاجع وصرعتنا المنايا فى انكى المصارع
وصرنا فى ديار قوم كانها ما هوله وهى فيهم بلاقع الهى اذ اجتناك
عراة مغبرة من ثرى الاجداث رؤسنا وشاهية من ثرى الملاحة
وجوهنا وخاشعة من اهوال القيامة ابصارنا وبادية هناك
للعيون سوآتنا ومثقلة من تحمل الاوزار ظهورنا ومشغولين
بما قد دهانا من اهلينا واولادنا فلا تضعف علينا المصائب
باعراض وجهك الكريم عنا وسلب عائدة ما مثله الرجا منا الهى
ما حنت هذه العيون الى بكائها ولا جادت مشربة بمائها ولا
اشتهرت بنجيب المشكلات فقد عزائها الا لما سلف من فجورها
وابائها ومادعاها اليه عواقب بلائها وانت القادر يا كريم
على كشف عمائها الهى ثبت حلاوة ما يستعذبه لسانى من النطق
فى بلاغتها بزهارة ما يرفعه قلبى من النصح بزهارة ما يرفعه
قلبى من النصح فدلالته الهى امرت بالمعروف وانت اولى به من
المامورين وامرت بصلة السؤال وانت خير المسئولين الهى كيف

يقل بنا اليأس عن الامساك كما لهجنا بطلابه وقد ادرعنا من تأميلنا
اياك اسبغ اثوابه الهى اذا تلونا من صفاتك شديد العقاب أشفقنا
واذا تلونا منها الغفور الرحيم فرحنا فنحن بين امرين لا يؤمنا
سخطك ولا ييأسنا رحمتك الهى ان قصرت بنا مساعينا عن
استحقاق نظرك فما قصرت رحمتك بنا عن اندفاع نقمك الهى
كيف تفرح بصحبة الدنيا صدورنا وكيف تلتئم فى عمرانها امورنا
وكيف يملكنا باللهو واللعب غرورنا وقد وعدتنا باقتراب آجالنا
قبورنا الهى كيف نبتهج بدار حضرت لنا حفا بر ضرعتها وقد نا
بايدى المنايا حبائل غدرتها وجرعتنا مكرهين جرع مرارتها
ودلتنا العبر على انقطاع عيشتها الهى فاليك النجى
من مكائد خدعتها وبك نستعين على عبور قنطرتها وبك
نستعصم الجوارح على خلاف شهوتها وبك نستكشف جلابيب
حيرتها وبك يقوم من القلوب استضعاف جهالتها الهى كيف
للدوران يمنع من فيها من طوارق الوزايا وقواصيب كل دار
سهم من اسهم المنايا الهى ما نجع بانفسنا عن الديار ان لم يوحشنا
هناك عن موافقة الابرار الهى ما تضرنا فرقة الاخوان والقرابات
اذا قربتنا اليك يا ذا العطايات الهى ارحمنى اذا انقطع من الدنيا
اثرى وانمحى من المخلوقين ذكرى وصرت فى المنسيين كمن ينسى
الهى كبر سنى ودق عظمى ورق جلدى ونال الدهر منى واقترب اجلى
ونفدت أيامى وذهبت شهوتى وبقيت تبعتى وانمحت محاسنى
وبلى جسمى وتقطعت أوصالى وتفرقت أعضاءى الهى فارحمنى
الهى افحمتنى ذنوبى وانقطعت مقالتى فلا حجة لى ولا عذر
فانا المقر بجرمى والمعترف باساءتى والاسير بذنبى المرتهن بعملى
المشهور فى خطيئتى المتحير عن قصدى الهى فصل على محمد وعلى
آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى اللهم ان صغر فى جنب
طاعتك عملى فقد كبر فى جنب رجائك أملى الهى كيف انقلب
بالخيبة من عندك محروما وكان ظنى بجودك ان تقلبنى مرحوما

لانى لم اسلط على حسن ظنى بك قنوط الايسين فلا تبطل صدق
رجائى لك بين الآملين الهى فان كنا مرحومين فاننا نبكى على ما
ضيعناه فى طاعتك ما نستوجبه وان كنا غير مرحومين فاننا
نبكى على انفسنا اذ فاتنا من جودك ما نطلبه الهى عظم جرمى اذ
كنت المبارز به وكبر ذنبى اذ كنت المطالب به الهى اذا ذكرت ذنوبى
وعظيم غفرانك وجدت الحاصل لى بينهما عفو رضوانك الهى
اذا وحشتنى الخطايا يا من محاسن لطفك فقد آنسنى اليقين بكارم
عطفك الهى ان انا منتنى الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد
انبهتنى المعرفة بكريم آلائك الهى ان عظم لبى عن تقويم ما يصلحنى
فما عزب اتقانى بنظرك لى فيما ينفعنى الهى جنك ملهوفا قد
البست ثوب عدمى وفاقتى واقام مقام الاذلين بين يديك ذل
حاجتى الهى اكرمنى اذ كنت من منوالك وجد معروفك فاخلطنى
بأهل نوالك الهى اصبحت على باب من ابواب سخك سائلا وعن
التعرض لغيرك بالمسألة عائلا وليس من جميل امتنانك ان ترد
سائلا ملهوفا ومضطرا لانتظار امرك مالوفا الهى اقمت على
قطرة الاخطار مملوا بالاغمار وبالاعتبار وانا الهالك ان لم
تعن عليها بتخفيف الاصار الهى امن اهل الشقاء خلقتنى فاطيل
بكائى ام من اهل السعادة فابشر رجائى الهى اذ لم تهدنى الى
الاسلام ما اهتديت ولولم تطلق لسانى بدعائك ما دعوت
ولولم تعرفنى حلاوة نعمتك ما عرفت ولولم تبين لى شديد
عقابك ما استجرت الهى ان اقعدنى التخلف عن السير مع الابرار
فقد اقامنى الثقة بك على مدارج الاخيار الهى نفسا اعززتها
بتاييد ايمانك فكيف تذلها بين اطباق نيرانك الهى
لسانا كسوته من وحدانيتك اتقى ثوابك كيف تهوى اليه من
النار مشعلات التهابها الهى كل مكروب فاليك يلتجى وكل
محزون فاليك يرتجى الهى سمع العابدون بجزيل ثوابك فتشعوا
وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب

العصاة ببابك وعج منهم اليك العجيج والضجيج بالدعاء في بلادك
وكل امل ساق صاحبه اليك محتاجا وكل قلب تركه يارب
وصف الخوف منك منهاجا فأنت المسؤل الذي لاتسود لديه وجوه
المطالب الهي ان اخطأت طريق النظر لنفسي بما فيه كراماتها فقد
اصبت طريق الفزع بما فيه سلاماتها الهي ان كانت نفسي قد
استسعدتني ممترة على ما يؤذيها فقد استسعدتها الآن بدعائك
على ما ينجيها الهي ان قسطت في الحكم على نفسي بما فيه خسرتها
فقد اقسطت في تعزيتي اياها من رحمتك اسباب رأفتها الهي ان
قطعني قلة الزاد في المسير اليك فقد وصلته بما اعددته من فضل
تعويلي عليك الهي اذا ذكرت رحمتك ضجت لها عيون وسائلي
واذا ذكرت سخطك بكت لها عيون مسائلي الهي ادعوك دعاء
من لم يرج غيرك في دعائه وارجوك رجاء من لم يقصد غيرك في رجائه
الهي كيف أسكت بالافهام لسان ضراعتي وقد اقلقني ما ابهم من
مصيرعاقبتي الهي قد علمت حاجة جسمي الى ما تكفلت له من الرزق
في حياتي وعرفت قلة استغنائي عنه في الجنة بعد وفاتي فيا من
سمح لي به متفضلا في العاجل فلا تمنعنيه يوم وفاتي اليه في الآجل
الهي ان عذبتني فعبد خلقته لما اردت فعذبته وان رحمتني فعبد
الفيته مسيئا فانجيته الهي لا احتراس مع الذنب الا بعصمتك
ولا وصول الى عمل الخيرات الا بمشيئتك وكيف لي بافادة ما لم تشأ
فيه مشيئتك وكيف لي باحتراس من الذنب ما لم تدركني فيه
عصمتك الهي انت دللتني على سؤال الجنة قبل معرفتها فاقبلت
النفس بعد العرفان على مسألتها افتدل على خير بالسؤال ثم
تمنعه وانت الكريم المحمود في كل ما تصنعه يا ذا الجلال والاكرام
الهي ان كنت غير مستاهل لما ارجو من رحمتك فانت اهل ان تجود على
المذنبين بفضل سعتك الهي نفسي قائمة بين يديك وقد اضلها
حسن التوكل عليك فاصنع بي ما انت أهله وتغمدني برحمة منك
الهي ان كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف

بالذنب وسائل علي فان غفرت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن
اعدل منك في الحكم هنالك الهي انك لم تزل بارا بي في ايام حياتي
فلا تقطع برك بي بعد مماتي الهي كيف أيئاس من حسن نظرك
بعد وفاتي وأنت لم تولني الا الجميل في حياتي الهي ذنوبي قد أخافتني
ومحبتك قد أجارتني فتول في أمري ما أنت أهله وجد بفضلك
على من غمره جهله يا من لا يخفى عليه خافية صل على سيدنا محمد
وعلى آل محمد واغفر لي ما خفي عن الناس من امري الهي ليس اعتذاري اليك
اعتذار من يستغني عن قبول عذره فاقبل عذري يا خير من اعتذر اليه
المسيئون الهي لو اردت اهانتي لم تهدني ولو اردت فضيحتي لم تعافني
فمنعني بما له هديتني وادم علي ما به سترتني الهي لولا ما اقترفت من
الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك
وأنت أكرم الاكرمين بتحقيق آمال الآملين فارحم من استرحم
في تجاوزه من المذنبين الهي نفسي تمنيني بأنك تغفرها
فاكرم بها أمنيتي فقد بشرت بعفوك وصدق كرمك مبشر أمنيتها
وهب لها بجودك مقصرات تجنيها الهي الفتني الحسنات بين جودك وكرمك
والفتني السيئات بين عفوك ومغفرتك وقد رجوت ان لا يضيع بين
هذين وهذين محسن ومسيء الهي اذا شهد الاحسان بتوحيدك وانطلق
لساني بتمجيدك ودلني القرآن على فضل جودك فكيف لا يبتهل رجائي
بحسن موعدك الهي تتابع احسانك يدلني على حسن نظرك فكيف يشقى
امرؤ أوليته منك حسن النظر الهي اذا نظرت بالهلكة الى عيون سخطك
فما نامت عن استنقاذي عيون رحمتك الهي ان عرضني ذنبي لعقابك
فقد ادنا في رجائي من ثوابك الهي ان عفوت فبفضلك وان عذبت
فبعدلك فيا من لا يرجى الا فضله ولا يخاف الا عدله صل على محمد وامنن
علي بفضلك ولا تستقصر علي بعدلك الهي خلقت لي جسما وجعلت لي
آلات أطيعك بها وأعصيك واغضبك بها وارضيك وجعلت لي من
نفسي داعيا الى الشهوات واسكنتني دارا ملئت من الآفات وقلت لي
ازدجر فبفضلك اعتصم واحترز واستوفق فبك فيما يرضيك وأسئلك

فان سؤالي لا يخفيك الهي لو عرفت اعتذارا وتنصلا هو ابلغ من
الاعتراف بالذنب لاتيته فهب لي ذنبي بالاعتراف ولا تردني في طلبتي بالخيبة
عند الانصراف الهي كأني بنفسي وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف عنها
المشيعون من عشيرتها وناداها من شفير القبر ذو موتها ورحمها
المعادي لها في الحياة عند صرعتها ولم يخف على الناظرين اليها ذل فاقتها ولا
على من رآها توسدت الثرى عجز حيلتها وقالت ملائكته غريب نأى عنه الاقربون
وبعيد جفاه الاهلون وخذله المامولون نزل بنا قريبا فاصبح في اللحد
غريبا وقد كنت في دار الدنيا داعيا ونظرك الي في هذا اليوم راجيا
فتحسن عند ذلك ضيافتي وتكون اشفق علي من اهلي وقرابتي الهي
سترت علي في الدنيا ذنوبا فلم نظهرها فلا تفضحني يوم القاك على رؤس
العالمين بها واسترها علي هناك يا ارحم الراحمين الهي لو طبقت ذنوبي
بين السماء والارض وخرقت النجوم وبلغت اسفل الثرى ما ردني اليأس عن
موقع غفرانك ولا صرفني القنوط عن انتظار رضوانك الهي سعت نفسي
اليك تستوهبها وفتحت افواه املها تستوجبها فهب لها ما سألت
وجدها بما طلبت فانك اكرم الاكرمين بتحقيق أمل الآملين الهي قد
اصبت من الذنوب ما عرفت واسرفت على نفسي بما قد علمت فاجعلني اما
عبدا طائعا لك فاكرمتني واما عاصيا فرحمتني الهي دعوتك بالدعاء
الذي علمتني فلا تحرمني من جنانك التي عرفتني فمن النعمة ان هديتني بحسن
دعائك ومن تمامها ان توجب لي حسن جزائك الهي انتظرت عفوك كما
ينتظره المسيئون ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون
الهي جودك بسط أملي وشكرك قبل عملي فصل على محمد وال محمد وبشرني
بلقائك واعظم رجائي بجزائك الهي أنت الكريم الذي لا يخيب لديك
أمل الآملين ولا يبطل عندك سبق السابقين الهي ان كنت لا استحق
معروفك ولم أستوجبه فكنت أنت أهل التفضل علي فالكريم من لم
يضع معروفه عند من لا يستوجبه الهي مسكنتي لا يجيرها الا عطاؤك
وأمنيتي لا يغنيها الا نعماؤك الهي استوفقك لما يدنيني منك واعوذ بك
مما يصرفني عنك الهي احب الامور الى نفسي واعودها على منفعة

ما استرشدتها بهدايتك اليه ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عني
اذ انت ارحم الراحمين بها مني الهي ارجوك رجاء من لا يخافك واخافك
خوف من لا يرجو ثوابك فمنني بالخوف شر ما احاذر واعطني بالرجا
خير ما احاذر الهي انتظرت عفوك كما ينتظره المذنبون ولست آيسا من
رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي مددت اليك يدا بالذنوب مأسورة
وعينا بالرجا مزورة وحقق لمن دعاك بالندم تذللا ان يجيب له
بالكرم تفضلا الهي ان عرضتني ذنوبي لعقابك فقد اداتني رجائي من
ثوابك الهي لم اسلط على حسن ظني بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق
رجائي لك بين الاملين الهي ان انقرضت بغير ما اجبت من السعي اياي
فبلا ثمان أمضتها الماضيات من اعوامي الهي ان أخطأت طريق
النظر بما فيه كرامتها فقد اصبت طريق الفرع بما فيه سلامتها
الهي ما أضيق الطريق على من لم تكن انت دليله وما أوحش
المسلك على من لم تكن أنت أنيسه الهي انهملت عبراتي حين ذكرت
خطيئاتي وما لها لا تنهمل وما أدري ما يكون اليه مصيري وماذا
يهجم عليه عند البلاغ مسيري واري نفسي تخاتلني وأيامي
تخادعني وقد خفقت فوق رأسي ألوية أجنحة الموت ورمتني
عن قريب اعين الفوت فما عذري وقد اوجس في مسامعي رافع
الصوت لقد رجوت ممن اليسني بين الاحياء ثوب عافيته
ان لا يعريني بين الاموات بجود رأفته ولقد رجوت ممن تولاني
باقي حياتي باحسانه ان يسعفني بعد وفاتي بغفرانه يا أنيس
كل غريب انس في القبر وحشتي ويا ثاني كل وحيد ارحم
في القبر وحدتي ويا عالم السر والاخفى ويا كاشف الضر والبلوى
كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى وكيف صنيعك بي في دار
الوحشة والبلا قد كنت بي لطيفا أيام حياتي فلا تقطع برك عني
بعد وفاتي يا افضل المنعمين في الآلاء وانعم المتفضلين في نعمائه
كثرت عندي أياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعا في شكري
للمسائل بجزائها فلك الحمد على ما أوليت ولك الشكر على ما ابليت

يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بذمة الاسلام اتوسل
اليك وبحرمة القرآن أعتمد عليك فصل على محمد وآل محمد واختم لي
بخير واعصمني من النار واسكني الجنة مع الابرار ولا تفضحني بسريرتي
حيا ولا ميتا وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك وارض عبادك
عني في مظالمهم قبلي واجعلني ممن رضيت عنه فحرمته على النار
واصلح لي اموري التي دعوتك بها في الدنيا والاخرة يا حنان يا منان
يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا من له الخلق والامر تباركت
يا احسن الخالقين يا رحيم يا قدير يا كريم صل على محمد وآله الطيبين
وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته انه حميد مجيد والحمد
لله رب العالمين روى عن شريح انه قال اشتريت دارا بالكوفة فبلغ
ذلك أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا شريح
اشتريت لك دارا بالكوفة فقلت نعم فقال شهدت عدولا فقلت
نعم فقال اتق الله فانه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن
بينك اذا نظرت ان لا تكون اشتريت دارا من غير مالك ووزنت
مالا من غير حقه فاذا أنت جمعت الدارين جميعا الدنيا والاخرة
يا شريح لقد كنت حين اشتريت هذه الدار صرت الى كنت اكتب لك
الصك على هذه النسخة اذا ما كنت تشتريها بدرهمين قلت وما كنت
تكتب يا أمير المؤمنين قال كنت اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى هذا
العبد المفتون بالامل من هذا العبد المزعج بالاجل دار المحنة والغرور
من الجانب الفاني في عسكر الهالكين لها حدود اربعة فحدها
الاول ينتهي الى دواعي الآفات الثاني ينتهي الى دواعي الهلكات
الثالث ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الرابع ينتهي الى الهوى
والردا والشيطان الغوى وفي هذا الحد مشرع باب هذه الدار فالخروج
من عز القنوع والدخول في دار الحرص والفضول فما ادرك هذا المشتري
من درك كسرى وقيصر وتبع وحميري ومن بنى وشيد وقصر
أنسيت يا مغرور انك ميت أيقن بانك في المقابر نازل تبلى وتفنى

والخلائق للبلا ابمثل هذا العيش يفرح عاقل وكانت مدة خلافة الامام
علي رضي الله عنه اربع سنين وتسعة أشهر وتوفي قتيلا يوم
الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين من الهجرة وكان سنه
ثلاثا وستين سنة ودفن سحرا بقصر الامارة بالكوفة وغير قبره
والله أعلم وكان السبب في قتله رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لما
اختلف نوابه ونواب معاوية بسبب قتل عثمان بن عفان اتفق طائفة
من الخوارج على قتلهما فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا اكفيكم عليا وقال
الحجاج بن عبد الرحمن الصيرفي وأنا اقتل معاوية فأما عبد الرحمن بن
ملجم فانه توجه الى الكوفة وكان يكتم أمره ولا يظهر الذي يقصده
على أحد ثم انه أتى قوما من بني تميم فرأى امرأة جميلة الصورة يقال
لها قطام وكان الامام علي قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان فخطبها ابن
ملجم فقالت له لا اتزوجك الا على شروط ثلاثة اولها ثلاثة الاف درهم
والثانية قينة تغني والثالثة قتل علي بن أبي طالب فقال لها
اما الدراهم والقينة فهما مهر وأما قتل علي بن ابي طالب فلم ذكرت لي
ذلك وما تريدين منه قالت تلتمس ضربه بالسيف فان ضربته
وسلمت شفيت نفسي منه ونفعك العيش معي والا فما عند الله لك
خير مني فقال لها والله ما جئت الا لقتل علي بن ابي طالب وكان
ما اراده الله في الازل وتوجه من عندها الى الكوفة وكان من عادة
الامام علي رضي الله عنه اذا خرج الى الصلاة من بيته وقف بباب
المسجد ونادى ايتها الناس الصلاة الصلاة وكان ابن ملجم قد
وقف له مقابل المسجد فاعترض الامام عليا وكان رفيقا لابن ملجم شبيب
ابن بجره قال ابن التياح فرأيت بارقة السيف وسمعت قائلا يقول
الحكم لله يا علي ثم رأيت سيفا ثانيا فاما سيف ابن ملجم فأصاب جبهة
الامام علي رضي الله عنه مع قرنه الى ان وصلت الى دماغه وأما سيف
ابن بجره فوقع في الطاق فقال علي لا يفوتنكم هذان الرجلان فشد
الناس عليهما من كل جانب فاما ابن بجرة فتبعته خيل المغيرة بن شعبة
فقتلوه وأما ابن ملجم فصرعوه ودخلوا به على الامام رضي الله

عنه

عنه فقال طيبوا طعامه والينوا فراشه فان انا اعيش فانا ولى دمى فاما ان اقتص منه واما ان اعفو عنه وان مت فالحقوه بى واخاصمه عند رب العالمين ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال فى زهر الاداب ان عليا رضى الله عنه لما رأى عبد الرحمن بن ملجم قال انت الذى تخضب هذه من هذه فقيل له يا امير المؤمنين الا نقتله قال كيف يقتل الانسان قاتله وفى رواية ومن يقتلنى واحضر عبد الرحمن بن ملجم بعد وفاة الامام على رضى الله عنه وجاء الناس بالنفط والبوارى وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه ولم يتأوه بل يتلو القرآن فلما ارادوا قطع لسانه تاوه وامتنع من اخراجه فقيل له قطعت يداك ورجلاك وما تألمت ولا امتنعت ولم هذا الامتناع عند قطع لسانك فقال لئلا يفوتنى شئ من تلاوة القرآن وانا حى فشقوا شدقه واخرجوا لسانه وقطعوه وقتل شر قتلة والله يحكم بين العباد قال بكر بن حماد يرثى الامام على رضى الله عنه

قل لابن ملجم والاقدار غالبة ... هدمت ويحك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشى على قدم ... واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن النبى لنا شرعا وتبيانا
صهر الرسول وعاضده وناصره ... اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... ما كان هارون من موسى بن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا ماضيا بطلا ... ليثا اذا القى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لاحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
اشقى مراد اذا عدت قبائلها ... واخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التى جلبت ... على ثمود بارض الحجر خسرانا
فكان ينذرهم ان سوف يخضبها ... قبل المنية ازمانا وازمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا

وقال ايضا

وهز على بالعراقين لحية ... مصيبتها حلت على كل مسلم
وقال سيا يتها من الله حادث ... يخضبها اشقى البرية بالدم
فباكره بالسيف شلت يمينه ... لشوم قطام عنه ذل ابن ملجم
فيا ضربة من خاسر ضل سعيه ... تبوأ منها مقعدا فى جهنم

وقال البحترى

ولا عجب للاسد ان ظفرت بها ... كلاب الاعادى من فصيح واعجم
فضربة وحشى سقت حمزة الردا ... وموت على من حسام ابن ملجم

(خلافة سيدنا الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما)

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع له يوم مات أبوه وأقام ستة اشهر وخلع نفسه فى ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومات سنة خمس وستة سبع واربعون سنة ودفن بالبقيع روى سفينة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضودا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثون سنة من خلافة ابى بكر رضى الله عنه وروى ان النابغة الجعدى نظر الى الحسن والحسين ابنى على بن ابى طالب رضى الله عنهم فقال رحبا على رحب وقربا على قرب هذان سبطا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة ابراهيم وصريحا اسمعيل وفرعا قريش وشبلا هاشم وسيدا شباب أهل الجنة ثم انشأ يقول

بدران من شمس كريم نابعة ... افنانها بيد النبوة تزهر
من جحر طاهرة لفرع طاهر ... كرمت منابته وطاب العنصر
الاطيبون ارومة من هاشم ... والاكرمون مآثرا لا تنكر
جبريل منهم والنبى محمد ... والمروتان وزمزم والكوثر
والبيت بيتهم ونسب منهم ... ومنى يورثها الصغير الاكبر
واذا وقفت على العشار عشية ... جمرتهم جمراتها والمشعر

مسئلة مفيدة سئل عنها مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب

الدين احمد الرملى الشافعى تغمده الله برحمته وهى هل يقال لمن هو
من ذرية العباس رضى الله عنه سيد وشريف وهل له تعليق علامة
الشرف ام لا أجاب ليس الامور المذكورة لاحد من اولاد العباس
ولا لاحد من اقاربه واولاد بناته صلى الله عليه وسلم الا اولاد سيدتنا
فاطمة رضى الله عنها فالشرف مختص باولادها الحسن والحسين ومحسن
فاما محسن فمات صغيرا فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم والعقب
للحسن والحسين وانما اختصا بالشرف هما وفروعهما لامور كثيرة
منها كونهما مشاركين للنبى صلى الله عليه وسلم فى نسبه فانهما هاشميان
ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم لهما وكونهما سيدى شباب اهل الجنة
فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم انهما بضعة منى يؤذينى ما يؤذيهما
ويؤذينى ما يؤذيهما وكونهما اشبه بناته به فى الخلق والخلق حتى
فى المشية ومنها اكرامه لهما حتى انهما كانتا اذا جاءت اليه قام لهما
وأجلسهما فى مجلسه لما أودعه الله فيهما من السر ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال ابشر يا ابا الحسن فان الله عز وجل قد زوجك بهما
فى السماء قبل ان ازوجك بهما فى الارض ولقد هبط على ملك من السماء
قبل أن تأتينى فقال لى السلام عليك يا رسول الله ابشر باجتماع شمل
وطهارة النسل فما استتم كلامه حتى هبط جبريل فقال السلام
عليك ورحمة الله وبركاته ثم وضع من يده حريرة بيضاء مكتوب
فيها سطران بالنور فقلت ما هذه الخطوط فقال ان الله عز وجل اطلع
الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع
اليها ثانية فاختار لك منها أخا وزيرا وصاحبا وجيبا فزوجه
ابنتك فاطمة فقلت من هذا الرجل فقال اخوك فى الدين وابن عمك
فى النسب وقد أمرنى أن آمرك بتزويجها بعلى فى الارض وان البشر هما
بغلامين زكيين محبين فاضلين طاهرين خيرين فى الدنيا والآخرة
ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمى فى كتاب الصواعق المحرقة
حيث قال ينبغى لكل أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه
حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق ولم تزل انساب اهل

البيت النبوى مضبوطة على تطاول الايام وأحسابهم التى بها يتميزون محفوظة عن ان يدعيها الجهال والملئام عند من يقوم بتصحيحها فى كل زمان ومن يعتنى بتفاصيلها فى كل اوان خصوصا انساب الطالبين والمطلبيين ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة بفاطمة من بنى ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهارا لمزية شرفهم ثم فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الاشرف شعبان بن السلطان حسن بن الناصرى محمد بن قلاوون ان يمتازوا عن الناس بعصائب على العمائم ففعل ذلك باكثر البلاد كحمص والشام وغيرهما وفى ذلك يقول ابن جابر الاندلسى نزيل حلب وهو صاحب شرح الفية ابن مالك المسمى بالاعمى والبصير

جعلوا الاتباء الرسول علامة ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن احسنه قول الاديب محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقى

الطراف تيجان انت من سندس خضر لاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها شرفا ليعرفهم من الاطراف

فائدة عظيمة وهو ان النابغة الجعدى المذكور كان من شعراء الجاهلية ثم ادرك الاسلام روى عنه انه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فانشدته قصيدتى حتى انتهيت الى قولى

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى فقلت الى الجنة يا رسول الله فقال الى الجنة ان شاء الله ثم انتهيت الى قولى

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما ورد الامر اصدرا

فقال صدقت واحسنت لا يفضض الله فاك قال فبقيت عمرى

أحسن الناس ثغرا وعمرت عمرا طويلا فكنت كلما سقطت لي سن نبتت مكانها اخرى لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم

الباب الثاني في دولة بني أمية

كانت بالشام وعدة الخلفاء منهم اربعة عشر خليفة وكانت عمالهم بمصر وغيرها ومدة نصرتهم اثنان وتسعون سنة (اولهم) معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه واسمه صخر بن حرب بويع له في ذي الحجة سنة اربعين ببيت المقدس قال الطبري لما مات الامام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اتفق معاوية وعمرو بن العاص على ان يكون معاوية بالشام وعمرو بن العاص بمصر ولا يكون لاحدهما على الاخر كلام ثم جعل الناس يقدمون على معاوية من سائر الاقطار وهو يرضي الناس بالاموال فلما فرغ ما عنده من الاموال كتب الى عمرو بن العاص انه قد كثر علي وراد الحجاز ووفود العجم والشام والروم واليمن ولم يكن عندي شيء ارضيهم به فصير الي خراج مصر سنة واحدة لاستعين به على من يرد علي فقال عمرو بن العاص في نفسه متى سيرت اليه مالا يطلب مني في كل سنة فكتب جوابا لمعاوية يقول له هذه الابيات

معاوي ان تدرك نفوس شحيحة ... فما ورثتني مصر امي ولا ابي
وما نلتها عفوا ولكن شرطها ... وقد دارت الحرب العوالي على قطبي
ولولا دفاع الاشعري وصحبه ... لالفيتها تدعو كفاقدة الصبي

فكتب اليه معاوية انه قد تردد كتابي اليك بطلب خراج مصر وانت تمتنع وتدافع ولم تصيره فصيره الي قولا واحدا وطلبا جازما والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص جوابا وهي القصيدة الجلية المشهورة التي اولها

معاوي الفضل لا تخفى لذي ... وعن منهج الحق لا تعدل
نسيت احتيالي في جلق ... على اهلها يوم لبس الحلي
وقد اقبلوا زمرا بهرعوا ... ويأتون كالبقر الهمل

ولولاى كنت كمثل المنسا ... تعاف الخروج من المنزل
لنسيت محاورة الاشعرى ... ونحن على دومة الجندل
والعقته عسلا باردا ... وامزجت ذلك بالحنظل
السين فيطمع فى جانبى ... وسهمى قد غاب فى المفصل
واخلعها منه عن خدعة ... كخلع النعال من الارجل
والبستها فيك لما عجز ... ت كلبس الخواتم فى الانمل

ومنها ايضا

ولم تك والله من اهلها ... ورب المقام ولم تكمل
وسيرت ذكرك فى الحافقين ... كسير الجنوب مع الشمأل
نصرناك من جهلنا يا ابن هند ... على البطل الاعظم الافضل
وكنت ولن ترها فى المنام ... فزفت اليك ولا مهر لى
وحيث تركنا اعالى النفوس ... نزلنا الى سفل الارجل
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصصة فى على

ومنها ايضا

وان كان بينكما نسبة ... فاين الحمام من المنجل
وأين الثريا واين الثرى ... واين معاوية من على

فلما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك قيل دخل عقيل بن ابى طالب على معاوية وقد كف بصره وجلس الى جانبه على سريره فقال له معاوية انتم معاشر بنى هاشم تصابون فى ابصاركم فقال له عقيل وانتم معاشر بنى امية تصابون فى بصائركم فسكت ولم يتكلم (وقيل ان معاوية قال يوما لحسانة ما تعدون الغريب فيكم فقال الذى لا أحد له فقال بل الغريب الذى مات نظراؤه الذى كان يستأنس بهم وأنشد

اذا ذهب القرن الذى انت منهم ... وخلفت فى قرن فانت غريب

مفرد فى المعنى

اجالس معشرا لا شكل فيهم ... وأشكالى قد اعنقوا اللحودا

قيل دخل بخار العدوى على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال

يا امير المؤمنين ان العباة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها فقال
معاوية ما رأيت أحقر منه اولا ولا اكبر آخرا منه وقيل قال الاسكندر
لرجل دنا من مجلسه فتكلم بفصاحة لكن حسن ثيابك لحسن
كلامك فقال أما الكلام فانا قادر عليه واما الثياب فانت تقدر
عليها فخلع عليه واكرمه (ذكر قدوم عكرشة بنت الاطروش بن
رواحة على معاوية قيل لما دخلت عليه وهي متكئة على عكازها
فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية اليوم صرت
عند امير المؤمنين فقالت له نعم اذا لا على حتى فقال له معاوية
يا عكرشة اما ست يوم صفين المقلدة خمائل سيفك بين الصفين
وانت واقفة تقولين ايتها الناس عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم ان الجنة لا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها
بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم هومها مستظهرين بالصبر
على من طلب حقوقكم ان معاوية قد وفد عليكم بعرب العجم غلف
القلوب لا يفقهون الا نمان ولا يدرون الحكمة دعاهم بالدنيا
فاجابوه واستدعاهم بالباطل فلبوه فالله الله عباد الله في
دين الله يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على سيركم واصبروا
على هزيمتكم واعلموا ان مصيركم الى الموت كانى بكم غدا وقد لقيتم
أهل الشام كالحمر النافرة وكانى اراك على عكازك هذه وقد
انكفا عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش
كان كدت تقتلى أهل الشام وكان امر الله قدرا مقدورا فما حملك
على ذلك قالت يا امير المؤمنين يقول الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان اللبيب اذا
كره امرا لم يجب اعادته فقال لها معاوية صدقت اذكرى حاجتك
وما جئتنى بسببه قالت ان صدقاتنا تؤخذ من اغنيائنا فترد
على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك فلا يجبر لنا كسير ولا ينتعش
لنا فقير ثم قالت فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من
الغفلة وراجع التوبة وان كان عن رأى غيرك فمثلك من لا يستعين

بالخونة ولا يستخدم الظلمة فقال لها معاوية يا هذه اتقي الله انه
ينوبنا من امور عيشتنا أمور تضيق وبحور تندفق فقالت
سبحان الله والله ما فرض لنا حقا وفيه ضرر لغيرنا وهو علام
الغيوب فأمرها معاوية ولمن معها بردصدقاتهم اليهم وانصرفهم
واكرامهم واعطاها خمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت وأقام
معاوية في الخلافة عشرين سنة وتوفي في رجب سنة ستين
وسنه ثمان وسبعون سنة ودفن بدمشق

خلافة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان

بويع له يوم مات أبوه قيل جلس يزيد في بيته يأكل الطعام
فاجلس علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم على ركبته
اليمنى واجلس خالد ولده على ركبته اليسرى وكان سن كل واحد
منهما خمس سنين فقال لعلي يا ابا الحسن اما تقوم تصارع
انت وابن عمك خالد لنتفرج عليكما فقال علي بن الحسين وما
يأتينا من الصراع يا عم أعطني سيفا وأعطه سيفا وانظر ايتنا
أصبر على الموت قال فنظر اليه يزيد شزرا وقال والله كنت احسب
ان الضغائن تفرغ من القلوب ولا تلد الحية الا حوية ثم رفعه
من على ركبته وكان قبل ذلك يأكل معه في البيت فلم يطلبه بعدها
ومات يزيد في تلك السنة ومما يحكى انه لما قتل الحسين
ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ووصل رأسه الى يزيد وضعه
بين يديه وقرعها بقضيب كان معه على ثناياه ثم أمر بالرأس
فنصب يأما على باب دمشق وطلب يزيد اهل الشام واحضرهم حوله
وأحضر عليا الاصغر بن الحسين والنساء معه ينظرون اليهم
فقال يزيد لعلي ما أصابك من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا
في أبيك الذي قطع رحمي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما رأيت
فقال علي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
فقال يزيد لابنه خالد اجبه عما قال فلم يدر خالد ما يقول فقال

يزيد وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير روى الطبرى أن يزيد أمر بخطيب من بنى أمية أن يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من على ومن الحسين والطنب فى ذلك فاستأذن على ابن الحسين فى ان يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد من ذلك فالح عليه فى ذلك فاذن له فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة حتى ابكى العيون واوجل القلوب من جملتها ايها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا اعرفه بنفسى وانسبه لجدى ونفسى انا ابن مكة انا ابن زمزم والصفا انا ابن من حمل الركن باطراف الردا انا ابن خير من ائتزر وارتدى انا ابن خير من انتعل واحتفى انا ابن خير من حج ولبى انا ابن خير من ركب باير اق فى الهوا انا ابن خير من اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى انا ابن خير من بلغ به جبريل سدرة المنتهى أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى انا ابن خير من صلى بملائكة السما انا ابن محمد المصطفى انا ابن على المرتضى أنا ابن فاطمة الزهرا انا ابن سيدة النسا انا ابن الاولى انا آخر الاصفيا فعند ذلك ضج الناس بالبكا وكادت ان تكون فتنة فنزل وخشى الفتنة ولما حمل رأس الحسين الى الشام خرجت زينب بنت على بن أبى طالب فى نساء من قومها من بنى هاشم وهن حاسرات وكن يومئذ بدمشق وهى تنشد وتقول شعر

ماذا تقولون ان قال النبى لكم ... ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى ... نصفا سارى ونصف خضب بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم ... ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

وقيل ان يزيد بن معاوية قال من جاء برأس الحسين ملأت دكانه ذهبا فانفرد واحد من القوم وهو على ما قيل ابن شبل بن يزيد الحبرى وقيل شمر بن ابى الجوشن وحز رأسه ودفعها الى أخيه حولى وقيل غيره ولما قدموا بها على يزيد وضعها الحامل لها بين يديه وانشد مخاطبا ليزيد املأ ركابى فضة وذهبا ... انا قتلنا السيد المحجبا

قلت خير الناس أمّا وأبا وخيرهم اذ ينسبون نسبا
فقال له يزيد لما علمت انه موصوف بهذه الاوصاف لاى شئ قدمت
على قتله فامر بضرب عنقه لوقته وفانه ما اتله من الذهب والى
جهنم قد ذهب وقد سئل مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب
الدين احمد الرملى الشافعى رحمه الله تعالى فى يزيد بن معاوية
هل يجوز لعنه لانه قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر
بقتله اولا يجوز لعنه لانه لم يقتله ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة
منهم صاحب الخلاصة وغيره لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن
المسلمين ومن كان من أهل القبلة ولا يخالفه قول بعض المتأخرين
انهم اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر بقتله أو اجاز
او رضى به لانه معناه على وجه التعميم وهو لعن الطوايف المذكورة
بالاوصاف دون تعيين الانسان ليكون من باب لعن الله الخمر
وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه
واكل ثمنها رواه ابو داود وابن ماجة بل لم يثبت انه قتل الحسين
رضى الله عنه ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة منهم حجة الاسلام
الغزالى قال فى الانوار ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فانه من جملة
المسلمين ان شاء رحمه وان شاء عذبه قاله الغزالى والمتولى وغيرهما
وقد طعنه سنان بن ابى انس فالقاه عن فرسه واجهز عليه حولى
ابن يزيد من حمير ونزل ليحز رأسه فارتعدت يداه فنزل اخوه شبل
ابن يزيد فاحتز رأسه ودفعه الى أخيه حولى ولما قدموا به على يزيد
وذكروا له قتله دمعت عيناه وقال وبحكم كنت ارضى من طاعتكم
بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة انا والله لو كنت صاحبه
لعفوت عنه ثم قال رحم الله اباعبد الله وغفر له ولما دخل على
على بن الحسين فى السبى قال خلوا عنهم وكساهم واخرج لهم
جوائز كثيرة ثم قال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ما قتلهم
ثم رد هم الى المدينة واما عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا كرم الله
وجهه فهو مسلم من الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبائر فقد

قال

قال الامام الشافعي رضي الله عنه انه قتل متأولا لانه وكل امرأة قتل على أباها يعني متأولا عند نفسه فيما كان مخاطبا فيه وفيما لا يحتمل التأويل وليس كل من يأول كان له ان يتأول وقد قطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ثم ارادوا قطع لسانه فجزع فقيل له لم لا جزعت لقطع يديك ورجليك وجزعت لقطع لسانك قال اني اكره ان تمر ساعة على من نهار ولا اذكر فيها اسم الله تعالى (نكتة مضحكة) قال صاحب النوادر اللطيفة مات مأبون يقال له قرنفل فرآه شخص في المنام فقال كيف حالك يا قرنفل قال لا تسألني عن شيء قال الى اين صرت يا قرنفل قال الى جهنم قال ويحك ومن يلوط بك في جهنم قال يزيد بن معاوية وانا وأياه اصحاب ذكر في القاموس في باب الثاء في حرف الدال الدغبوث بالضم هو المأبون قال في مؤلف النفحات المسكية اجمع العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريم اللواط ومن قال بحله ذلك فهو زنديق كافر من غير خلاف بين أهل السنة والكتاب قال صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي فعل قوم لوط فمن عمل عمل قوم لوط فاحرقوه وقال ابن عباس حد اللواط ان يرمى فاعله من سطح عال ثم يرجم حتى يموت وفي رواية ينكس من مكان مرتفع وقيل يهدم الجدار عليه وعن مالك والشافعي واحمد بن حنبل يرجم فالاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به ومن استحله كفر واذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش حكي عن بعض اهل اللطافة قال طلعت يوما الى نحو القرافة في تحف وتراقة لازور من فيها من الاموات وأتعظ على ما فات والى ما هو آت واذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات ومبيد البنين والبنات واستجليت عجبها وجعلت أجول بطرفي في ازهارها وعشبها وافكر

كيف ساوت تلك البقعة بين الملك والمملوك وخالطت بين الغني والصعلوك
وكم فيها قبر نزار وكم قبر منذر رس علا عليه التراب والغبار
فجعلت تارة ادير طرفا غرغرت عليه الدموع وتارة أعانت قلبا لفراق
الاحبة موجوع وتارة اندب ناسا ساروا واخلوا الاطلال والربوع
وتارة ابكي لفقد اناس كانت وجوههم أضوء من الشموع واسبح الله
الذي ارقدهم المحيي لميت الذي لاراد لامره ولا قضاؤه ممنوع فبينما
انا كذلك وفي وسط الطريق سالك اذ نظرت في كهف الجبل الى بناء
منقطع وجرس في الجو مرتفع فمشيت الى ان وصلت اليه ونويت
الجلوس على بابه لاسقط التعب عليه واذا أنا بصوت داخل البنا احسن
من نغمات الاوتار واطيب من صوت الهزار وتسجيع الاطيار
يكرر بصوته النياحة ويندب بنغمته اوقات الراحة بصوت تميل
اليه قلوب سامعيه لما فيه من الذكاء والفصاحه ويهيج الاشواق
ويفتت قلب المشتاق وتتطاول اليه الاعناق وتهمي بسماعه
العيون من الاماق بقلب جريح كانه كابد مرارة الفراق ينشد
ويقول

ما انت يا قبر لا روض ولا فلك ... فكيف يجمع فيك الشمس والقمر
بالله يا قبر لا تبلى محاسنه ... وهل تغير ذاك المنظر النضر
وهل بهاء وجهه زالت وبهجته ... وهل فنى بفناه نشره العطر
وهل تدوم مسرات لفرقته ... هيهات قد عاد صفوي بعده كدر

ثم شهقت شهقة في اثر انشادها وتزايد بي تعبي بترداد ها
وتقطع قلبي بنواحها وبكائها وتعدادها الى ان سلبت كل عضو
مني فاذا هبت نومي عني فقلت والله لا هجمن على هذا الباب
واحظى بسماع هذا الخطاب وانظر من هذا الذي هو مصاب
فلعلي الاحظ هذا الشاكي فاشاكيه فاما أسليه واما انسيه
فطرقت الباب طرق متردد في امره حامدا الله على زيادة نعمه وشكره
ففتح لي الباب سريعا ولجوابه مريعا فاذا هي امرأة ذات جمال فايق
وشكل لايق وقد شاهق صباحة عطف ومعاطف كانت

شمائلها

شمائلها سرقت من الظبي المعاطف بغنج ودلال وقد واعتدال وبهاء وكما
كما قال فيها الشاعر

تشابه غصن البان كالبدر والشمس وقد طهرت من كل عيب ومن رجس
وليس لها بين البرية مشبه فسبحان من بالحسن وحنها مكمي
اذا نظرت عيناى نور جمالها تزايد بي شوقي ووجدي مع الانس
تحاكي لغصن البان والبدر في الدجى وطول نهاري في محاسنها درسي
عسى خالق يمنن علي بوصلها فمالي سواها في حياتي وفي رمسي

ثم سألت اذنا في العبور فاذنت وسلمت السلام التام واكرمت فبدأت بقراءة آيات من كتاب الله تعالى رب الارباب واهديتها لسكان التراب ثم تجاسرت بكلامي عليها وتقدمت اليها وسلمت عليها وسألتها عن قصتها وحالها وقضيتها وما جرى لها فقلت لها من هذا الذي تندبينه وفي هذه البرية تنكينه وتنعينه اذهبت عنوان شبابك وقلت نفسك بين اترابك فقالت يا أخي هذا بعلي الذي احسن الي فيما مضى وخلفني للشقاوة والقضا فقلت لها يا أختي اشتغلي بما ينفعك عنه فالموت سبيل لابد منه فابدت بكاء وعويلا ونظرت الى القبر طويلا بدمع هائل يشبه السيول وانشدت تقول

يا ساكن القبر فوق القبر ذات جوى يرثي لها القبر من حزن ومن شجن
تخالفت فيك احوالي اسي وضني الى لقاك وطرف طالب الوسن
وخالف القلب فيك العين من كمد واسود بالغم وابيضت من الحزن
من بعد بعدك بت الليل ساهرة لم يهنأ لي بالجوى سكني الى سكني
واصبحت بعدك الاطلال خالية وكم اياد لبعلي ثم كم منن
وكنت عونا لجمع النائبات وكم احسنت يا بعل لي في سالف الزمن

ثم بكت حتى اغشي عليها ومالت كليتي بالشفقة اليها واحرقت قلبي ببكائها ورحمت قلقها ونواها فلما فرغت من البكاء مالت بجانبها الي جانبي وغازلتني بالعين والكف وتبسمت علي بالخضر والردف فلما رأيت ذلك من حالها وما أبدته من فعالها

تزايد بى الطمع وادخلنى فى مداخلها الرجا ولم اجد عن هواها سبيلا ومخرجا فقلت ياسيدتى بحق من البسك الجمال وخصك بالحسن والبها والكمال الا مارضيتيبنى لك بعلا ولخدمتك اهلا لاكون اسبق الناس الى مرضاتك وابذل المجهود فى قضاء حاجاتك فنظرت الى شزرا وغضبا وامتلأ قلبى منها رعبا وانشدت

تقول

اتطلب منى ان اكون مزوجا ... فلست ارى هذا سبيلا ومخرجا
ولم التقى زوجى له المثل فى الورى ... ولا مثله لى فى البرية مرتجا
فوالله لا اضجعت من تحت غيره ... الى ان اراه من فنا القبر اخرجا
فزوجى له قدر وعلم وحكمة ... وحلم وفضل وهو للخير مرتجا
فبالله دع هذا الكلام ولا تكن ... بقولك هذا ما يرحت مبهرجا
فلا زلت مقلاة بغير تزوج ... وربى من ضيقى يكون مفرجا

ثم قالت وحق رب العباد الذى البسنى حلة الحداد وقضى علىّ بالفراق والبعاد لاكان ذلك الى يوم المعاد فقلت لها اذا لم تنعمى لى بالزواج وانا من هذا الامر فى ضيق وانزعاج فسألتك بحق اله شفى كل علة وابرد كل غلة الا ما تصدقتى على مملوكك بقبله فقالت لقد اقسمت على بقسم عظيم وحلفتنى باله كريم ثم ناحت وبكت لفرقة الاحباب وتاوهت تأوه المصاب وولعت بعود كانه كان معها فى التراب وقالت ان كان ولابد ياشاب فلعظيم اقسمك تكون القبلة من فوق النقاب فلما سمعت ذلك بادرت اليها وارميت كلبتى عليها ونهضت اليها نهضة العاشق اليها وقبلتها تقبيل الرجل المشغوف وانشدت

اقول

احباب قلبى انعموا بالخطاب ... ولا طفوا واغتنموا الثواب
وقد رضوا من بعد ما قد جفوا ... وراق لى وقتى وطاب العتاب
وانعموا الى بالوفا عاجلا ... بقبله قبلت فوق النقاب
وطالت الخلوة ما بيننا ... ونائب الهجران ولى وغاب

ثم قلت يا سيدتي بحق اله علام الغيوب وكاشف الكروب الا
ما وصلتني وصال محب لمحبوب فنظرت الي عند ذلك وقالت
يا شاب ان قلبي بالفراق مكسور وحالي معذور وتطلب مني أن
توقعني في محظور ويكون ذلك بين القبور وبيني عرضي معك
مهتوك غير مستور واعصي الاله الغفور فوالله لاكان ذلك
الى يوم النشور وانشدت تقول

اتطلب مني الوصل في جيرة القبر وتقصد هتكي في البرية مع ستري
وتقصدني المحظور ياصاح ترمني ليزداد اثمي والخطا يامع الوزر
وفي جيرة الاموات اعصى لخالقي فلا كان هذا القول او ينقضي عمري
وانسى عهود الله بيني وبينه ونحن توافينا الى ابد الدهر
قال فحصل لي عند ذلك الاياس وتزايد بي لنحوها القلق والوسواس
وتزايدت بي الحسرات وانهملت العبرات وقلت يا سيدتي بحق
اله يرى ولا يرى ومحرمة بني أسري به من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى لنحو خالقه سرى
وصلى وحج واعتمر وحل وحرم وتعبد في حرى الا ما قضيت لي
بالوصل وطرا فقالت والله لقد اقسمت علي بما يقسم الورى
والله لاكان هذا ولا جرى فان كان ولا بد فيكون من ورا قفا
استسمحت كلا منهما حتى اجبتها الى ما اختارت وأدرتها على جنبها
فاندارت وقمت افعل فيها ما اشارت ومهجتي من الفرح قد طارت
ففتحت عن مؤخر السراويل وكشفت وساوعت في الابلاج
وتركته ساعة طويلة بلا اخراج وانا في لذة وحبور وقد تلت
فرحا وسرور فلما قضيت الحاجه وزالت عني اللجاجه انشدت

تقول

قد واصلوني احبابي وما كسروا قلبي وبالوصل ما بيني الورى جبروا
تالله ما كان احلى وصلنا عجلا ونحن في لذة لم يعلها بشر
والواش عنا غفول والرقيب معا وسادتي عن محاسن وجهي سفروا
هذا هو العيش لو دام الزمان به لكن زماني هذا كله غير

فافهم لقولى واسمع يا أخانقه قولا بدى ما حكاه فالورى سمر
فقلت بعد ذلك لابد من معرفتها لافوز بقربها وصحبتها فقلت يا
سيدتى بحق اسماعيل الذبيح وبحق من جعل النار بردا وسلاما على
ابراهيم بعد ان كان فيها طريحا ونجا من اليهود المسيح الا ما
كشفتى لى عن وجهك الصبيح ومتعتينى بجمالك المليح لاكون
لك عارفا ولمحاسنك واصفا ولسائر اشغالك خادما وعلى بابك
لم أزل ملازما فمدت يدها بتكليف وكشفت عن وجهها الظريف
فاذا هو شيبة بيضاء قد فرشت سطرين وحكت بياض اللجين
فعلانى البكاء والنحيب والزفير واللهيب ووقعت فى غم عظيم
وحزن مضنى كظيم وقلت الهى بحرمة محمد ساكن طيبة لا تختم
بخير لهذه الشيبة وختها الله اعظم خيبة يا انحس الناس
وانجس من الوسواس الخناس هذه الشيبة التى لا يستحى الله
من عذابها ولا يبالى من اى باب من أبواب النار أتى بها ما حملك
أيها الشيخ المخوس على هذه الصوره وما ابلاك يا مأبون الى هذه
الضروره فقال لى يا قليل الادب يا من لم يزل من وراء حجاب
يا عديم الراى والتوفيق والصواب هكذا تصطاد الارباب
فعلمت انه شيخ جاهل ومختل ليس بعاقل وفهمت انه به مرضا
من الامراض يحتال به على غرض من الاغراض فتركته ودخلت
المدينة ومقلتى باكية حزينه فسألت ناسا من الاحباب
والاصدقاء والاصحاب عن هذا الشيخ القليل الميزه الذى ستر
وجهه وكشف طيزه فقيل لى هذا محتسب الجيزه فانصرفت
وانا متفكر فى هذه القضيه وشؤم هذه الرزيه ونسال الله
حسن الخاتمه بمحمد واله (حكى الراغب فى تذكرته) قيل أول
من ظهرت فيه الابنه العزيز صاحب يوسف الصديق عليه الصلاة
والسلام وكان ابو جهل مأبونا واذا أحزنه الداء القم دبره حجرا
ويقول واللات والعزى لاعلاك ذكر وكان جالينوس مأبونا ففعل
به غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وقام عنه فقال

جالينوس دعني والدجاج فما زال يصفه للمرضى حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة ودخل مطبخ على صديق له فرأى تحته غلاما وفوقه آخر فقال له ما هذا قال اللذة المضاعفة حكى صاحب النوادر ان امرأة من الفواجر علت فوق رجل وهو نائم على قفاه وادخلت ذكره في فرجها ثم ان رجلا آخر علاها وادخل ذكره في دبرها فصارا بينهما انخفاض وارتفاع وغير ذلك وهي تارة تلقم شفتها لمن هو تحتها وتارة تلفت وتلقم شفتها لمن هو فوقها واستمرت على هذا الحال الى ان تم العمل ثم انها سئلت عن ذلك فقالت هذا نكاح العاني وايضا اللذة للمحتاني والفوقاني وقيل لمابون لم لزمت هذا الغلام قال ان في ليره خمسة اشياء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل وقيل لمابون ان ابنك به ابنة فقال المفتاح لا يخرج من بين شيبه وقيل لمابون في شهر رمضان هذا شهر كساد فقال ابقى الله اليهود والنصارى وقال بعضهم

رأيته تحت عبد بات يرهزه ... فقلت ترضى بذا قحبة من رجل
وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم ... لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقال آخر

رأيت أبيض لون تحت أسوده ... والوجه منه يضاهي الشمس في الحمل
فقلت هذا عجيب قلت لا عجب ... لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقال آخر

يقول له المعشوق وهو بلوطه ... لعلك تحتي بعد ذاك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة ... اذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقال آخر

ولم انس علقا نكته وهو واسع ... طويل عريض المنكبين شخيف
فقال الخصي للايرنقعدها هنا ... فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وقد سمعت ان شخصا من ذوي الاعراض ابتلي بمرض الاينة فخشي ان يشاع عنه ذلك فيمتهن عند الناس فصنع له خشبة مثل الذكر وكان اذا اعتراه عليه المرض خلا بنفسه في بستان له داخل داره

ويحكم غلق أبوابه خوفا ان يطلع عليه أحد ويعالج نفسه بالخشبة الى
ان يغيب عن وجوده ولما يفيق يتضرع الى الله سبحانه وتعالى بالدعا
والابتهال فى ازالة هذا المرض وكان يعتريه فى كل شهر ما يزيد على اربع
مرات ومدة ابتلائه بهذا المرض وهو مصفر اللون متغير الوجه ثم انه
غفل يوما عن قفل باب البستان وكان متزوجا بابنة عمه وكلما يدخل
البستان ويغلقه يحصل لها منه تطير وتظن انه مختل باحد فدخلها
ما يدا خل النساء من الغيرة وكانت ترصده عند دخول البستان رجاء
أن تطلع على حاله فلم يتيسر لها ذلك فجاءت يوما فوجدت باب البستان
مفتوحا فدخلت فوجدت ابن عمها وهو ملقى على الارض منكب على وجهه
مكشوف العورة وقد نزع الخشبة من دبره وهو مغشى عليه فنظرت
الى دبره وقد خرجت منه دودة لها قرنان وهى تنفنف حول حلقة دبره
على ما خرج من العفونات فانتزعت الدودة من دبره فوجدتها نحو
الفتر وهو لا يشعر ثم انها وضعتها فى قطنة بداخل علبة صغيرة
فلما أفاق تضرع الى الله تعالى على معافاته من هذا المرض ثم مضى عليه
ثلاثة أشهر ولم يعتره شئ فحمد الله على ذلك وعمل مولدا فقالت له ابنة
عمه ما سبب هذا المولد فقال لها كان اعترانى مرض وازاله الله
فضحكت فقال لها ما سبب هذا الضحك فلم تنبئه فما زال يلح عليها
حتى أنبأته بالخبر وجاءت له بالعلبة التى بها الدودة واخرجتها من
القطنة فنظر اليها وقال جزاك الله خيرا فيما فعلت واحسن اليها
فسبحان من عافاه مما ابتلاه وقال بعض الحكماء الابنة مرض يذل
الله به الجبابرة وهو احتكاك فى المسربة من داخل يورث اكله
فلا تبرد على صاحبها الا بحك الذكر وتقطير المنى وقد ذكر العارف
بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى مختصره لتذكرة السويدى
يؤخذ الماء الذى نقع فيه السمك المملوح ويحقن به صاحب الابنة
عشرين يوما كل يوم مرة فانها تذهب وكذلك يؤخذ الشعر الذى
على الفخذ الايمن من الضبع الذكر والانثى ويحرق ويدهن برماده
صاحب الابنة يبرأ باذن الله تعالى وذكر الامام الاكمل جمال الدين

محمد فى رسالته الشهابية فى علم الطب أن هذا المرض قد يعترض لمن اعتاد باللواط واتيان النساء فى الدبر ويكون منيه كثيرا قليل الحركة وقلبه ضعيفا وانتشاره قليلا العلاج الضرب والحبس والاستهانة وايقاعه فى هموم وغموم ومحاكمات وان يستفرغ البلغم بمثل الفاريقون وشحم الحنظل وان شرب كل يوم وزن درهم من البسفايخ نفعه وكذلك من السورنجان وذكروا ان اكل قلب الديك مشويا ينفعه وكذلك الحمام واذا اكل من ورق الآس وزن درهم نفعه وكذلك اكل الثوم واذا تحمل بالصابون او شجر الخطمى نفعه فنسال الله العفو والعافية من هذه البلية رجعنا الى ما نحن بصدده من امر يزيد فانه اقام ثلاث سنوات وسبعة اشهر وتوفى فى رابع عشر ربيع الاول سنة اربع وستين وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدمشق

خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه

هو اول مولود ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من الهجرة بويع له بمكة سنة اربع وستين وخلع يزيد بن معاوية ولعنه واعابه بشرب الخمر ولعب الكلاب والفهود والغفلة عن الدين وكثرة العبيد وقتل الحسين وخلوا الحجاز من الاشراف وبايعه كثير من الامصار وقد اخترنا السكوت عما وقع لسيدنا عبد الله ابن الزبير فان واقعته مستفيضة والله يحكم بين العباد روى السهيلى فى كلامه على غزوة احد فى حديث مسند انه لما ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال هو هو فلما سمعت بذلك اسماء امسكت عن ارضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولربما هو كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه فاقام تسع سنين وقتل فى خلافة عبد الملك بن مروان على يد عامله الحجاج الثقفى فى سادس جمادى الآخرة بمكة سنة ثلاث وسبعين

خلافة معاوية بن يزيد المكنى بابى ليلى وكان رجلا

صالحا صعد المنبر وشهد ان عليا رضى الله عنه كان احق بالخلافة من جده وان الحسين رضى الله عنه كان أولى بها من ابيه ثم جلس طويلا وخطب خطبة بليغة تشتمل على الثناء على الله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا ثم قال صرت انا الثالث والساخط على اكثر من الراضى وما كنت لاتحمل آثامكم ولا برانى الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم والقاه بتبعاتكم فشانكم وامركم فخذوها ومن رضيتموه فولوه خلعت بيعتى من اعناقكم والسلام فاقام خليفة اربعين يوما ولما احتضر قالوا لم لا توصى بالخلافة فقال ماذقت حلاوتها لا بجرع مرارتها فتوفى بعد اربعين يوما وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة

خلافة مروان بن الحكم

ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وجرى بينه وبين نائبه ابن الزبير محاربة على المدينة المنورة بويع له بالشام سنة اربع وستين وملكه بمصر والشام حكى ان معاوية كتب اليه لما بلغه قتل عثمان وكان مروان اذذاك بالمدينة المنورة اذا قرأت كتابى هذا فكن كالفهد ولا يصادا الا بغلبة ولا يساور الا عن حيلة وكالثعلب لا يغلب الا روغانا واخش نفسك عنهم اخفه القنفذ عند لمس الاكف وابحث عن اخبارهم بحث الدجاجة عن حبة الدخن عند نفاسها فالحازم فى الحرب خير من الف فارس لان الفارس يقتل عشرة او عشرين والحازم يقتل جيشا كبيرا وقال علماء الترك ينبغى للقائد فى الحرب ان يكون فيه شئ من اخلاق البهائم والطيور شجاعة الديك وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلاب على الجراحة وحراسة الكركى وحذر الغراب وغارة الذئب وقيل الحزم ابلغ من النجدة فاقام مروان عشرة شهور وكان

سنه ستا وثمانين سنة وقتلته زوجته بان وضعت على وجهه مخدة محشوة ريشا فمات وخلف احد عشر رجلا

خلافة عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات أبوه قبل قتل عبد الله بن الزبير وكان من دهاة العالم واحزمهم رأيا حتى قيل كل والد ولد ولدا الا مروان فانه ولد والدا يرشد الى هذا تشعب البلاد عليه فى اول امره واستيلاء القائمين على غالب ملكه حتى على مقر مملكته دمشق وانتظامها بعد ذلك فى اتم سلك ودخولها بعد الخروج فى أحرز ملك واعظم ملك لكن كان له ظلم فى بداءة أمره واجحاف فى سره وجهره حكى فى سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فكان فيما حدثه ان قال له يا أمير المؤمنين بالبصرة بومه وبالموصل بومه فخطبت بومة الموصل لابنها بنت بومة البصرة فقالت بومة البصرة لا افعل الا ان تجعل لى صداقها ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله تعالى سنة واحدة صيرت لك ذلك فاستيقظ عبد الملك وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة ومما نقل من كتاب مفاكهة الظرفاء ان ملك الروم أرسل الى عبد الملك يطلب منهم عالما من علمائهم يسأله عن مسائل فارسل له الشعبى فلما وصل الى ملك الروم سأله عن أشياء قال له بلغنا ان الملائكة يسجدون الليل والنهار لا يفترون أعكن مخلوق لا يغفل فقال الشعبى منهم كمثل النفس يصعد وينزل وانت تتكلم وتاكل وتشرب قال صدقت فقال له وبلغنا ان أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون كيف ذلك قال كالجنين فى بطن أمه يأكل ويشرب ولو تغوط داخل البيضة لاحترق قال صدقت قال وبلغنا ان نعيم الجنة لا ينقص كالانفاق كيف ذلك قال كالسراج نقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص

قال صدقت فانعم عليه وكتب الى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا تجعلون رسولكم خليفة فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم قال يا شعبي انظر ما قال عنك قال يا امير المؤمنين ما رآك ولو رآك لاستصغر مني ما استكبر ولا استحقر مني ما استعظم قال لله دركم اعطاك قال الفان الفين قال له لم قلت أولا الفين قال لما لحن امير المؤمنين تابعته في اللحن ثم لما اعرب تابعته في الاعراب ولا يحسن ان اعرب وقد لحن امير المؤمنين فاعجبه ذلك وقال املؤا فاه جوهرا فملؤه ثم قال هذا يذخر ولا ينفق فامر له بثلاثين الف درهم وثياب فاخرة فاخذها وانصرف وروى ابو العز احمد بن عبد الله المسلمي فيما قرأ على استاذه وقال اروعني انبأ فلان عن فلان عن ابي حاتم العتبي قال لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم فقال اوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية وهي احصن كهف وازين حلية لينعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجمع الامور واياكم والفرقة والخلاف فيها هلك الاولون وذل ذوو العز المعظمون انظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه بابكم الذي منه تعبرون وبحبكم الذي يستجنون وكرموا الحجاج فانه وطأ لكم المنابر واثبت لكم الملك وكونوا بني ام برذة والادبت بينكم العقارب كونوا في الحرب احرارا وللمعروف منارا واحلوا في مراره ولينوا في شدة وضعوا الذخائر عند ذوي الاحساب والالباب فانهم صون لاحسابكم واشكر لما يسدى اليهم ثم اقبل على ابنه الوليد فقال لا الفينك اذا مت تعصر عينيك ونحن حنين الامة ولكن شمروا تزروا والبس جلد نمر ودلني في حفرتي وخلني وشاني وعليك وشانك ثم ادع الناس الى البيعة فمن قال هكذا فقل بالسيف هكذا ثم ارسل الى عبد الله بن زيد بن معاوية وخالد بن اسيد فقال هل تدريان لما بعثت اليكما قالا

نعم لترينا آثار عافية الله اياك قال لا ولكن حضر من الأمر ما تريان فهل في انفسكما من بيعة الوليد قالا لا والله ما نرى احدا احق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين قال اولى لكما أما والله لو غير ذلك قلتما لضربت الذي فيه عيناكما ثم رفع رأسه فاذا السيف مشهور ثم قال مسلمة اياكم والضجاج فانكم ان صلحتم صلح الناس وان فسدتم كان الفساد أسرع وقال

لقد افسد الموت الحياة وقد اتى ... على شخصه يوم علي عصيب
فان تكن الايام أحسن مدة ... الي فقد عادت لهن ذنوب
أتى بعد حلو العيش حتى امرّه ... فكرت على آثارهن كروب

فقال سليمان مات والله أمير المؤمنين فكانت مدة تصرف عبد الملك بن مروان احدى وعشرين سنة ومات سنة ستة وثمانين وتولى وسنه ستون سنة ومما يحكى ان ملكا من ملوك النصارى أرسل راهبا من علماء ملته لمناظرة علماء المسلمين وكان ابو حنيفة اذ ذاك صغيرا فلما جاء الراهب الى علماء المسلمين واجتمعوا بهم في المسجد الجامع وفي المنبر ليسألهم عن مسائل فقام ابو حنيفة من بين العلماء أسائل أنت أم مسؤول فقال سائل فقال انزل مكانك الارض ومكاني المنبر فصعد ابو حنيفة المنبر وقال سل ما شئت قال الراهب ماذا قبل الله قال ابو حنيفة أنت تعرف العدد قال نعم قال ماذا قبل الواحد قال لا شئ قبله قال اذا كان الواحد الفاني لا شئ قبله فالله سبحانه وتعالى لا شئ قبله ثم قال في أي جهة يكون وجه الله قال اذا اوقدت السراج ففي أي جهة يكون وجهه قال ذاك نور يملأ البيت وليس له جهة قال اذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربي جل وعلا ملأ كل شئ قال بما ذا يشتغل الله قال اذا كان عالم موحد مثلي رفعه واذا كان كافر مثلك وضعه كل يوم هو في شأن فخرس الراهب وتوجه مخزيا عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كل يوم هو في شان قال من شانه أن

يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين ذكر البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى كل يوم هو في شان يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وقيل ولد الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان رضي الله عنه سنة ثمانين من الهجرة ومات ببغداد سنة خمسين ومائة فعمره سبعون سنة وولد الامام مالك بن انس رضي الله عنه سنة اربع وتسعين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة فعمره خمس وثمانون سنة وولد الامام الشافعي رضي الله عنه سنة خمسين ومائة ودفن بمصر المحروسة سنة اربع ومائتين فعمره اربع وخمسون سنة وولد الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه سنة اربع وستين ومائة ودفن ببغداد سنة احدى واربعين ومائتين فعمره سبعة وسبعون سنة والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات ابوه سنة ست وثمانين بعهد من ابيه ثم انه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال انا لله وانا اليه راجعون يا لها من مصيبة ما اعظمها واجسمها واعمها واوجعها موت امير المؤمنين ويا لها نعمة ما اعظمها واجسمها واوجب الشكر لله على بها خلافته التي سربلنيها فكان اول من غزى نفسه وهنأها بالخلافة فلما بايعه الناس جلس مجلس عبد الملك وجمع اهل بيته ثم قال

انفوا الضغائن والتحاسد بينكم	عند المغيب وفي حضور المشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم	ان مت في عمري وان لم يمدد
فلمثل هذا الدهر الف بينكم	بتواصل وتراحم وتودد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم	لمسود فيكم وغير مسود

وان الوليد المذكور هو الذي عمر الجامع الذي بدمشق المعروف

بجامع بني أمية (حدث) ابراهيم بن هشام أنه قال حدثني ابي عن جدي
قال قال عبد الملك لروح بن زنباع يا ابا زرعة قد غلبني الوليد بالبنين
وساء ظهر العشيرة كاتبه فاسألني عنها فلما اذن العشا اظهر كاتبه
وعنده الوليد وسليمان فقال له روح ما هذه الكاتبة يا امير المؤمنين
لا يسوءك الله ولا يريك مكروها قال ذكرت ما في عنقي من هذه الأمة
والى اين أصير امرها بعدي فقال روح يغفر الله لك يا أمير المؤمنين
فأين انت من الوليد سيد شباب العرب فقال يا ابا زرعة لا ينبغي ان
يلي العرب الا من يتكلم بكلامها فقام الوليد ودخل منزله وجمع
أصحاب النحو فاقام ستة اشهر معهم وخرج وهو أجهل بالنحو
يوم دخل ذكر شيخ الاسلام العلامة عمر بن الوردي في خريدته
ان جملة ما انفق على عمارة الجامع الذي عمره الوليد بدمشق
مائة الف صندوق من الذهب وفي كل صندوق أربعة عشر الف دينار
واجتمع في ترخيمه اثنا عشر الف مرخم وبني بانواع الفصوص المحكمة
والمرمر المصقول ويقال ان العامودين اللذين تحت القبة اشتراهما
الوليد بالف وخمسمائة دينار ويقال ان رخام الجامع المذكور كان
معجونا ولذا اذا وضع على النار ذاب وفي المحراب عمودان صغيران
يقال انهما كانا في عرش بلقيس ومنارة الجامع الشرقية يقال
ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل عليها وعندها حجر يقال
انه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ذكر صاحب سراج الملوك قال
خرج الوليد بن عبد الملك من باب الجامع الصغير فوجد رجلا عند
الحائط تحت المأذنة الشرقية وهو يأكل الخبز بالتراب فوقف على
رأسه وقال له ما شأنك ايها الرجل حتى انفردت عن الناس فقال
اجبت العزلة قال وما حملك على اكل الخبز بالتراب قال في ذلك قنع
فلما رجع الوليد الى منزله أمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال
اصدقني بالحق والا ضربت عنقك فقال الرجل يا أمير المؤمنين كان
أصلي رجلا جملا ومعي ثلاثة من الجمال حملتها غلالا فاتيت الى

خربة بالشام فقعدت لابول فرأيت البول ينصب فى شق فانبعثت حتى انكشف فاذا هى حفيرة فنزلت فيها فرأيت بها مالا مسكوبا فاخذت رواحلى وأفرغت ماكان عليها من الغلال وملأت الزكائب من ذلك المال وغطيت المكان الذى فيه الذهب كما كان فلما سرت قليلا وجدت معى مخلاة فقلت ارجع الى ذلك المكان واملأها من الذهب فجئت الى ذلك الموضع فخفى عنى فرجعت الى الجمال فلم أجدها فى المكان الذى تركتها فيه فتاسفت على ذلك المال وآليت على نفسى اذ لا اكل الخبز الا بالتراب وروى ان الجمال التى كانت عليها الذهب اتت الى بعض عمال الوليد وانا خت بما فيها واحضرها الى الوليد وكان هذا سببا لعمارة الجامع وقيل ان الوليد توعك فبلغه ان اخاه سليمان شحت فيه فكتب اليه يقول

تمنى رجال ان أموت فان أمت ... فتلك طريق لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم ... لئن مت ما من شامت بمخلد
منيته تجرى لوقت وحتفه ... سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذى يبقى خلافا لذى مضى ... تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

فكتب اليه فهمت ماكتبت يا أمير المؤمنين فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأميلا لم لا يخطر فى النفس انتى لاول لاحق به ومنعى الى أهله فعلى ما اتمنى زوال ملك لا يليث من تمناه ولقد بلغ امير المؤمنين مالم يخطر على لسانى ولم يره وجهى ومن يسمع من اهل النميمة يوشك ان يسرع فى فساد النيات ويقطع ذوى الارحام وكتب فى آخره

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد فهمت كتابك وأنت الصادق فى المقال الكامل الفعال فما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا ابعد منك من الشئ الذى قيل فيك والسلام وحكى ان شخصا بلغه عن شخص انه انتقصه وعابه فكتب اليه الحمد لعلام الغيوب المنزه عن النقائص والعيوب والصلاة على من يشفع فى فضل المقتفا

ويحالق الناس باخلاق الرضا سيد من اذا قوبلوا بالسيئة أحسنوا
ومن شرعه ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وحق من اوتي الرسالة
لم يصدر عني شئ مما كتبتم في هذه المجالة اذ ليس من الانسانية ولا
من المعقول أن يخطر ببال عاقل ما ذكرتم فضلا عن أن يقول
وليس من سجايا الاذكياء اعتقاد السوء بكلام الاشقياء وليس
من شأن الكرام المبالغة بالأذاء بمثل هذا الكلام ولكن التحمل
يورث التجمل كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وان كنت مظلوما فقل انا ظالم

والله معلم على القلوب علام الشهادة والغيوب ولكن
صبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي معنى ذلك قال
أمير المؤمنين القائم بامر الله شعر

جمعت لدى من الغرام عجائب خلفن قلبي في اسار موحش
خل يصد وعاذل متنصح ومعاند يؤذي ونمام يشي

وقال أيضا ابن عطية

لا تسمعن من الحسود نميمة فكلامه ضرب من الهذيان
ان كان قد اوحى اليك تحرضا فالناس قد كذبوا على الرحمن
سل غيره عني لتعلم افكه واسخط عليه فبالمحال رماني
لا يثبت الحق المبين لحاكم في الشرع حتى ينطق الخصمان

ومن نكت صاحب الجريدة لطيفة لا باس بذكرها وان كانت
خارجة عن المقصود وهي انه كان له أخ يدعى أحمد وكانا يتناوبان
القضاء من جانب القاضي محمد بن النقيب فجاءت نوبة الشيخ عمر
واحمد مستتر فكتب الشيخ عمر للقاضي محمد بن النقيب حملتني
حملتني واخي بتاريخ البلا وجعلتنا ضدين مختلفين
يا حي عالم عصره وزمانه فلك التصرف في دم الاخوين

فكتب اليه جوابا

أيا عمر استعذ لغير هذا فاحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل فاحمد فيه معرفة ووزن

ثم ان الشيخ عمر الوردى رأى منامًا أزعجه وهاله وعوتب فيه على ولاية القضا فلما اصبح جاء الى القاضى محمد بن النقيب وحلف ايمانا مغلظة ما بقى يلى القضاء مطلقا وأنشد يقول

خلعت ثوب القضا عمدًا ولم اكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضا عنى يكون لى الجاه بالعلوم

حدث عبد الصمد بن معقل قال قيل لوهب بن منبه يا ابا عبد الله كنت ترى الرؤيا تحدثنا بها فما تلبث أن نراها كما رأيت قال هيهات ذهب ذلك عنى مذ وليت القضا وانه تولى القضاء فى زمن عمر بن عبد العزيز وقال البهاء زهير شعر

حبيبى ما هذا الجفا الذى ارى وابن التقاضى بيننا والتعاطف
لقد نقل الواشون عنى باطلا وملت لما قالوا فزادوا واسرفوا
وقد كان قول الناس فالناس قبلها فكذبت يعقوب وسرق يوسف
بعيشك قل لى ما الذى صنعته فانك تدرى ما اقول وتنصف
فان كان قولا صح انى قلته فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب انه قول من الله منزل فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وها أنا والواشى وأنت جميعنا يكون لنا يوم عظيم وموقف

واقام الوليد فى الخلافة تسع سنين وثمانية اشهر وتوفى فى نصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسنة ثمان واربعون سنة ودفن بدمشق روى عن يزيد بن مهلب انه قال لما ولانى سليمان ابن عبد الملك العراق وخراسان وودعنى عمر بن عبد العزيز وقال لى يا يزيد اتق الله فانى كنت وضعت الوليد فى لحده فاذا هو بركض فى اكفانه وفى رواية قال عمر بن عبد العزيز لما تناولناه من السرير ووقع على ايدينا اضطرب فى اكفانه فقال ابنه ألبى الى قال قلت ويحك ان اباك ليس بنبى ولكنكم تلقون اثرى وصلى عليه عمر بن عبد العزيز لما كان ابنه سليمان غائبا ببيت المقدس

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات أخوه قيل دخل أبو حازم عليه بعد ما استخلف وكان
ابو حازم من أهل الزهد فقال يا أبا حازم مالنا نكره الموت قال لانكم
عمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم وتكرهون النقلة من العمران الى الخراب
قال اخبرني كيف القدوم على الله فقال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب
أتى الى أهله فرحا مسرورا وأما المسئ فكعبد آبق اتى مولاه خائفا
محزونا ان شاء رحمه وان شاء عذبه فبكى امير المومنين بكاء شديدا
فقال رجل من جلسائه أسأت الى أمير المؤمنين فقال له ابو حازم
اسكت فان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننّ للناس العلم ولا يكتمونه
ثم خرج فلما وصل الى منزله بعث اليه مالا فرده وقال للرسول قل له
والله يا امير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي وانشد
في المعنى شعر

منازل دنياك شيدتها ... وأخربت دارك في الآخره
فاصبحت ترغب في ذي الخراب ... وتفزع عن هذه العامره
فلو كنت شيدت دار البقا ... ولم ترض بالصفقة الخاسره
لسارعت سرعة من قد نجا ... وسرت الى العترة الطاهره

وذكر صاحب السكردان انه في ايام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب
من ابن هبيرة ان بخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء
ودوي كالرعد القاصف أسقط منه الحوامل فنظروا فاذا قد
انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزلت اشخاص رؤسهم في السماء وارجلهم
في الارض وقائل يقول يا اهل الارض اعتبروا يا اهل السماء هذا صفوان
الملك عصى الله فعذب به فلما طلع النهار جاء الناس الى ذلك الموضع فوجدوا
خسفا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود كل ذلك مثبوت
على يد قاضي بخارى بار بعين عدلا روى عن زكريا التميمي انه قال
بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتى بحجر منقور فأتى بوهب
ابن منبه فقرأه فاذا فيه ابن آدم لو أنك رأيت قرب ما بقي من اجلك
لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة في عملك ولقصرت عن
حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو زلت بك قدمك

وأسلمك أهلك وحشمك فبان عنك الولد. ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة وذكر ان سليمان بن عبد الملك كان شرها فى أكله فلما حج فى سنة سبع وتسعين توجه الى الطائف تطلبا للرطوبة فاتاه بعض العرب برمان من رمان الطايف فاكل منه مائة وسبعين رمانة ثم اتوه بزبيب فاكل منه سبعين ثم قال اطعمونا خرفان الطائف فاتوه باربعة وثمانين خاروفا مشوية فاكل من كل خاروف جماجمه وكليته حتى اتى على آخرها ثم قعد على البساط واكل مع الناس على عادته فاقام سنتين وثمانية اشهر وتوفى فى صفر سنة تسع وتسعين وستة خمس واربعون سنة

خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

هو الاشج الذى ورد فى حقه الحديث الشريف الناقص والاشج اعدلا بنى أمية وسبب شجه ان أتانا رفسته فصار ابوه يمسح له الدم ويقول ان كنت اشج بنى امية انك لسعيد فكان كذلك وكان اماما عادلا فقيها محدثا روى عن اجلة من العلماء وروى عنه أجلة بويع له يوم مات ابن عمه سليمان ومما يحكى ان المنصور قال لعمر بن عبيد عظنى قال بما رايت او بما سمعت قال بل عظنى بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز فخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع لقبره بدينارين وأصاب كل واحد من اولاده ثمانية عشر قيراطا من دينار ومات هشام بن عبد الملك فخلف احد عشر ابنا واصاب كل واحد من اولاده الف دينار فرأيت رجلا من ولد عمر قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من اولاد هشام يسأل التصدق

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويعديهم داء الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه ... ويحفظ بعد الموت فى المال والولد

وفى المعنى

وفي المعنى أيضا

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعوب له ... والانس والجن في حاجاته ترد
اين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من وردة يوما كما وردوا

وهذه الابيات من جملة أبيات لورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن مالك القرشي الاسدي

واول الابيات

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدون الها غير خالقكم ... فان دعيتم فقولوا ربنا احد
سبحان ذي العرش سبحانا يعادله ... رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعادله ... وقبل سبحته الجودي والجمد
مسخر كل من تحت السماء له ... لا ينبغي ان يساوي ملكه احد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الاله ويفنى المال والولد

وروى ان ورقة قد كره عبادة الاوثان وطلب الدين في الآفاق وقرا الكتب وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما اراه الا نبي هذه الامة الذي بشر به موسى وعيسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ورقة فاني رأيته في ثياب بيض وروى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى اتت ورقة بن نوفل وهو عم خديجة أخو ابيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي عم اسمع من ابن اخيك قال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فاخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا

اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم
قال ورقة نعم لم يات رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني
يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وروى
عن هشام بن عروة عن أبيه ان خديجة بنت خويلد كانت تأتي ورقة
بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يأتيه فيقول ورقة
لئن كان ما يقول حقا انه ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى الذي
يخبر به أهل الكتاب ولئن نطق وأنا حي لأبلين لله فيه بلاء حسنا
وروى ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا الى الشام يلتمسان
الدين فاتيا على راهب فسألاه فقال ان الذي تطلبان لم يجئ
بعد وهذا زمانه وانه نبي هذه الأمة الذي يخرج من قبل تيماء
فرجعا وروى عن جابر بن عبد الله انه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن ابي طالب هل تنفعه نبوتك قال نعم اخرجته من غمرة جهنم
الى ضحضاح فيها وسئل عن خديجة أنها ماتت قبل الفرائض واحكام
القرآن فقال ابصرتها في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا
نصب وسئل عن ورقة بن نوفل فقال ابصرته بطنان في الجنة
عليه السندس وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث أمة
واحدة وقيل انه ارتفع غيم في ايام خلافة عمر بن عبد العزيز فوقع
مع المطر بردة عظيمة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب
هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار هنيئا له
وأقام سنتين وخمسة أشهر وتوفي في رجب سنة احدى ومائة
وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره
يزار

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات عمر بن عبد العزيز فاقام اربع سنين وشهرين
وتوفي بحوران في شهر شعبان سنة خمس ومائة وسنه تسع وثلاثون
سنة ودفن بدمشق وكان عادلا مشهورا آمرا بالمعروف ناهيا
عن المنكر ونقص الجيش من ارزاقهم فسمي الناقص وهو عمر بن عبد

العزيز

العزيز اعدلا بني امية والله اعلم

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات أخوه وسنه خمس وثلاثون سنة قيل بينما هو في صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب وأرمته الى صبي اعرابي يرعى غنما فقال هشام يا صبي دونك هذا الظبي فانزفاتني فرفع رأسه اليه وقال له يا جاهلا بقدر الاخيار لقد نظرت الي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك ما تعرفني فقال قد عرفتك بلؤم سؤادبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابي لا قرب الله دارك ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك وأقل اكرامك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام فاتي به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وابناء الدولة فلم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع عن الكلام فقال له بعض الخدم يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال والله يا هشام لئن لم يكن في المدة تقصير وكان في الاجل تاخير لاضرني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من محلك ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لا قيت الجدل ولأمك الويل والهبل أما سمعت ما قال

الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام مما لا يخطر على الاوهام فأخذ الصبي وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف يا أمير المؤمنين عبدك المذل بنفسه المتقلب في رمسه اضرب عنقه وانا برئ من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فأذن له ثم استأذن ثالثا فهم هشام أن يأذن فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام تعجبا وقال يا صبي اظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا وانت تضحك هزؤا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في العمر تاخير لاضرنك من كلامك قليل ولا كثير ولكن ابيات حضرت الساعة فاسمعها فان قتلت لا يفوت وان كثرت الصموت فقال هشام هاتها وجز فقال

نبئت ان الباز علق مرة ... عصفورا برساقه المقدور
فتكلم العصفور في اظفاره ... والباز منهمك عليه يطير
ما في ما يغني لمثلك شبعة ... ولئن اكلت فانني لحقير
فتبسم الباز المغر بنفسه ... عجبا وافلت ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ في اول وقت من اوقاته وطلب ما دون الخلافة لاعطيته يا خادم احش فاه جوهرا واحسن جائزته وامضى الى حال سبيله ومما يناسب ذلك ما وقع لخالد بن جلوية فانه لما كان على بن طاهر احد قواد المأمون عند محاصرته بغداد فاحتاج الى مال يصرفه فكتب الى المأمون يطلب منه ما لا يصرفه فكتب الى خالد بان يعطيه ما يحتاج اليه فامتنع خالد من ذلك فلما اخذ على بن طاهر بغداد احضر خالدا وقال له لا قتلنك اشنع قتلة فبذل له من المال شيئا كثيرا فلم يقبله فقال خالد قد قيل شئ فاسمعه ثم شأنك وما أردت فقال على بن طاهر هات فقال

نبئت ان الباز علق مرة ... عصفورا برساقه المقدور

الى آخر الأبيات المتقدم ذكرها وكان علي بن طاهر يعجبه الشعر فقال أحسنت وعفا عنه وما احسن ما قيل في الاعتراف بالذنب وطلب العفو قول ابن زيدون في رسالته

ان لا يكن ذنب فعفوك واسع او كان لي ذنب ففضلك اوسع

وقال أيضا

تلمست هل من شافع لي فلم اجد سوى رحمة اعطاكها الله تشفع
لئن حلت الاجرام مني وافظعت لعفوك من جرمي اجل واوسع

وقال

لا شيء اعظم من ذنبي سوى املي في حسن صفحك عن جرمي وعن زللي
فان يكن ذا وذا في القدر قد عظما فانت اعظم من ذنبي ومن املي

واقام هشام في الخلافة تسع عشرة سنة وتوفي بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة وكان وكلاء الوليد قد ختموا خزائن هشام وبيوت أمواله فلم يوجد له كفن فكفنه خادم له وهكذا حال الدنيا

خلافة الوليد بن يزيد

بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام في ربيع الآخر في عشر ليال خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وسنه اثنان واربعون سنة بعهد من أبيه وكان متعديا للحدود مستخفا بالقرآن والحديث ومما يحكى عنه ان له في الخلاعة والمجون وسخافة الدين ونظم الشعر المتضمن لركيك ضلاله وكفره ما يطول ذكره من ذلك ماذكره المعافا بن زكريا ان الوليد نظر الى جارية نصرانية يقال لها شقرا فجن بها وجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغها ان عيد النصارى قد قرب وأنها ستخرج فيه وكان في موضع للعيد بستان حسن وكان النساء يدخلنه فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر النصرانية فوافقه وحضر الوليد وغير حليته ودخلت النصرانية البستان فجعلت تمشي حتى انتهت الى الوليد فقالت لصاحب البستان من هذا فقال رجل مصاب فجعلت تمازحه وتضاحكه

حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها فقال لها صاحب البستان
ويلك تدرين من ذلك الرجل فقالت لا فقال لها انه الوليد وانما
غير حليته حتى ينظر اليك وكانت بعد ذلك احرصت على الاجتماع به
وله معها مجالس مشهورة وأسمار مسطورة وله فيها من الاشعار
ما يجاوز حد العشق والغرام فمن ذلك قوله في ذلك

اضحى فؤادك ياوليد عميدا صبا قديما للحسان صبودا
من حب واضحة العوارض طفلة برزت لنا نحو الكنيس عيودا
ماذلت ارمقها بعيني وامق حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من اراه منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربي ان اكون مكانه واكون في لهب الجحيم وقودا

قال الراوي لذلك لم يدرك مدرك الشيباني هذه الخلاعة اذ قال في عمر والنصرانية

يالبتني كنت له صليبا فكنت منه ابدا قريبا
ابصر حسنا واشم طيبا لا واشيا اخشى ولا رقيبا

فلما ظهر امر الوليد وعلمه الناس قال

الاحبذا شعري وان قيل اني ولعت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علي ان تظل نهارها الى الليل لا اولي تصلي ولا عصرا

وروى عن زينب بنت ام سلمة قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم
وعندنا غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا ام سلمة
قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا
غيروا اسمه فانه سيكون في هذه الامة فرعون يقال له الوليد
وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال ولد لاخي ام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى
الله عليه وسلم سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل
يقال له الوليد هو أشد لهذه الامة من فرعون موسى لقومه ولما
تعدى الوليد الحدود وحوصر في قصره فاراد استعطاف خواطر الجند
المحاصرين له فلم يقبلوا اعتذاره فجلس وأخذ مصحفا وقال يوم كيوم

عثمان ونشر المصحف يقرأ فنزلوا وقتلوه فى شهر جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت مدة تصرفه سنة وشهرين وعشرين يوما

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم قتل ابن عمه الوليد فقام خمسة اشهر وتوفى فى سنة ست وعشرين ومائة وسنه اربعون سنة والله اعلم

خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

بويع له يوم مات اخوه فى ذى الحجة فاقام سبعين يوما وخلع نفسه فى سنة سبع وعشرين ومائة ومات سنة اثنين وثلاثين ومائة

خلافة مروان المعروف بالحمار

وسمى بالحمار لان الذى يتولى بعد مضى قرن يقال له الحمار وقيل سمى هذا الاسم لصبره على الحرب وهو ابن مروان الاول بويع له يوم خلع ابراهيم فاقام ست سنين وشهرا الى ان قتل بناحية ابوصير من قرى مصر المحروسة فى ثالث شهر الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بنى أمية وبموته انقرضت دولة بنى امية كما انقرض من قبلها من الدول ولله العزة والبقاء

الباب الثالث فى الدولة العباسية

وكانوا بالعراق وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم فى العراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم سبعة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمس وتسعمائة وكنا نظن بقاءها فيهم الى ان يسلموها للمهدى آخر الزمان

أولهم أبو العباس السفاح

واسمه عبد الله بن محمد بن على بن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس بن عم

النبي صلى الله عليه وسلم بويع له رابع عشر ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنوات وثمانية اشهر وسنه اثنان وثمانون سنة وتوفي في المحرم سنة ست وثلاثين ومائة

خلافة ابي جعفر المنصور

بويع له يوم مات اخوه وسنه ثلاث وستون سنة وهو الذي بنا بغداد سنة اربعين ومائة ونزل بها في سنة ست واربعين وفي سنة تسع واربعين تم بناءها وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطئ دجلة فالاولى بالجانب الشرقي بالرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين والثانية مشهد ابي حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون الف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار القز يقال ان المنصور سال راهبا كان في صومعة عن مكان بغداد عندما اراد ان يختطها قال اريد ان ابني هنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له ابو الدوانيق فضحك وقال انا هو وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوانيق فسمي الدوانيقي وقد ورد ان ابا جعفر المنصور بنى اربع مدن على اربع طوالع لا يخربون ابدا الا بخراب الدنيا المدينة الاولى المنصورة وهي مدينة طولها ميل في ميل وبها خلق كثير وبحار وليس فيها الا النخل والقصب وهي مدينة حارة جدا والثانية المصيصة على بحر بن الثالثة بارض الحدثين والرابعة بغداد ذكر الشيخ عمر الوردي في خريدة ان بغداد في الجانب الغربي على الدجلة انفق عليها المنصور اموالا عظيمة ونقل ابواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة وجعل دورها اثني عشر الف قصبة وبنى بها قصرا عظيما بوسطها

وبنى المهدى قصرا مقابلها فى الجهة الاخرى وبينهما نهر الدجلة به جسر من السفن ويقال ان حمامها حصرت فى وقت من الاوقات فكانت ستين الف حمام قال الطيرى فى تاريخه كان بها ستون الف حمام يحتاج على الاقل الى ست نفر ومثله ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلثمائة الف رطل صابون وعن المشاع ان بغداد كانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وارباب الصنائع الظريفة النفيسة والآن غالبها خراب وقد تغيرت اوضاعها وخلت من العلماء والافاضل بقاعها وقد اخبرنى من اثق به من افاضل الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر المسائل الفقهية بل ولا غيرها من غالب العلوم والله يفعل ما يشاء وذكر انه لما نبت بغداد بالقاضى عبد الوهاب المالكى خرج منها طالبا مصر فشيعه من اكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتكفل له بذلك ومن شعره

بغداد دار لاهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
اقمت فيها مضاعا بين ساكنها ... كاننى مصحف فى بيت زنديق

شعر فى المعنى

ياواقفا بين الفرات ودجلة ... عطشان يطلب شربة من ماء
ان البلاد كثيرة انهارها ... وسحابها فعزيزة الانواء
ما ضاقت الدنيا ولا عدم الثرى ... فيها ولا ضاقت على العلماء
ارض بارض والذى خلق الورى ... قد قسم الارزاق فى الاحياء

وقال ايضا

مالى لا ارغب عن منزل ... يكثر فيه الدهر حسادى
ما الرزق فى الكرخ مقيم ولا ... طوق العلى فى جيد بغداد

ذكر القاضى البيضاوى فى تفسيره فى سورة الفرقان عند قوله تعالى يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا اى بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يشاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة معلقا به يقول يارب هذا

اتخذني مهجورا أقول ابن اهل بغداد وشحهم وجبنهم وقلة مروءتهم
من أهل مصر فانه ذكر ان القاضي عبد الوهاب لما قدم مصر تلقاه
اكابرها وفضلاؤها بالبشر والكرامة والترحيب وانزلوه في
احسن البيوت وأهدوا اليه الهدايا الوافرة والارزاق المتكاثرة
وصار عندهم عزيزا فجزاهم الله تعالى خيرا عن مروآتهم وقد شاهدنا
ذلك في كثير ممن ورد عليهم من العلماء ومما يحكى ان خالدا ابا
يحيى البرمكي كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله
ويدنيه مجلسه ويصفي لمصاحبته فدخل في بعض الايام وفي يده
خاتم به فص من السموم القتالة واراد ان يجلس على عادته فرأى فيه
زأرة عظيمة مزعجة ومنعه من الجلوس فقال ما السبب يا امير
المؤمنين فقال له تدخل علي بالسم القاتل فقال يا امير المؤمنين
جال في صدري شئ كان سببا لحمل الفص القتال وهو اني خشيت
من بعض الحسدة يدسون عليكم دسيسة من قبلي فربما يكون فيها
الهلاك والتشنيع فاذا حصل ذلك والعياذ بالله تعالى لعق الفص
واستريح من التمثيل فاستحسن ذلك منه واجلسه على عادته
فلما سكن روعه قال يا امير المؤمنين بالله عليك بماذا عرفت ان معي
سما فقال له ان في عضدي دملجا اذا دخل علي احد بسم يتحرك
الدملج فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجائب روي ان رجلا من
أهل الشام قال للمنصور يا امير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه
ومن عفى فقد تفضل ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله
وكظم الغيظ حلم والتشفي طرف من العجز وقال زياد تأخير جزاء
المحسن لؤم وتعجيل عقوبته دناءة والتثبت في العقوبة ربما
ادى الى سلامة منها وتأخر الاحسان ربما ادى الى ندم لم يمكن
صاحبه ان يتلافاه ومما يحكى ان المنصور أمر وزيره ان يأتيه برجل
لا يسأله عن شئ الا ويحسن الجواب ولا يبتدي بسؤال فاتاه
برجل وقال يا امير المؤمنين هذا ما أردت فرفع منزلته وادناه
وجعله نصب عينيه فمكث عنده مدة لا يسأله عن شئ الا ويحسن

الجواب ولا يبتدئ بسؤال قط فعظم عنده فامر يوما وزيره ان يدفع
اليه جائزة فما طله وحدث بعد ذلك سفر المنصور فخرج الرجل لوداعه
فلما اذن له بالرجوع راحة له قال يا امير المؤمنين هذه دار من واشار
الى جهة فاستدعى المنصور الوزير وقال ادفع اليه ما امرت له به من
الجائزة فقبضها ومضى فقال الوزير يا امير المؤمنين من اين علمت
انى لم ادفع اليه فقال اشار الى قول الشاعر

يا دار عاتكة التى اتغزل حذار العداوبه الفؤاد موكل

واراك تفعل ما تقول وبعضهم ملق الحديث يقول ما لا يفعل

وحكى الربيع بن المفضل قال كنت عند المنصور وعنده جماعة من اعمامه
فقالوا له محمد بن مروان فى سجنك فان اردت ان ترسل اليه وتسأله
عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة فبعث اليه وفض عنه الحديد
وقال حدثنى بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة فقال يا امير المؤمنين
كنا قوما ملوكا فلما انقضت بنا المدة امرت بالمتاع فصير فى مركب
فاعتل بنا الموج شهرا ثم صرت الى جزيرة النوبة فامرت بالمضارب
فضربت فأقبل اهل النوبة ينظرون الى متاعنا ويتعجبون من حسنه
واقبل ملك النوبة فاذا هو رجل طويل اصلع حاف عليه كساء وهو متوشح
به ثم سلم وجلس على الارض ولم يجلس على بساطى فقلت له لم تركت
الجلوس على بساطى فقال لانى ملك وحق لمن رفعه الله ان يتواضع
ثم صار ينظر فى وجهى وقال ما بالكم تطؤون الزرع بدوابكم وهو محرم
عليكم فى كتابكم قلت عبيدنا فعلوا ذلك يا جهل قال فما بالكم
تشربون الخمر وهو محرم عليكم فى دينكم قلت عبيدنا واتباعنا فعلوا ذلك
بالجهل منهم قال فما بالكم تلبسون الديباج وتتحلون بالذهب
والفضة وهو محرم عليكم على لسان نبيكم قلت انا كنا قوما ملوكا
فلما انقضت مدتنا استعنا باعاجم دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم
قال فجعل ينظر فى وجهى ويردد الكلام عبيدنا واتباعنا واعاجم
دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هذا يا ابن مروان كما تقول
ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما امرتم به فاذاقكم الله وبال امركم

ولله فيكم نقمة لم تبلغ واني لاخشى ان ينزل عليكم بلاء وانت ضيفي فضيفني
معك فارتحل عني فتزودت وارتحلت وانشد يقول

اذا وليت فاعمر ما توليه ... بعدلك في الامارة بالعماره
وافضل مستشار كل وقت ... زمانك فاقتبس منه الاشاره

حدث يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فالح على وجهه ذباب حتى اضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا معاقل بن سليمان فقال علي به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وفي شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقع على جسده ذباب اصلا
ذكر القطبي في اعلامه قال النجم عمر بن فهد وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج ابو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثوري رضي الله عنه فلما وصل الى بئر ميمونة بعث الى الخشابين وقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤا ونصبوا الخشب وكان سفيان الثوري جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا ابا عبد الله قم واختف ولا تسمت بنا الاعداء فتقدم الى استار الكعبة فأخذها وقال يرث من هذه البنية ان دخلها ابو جعفر سالما وعاد الى مكانه فركب المنصور من بئر ميمونة فلما كان بين الحجارين سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات في سابع الحجة في وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه في آخرها ليعموا قبره من الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظروا الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب رب العالمين وكيف حال اهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في سلطان السلاطين وما أحقر سلطنة المخلوقين من ماء مهين وما أسرع زوالهم وصيرورتهم عبرة للناظرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار قال البحتري ان المتوكل ولى سالم بن حامد دمشق وكان بها جماعة من العرب لهم قوة ومنعة فقتلوا سالما في يوم جمعة على باب دمشق فغضب المتوكل وقال من يكون في صولة كصولة الحجاج فقال افريدون التركي انا لها يا امير

المؤمنين فأمره وجهزه اليها فى سبعة آلاف فارس واطلق له النهب
والقتل ثلاثة ايام فجاء ونزل فى بيت لها فلما اصبح قال يا دمشق اى
شئ يحل بك اليوم وقدم له بغلة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب
ضربته بالزوج فى صدره فسقط ميتا وقبره معروف شهير بها وذلك
فى حدود الاربعين ومائتين وقال ابن زيدون فى رسالته وقد يكون
منية المتمنى فى امنيته وروى الشيخ أمين الدين أبو البقاء مسلم
ابن محمود الشيرازى فى كتابه القاصمة للفئة الغاشمة ان يحيى العابد
بمرو ان قال كنت عند سفيان الثورى فالتفت الى شيخ فقال حدث القوم
بحديث الحية والعصا قال حدثنى عبد الجبار عن محمد بن حمير انه خرج الى
منصيده فتمثلت بين يديه حية فقالت أجرنى أجارك الله فى ظله
يوم لا ظل الا ظله فقال ومن اجيرك فقالت من عدو لى يريد ان
يقطعنى ارباارباً فقال ومن أين انت قالت من اهل لا اله الا الله قال
وفى أين اخباؤك قالت فى جوفك ان كنت تريد المعروف قال ففتح فاه
وقال ها فدخلت جوفه واذا رجل معه صمصامة فقال يا ابن حمير ان
الحية قال ما أرى شيئا فذهب الرجل فاطلعت الحية رأسها فقالت
يا ابن حمير انحس بالرجل فقال لا قد ذهب قالت فاختر اى الخصلتين
إما ان انكث قلبك نكثة او افرى كبدك قال والله ما كا فئتينى
قالت تصنع المعروف عند من لا يعرف قال أمهلينى حتى آتى سفح هذا
الجبل فامهد لنفسى موضعا فبينما هو كذلك اذ هو بفتى حسن الوجه
طيب الرائحة حسن الثياب فقال يا شيخ مالى أراك مستر سلا والموت
آيسا من الحياة قال من عدو فى جوفى يريد هلاكى فاستخرج شيئا
من كمه فدفعه الى وقال كله ففعلت فاصابنى مغص شديد ثم
ناولنى اخرى فاكلتها فرميت الحية من أسفل قطعا قطعا فقلت من
انت رحمك الله فقال له انا ملك يقال له المعروف ومستقرى
فى السماء الرابعة ان اهل السماء لما راوا غدر الحية بك اضطربوا كل
يسأل ربه ان يغيثك فقال عز وجل يا معروف ادرك عبدى

وقال الشاعر

لا تصنع المعروف فى ساقط فذاك صنع ساقط ضائع
فضعه فى حرّ كريم يكن عرفك مسك عرفه ضائع

وقال أيضا

متى تسد معروفا الى غير أهله رزئت ولم تظفر باجر ولا حمد

وقال الحجاج لشخص ما اضيع الاشياء قال مطر جود فى ارض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد فى الشمس وجارية تحسنا تزف الى عنين أعمى وصنيعة تهدى الى من لا يشكرها

وقال بعض الحكماء أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام

وقالوا الاحسان الى اللئيم اضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بساط الهواء قالوا تعريف اللئيم من اذا ارتفع انكرا باه وجفا اخاه واستخف بالاشراف ونقل عن شيخنا المرحوم الشيخ نور الدين الزيادى الشافعى فى تعريف اللئيم فقال من ليس فعله يحمد ولا خصاله تشكر

وقال الشاعر

ومن يصنع المعروف مع غير اهله يلاق الذى لاقى مجير ام عامر
اعدها لما استجارت ببيته احاليب لبان اللقاح الذرائر
واسمنها حتى اذا ما تمكنت فرته بانياب لها واظافر

فقل لذوى المعروف هذا جزاء من يجود بمعروف على غير شاكر
زرعنا جميلا مع اناس فانكروا فيا ليتنا يوما وما حفظوا القوى
ومن يزرع المعروف فى غير أهله كمن قلد الخنزير دُرًّا وجوهرا

وقال الشاعر

لعمرك ما المعروف فى غير اهله وفى أهله الا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس فى شكر الصنيعة عندهم وفى كفرها الا كبعض المزارع
فمزرعة طابت فاضعف نبتها ومزرعة اكدت على كل زارع

وقال آخر

لئن بسط الزمان يدى لئيم فصبر للذى فعل الزمان
فقد يعلو على الرأس الذباب كما يعلو على النار الدخان

رجعنا الى ما نحن بصدده واقام المنصور فى الخلافة اثنين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة والله أعلم

خلافة المهدى بن المنصور

بويع له يوم مات أبوه وسنه اثنان واربعون سنة فجمع الناس فخطبهم ثم حمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان امير المؤمنين عبد دعى فأجاب وامر فاطاع ثم ذرفت عيناه وقال لقد بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرقة الاحباب وقد فارقت عظيما وتقلدت جسيما فعند الله احتسب امير المومنين وبه استعين على تقليد امور المسلمين ونزل فبايع الناس وقد جمع ابو دلابة الشاعر بين تهنئته وتعزيته فقال

عيناى واحدة ترى مسرورة ... بامير هاجذلى واخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوءها ... ما انكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة مسرعا ... ويسرها ان قام هذا يخلف
ما ان رايت كما رايت ولا ارى ... شعرا استرح واخرا انتف
هذا احياه الله فضل خلافة ... ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدى يقول ادخلوا على العلماء والقضاة واحضروهم عندى فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ومكث فى الخلافة عشرين سنة وتوفى فى المحرم سنة تسع وستين ومائة

خلافة موسى الهادى بن المهدى

بويع له يوم مات أبوه وكان سنه أربعة وعشرين بعهد من والده واخذ له البيعة شقيقه هارون الرشيد ذكر صاحب السكردان ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له باس ومكائد وقد ظفر ببعض القواد فأمر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما

وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهم ان يعلوه بالسيف وما الى وراء الخارجى وأوهمه ان غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادى ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياء ورعبا فما اتبعهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جوادا من الخيل فانظروا الى هذا المقدار فى ثبات جأش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا حكى عن عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادرا وكانت من احسن النساء وجها واطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال امير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى اموت وان اخى هارون يلى الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا واتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هارون يترفق به ذلك فقال لا ارضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلفا يمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هارون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها اعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة فاذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رأيت اخاك الهادى الساعة فى المنام فانشد فى هذه الابيات

أخلفت عهدى بعدما ... جاورت سكان المقابر

ونسيتني وخنت في ايمانك الزور الفواجر
ونكثت غادرة اخي صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكأن الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها هذا احلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسال عن هارون الرشيد وما لقي بعدها فكانت مدة الهادي سنة وشهرا ونصف وتوفي في ربيع الاول سنة سبعين ومائة

خلافة هارون الرشيد

بويع له يوم مات الهادي وسنه خمس واربعون سنة ومولده بالري لما كان ابوه المهدي اميرا عليها وكان فصيحا بليغا اديبا كثير العبادة وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما وكان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعلة وكان يتصدق في كل يوم بالف درهم ويحب العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسي انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل ابن عياض ويعظمه وكان قاضيه الامام ابو يوسف وكان يجله كثيرا ويمتثل أمره وكانت ايام الرشيد ايام خير وله اخبار في اللهو واللذات مشهورة فائدة ولد الامام ابو يوسف سنة خمس وتسعين وتوفي سنة مائة واثنين وثمانين فجملة عمره سبع وثمانون سنة ومما يحكى عن هارون الرشيد انه قال يوما لجلسائه من أرغد الناس عيشا فقالوا امير المؤمنين فقال لهم كلا ان لا عواد المنبر طيبة وان لقعقعة لجام البريد لفزعه وان أهنى الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة يأوي اليها فكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فان من عرفنا وعرفناه افسدنا عليه دينه ودنياه

وحكى المسعودى فى شرح المقامات قال اخبرنا الفقيه ابو العز احمد بن عبد الله السكبرى فى كتابه بسنده عن ايوب الوزان قال قال المفضل دخلت على الرشيد وعنده طبق ورد وعنده جارية مليحة أدبية شاعرة قد اهديت اليه فقال يا مفضل قل فى هذا الورد شيئا يشبهه فقلت

كأنه خد موموق يقبله ... فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية

كأنه لون خدى حين يدفعنى ... كف الرشيد لامر يوجب العذلا

فقال هارون الرشيد قم يا مفضل اخرج فان هذه المباحثة هيجتنا فقلت والله يا امير المؤمنين لا اقوم الا بجائزة فانى كنت سببا لقيام اثرك فضحك حتى استلقى على قفاه وأمر لى بجائزة فاخذتها وخرجت وأرخيت الستور دونى وحكى عن هارون الرشيد انه خرج هو وابو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وابو نواس والاصمعى واذا بشيخ فى الصحراء متكئ على حماره فقال هارون لجعفر سل هذا الشيخ هو من أين فقال له جعفر من اين جئت قال من البصرة قال وأين تريد قال بغداد قال وما تصنع فيها قال التمس دواء لعينى فقال له هارون مازحه فقال له جعفر اخاف ان اسمع منه ما اكره فقال يحق عليك الامازحته فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافينى به فقال الله تعالى يكافيك بما هو خير من ذلك فقال اسمع هذا السر الذى لا اصفه لاحد غيرك خذ لك ثلاث آواق من شعاع الشمس وثلاثة آواق من زهرة القمر وثلاثة آواق من هبوب الريح وثلاثة آواق من نور السراج واجمع الجميع فى هاون بلا تعرود فهم ثلاثة اشهر فاذا دققتهم اجمعهم فى شقفة مشقوقة واجعلهم ثلاثة اشهر فى الريح ثم اجعلهم فى قصبة ساق جمل قد حفى واستعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلثمائة مرة عند النوم ودم على ذلك ثلاثة اشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلامه انبطح عن حماره وضرط فى وجهه ضرطة

منكرة

منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافاة لك فاذا استعملت هذا الدوا
ووهبا الله العافية اخذت لك جارية تخدمك فى حياتك خدمة يقلع
الله بها عينيك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك
بخراك واخليها تلطم عليك وتقول لك يا صقيع الذقن يا رقيع لا اله الا
الله ما اصقع ذقنك قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه
ورسم له بثلاثة آلاف درهم وقد قيل ان هارون الرشيد حصل
له فى بعض الايام حال من الاحوال وضيق صدر فاخذ معه بعض
الخدام وخرج يتفرج على العادة وكان شخص يقال له ابو الحسن
ابن تاجر من التجار وكان والده صاحب اموال كثيرة واماكن وعقارات
واقطاع وضياع فتوفى والده وحاز جميع ما خلفه ثم انه كان
فى كل يوم يخرج الى الجسر فاول رجل يمر عليه يدعوه الى الضيافة
فمر عليه فى ذلك اليوم الرشيد فتعلق به وقال له يا سيدى هل لك
فى طعام وشراب فاجابه الرشيد وقال له امضى بنا ولم يعلم ابو الحسن
من هو ضيفه وسارا الى ان وصلا منزل ابى الحسن فلما دخل الرشيد
وجد به قاعة ان نظرت الى حيطانها رأيت العجب وان نظرت الى مجاريها
رأيت شاذروانا مصفحا بالذهب فلما استقر به الجلوس استدعى
ابو الحسن بجارية كانها قضيب بان واخذت عودها وانشات تقول

يا مقيما مد الزمان بقلبى ... وبعيد بشخصه عن عيانى
انت روحى اذ كنت لست اراها ... فهى ادنى الى من كل دانى

قال فلما سمع الرشيد من الجارية هذه الابيات قال لها احسنت
بارك الله فيك واعجبه منطقها وتعجب من ابى الحسن وعزومته
وقال له يا ابا الحسن هل من حاجة تروم قضاها او هل من شهوة
تشتهيها فقال ابو الحسن ان بجوارنا مسجدا وله امام واربع
مشايخ وبجوار المسجد صاحب ربع وهم كلما سمعوا اغنية او شيأ
من اللهو يغنروا على الوالى ويغرمونى الغرائم ويكيدوا عيشى
وانا معهم فى عذاب فلو تمكنت منهم كنت اضرب كل واحد منهم الف
سوط واصلب صاحب الربع واستريح من كثرة اذاهم فقال الرشيد

يبلغك الله مرادك ثم ان الرشيد غافله ووضع قرص بنج فى قدح وناوله
له فلم يستقر فى جوفه حتى نام لوقته فقام الرشيد الى الباب فوجد
غلمانه ينتظرونه فامر الرشيد بحمل ابى الحسن على بغلة وسار الى دار
الخلافة وهو سكران لا يفيق ولا يشعر بنفسه فلما استقر بدار الخلافة
استدعى بوزيره جعفر وعبد الله بن طاهر والى بغداد وبعض خدمته
الخواص وقال لهم جميعا اذا كان غداة غد ونظرتم هذا الغلام
واشار الى ابى الحسن وهو جالس على سرير الملك اعطوه الطاعة وسلموا
عليه بالخلافة وأى شئ امرهم فافعلوه ثم دخل بعد ذلك الى جواريه
واوصاهن بخدمته وان يخاطبوه بامير المؤمنين فلما افاق
ابو الحسن وجد نفسه جالسا على سرير الملك والوزير والوالى والخدم
واقفون وهم يقبلون الارض بين يديه فاحتار ابو الحسن فى امره ووضع
رأسه فى عبه وجعل يفتح عينيه قليلا قليلا وجعل يضحك ويقول
ايش هذا الامر الذى انا فيه ثم انه رفع رأسه ونادى بعض الجوار فاجابته
لبيك يا امير المؤمنين فقال لها ما اسمك قالت شجرة الدر فقال لها
اتدرى فى اى مكان انا ومن هو انا فقالت انت امير المؤمنين جالس
فى قصرك على سرير الخلافة فقال لها انى حائر فى أمرى وقد خرج عقلى وما
كأنى الا نائم ولكن ايش اقول فى ضيق البارحة وما اظنه الا شيطانا
او ساحر العب بعقلى فبقى حائرا باهتا الى ان اصبح الصباح فاتاه الخادم
وقال له أسعد الله صباح امير المؤمنين ثم ناوله تاسومة من ذهب
مشبكة بالفصوص واليواقيت فأخذها وتاملها طويلا ثم وضعها فى
كمه فقال له الخادم هذه مشاية تدخل بها بيت الخلا فقال له صدقت
ما وضعتها فى كمى حتى لا تتوسخ ثم اخرجها من كمه ووضعها فى رجله فلما
قضى حاجته وخرج قدموا له خلعة سنية ونظر الى نفسه وهو جالس
على السرير وقال كل ما انا فيه خيال ومحال من الجان فبينما هو كذلك
اذ دخل عليه بعض المماليك وقال له يا امير المؤمنين ان الحاجب
بالباب يستأذنك فى الدخول فقال ابو الحسن يدخل فدخل وقبل الارض
بين يديه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقام ابو الحسن ونزل

عن السرير الى الارض فقال له الحاجب الله الله يا امير المؤمنين أما تعلم
ان الناس كلهم غلمانك وتحت نظرك وامير المؤمنين لا ينبغي له القيام
الى أحد ثم قيل له ان جعفر البرمكي وعبد الله بن طاهر واكابر المماليك
يستاذنون في الدخول فاذن لهم فدخلوا وقبلوا الارض بين يديه
وجعل كل منهم يخاطبه بامير المؤمنين ففرح بذلك وردّ عليهم
السلام ثم نادى الوالي فدنى منه وقال لبيك يا امير المؤمنين
فقال له اذهب في هذه الساعة الى الدرب الفلاني وامسك
صاحب الربع وامام المسجد والاربع مشايخ واضرب كل واحد منهم
الف سوط فاذا فرغت من ذلك اكتب عليهم قسامة انهم لا يسكنون
في الدرب بعد تحريسهم والمناداة عليهم هذا جزاء من يؤذي جاره
ثم اصلب صاحب الربع واياك ان تتهاون فيما امرتك به ثم ان
ابا الحسن التفت الى الحاجب وبقية الخدم وقال لهم انصرفوا
ثم استدعى بخادم كان قريبا منه وقال له اني جيعان وقصدي
شيء آكله فقال سمعا وطاعة واخذ بيده الى ان ادخله مجلس
الطعام وقدموا بين يديه مائدة من الاطعمة الفاخرة وقام على
رأسه عشر جوار نهد ابكار فالتفت اليه جارية منهن وقال
لها ما اسمك فقالت قضيب البان فقال لها يا قضيب البان من انا
قالت انت امير المؤمنين فقال تكذبين والله يا قحبة انتن تضحكن
عليّ فقالت خف الله يا امير المؤمنين هذا قصرك والجوار جوارك
فقال في نفسه ما هو كثير على الله عز وجل ثم ان الجوار اخذن
بيده الى مجلس الشراب فرآى شيا يذهل العقل وبقي يقول في
نفسه لا شك ان هؤلاء من الجان ويكون هذا الذي اضافني من
ملوك الجان وما رآى مكافاة ومجازاة ما فعلته معه من الجميل
الا انه امر اعوانه يقولون يا امير المؤمنين وهؤلاء كلهم من الجان
فالله يخلصني منهم على خير فبينما هو يحدث نفسه واذا بجارية
من تلك الجواري ملات له كاسا من الخمر فتناوله منها وشربه
ثم ان الجواري تكاثرن عليه بالشراب وطرحت له احداهن قرص

بنج فى القدح فلما استقر فى جوفه وقع وصار لا يعى ولا يفيق فعند
ذلك أمر الرشيد بحمله الى منزله فحملوه ووضعوه على فراشه وهو
لا يشعر بنفسه فلما افاق من سكرته آخر الليل نظر نفسه فى الظلام
فصاح يا قضيب البان يا شجرة الدر فلم يجبه احد فسمعته امه
وهو ينادى بهذه الاسماء فقامت واتت اليه وقالت له ايش
جرى عليك ياولدى وما الذى اصابك انت مجنون فلما سمع كلام
امه قال لها من انت يا عجوز النحس حتى تقابلى امير المؤمنين بهذه
الألفاظ فقالت له انا امك ياولدى فقال لها تكذبى انا امير
المؤمنين صاحب البلاد والعباد فقالت له اسكت والا تروح
روحك وجعلت ترقيه وتقرا عليه وتقول ياولدى كانك رأيت
هذا فى المنام وهذا كله من وساوس الشيطان ثم قالت له ابشرك
ببشارة تسر بها قال لها وما هى قالت ان الخليفة امر بضرب الامام
والمشايخ وصلب صاحب الربع وكتب عليهم قسامة لا يكذبون
فضولهم على احد فلما سمع ابو الحسن من امه هذا الكلام زعق
زعقة كاد ان يفارق الدنيا وقال انا لله وانا اليه راجعون انا الذى
امرت بضرب المشايخ وصلب صاحب الربع ونفيهم وانا امير
المؤمنين ثم نزل الى الزقاق فى الليل ونادى باعلى صوته معاشر
الناس من كان له حكومة او ظلامة فعليه بهذه الدار تريح
ظلامته وننظر فى حكومته قال فانتبه كل من فى الزقاق ومشوا
الى ان طلع النهار وجروه وادخلوه البيمارستان وصار كل يوم
يعاقبوه ويسقوه الادوية الكريهة ويضربوه بالسياط وعملوه
مجنونا بالغصب مدة عشرة ايام فجاءت والدته تسلم عليه فشكى
اليها فقالت له ياولدى خف الله فى نفسك لو كنت امير المؤمنين
كنت فى هذا الحال فلما سمع والدته قال لها والله صدقتى ما كانى الا
كنت نائما فرايت انهم عملونى خليفة وجعلوا لى خداما وجوارى
فقالت له ياولدى ان الشيطان يفعل اكثر من هذا قال صدقتى وانا
استغفر الله مما جرى منى فاخرجوه من البيمارستان وادخلوه الحمام

فلما أصاب العافية عمل ماكولا ومشروبا وجعل ياكل فلم يطب له
وحده فقال يا امّاه لم يطب لى عيش ولا اكل وحدى فقالت له ان
كنت تريد تفعل ما تشاء وتختار فرجوعك الى البيمارستان اقرب
فلم يلتفت اليها وتمشى الى الجسر ينظر له نديما فبينما هو جالس اذا بالرشيد
قد جاء اليه فى صفة تاجر وكان من حين فارقه وهو كل يوم ياتى الى
الجسر فلم يجده فلما رآه ابو الحسن قال له ابو الحسن اهلا وسهلا
ومرحبا يا ملك الجن فقال له الرشيد ايش عملت معك فقال له
ايش بقيت تفعل معى اكثر مما عملت يا اوسخ الجان اكلت الضرب
ودخلت البيمارستان وعملونى مجنون كل ذلك منك جئت بك
الى منزلى واطعمتك خيار ماكلى وبعد ذلك سلطت على شياطينك
واعوانك يلعبون بعقلى من المساء الى الصباح رح عنى فى حال
سبيلك فقال له الرشيد قد بلغتك مقصودك من الامام والمشايخ
وصاحب الربع قال نعم فقال له الرشيد لعله يا تيك ما يسر خاطرك
اكثر من هذا فقال له ابو الحسن ايش مقصودك منى قال مقصودى
اكون ضيفك فى هذه الليلة فقال ابو الحسن على شرط ان تحلف لى
بالذى على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ما تخلى عفاريتك يلعبون
بى فقال له الرشيد سمعا وطاعة فاخذه ابو الحسن الى منزله ثم ان
ابا الحسن قدم الطعام الى الرشيد واتباعه فاكلوا بحسب الكفاية
فلما فرغوا من الاكل قدموا الشراب والمفرحات الى حين راى الرشيد
فرصة فوضع قرص بنج فى قدح فلما شربه صار لا يفيق فامر الرشيد
بحمل ابى الحسن الى دار الخلافة وامرهم ان يرفعوه على سريره فلما افاق
ابو الحسن آخر الليل جعل ينادى يا أماه فاجابوه الجوارى لبيك
يا امير المؤمنين فلما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم ادركونى فى هذه الليلة وهذه ليلة الخمس من التى تقدمت
ثم انه جعل يطيل النظر فى الذى حوله ويقول هؤلاء كلهم من الجان
فى صفة الادميين امرى الى الله ثم التفت الى مملوك بجانبه وقال له
عضنى فى اذنى يا هل ترى انا نائم ام يقظان فقال له المملوك كيف

اعضك فى ذنك وانت أمير المؤمنين فقال له افعل ما امرتك به والا
ضربت عنقك فعضه فى اذنه الفى الناب على الناب فرعق زعقة
عظيمة هذا والرشيد خلف الستارة من داخل مخدع فكل من كان
حاضرا معه انقلب من الضحك وهم يقولون للمملوك انت مجنون
بعض اذن الخليفة فقال لهم ابو الحسن ما كنى يا اصحاب الجن ما جرى
على ما لكم ذنب الذنب لكبيركم الذى حلفته فخان اليمين واخرجكم
فى سنة الآدميتين وانا استعين عليكم فى هذه الليلة بآية الكرسى
والاخلاص والمعوذتين ثم ان الرشيد كان من وراء الستارة وقال
اهلكتنا يا ابا الحسن فعند ذلك عرف ابو الحسن فقبل الارض
بين يديه ودعا له بالعز والبقاء ثم ان الرشيد البسه خلعة سنية
ودفع له الف دينار وجعله من اعز ندمائه وقيل دخل الاصمعى
على الرشيد يوما فقال يا امير المؤمنين كانت لى حاجة فى ضيعة
كذا فلقيني ما كاد يقتلنى قال وما هو قال بينما انا فى وسط البيداء
واذا بشئ قبض على خناقى ولم اره فقلت من انت يرحمك الله
قال انا من شعراء الجن فقلت له وما تطلب منى قال اريد منك ان
تصف لى فى هذا الوقت ما اخبث الارض وما اطيبها وما اضيقها وما
أوسعها فقلت له اوا حسن ذلك وانت قابض على خناقى فاطلقنى
واردت ان اعجزه فقلت له لا تحصل لى باعثة على النظم الا بالجائزة
العظيمة فقال اتطلب كثيرا فقلت الف دينار فقال اثبت
مكانك فوقفت يسيرا واذا بصرة وقعت من الهواء فاخذتها
ووضعتها فى كمى وقلت

من لم يكن بين اقوام يسر بهم ... فكل اوقاته نقص وخسران
فاطيب الارض ما للنفس فيه هوى ... سم الخياط مع الاحباب ميدان
واخبث الارض ما للنفس فيه اذى ... حضر الجان مع الاعداء نيران

فقال لى الاعتراف انصاف لقد اعجبنى حسن بديهتك ولكن صف
لى هذه الارض من اى الاراضى فقلت له ان لم تحرمنى الجائزة ولم
تقتلنى فهى اطيب الارض واوسعها وان قتلتنى واحرمتنى الجائزة

فهي اخبث الارض واضيقها فضحك كالرعد القاصف فارتعدت منه
فقال لي مالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم فقلت له اذا
كان بسطك يروعني فكيف انقباضك فضحك اقوى من الاول
وقال اذهب يا اصمعي بحق للملوك ان يدنوك من مجالسهم فقال
الرشيد ارني الصرة فاظهرتها له فقال الرشيد هذه من خزائني
وعليها ختمي هذا من سراق الجن سبحان من نجاك منه وحكي عن
الاصمعي انه قال ضل لي بعير فخرجت في طلبه فدخلت حلة عرب
وجماعة يصطلون نارا بقربهم شيخ ملتف بقطعة عباة يرتعد
ويقول

ايارب ان اليوم اصبح كاشحا ... وانت بحالي عالم لا اعلم
فان كنت يوما مدخلي الجهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

فعجبت من نظامه فسلمت عليه وقلت لاي شيء يدخلك جهنم
فقال لقلة صلاتي فقلت لم لا تصلي فانشد يقول

أيطمع ربي ان اصلي عاريا ... ويكسو غيري حلة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا ... عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة ... وان غيبت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة ... اصلي له مهما أعيش من العمر

فعجبت من فصاحته واعطيته قميصا وجبة وقلت له قم صل
فلبسهما واستدبر القبلة يصلي بلا وضوء قاعدا فقلت له ما
تستحي ان تفعل هذا فقال

اليك اعتذاري من صلاتي قاعدا ... على غير طهر موميا نحو قبلتي
فمالي لبرد الماء يارب طاقة ... ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني استغفر الله شاتيا ... واقضيكها يارب في وسط صيفتي
فان انا لم افعل فدونك فاحتكم ... بما شئت من ضعفي ومن نتف لحيتي

فتركته وانصرفت متعجبا وحكي عن ابي العتاهية انه قال
بينما انا في حبس الرشيد اذ دخل علينا رجل ذو شهامة ووسامة
فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت اصلحك الله ان للمسجونين

استرواحا الى الاخبار وتطلعا الى الحديث وقد دخلت علينا فلم تخبرنا
بشئ من امرك فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للداخل
دهشة فابسطوه بالانس ولم تبتدئوني بالبسط والتأنيس
فقلت صدقت وقص كل واحد منا قصته ثم اخرجت سويقا كان
عندي فاسقيته فبينما هو يشرب اذ دخل عليه الاعوان فقالوا
له قم فقد امر بقتلك فارتعدنا وهو ساكن الجنان طيب النفس
حتى استتم السويق ثم قال انا حاضر موت يحيى بن عبد الله بن
الحسن الذي يقول

اذا انا لم اقبل من الدهر كلما ... تكرهت منه طال عتبي على الدهر
الى الله اشكو الامر في الخلق كلهم ... وليس الى المخلوق شئ من الامر
فعودت نفسي الصبر حتى الفته ... واسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني يأسي من الناس راجيا ... لسرعة لطف الله من حيث لا ادري
واوسع صدري للاذى كره الاذى ... وقد كنت احيانا يضيق به صدري
وقد يئاس الانسان في بعض حاله ... ويأتيه لطف الله من حيث لا يدري

ثم نهض غير مرعوب ولا مرهوب فلم يعرف له بعد ذلك خبر
ثم اني لقيته بعد سنين بالموقف فتعرفت اليه وقلت له ما شأنك
وخبرك بعد ما فارقتنا فقال لما دخلت على الرشيد امر من مد النطع
وجرد السيف وعصب عيناي وامر بقتلي فرأى شفتي تتحركان
فقال لم تحرك شفتيك لا ام لك فقلت بدعاء علمنيه مولاي
فقال اخبرني به فقلت اللهم يا من لا يرد قضاؤه عن كل سلطان
منيع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذي مجد رفيع يا كاشف الهم عن
المأسور الضعيف عند معضل الخطب ودافع الغم عن المضطر
اللهيف عند منقطع الكرب اسئلك باجل الوسائل لديك
واقرب الوصايل اليك محمد خاتم النبيين وآل بيته اجمعين
أهل طه ويس صلى الله عليه وعليهم اجمعين ان تجعل لي من
امري هذا فرجا ومن محنتي مخرجا انك سميع الدعاء جزيل العطاء
فعال لما تشاء قال فتغرغرت عيناي الرشيد بالدموع ثم قال حلوا

وثاقه وادفعوا اليه زاد اوراحلة والحقوه باهله فرجعت من فورى ومما
افاده الجلال السيوطى فى كتابه الادرج فى الفرج ان امير المؤمنين
هارون الرشيد لما اشتد غضبه على الامام الشافعى رحمة الله عليه
نادى وزيره ليلا وقال اذهب بنفسك الى محمد القرشى فادخله على غير
اذن وائتنى به على غير رضا قال فذهبت اليه وقد تحققت من امير
المؤمنين هارون الرشيد قتله فدخلت عليه فقلت الرشيد يدعوك
فقال فى مثل هذا الوقت وبغير اذن قال بذلك امرت فقام معى الى
ان قربت من الدخول فوجدته يحرك شفتيه لا ادرى ما يقرأ فلما دخل
على الرشيد هاب واجلسه واكرمه وصرف آمناً فخرجت عقبه وقلت
بالله عليك الا ما اخبرتنى بما قلت عند دخولك فوالله ما جئتك الا
وانا اعرف موضع السيف من قفاك فقال الامام رضى الله عنه حدثنى
فلان عن فلان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أهمه امر الاحزاب
نزل جبريل فعلمه هذه الكلمات فكتبها الوزير وحفظها وحملها وكان
يتعوذ بها وهى هذه اللهم انت غياثى فبك أغوث وأنت عياذى
فبك اعوذ وانت ملاذى فبك الوذ يا من ذلت له رقاب الفراعنة
وخضعت له مقاليد الجبابرة اجرنى من خزيك وعقوبتك واحفظنى
فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى لا اله الا انت تعظيما لوجهك
وتكريما لسبحات عرشك اكفنى شر عبادك واحفظنى فى سرادقات
حفظك وعنايتك وعد على بخير يا ارحم الراحمين وحكى عن
أحمد بن الخطيب عن أبيه وكان من اجل الكتاب قال دخلت يوما
على امى وكان يوم اضحى فرأيت عندها عجوزا فى اطمار رثة ولها
منظر وبيان فقالت لامى سلم على خالتك فقلت ومن هذه قالت
هذه عيانة ام جعفر بن يحيى فقلت لا اله الا الله اصاريك الدهر
الى ما ارى فقالت يا بنى انما كانت الدنيا عارية ارتجعها معيرها
وحلة سلبها ملبسها فقلت ما اعجب ما لقيت قالت يا بنى لقد مر
على اضحى مثل هذا اليوم وعلى راسى اربعمائة وصيفة وقد ظننت
مع ذلك ان ابنى عاق ثم صرت لكم اليوم اطلب جلدى شاتين اجعل

أحدهما دنارا والآخر خمارا فقلت ما أصعب ما رأيت فانشأت تقول

كل المصايب قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الحساد
ان المصايب تنقضي اسبابها ... وشماتة الاعداء بالمرصاد

قلت لها ثم ماذا قالت الموت ثم قلت اوذقت الموت فانشأت تقول

لا تحسبن الموت موت البلا ... لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا ... اشد من ذاك لذل السؤال

ولبعضهم أيضا

لا تظهرن لعاذل أو عاذر ... حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة ... في القلب مثل شماتة الاعداء

ولبعضهم أيضا

اعياك اسعادي فصرت معنفي ... ليت الذي عرف الجميل تحملا
مالي شكوت اليك نار جوانحي ... لتكون مطفيها فكنت المشعلا

المصائب جمع مصيبة وهو ما يصيب الانسان من حوادث الدهر ونوازله والشماتة التشفي والبيت الاول من جملة أبيات قالها عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب بها ذات اليمينين منها

من مبلغ عني الامير رسالة ... محصورة عندي من الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الحساد
واظن لي منها لديك خبيئة ... ستكون عند الزاد آخر زاد
مالي أرى امري لديك كانه ... من ثقله طود من الاطواد

قيل لايوب عليه السلام اي شئ كان في بلائك أشد عليك قال شماتة الاعداء وقال ابن اكثم لا يفرح بنكبة الانسان الا من لؤم أصله ومما يناسب ذلك ان علي بن عبد الجبار قال زوجت سيدة النساء بنت طولون فانفقت في وليمتها مائة الف دينار فلم تلبث حتى رأيتها تتعرض للسؤال ببغداد فرآها بعض الاغنياء فعرفها فقال لها اين ما كنت فيه قالت خانتنا الدنيا قال فما تشتهي الآن قالت ملأ بطني طعاما قال لها هذا وكلي خذي منه ما أردت وانصرف الى منزله فاكلت شيئا فامر لها بعشرة الآف

درهم

الآف درهم فقالت عليك مالك كان عندنا اكثر منه فما بقي وولت قائلة

دع الدنيا لعاشقها ... سيصبح من ذبائحها
ارى الدنيا وان مدحت ... نقص على فضائحها
فلا يغرك رائحة ... تصيبك من روائحها

ومما يحكى ان جعفرا لما صلب امر هارون الرشيد ما من لغاه او رثاه فعل به كما فعل به فكف الناس عن ذلك ثم ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفي كل سنة يأتي بقصيدة لجعفر المذكور فيعطيه الف دينار جائزة فيأخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على قيام اوده الى آخر العام فلما جاء الاعرابي بالقصيدة وجد جعفرا مصلوبا فجاء الى المحل الذي هو مصلوب فيه فناخ راحلته وبكا بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وانشد القصيدة ثم اخذ النوم فنام فرآى جعفرا فقال له اتعبت نفسك وجئت فرأيتنا على ما رأيت لكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا من خواجات البصرة وقل له جعفر يقرئك السلام ويقول لك بامادة الفولة أعطني الف دينار فتوجه الاعرابي الى البصرة فوجد الخواجا واجتمع به وبلغه ما قاله جعفر فبكى بكاء شديدا حتى كاد ان يفارق الدنيا ثم انه اكرم الاعرابي واجلسه عنده واحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة أيام مكرما واعطاه الف وخمسمائة دينار وقال له الالف المأمور لك باعطائها والخمسمائة دينار كرامة مني اليك ولك في كل سنة الف دينار فلما أخذها الاعرابي واراد الانصراف قال للخواجا بالله عليك الا ما اخبرتني عن اصل الفولة قال له كنت في ابتداء امري فقيرا لحال أطوف بالفول الحار أبيعه في شوارع بغداد فخرجت في يوم بارد ماطر وليس على بدني ما يقي البرد وتارة اقع في ماء المطر وانا في حالة مكربة تقشعر منها الابدان وكان جعفر بمنزله في مكان عال مشرف وعنده خواصه ومحاضيه فوقع نظره علي فرق لحالي وارسل اخذني عنده وقال لي بع ما معك من الفول على جماعتي فاخذت أكيل بمكيال

كان معي فكل من أخذ كيلة فول يملأ هاذهبا ففرقت جميع ما كان معي
ولم يبق معي شئ وجمع الذهب صبرة وأخذه ثم قال لي بقي معك شئ من
الفول ثم اني فتشت الفقة فلم اجد فيها سوى فولة واحدة
فاخذها جعفر فقلعها نصفين واخذ نصفها واعطى النصف الثاني
لاحدى محاضيه وقال لها بكم تشترى نصف هذه الفولة فقالت
بقدر هذه الصبرة قال جعفر وانا اشترى النصف الثاني بقدر
الصبرة مرتين فبهت وبقيت متحيرا في امري وقلت هذا شئ محال
فقال جعفر خذ ثمن فولك فتوقفت ثم امر احد غلمانه بجمع المال
جميعا ووضعه في قفتي فاخذته وانصرفت ثم رحلت الى البصرة
فاتجرت بما معي من المال فوسع الله علي دنياي ولله الحمد والمنة
فاذا اعطيتك في كل سنة الف دينار فهي من بعض احسانه فانظر
الى مكارم اخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمه الله تعالى

واقام هارون الرشيد في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة
عشر يوما ولما جردت المنية موسى الحمام على رأس هارون وفرق
ثياب رشد الرشيد ريب المنون وخلعت عنه الخلافة والسلطنة
وغسلته سماء الدموع بماء الاجفان رأى منامات انه يموت بطوس
فلما وصل الى طوس غلب عليه التوعك فتيقن بالموت وبكى واختار
لنفسه مدفنا وقال احفروا لي قبرا في هذا المحل فحفروا له قبرا
فقال قربوني الى شفيره فحملوه في قبة فسالت عبرته وزادت عبرته
وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولابد من هذا المصير ما اغنى عني
ماليه هلك عني سلطانيه فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد
في القبر المذكور لثلاث مضين من جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين
ومائة

خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد

بويع له يوم مات والده وكان مليح الصورة ابيض اللون جميلا
لكن كان سيئ التدبير ضعيف الراى لا يصغى الى قول مشير ولما
ولي الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر خمارا وخلع العذار

العذارى واشترى غريبة المغنية بمائة الف دينار واخذ جارية
عمه ابراهيم بن المهدى بعشرين الف دينار وعزل أخاه المؤتمن
وخلع أخاه المامون وكان والده هارون الرشيد عهد له ولاخويه
فجعل والده عبد الله المامون ولى عهد بعد الامين وولاه ممالك
خراسان باسرها وكتب بذلك صحيفة ووضعها بالكعبة المشرفة
وقد عمل بعض الشعراء فى ذلك جملة قصائد من جملتها

الله قلد هارونا خلافته ... دهرا فاظهر فينا العدل والسننا
وقلد الامر هارون لرأفته ... بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

ثم ان محمد الامين عزم على انتزاع العهد من أخيه عبد الله المامون
وكان اذ ذاك مقيما بخراسان فنصحه عن هذا الغدر حازم بن
خزيمة فقال يا امير المؤمنين الغدر شوم والناكث مغلوب
منكوب وجرت العادة بنصر المظلوم فابى الامين وبتد كلامه
وعمل برأيه السقيم وصمم على ذلك اشد تصميم فكتب الى المأمون
يستدعيه ويذكر له حاجة الى لقائه وأنه يفاوضه فى أمر مهم
عظيم تضيق عنه الكتب واكد فى تجيل القدوم عليه وكان
للمامون جواسيس ببغداد فكتبوا اليه ان أخاك يريد تحويل الخلافة
عنك الى ولده موسى فاطلع المأمون خواصه على ذلك فاشاروا عليه
بالثبات وانتظار الفرج والاعتذار الى اخيه عن التخلف فكتب
اليه يعتذر بتشعب اهل خراسان وبمن يتطاول اليها من ملوك
الكفار فلم يقبل عذره وكتب اليه ثانيا يامره بالقدوم عليه
ويخوفه مضرة التهاون فشاور اصحابه فثبتوا على رأيهم وعن
مفارقة خراسان فكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المامون
قد فطن لما يراد به وانه ممتنع حاذر وان وزراءه قد اجمعوا على
نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك وأمر بالقبض
على من فى بغداد من حشم المأمون ووكلائه وأمواله وارسل اخذ
صحيفة البيعة من مكة المشرفة ومزقها ودعى الناس الى خلع
المأمون من عهد الخلافة والبيعة لابنه موسى وكان اذ ذاك

طفلا فأجابه الناس الى ذلك وبايعوه وسمى موسى الناطق بالحق
قالوا ولم يكن موسى يومئذ ينطق بالحق ولا بالباطل واستكفل له
على بن عيسى بن هامان وكان هذا اولى خراسان قبل هذا فاصطنع
فى اهلها جلائل الصنائع وقلد المنن فى اعناق الرجال وكان شأنه
بخراسان عظيما ثم استشاره الامين فى امر خراسان فضمن له ما
يريده منها وأخبره انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه منها اثنان
فجهزه اليها فاحسن جهازه وولاه كل بلد يقدم عليها واعطاه
اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه بالسلاح والكراع
ما شاء وارسل معه جيشا عدته اربعون الفا فبلغ المأمون ذلك
فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة على بن عيسى فركب يوما الى
متنزهه ليجتمع بخواصه ويشاورهم فى امره فعرض له شيخ مجوسى
من الفرس فناداه مستغيثا به ممن ظلمه فلما نظر اليه المأمون والى
كبر سنه رق له وامر بحمله على دابته الى الموضع الذى يقصده المأمون
فلما استقر به الجلوس امر بادخال الشيخ عليه فلما دخل عليه امره بالجلوس
فى ناحية المجلس ثم اقبل على خواصه وعرفهم بما وصل اليه وامرهم
بادارة الرأى فاشار كل واحد منهم برأى فقال بعضهم نعتذر الى
الامين وننقاد لما يريده وننتظر نصر الله تعالى فيما بين ذلك وقال
بعضهم نقصد بعض ممالك الكفار فنفتح تلك المملكة ونتحصن بها
وقال بعضهم نستجير بملك الترك على هذا القادر القاطع وما زالت
الملوك تفعل هكذا فركن المأمون الى ذلك ثم فكر وقال كيف اجعل
للترك على حرب المسلمين سبيلا ثم قال قوموا عنى فقاموا فدعى
الشيخ الفارسى وقال له ما حاجتك فقال له بالعربية جئت لحاجة
فعرض لى ما هو آكد منها فقال المأمون وما هى فقال انى دخلت
على امير المؤمنين وانا غير متصف له بالمحبة ثم القيت له محبة فى
قلبى وقد تظافرت على ايها الامير ثلاث قوى من الرق رق الحب
ورق الاصطناع ورق الاتباع فان رأيت ان اقول ما عندى فذاك
مفوض الى تعيينك فاطرق المأمون فقال له الشيخ ايها الامير

لا يصدنك عني حقارة قدري فاني برهمي من ولد البرهميين سيد
ملوك الفرس والمتوسط بينها وبين اول الاوائل فاشدة
قال الجيلي في كتابه الانسان الكامل وأما البراهمة فانهم
يعبدون الله مطلقا لا من حيث نبي ولا من حيث رسول بل يقولون
ما في الوجود شئ الا وهو مخلوق لله فهم مقرون بوحدانية الله تعالى
في الوجود ولكنهم ينكرون الانبياء والرسل مطلقا فعبادتهم
للحق من نوع عبادة الرسل قبل الانبياء وهم يزعمون انهم اولاد
ابراهيم عليه السلام ويقولون ان عندهم كتابا كتبه ابراهيم عليه السلام
من نفسه من غير ان يقولوا انه من عند ربه فيه ذكر الحقائق وهي
خمسة اجزاء يبيحون قراءتها لكل أحد الا الجزء الخامس لا يبيحونه
الا للآحاد منهم وقد اشتهر بينهم ان من قرأ الجزء الخامس من كتابهم
لا بد ان يؤول امره الى الاسلام فيدخل في دين محمد صلى الله عليه
وسلم وهذه الطائفة اكثر ما يوجدون ببلاد الهند وثم ناس
منهم يغرون بزيهم انهم براهمة وليسوا منهم وهم مقرون بعبادة
الاوثان فمنهم من عبد الوثن ولا يعدون من هذه الطائفة عندهم
فقال المأمون ايها الشيخ ان انتقلت من ملتك الى ملتنا الحقنا
شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسي الى ذلك شديد ولا
أفعله الآن ولعل أفعله فيما بعد فقال له المأمون قد سمعت كلام
الوزراء فان كان عندك رأي فتكلم فقال كل منهم مجتهد في الاضافة
ولست ارضى شيئا مما ذهبوا اليه واني أجد في الحكم التي اخذها
آبائي عن آبائهم أنه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يسلم
نفسه بالتسليم لاحكام واهب العقل وقاسم الحظوظ ولا يضيع ذلك
ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فان لم يحصل على الظفر حصل
على القدر فقال له المأمون انه كان يقال لا راي لكذوب وقد سمحت
انفسنا لك بالثقة والطمأنينة من غير امتحان وما ذاك الا لأننا
نختار اصابة الحزم ولكننا أحببنا أن نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة
الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا وهو علي بن

عيسى لا يمكننا مقاومته لانه أملك منا للبلاد والاموال والرجال
فقال الشيخ ينبغي ان تحوهذا من نفسك بالكلية وان تصغي لما
أنطق به فانه يقال ما كثر من كثرة البغي ولا قوى من قواه المظلم ولا
ملك من ملكه الغضب وها أنا احدثك حديثا ان حذوت مثاله نلت
منا له فقال المامون هات فقال ان الخنشوار ملك الهياطلة
لما أسر فيروز بن يزدجر ملك الفرس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا
انه لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ثم جعل في اقصى تخوم الهياطلة
صخرة وحلف فيروز أنه لا يتجاوزها بجيش ولا بغيره كأنه جعلها
حدا ثم اطلقه فرجع فيروز الى ارمكه فلما استقر عزم على الغدر
وان يغزو الخنشوار واطلع وزراءه وخاصته على ذلك فحذروه الغدر
وخوفوه عاقبة البغي فما ردعه ذلك ولا زجره فذكروه ايمانه
وعهوده التي حلف بها للخنشوار وان لا يتعدى تلك الصخرة
فقال لهم انا عاهدته ان لا أتجاوزها وانا آمر بحملها على فيل بين
يدي الجيوش فلا يتجاوزها احد منهم فلما علموا ان الغدر والبغي
تمكنا منه امسكوا عنه واجمعوا ان لا يراجعوه في ذلك قال فجمع
فيروز مرازبته وهم أربعة تحت يد كل واحد منهم خمسون الفا
مقاتلين وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة فساروا بين يدي فيروز
وهم في جنود لا يظن لها غالب وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة
فيروز وعن مرزبان من مرازبته فلما توجه له حافظ دينهم قال له
لا تغفل ايها الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور ما لم
يأخذوا في هدم اركان الدين فلا تتعرض لهم بشيء فلم يلتفت فيروز
الى مقالته ثم قال الشيخ فسار فيروز بجنوده حتى انتهى الى تلك
الصخرة وحملها على فيل عظيم وسيرها بين يدي الجيوش فما بعد
يسيرا حتى اتاه الخبر ان بعض اساورته قتل رجلا ظلما وجاء اخو
المقتول مستغيثا من قاتل أخيه فامر له فيروز بمال عظيم ليصالح
عن القتيل فقال لا ارضى الا بقتل قاتل اخي فامر فيروز بطرده فطرده
فجاء الى ذلك الاسوار فحمل عليه ليقتله فحرك الاسوار فرسه هاربا

وانتهى

وانتهى خبره الى فيروز فعجب كيف فر منه فجاء افضل وزرائه ونزل عند بابه وأخبره أنه محتاج الى الخلوة فضربت له قبة فى ذلك المكان وخلا بوزيره فقال الوزير أيها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعمرت عمر الملوك الماضية لقد ظهرت عناية الرب الاعلى لما ضرب لك من المثل فى أمر هذا الاسوار العظيم الذى تحته ألوف من الجند فى هربه من بين يدى هذا المسكين مع ضعفه وقلة ناصره وماذاك الا لبغيه وتعديه فقال الملك انه لم يفر لعجزه عنه بل لخوفه منا وعقوبتنا فقال الوزير برهان قولى يظهر فى مبارزة الاسوار للمسكين فادعه الى ذلك فدعا الاسوار وامن المسكين وقال له أرأيت لو امرتك بمبارزة الاسوار فقتلته ارتضى برفدها خيك وان قتلك ذهب دمك هدرا قال نعم قال لهم دعونى واياه فانه على فرس الغرور لابس درع السكر مقاتل بسيف البغى وانا على فرس البصيرة لابس درع الثقة مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ان كلام هذا المسكين ابلغ فى الموعظة والظفر ثم تقدم كل منهما الى صاحبه وليس مع المسكين سوى خنجر فسبق سيف الاسوار الى المسكين فاثر فيه اثرا يسيرا وقبض على فرس الاسوار ثم جذبه اليه ورماه ومال عليه فذبحه بالخنجر فقال الوزير أيها الملك هذا مثل ضربه لك رب العالم فبات فيروز مكانه يدبر برأيه فى رجوعه واوذها به ثم انه انقاد لهواه وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها فائدة تعريف الهوى هو ميل النفس الى الشهوة حلالا او حراما وقال بعض العلماء الهوى أنواع وهو شئ يحدثه النظر او السمع فيخطر بالبال ثم يمو فيقوى فيصير محبة قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز له ثبت فى أمره ووكله الى الرب الاعلى ثم ان فيروز انتهك حرمة الخنشوار ووطئ بلاده واغار على أرضه وساء شره على رعيته ولما وصل الى مقعد الخنشوار نزل اليه واستعان عليه بالرب الاعلى فانكسر فيروز منهزما فاستولى الخنشوار على جميع أمواله ورجاله فغنم الاموال وقتل الرجال وجد فى طلب

فيروز حتى ظفر به وأسر اهل بيته وحماة مملكته فلما سمع المامون كلام الشيخ سر بذلك وقال ان كمل سروري بما دعوتك اليه من الايمان والتوحيد صادفت مقالتك قبولا فقال أما انا الآن فنعم اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فارسل المامون ظاهر بن الحسين الى علي بن عيسى فحال خروجه اخذ في كم دراهم يفرقها على الضعفاء فنهى واسبل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقام شاعره وقال

هذا تبدد شمله لا غيره وذهابه فيها ذهاب الهمة
شئ يكون الهم نصف حروفه لا خير في امساكه في الكم

فتفاءل بذلك وخرج لقتال علي بن عيسى ومعه أربعة آلاف فقاتلوهم فانهزم علي بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء ظاهر برأس علي بن عيسى الى المامون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المامون وكثر اتباعه وجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولازال المامون يحسن تدبيره ويضعف امر الامين الى ان حوصر الامين في بغداد وتفرق جنوده وهربوا الى المامون قال محمد بن راشد اخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال طلبني الامين في ليلة مقمرة فقال ما ترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معي نبيذا فقلت نعم ثم سقاني وطلب جارية تغنيه اسمها ضعف فتطير منها وتشاءم فغنت بشعر النابغة الجعدي

كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال لها غني غير هذا البيت فغنت

ابكى فراقهم يوما فارقني ان التفرق للاحباب بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله اما تعرفين غير هذا البيت فقالت

اما ورب السكون والحركه ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل سلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك

وسلطان ذى العرش دائما ابدا ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فعثرت فى كاس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما اظن امرى الا وقد اقترب واذا بصوت سمعناه من الشارع يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقتل الامين وجزت رأسه وطيف بها فى بغداد ونودى عليها هذا رأس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وتم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة اثر مأتم وزبيدة بنت جعفر بن المنصور وكان جدها المنصور يرقصها وهى طفلة ويقول لها انت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من الخيرات ولها مآثر الى الآن منها اجراء عين حنين الى مكة وهى واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات فنفقت زبيدة الجبال الى ان سلك الماء من ارض الحل الى ارض الحرم وانفقت على عملها الف الف وسبعمائة الف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها واخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه وكانت فى قصر عال مشرف على الدجلة فأخذت الدفاتر منهم ورمتها فى الدجلة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن فضل عنده شئ فهو له ومن بقى له شئ اعطيناه والبستهم الخلع رحمها الله تعالى واسكنها الفردوس فى اعلى عليين حديث عجيب قال الجوهرى وقولهم اسأم من طويس وهو مخنث بالمدينة يقول يا اهل المدينة توقعوا خروج الدجال ما دمت حيا بين ظهرانيكم فاذا مت فقد أمنتم لانى ولدت فى الليلة التى مات فيها النبى صلى الله عليه وسلم وفطمت فى اليوم الذى مات فيه ابو بكر رضى الله عنه وبلغت الحلم فى اليوم الذى قتل فيه عمر رضى الله عنه وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان وولد لى ولد فى اليوم الذى قتل فيه على رضى الله عنه وكان اسمه طاووسا فلما تخنث جعلوه طويسا وسمى بعبد النعيم وقال فى نفسه

انى عبد النعيم وانا طاووس الجحيم

وأنا اشأم من يمشي على ظهر الحطيم

انا خاء ثم لام ثم قاف حشو ميم

اى ثم حشو ميم وحشو الميم الياء فكانه قال أنا خلق وكان يقول انا أشأم الناس وحكى الامام مالك عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الخير في شئ ففي ثلاث المرأة والدار والفرس وفي سند ابي داود الطيالسي عن عائشة انه قيل لها ان ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس فقالت عائشة رضي الله عنها لم يحفظ ابو هريرة لانه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاث الدار والمرأة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال جماعة من العلماء شؤم الدار ضيقها وشؤم جيرانها واذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب قال الامام علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحور اجمع وعذاب النار امرأة السوء وشؤم الفرس ان لا يغزو عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشؤم عدم الموافقة

فائدة الأيام النحسة في كل شهر سبعة أيام وهي اليوم الثالث من الشهر فيه قتل هابيل قابيل اليوم الخامس فيه اخرج الله آدم من الجنة وفيه ارسل الله العذاب على قوم يونس وفيه طرح يوسف في الجب اليوم الثالث عشر فيه سلب الله ملك ايوب وارسل الله عليه البلاء وفيه سلب ملك سليمان وفيه قتلت اليهود الانبياء اليوم السادس عشر فيه خسف الله بقوم لوط وفيه مسخ ستمائة نصراني وجعلوا خنازير ومسخت اليهود قردة وفيه شقت اليهود زكريا بالمنشار اليوم الحادي والعشرون فيه ولد فرعون وفيه اغرق وفيه ارسل على قوم فرعون الآيات وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اليوم الرابع والعشرون فيه شق النمرود بطن سبعين امرأة وطرح الخليل عليه السلام في النار وفيه عقرت ناقة

صالح اليوم الخامس والعشرون فيه ارسلت الريح العقيم على قوم هود
ضابط للايام النحسية من كل شهر ما قاله الشاعر

محبك يرعى هواك فهل تعود ليال بضد الامل
فما كان نقطا بدا نحسه وما كان هملا فسعد حصل

اقام الامين في الخلافة اربع سنين وثمانية أشهر وكان قتله في محرم سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة النبوية

خلافة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

أمه جارية سوداء اسمها مراجل من جوار المطيع ماتت في نفاسها وحكايتها مشهورة مع زبيدة وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف ما تحب وتريد بويع له بالخلافة بعد قتل اخيه وكان من رجال بني العباس حزما وعلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وبرع في فنون التاريخ والادب واعتنى بالعلوم الفلسفية وعلوم الاوائل حكى انه افتتح مدينة من مدائن النصارى فبلغه ان بكنيستها كتبا فطلبها من النصارى فتوقفوا في اعطائها وراجعوا رهبانهم وعلماء ملتهم فاشاروا عليهم بارسالها وقالوا لهم ما دخلت كتب اليونان في ملة الا وافسدتها فلما وصلت اليه عزلها واشتغل بها فضل واضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من اكمل الخلفاء وكان يضرب به المثل ذكر العلامة ابراهيم الاندلسي ثم الدمشقي في كتابه الكوكب الوهاج ان ابراهيم بن المهدي وهو اخو هارون الرشيد لما آل الامر الى ابن اخيه المأمون لم يبايعه وذهب الى الري واقام وادعى الخلافة لنفسه واقام مالكها سنة واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن اخيه المأمون يتوقع منه العود الى الطاعة والانتظام في ملكه فلما آيس من عوده الى الطاعة ركب بخيله ورجله ودخل الري في طلب عمه فما وسعه الا انه اختفى خوفا على دمه فجعل المأمون لمن دل عليه مائة الف دينار قال ابراهيم فخفت على نفسي وتحيرت فيما مرى فخرجت من داري وقت الظهيرة وانا

لا ادرى اين اتوجه فجئت الى بغداد فدخلت شارعا غير نا فذ فرأيت فى صدر الشارع عبدا اسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع اقيم فيه ساعة فقال نعم وفتح لى الباب فدخلت الى بيت نظيف ثم انه بعد ان ادخلنى اغلق الباب ومضى فتوهمت انه سمع الجعالة منى وانه خرج يدل على فبقيت على مثل النار وانا متفكر فى امرى فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال عليه كلما يحتاج اليه ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداك انا رجل حجام وانا اعلم انك متقرف منى فسألك بما لم تقع عليه يدى قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما اذكرانى اكلت مثلها فلما قضيت امرى من الطعام قال لى ليس من قدرى ان أحادثك فان رأيت ان تشرف عبدك فلك علو الراى قال ابراهيم فقلت وانا اظن انه لم يعرفنى ومن اين لك انى أحسن المسامرة فقال يا سبحان الله مولانا اشهر من ذلك انت سيدى ابراهيم المهدى الذى جعل المامون لمن دل عليك مائة الف دينار قال ابراهيم فلما قال لى ذلك عظم فى عينى وثبتت مروءته عندى فوافقته على بغيته منى ومر بخاطرى فراقا هلى وولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف أهله ... وأعزه فى السجن وهو اسير
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا ... والله رب العالمين قدير

قال فلما سمع ذلك منى قال يا سيدى اتاذن لى ان اقول ما سنح بخاطرى فقلت له هات فقال

شكونا الى احبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان الليل يغشى عيونهم ... سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا النوم المضر بذى الهوى ... جزعناوهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثلما ... نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فوالله لقد حسست بالبيت قد سار وذهب عنى كلما كان من الجزع ثم قال بعد ان سالته

تعيرنا انا قليل عداد نا ... فقلت لها ان الكرام قليل

وماضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا اناس لا نرى الموت سبة اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت اجالنا لنا وتكرهه اجالنا فتطول

قال ابراهيم ما معناه قد دا خلنى من الفكرة فى نفاسة هذا الجام وحسن أدبه وظرفه ثم اخرجت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت الله استودعك فانى ماض من عندك واسئلك أن تتصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى المن المزيد ان امنت من خوفى قال ابراهيم فاعاد الخريطة على وقال يا سيدى ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم وآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى ثمنا والله لئن راجعتنى فى ذلك قتلت نفسى قال ابراهيم فاعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لى يا سيدى ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس فى مؤنتك ثقل فاقم عندى الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسالته ان ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فأقمت عنده أياما على تلك الحالة فتذممت من الاقامة وتزيّيت بزى النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف امر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا انا بموضع مرشوش بماء فبصر بى جندى ممن كان يخدمنى وعرفنى وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فدفعته وفرسه فرميتهما فى ذلك الزلق وصار عبرة وتبادرت اليه الناس فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة فى دهليزه فقلت يا سيدة النساء احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت لا باس عليك واطلعتنى الى غرفة وفرشت لى وقدمت لى طعاما وقالت ليهدأ روعك فبينما هى كذلك واذا بالباب قد دق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى وقعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال ظفرت بالغنى وانفلت منى واخبرها بالحال فاخرجت خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا وطلعت الى وقالت اظنك صاحب

القضية فقلت نعم فقالت لا باس عليك ثم جددت لى الكرامة فاقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فيغم عليك فابخ بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فما شعرت الا بابراهيم الموصلى فى خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتنى اليه وحملت بالزى الذى انا فيه للمأمون فجلس مجلسا عاما واذن لى عليه فلما دخلت عليه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين اذ ولى الثار محكم فى القصاص والعفو اقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم قلت

ذنبى اليك عظيم ... وانت اعظم منه
فجد بحقك أولى ... واصفح بحلمك عنه
ان لم اكن فى فعالى ... من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون رأسه فبدرته وقلت

ايتيت ذنبا عظيما ... وانت للعفو أهل
فان عفوت فمنّ ... وان جزيت فعدل

وفى المعنى أيضا قول الشريف على العقيلى شعر

ياطاعنى بعتاب كاد ينفذنى ... لولم اكن لابسا درعا من الامل
اخلع على جديدا من ندالك فقد ... رقعت بالعذر ما خرقت بالزلل

وفى المعنى أيضا قال بعض المحدثين شعر

فان عاقبتنى فبسوء فعلى ... وما ظلمت عقوبة مستفيد
وان تغفر فاحسان جديد ... دعوت به الى شكر جديد

قال فرق المأمون واستروحت رائحة الرحمة منه ثم اقبل على ابن عمه واخيه ابى اسحاق وعلى جميع من حضر من خاصته وقال ما ترون فى أمرى فكل أشار بقتلى الا انهم اختلفوا فى القتلة كيف هى فقال

المأمون لاحمد بن خالد ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله فكسر المأمون رأسه وأنشد متمثلا

قوم هموا قتلوا اميم أخي ... فاذا رميت يصيبني سهمي

شعر في المعنى

ان الكريم اذا تمكن من اذى ... جاءته اخلاق الكرام فاقلعا

وترى اللئيم اذا تمكن من اذى ... يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

قال ابراهيم فكشفت المقنعة عن راسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله أمير المؤمنين قال لا باس عليك يا عم فقلت فديتك يا امير المؤمنين أعظم من ان اتفوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان اطوق معه بشكر ولكن اقول

ان الذي خلق المكارم حازها ... في صلب آدم للامام السابع

ملئت قلوب الناس منك مهابة ... والكل تملؤهم بقلب خاشع

ما ان عصيتك والغواة تمدني ... اسبابها الا بنية طامع

وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع اليك بشافع

ورحمت اطفالا كافراخ القطا ... وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك ورضيا عنك فقلت

رددت مالي ولم تبخل علي به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

فلو بذلت دمي ابغي رضاك به ... والمال حتى اسل النعل من قدمي

ما كان ذاك سوى عارية رجعت ... اليك لو لم تعر ما كنت لم تلم

فان تجد تك ما اوليت من نعم ... ان الى اللوم اولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام درا هذا أحسنه وخلع عليه وقال يا عم ان ابا اسحاق والعباس قد اشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن أتيت بما انت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون حقدوا منه بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم اجرعك مرارة الشامتين ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه وقال يا عم

اتدرى لماذا سجدت فقلت شكرا لله الذى ظفرك بعدو دولتك فقال
ما اردت ذلك ولكن شكرا لله الذى الهمنى العفو عنك قال ابراهيم
فشرحت له صورة امرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة
والمولاة التى تمت على فأمر المأمون باحضار المولاة وهى فى دارها
تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة
فى المال فقال لها هل لك ولد او زوج فقالت لا فامر بضربها مائتى سوط
وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندى وامرأته والحجام فاحضروا
فسال الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال
فقال المأمون يجب ان تكون حجاماً ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان
حجام ليعلمه الحجامة واكرم زوجته وادخلها للقصر وقال هذه امرأة
عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام وقد ظهر من مروءتك ما يوجب
المبالغة فى اكرامك وسلم اليه دار الجندى بما فيها وخلع عليه وامر
له برزق الجندى وزيادة الف دينار حدث محمد الرصافى قال كنت
احد من وقعت عليه النميمة ايام الواثق بمال بمصر فطلبنى السلطان
طلبا شديدا حتى ضاقت على الارض برحبها فخرجت من البلاد مرتادا
رجلا عزيزا يمنع الدار أعوذ به وانزل عليه حتى انتهيت الى بنى شيبان
ابن ثعلبة فجئت الى بيت مشرف بظهر رابية والى جانبه فرس مربوط
ورمح مركور يلمع سنانه فنزلت عن فرسى وتقدمت فسلمت على اهل الخبا
فرد على نساء من وراء السجف يرمقننى من وراء الستور بعيون
كعيون اخشاف الظبا فقالت احداهن اطمئن يا حضرى فقلت
كيف يطمئن المطلوب أو يامن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه
والخوف غالبه دون ان ياوى الى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت
يا حضرى لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت
بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد ما دام لهذا الحى سيد
اولبد هذا بيت الاسود بن فنان أخو كليب واعمامه شيبان صعلوك
الحى فى ماله وسيدهم فى فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد
النار وطلب الثار فقلت الآن ذهبت عنى وحشتى وسكنت روعتى

فالى به

فاني لي به قالت يا جارية اخرجي فنادي مولاك فخرجت الجارية فما لبثت
الا هنيهة حتى جاءت وهو معها في جمع من بني عمه فرأيت غلاما حين
اخضر شاربه واختط عارضه فقال اي المنعمين علينا فبدرت المرأة
فقالت يا ابا مرهف هذا رجل بنت برأوطانه واز عجه سلطانه
وأوحشه زمانه وقد اجب جوارك ورغب في ذمتك وقد ضمنا له
ما يضمن لمثله مثلك فقال بل الله فاك ثم اخذ بيدي وجلس وجلست
ثم قال يا بني ابي وذوي رحمي اشهدكم ان هذا الرجل في ذمتي وجواري
فمن اراده فقد اراد ني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني في امره من
الحال الا ويلزمكم مثله فيسمع الرجل ما يسكن اليه قلبه وتطمئن
اليه نفسه فما رأيت جوابا قط احسن من جوابهم اذ قالوا با جمعهم
ما هي بأول منة امننت بها علينا ولا يد بيضاء طوقتنا بها وما زال
ابوك قبلك في بنا الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه انفسنا واموالنا
بين يديك ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم ازل عزيزا منيعا حتى
منح لي من السلطان ما اتملت فانصرفت الى اهلي حكى عن المامون
انه خرج يوما لمتنزهه فبينما هو يسير اذ رأى صبية على كتفها قربة
وقد اثقلتها وهي تنادي يا ابت ادركفاها فقد غلبني فوها لا
طاقة لي بفيها فتعجب المامون من فصاحتها على صغر سنها وقال
لها هل تعرفين من العربية شيئا قالت اولست من العرب قال فمن
ايها قالت من اليمن قال فمن ايها قالت من قضاعة قال فمن ايها
قالت من كلب قال فانك من كلاب قالت لا ولكن فريق يدعى كلبا
قالت أما انا فقد سألتني عن حسبي ونسبي فاصغ لك ولكن
ممن تكون أنت قال ممن تبغضه اليمن كلها قالت فاذا انت من مضر
فمن ايها قال ممن تبغضه مضر كلها قالت فاذا انت من قريش فمن ايها
قال ممن تبغضه قريش كلها قالت فاذا انت من بني هاشم فمن ايها
قال ممن تحسده بنو هاشم كلها قالت فاذا انت المامون ورب الكعبة
وثبت قائمة وانشدت تقول

مامون يا ذا المنن الشريفه وصاحب المرتبة المنيفه

وقائد العساكر الكثيفه هل لك فى ارجوزة لطيفه
اظرف من فقد ابى حنيفه لا والذى انت له خليفه
ما ظلمت فى حينا ضعيفه عاملتنا بمؤن خفيفه
اللص والتاجر فى قطيفه والذئب والنجمة فى سقيفه

قال فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها فقال ايما احب اليك مائة الف مؤجلة ام عشرة آلاف معجلة فقالت المائة الف المؤجلة لانك الملى لها الوفى بها فاعطاها المائة الف فاخذتها وانصرفت ومما يحكى ان المأمون راى رؤيا فى منامه فنسيها فاصبح مستوحشا فأحضر الكرمانى المعبر وقال رايت رؤيا فنسيتها فقال نعم يا امير المؤمنين رايت كانك طلعت الى جبل عالى ونزلت الى صحراء واسعة وصرت الى بئر مالحة ثم صرت الى جبل فيه كهفان ثم صرت الى بئر عذبة ونزلت الى اجمة قصب فانتبهت وانت تقول لا اله الا الله فقال له المأمون صدقت من اين عرفتها قال لما وقعت عينى عليك وضعت يدك على رأسك ثم امررتها على وجهك ولحيتك فقلت اشهد ان لا اله الا الله فقلت الراس راس جبل عالى والجبينين صحراء واسعة والعينين بئر مالحة والانف جبل بين كهفين والفم بئر عذبة واللحية اجمة قصب فانتبهت وانت تقول لا اله الا الله روى عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا لاول عبارة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقصها الا على حبيب او لبيب وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره وروى ان الرؤيا قد تمتد الى اثنين وعشرين سنة ويعضد ذلك ان سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام راى الرؤيا وهو ابن سبعة عشر سنة واشتراه العزيز فى تلك السنة ولبث فى منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ومكث فى السجن سبع سنوات واجتمع بابيه وخالته بعد سنتين من تصرفه فى خزائن مصر فتكون

الجملة اثنين وعشرين سنة ثلاثة عشر فى منزل العزيز وسبعة فى السجن وسنتين الى ان اجتمع بابيه قال الله تعالى حكاية عن يوسف يا أبت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ومما حكاه المقريزى فى خططه قال قال ابو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر ان غلام ابى سعيد الخشاب أخبره انه رأى رؤيا فاعجبته فبينما هو جالس فى حانوت أستاذه واذا بابن العسال المفسر ومعه رجل من اهل الريف يطلب عامود خشب لطاحون فاشترى من ابن عقيل عمودا بخمسة دنانير فجاء بجماعة من اهل السوق يقصون عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت له رؤيا رايتها فقال لى فى اى وقت رايتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياى وقت كذا فقال هى هذه رؤيا لا افسرها الا بدنانير كثيرة فالححت عليه فقال استاذى لابن العسال هذا غلام ضعيف فقير لا يملك شيأ فقال لى لست آخذ الا عشرين دينارا فلم يزل حتى قال والله لا اخذ اقل من ثمن العامود فقال ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العامود * فقال لى فى مثل هذا اليوم تأخذ الف دينار فقال ابن عقيل ان لم يصح هذا قال يكون العامود عندك الى مثل هذا اليوم قال ابن عقيل قد انصفت فلما كان فى مثل ذلك اليوم فتحت دكان استاذى واستلقيت على ظهرى افكر فيما قال ابن العسال ومن اين تصير الالف دينار * فقلت لعل سقف الدكان ينفرج يسقط منه هذا المال وجعلت اجول بفكرى الى الضحى اذ وقف على جماعة من اعوان الاستاذ ابى على ابن زنبور وطلبونى الى ديوانه فقلت وما يصنع بى قالوا الى اذا اجئته سمعت كلامه وما يريد منك فقلت ما اقدر امشى فقالوا اكترى حمارا تركبه ولم يكن عندى ما اكترى به الحمار فنزعت دكة سراويلى ودفعتها على درهمين لمن اكترى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى الى ديوان ابى على بن ابى زنبور فلما دخلت قال انت ابن عقيل فقلت لا ياسيدى انا غلام فى حانوته فقال احسن قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء وقوم لنا الخشب بحيث لا يزيد ولا ينقص *

فمضيت معهم فجاؤا بي الى البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف
وغير ذلك مما يصلح للمراكب وقالوا لي انظر الى هذا الموضع فاذا هو اكثر
من الاول فقومته بالفي دينار فاعجلوني ولم اضبط قيمة الخشب
ثم رددوني الى ابي علي فقال لي قومت الخشب كما امرتك فقلت نعم
قال بكم قومته فقلت بالفي دينار فقال انظر لا تغلط فقلت هو
قيمته فقال لي خذه بالفي دينار فقلت انا فقير لا املك دينارا فقال
لي لست تحسن تدبير. فقلت بلى قال فخذه. ونحن نصبر عليك
الى ان تبيع شيأ فشيأ فكتبته علي ورجعت الى الخشب لاعرف عدته
واوصى به الحراس فوافيت جماعة من اهل سوقنا وشيوخهم قد اتوا
الى الخشب فقالوا قومت الخشب بالفي دينار وهو يساوي اضعاف
ذلك فقالوا اسكت لا يسمعك أحد فقال بعضهم لبعض اعطوا
هذا ربحه وتسلموه انتم فقال قائل منهم اعطوا ربحه خمسمائة
دينار فقلت لا والله ما آخذ اقل من الف دينار فاخذتها بنقد
الصيرفي وميزانه وشددتها في طرف ردائي ومضيت معهم الى ديوان
ابي علي وحولت اسماءهم مكان اسمي ورجعت الى استاذي فقال
قبضت الالف دينار قلت نعم وتركت الدراهم بين يديه وقلت له خذ
ثمن العامود فقال والله ما اخذ منك شيأ وجاء ابن المسال فاخذ
العامود وانصرف * حكى شهريار بن رستم الديلمي قال كنت
صديقا لابي شجاع بويه ابن الديلم وكان فقيرا وله ثلاثة اولاد وهم
عماد الدولة ابو الحسن علي وركن الدولة ابو علي الحسن ومعز الدولة
الحسن احمد وكان بويه يصطاد السمك ويحتطب بنوه فماتت زوجته
وخلفت أولاده الثلاثة الذين ذكرناهم فحزن عليها حزنا شديدا *
فدخلت عليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له انت رجل
تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين اولادك يهلكهم الحزن وسليته جهدي
واخذته هو واولاده الى منزلي ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما
نحن كذلك اذ اجتاز بنا رجل يزعم انه منجم ومعبر للمنامات فاحضره
ابو شجاع وقال له رأيت في منامي كاني ابول فخرج من ذكري نار عظيمة

فاستطارت

فاستطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت تلك النار فصارت
شعبا وتولد من تلك الشعب مدة شعب فاضاءت الدنيا بتلك النيران
ورايت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا
منام عظيم لا افسره الا بخلعه وفرس فقال ابو شجاع والله ما املك
الا الثياب التي على جسدي فان اخذتها بقيت عريانا فقال المنجم
فعشرة دنانير فقال والله ما املك دينارا واحدا فكيف عشرة *
فاعطاه ما تيسر فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض
ويعلو ذكرهم كما علت تلك النار ثم يكون من سلالة كل واحد منهم
ملوك عدة بقدر ما رايت من ذلك الشعب فقال ابو شجاع للرجل
اما تستحيي تسخر بنا انا رجل فقير واولادي هؤلاء فقراء مساكين
يصيرون ملوكا فقال اخبرني بوقت ميلادهم فجعل يحسب ثم
قبض على يد ابي الحسن فقبلها وقال هذا والله الذي يملك البلاد
وهذا من بعده وقبض على يد اخيه الحسن فاغتاظ منه ابو شجاع
وقال اصفعوا هذا فقد افرط في السخرية بكم فقال اذكروا هذا اذا
قصدتكم وانتم ملوك فضحكا منه واعطاه ابو شجاع عشرة دراهم
وخرج وتركهم فخدموا عند ملك يقال له ماكان بن كان في بلاد طبرستان
وما زالت الاحوال تنتقل بهم الى ان جعل لهم من الاموال شيء كثير الى
ان اشتهر أمرهم وحسنت سيرتهم واجتمع عليهم من الجند خلق
كثير وقد آل بهم الحال حتى ملكوا غالب البلاد وتملكوا بغداد من الخلفاء
العباسية وانتشرت شهرتهم بدولة بني بويه وصار المؤرخون
يكتبون ذلك في تواريخهم كما يذكرون دولة بلاد فارس من بعدهم من
أرباب الدول وهذا امر عجيب واتفاق غريب والله القادر على كل
شيء وذكر لي من اثق به انه سمع أن بعض ملوك الاسلام رأى في
منامه ان احدى رجليه وصلت الى السماء فقص ذلك على معبر حاذق
فقال له تحت بطانة احدى خفي رجليك رقعة مرقوم فيها ابو بكر وعمر
ففتقه فوجد الرقعة فقبض على صانعه فاقر بالرفض ووجد كل خف
عمل على هذا النمط فقتل الرافضي أشر قتلة واحسن الى المعبر بحسنة

جزيلة وافرة ومما يحكى ان شخصا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد من يده وصار لا يملك شيئا ولا ينال قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى فى منامه قائلا يقول له رزقك بمصر فاتبغه وتوجه اليه فسار الى مصر فلما توجه لها ادركه المساء فنام فى مسجد وكان بجوار ذلك المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا ذلك المسجد وتوصلوا منه الى البيت المذكور فاقام أهله الصياح فاغاثهم الوالى باتباعه فهربت اللصوص ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما حتى اشرف على الهلاك وسجنه فمكث اللائة ايام فى السجن ثم احضره الوالى وقال له من اى البلاد انت قال من بغداد قال له وما جاء بك الى مصر قال انى رأيت فى منامى قائلا يقول لى ان رزقك بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق تلك المقارع التى نلتها فضحك الوالى حتى بدت نواجذه وقال له يا قليل العقل ثلاث مرات وآت يا بتنى فى منامى يقول لى بيت فى بغداد بخط كذا ووصفه كذا بحوشه تينة تحتها فسقية بها مال له جرم فتوجه اليه فخذه فلم أتوجه وأنت من قلة عقلك تحضر من بلدة الى بلدة برؤيا هى أضغاث أحلام واعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد مع ان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل منزله حفر تحت الشجرة فرأى مالا كثيرا فاخذه ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب

(سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا وقال السائل هو فى الليلة الواحدة بل فى الساعة الواحدة يراه جماعة فى اماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو كالشمس فى كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا وهو ماخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء محلها وشعاعها فى سائر الآفاق

ومما من الله سبحانه وتعالى على مؤلف هذه العجالة انه رآى فى منامه

النبي صلى الله عليه وسلم مرتين وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام
مرة واحدة وساله الدعاء فدعى له بالاصلاح والتوفيق وسيدنا ابراهيم
الخليل وولده سيدنا اسماعيل عليهما الصلاة والسلام وسيدنا
يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وسيدنا عمر بن الخطاب
وسيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وراى حرم النبي صلى الله عليه
وسلم وقبره الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف ولما حججت في
ثماني عشرة والف فالذي رايته مناما وهو الحرم والقبر الشريف
وجبل عرفات ومحل الموقف رايته يقظة ونسال الله البر السلام
الذي من علينا برؤية محمد صلى الله عليه وسلم في المنام ان يمن علينا
برؤيته في اليقظة فانه قال عليه الصلاة والسلام من راني في المنام
فسيراني في اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بي لطيفة حكي ان رجلا
راى في منامه انه كان ماشيا في بعض الازقة فراى حفرة فنزل بها فراى
فيها كنزا فنزع قميصه وملاه ذهبا فاراد حمله فاثقله فاحدث
فانتبه من نومه ظانا بان المال بين يديه ووجد ثيابه وفرشه متضمخين
بالنجاسة من بول وغائط وقيل من نكد الوجود ان الانسان يرى
في منامه انه وجد مالا واصاب جوهرا او ظفر بخير فاذا انتبه لم
ير من ذلك شيئا وربما احدث فاذا انتبه وجد الحدث يقينا قال
الشاعر

أرى في منامي كل شئ يسرني ورويای بعد النوم اوهي واقبح
فان كان خيرا كان اضغاث حالم وان كان شرا جاء من قبل اصبح

وقال ابو العلا المعري

الى الله اشكو انني كل ليلة اذا انا لم اعدم خواطر اوهامي
فان كان شرا كان لابد واقعا وان كان خيرا كان اضغاث احلام

وقال الاحنف العبكري

وأحلم في المنام بكل خير فاصبح لا اراه ولا يراني
وان ابصرت شرا في منامي رايت الشر من قبل الاذان

رجعنا الى ما نحن بصدده من اخبار المامون حكي انه كان كثير الخير

الخير والجهاد وقيل انه ختم في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء في ايامه ممتحنون بجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله وقيل ان سبب موته انه اشتهى اكل سمكة يقال لها الرعادة اذا المسها أحد أخذته المنفاضة فاكلها فمات لوقته ومكث في الخلافة عشرين سنة وخمسة اشهر وكانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين ودفن بطوس وكان سنه ثماني واربعين سنة

خلافة ابي اسحاق المعتصم

ابن هارون الرشيد وهو يدعى بالمثمن ولد سنة ثمان وثمانين في ثامن شهر منها لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو ثامن اولاد الرشيد وثامن الخلفاء من بني العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف بباب ثمان ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عمره ثمان واربعين سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثماني بنات وثمانية آلاف دينار وثمانين ألف فرس وثمانين الف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمان قصور ونقش على خاتمه الحمد لله ثمانية أحرف وكان غلمانه الاتراك ثمانية عشر الفا ومما اتفق له أنه كان قاعدا في مجلس أنسه والكاس بيده فبلغه ان امرأة شريفة في الاسر عند علج من علوج الروم في عمورية وانه لطمها يوما على وجهها فصاحت وا معتصماه فقال لها العلج ما يجئ اليك الا على أبلق فختم الكاس وناوله لساقيه وقال والله لا شربته الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج فلما اصبح الصباح نادى بالرحيل الى غزوة عمورية وامر لعسكره ان لا يخرج احد منهم الا على ابلق فخرج في سبعين الف فرس ابلق فلما فتح عمورية دخلها وهو يقول للشريفة لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيدها وقال للساقي ائتني بالكاس فاتاه به ففك ختمه وشربه ذكر الراغب في تذكرته في باب المكتسبين بالضراط ان رجلا جاء الى باب المعتصم وقال قولوا على

الباب ضراط فقيل له اذهب فعندنا حاتم الدبس وهو احذق الضراطين
فقال عندنا ما ليس عنده فاستأذن له فلما دخل قال له المعتصم ما عندك
فقال أضرط ضرطة تفتق السراويل فقال ان فعلت فلك مائة دينار
وان عجزت فمائة سوط ففعل وأخذ الدنانير روى عن رجل انه كان
يصفق الباب بضرطته وكان سعيد بن حميد يضرط على ايقاع العيدان
ومما يحكى عن شخص من الموالي انه حضر في مجلس وكان به عواد فقام
رجل بوسط المجلس ووضع يديه على الارض ورفع رجليه في الهواء
فصار منكسا رأسه الى الارض ورجلاه الى فوق وصار يحرك رجليه على ايقاع
العود وكلما حرك رجليه ضرط ضرطة واستمر على ذلك الى ان فرغ العواد
وفي المثل اشهر من ضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومي يعتذر له

قد اكثر الناس في وهب وضرطه حتى لقد مل ما قالوا وقد بردا
لا تقل ضرطة هاجيه كضرطته في الذاكرين ولا يحسد كما حسدا
يا وهب لا تكترث للعايبين لها فانما انت غيث ربما رعدا

وقيل ان بعضهم وقعت في رجله شوكة فارادت زوجته قلعها فلما حركتها
بالابرة ضرط فقال لها رأيتيها قالت لا ولكن سمعت صوتها وحكي
ان نجما تغطت امه ليلة بكساء ثم ضرطت ثم ارادت تختبره هل سمع
حسها أولا فقالت له ما ثمن هذا الكساء قال مائة ومادام ضراطك
فيها لا تساوي درهما وروي ان البديع الهمداني دخل على الصاحب
ابن عباد فتزحزح له وأجلسه على السرير معه فسبق البديع حبقه
واراد ان ينفي عن نفسه التهمة فقال يا مولاي ان هذا صرير التخت
فخرج من عنده خجلا وانقطع عنه فكتب اليه الصاحب

قل للبديعي لا يذهب على عجل من ضرطة اشبهت نابا على عود
فانها الريح لا تستطيع تحبسها اذ لست انت سليمان بن داود

وفي الالغاز في الضرطة

ومولودة لم تعرف الطمث أمها وليس لها روح ولا تتحرك
يقهقه منها القوم من غير رؤية وصاحبها من عارها ليس يضحك

وقال الآخر

انفلت منه ضرطة سمعت فكاد منها يحمينى العرق
فالتزقت فى دون فاعلها وما ظننت الضراط يلتزق

قيل وقف بين يدى الحجاج رجل من البادية فلما اخذ فى الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال إما تتكلمى فاسكت وإما ان تسكتى فاكلم الامير بما اشتهى حدث واصل ابو بكر عن مجاهد قال وجد النبى صلى الله عليه وسلم ريحا قال ليقم صاحب الريح فليتوضأ فاستحى الرجل ان يقوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ان الله لا يستحيى من الحق فقال العباس يا رسول الله افلا نقوم كلنا قال قوموا كلكم فتوضئوا وقيل لبعض الاعراب وقد اسن كيف انت كيوم قال ذهب الاطيبان الناب والنصاب وبقى الارطبان السعال والضراط قيل ان بعض الفقراء اصابه قولنج شديد فى بعض المساجد ليلا فجعل يتأوه ويتقلقل ويقول يا الله ضرطة ورفع صوته بحضرة رفقائه فلما اصبح وقد اشرف على الهلاك وعاين الموت فقال اللهم انى استلك الجنة فقال له بعض رفقائه ما رأيت احمق منك انت من الغروب الى الآن تسأل الله فى ضرطة فما فرحت بها فتسأله الجنة التى عرضها السموات والارض رجعنا الى ما نحن بصدده قال نفطويه كان المعتصم من اشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره ذكر ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد ومما اتفق ان ملك الروم وهو اذ ذاك من اكبر ملوك النصارى ارسل كتابا الى المعتصم يهدده فاشتاط غيظا وأمر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه شئ مما كتب ومزق الكتاب الذى ورد اليه من ملك الروم وامر ان يكتب فى قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرأه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ويجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا له ان الطالع نحس فقال هو نحس عليهم لا علينا وسافر من يومه وتلاحقت به العساكر ووقع حرب عظيم قتل من النصارى ستون الفا وقتل بعد ذلك ملك النصارى وكان ذلك فتحا عظيما من اعظم فتوحات الاسلام وقد مدح الشعراء بقصائد

طنانة واحسن ما قيل قصيدة ابى التى اولها

السيف اصدق انباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة ... بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
ابن الدراية بل ابن النجوم وما ... صاغوه من زخرف منها ومن كذب
ولو تبين امر قبل موقعه ... لم يخف ما حل بالاوثان والصلب
فتح تفتح ابواب السماء له ... واهتزت الارض من اثوابها القشب
ومنها تدبير معتصم الله منتقم ... فى الله مرتغب بالله مرتقب
ومنها لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد ... الا تقدمه جيش من الرعب

ومنها

حتى تركت عمود الشرك منعفرا ... ولم تعرج على الاوتاد والطنب
ان الاسود اسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
خليفة الله جاز الله سعيك عن ... جرثومة الدين والاسلام والحسب

ومنها

وبين ايامك اللاتى نصرت بها ... وبين ايام بدر اقرب النسب

ومما يناسب ذلك ان بعض الملوك عزم على السفر لغزو عدو له فمنعه المنجمون وقالوا ان القمر فى العقرب والحركة مذمومة فدخل على الملك وهو جالس مع ندمائه بعض المماليك الحسان الوجوه وهو متوشح بقوس فوقف بين يدى الملك فنظر اليه بعض الندماء وقال للملك يا مولانا القمر حل فى القوس حقيقة فسافر الملك لوقته فلم ير احسن من تلك السفرة وظفره الله بعدوه وعاد وهو محظوظ

* (ومما يناسب ذلك ايضا ان سلطانا كان له عدو وبلغه عنه امور تقتضى محاربته فهيأ نفسه وجمع عساكره باسلحتهم ورايا تهم وزينهم فى داره وخرجوا قاصدين القتال وكان بدهليز دار السلطان ثريا معلقة فاصابها راية من الرايات فانكسرت فتطير السلطان من ذلك وقصد ابطال السفر فقال له شخص من اخصائه ولته يا مولانا رايا تكم بلغت الثريا فاستحسن ذلك واندفع عنه الوهم وسافر

وظفره الله بعدوه وعاد فرحا مسرورا *
رجعنا الى ما نحن بصدده وكان المعتصم من اعظم الخلفاء الذين الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من اعظم خلاله الردية مع انه كان عاميا لاحظ له من الكمالات العلمية بل حمله على ذلك مجرد الجهل ولما احتضر قال اللهم انك تعلم اني اخافك من قبلي وارجوك من قبلك لامن قبلي فيا من لا يزول ملكه ارحم ملكا قد زال ملكه *

وانشا يقول

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى ... وخذ صفوها لما صفت ودع الرنقا
ولا تامنن الدهر اني امنته ... فلم يبق لي حالا ولم يدع لي حقا
فتكت صناديد الرجال ولم ادع ... عدوا ولم اهمل على جسد حنقا
واخليت دار الملك عن كل نازل ... وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة ... ودانت رقابا الخلق اجمع لي رقا
رمتني الردى اسهما فاخرجت مني ... فها انا ذا في حفرتي عاجلا ملقا
وافسدت دنيا ودينى سفاهة ... فمن ذا الذي مني بصرعه اشقا
فيا ليت شعري بعد موتي ما ارى ... الى رحمة الرحمن او ناره ألقى

* وتوفي ليلة الخميس لاحد عشرة ليلة بقين من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومايتين

خلافة ابي جعفر هارون

الواثق ابن المعتصم بويع له بالخلافة يوم مات والده وسنة ست وثلاثون سنة وكان عالما شاعرا حاذقا فمن شعره في واقعة حاله

حياك بالنرجس والورد ... معتدل القامة والقد
فالهبت عيناى نار الجوى ... وزاد في اللوعة والوجد
امكنت بالوصال ملكا له ... فصار ملكي سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده ... فانصفوا المولى من العبد

فاقام خليفة خمس سنين وتسعة اشهر ومات يوم الاربعا لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومايتين ولما مات نزل وحمله

واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرزون فاستل عينيه فاكلهما
فسبحان العزيز المتعال الذى لا يزول ملكه ولا يعتريه زوال

خلافة جعفر المتوكل بن الواثق

بويع له يوم مات والده وسنة واحد واربعون سنة وكان كريما
سنيا سنيا اظهر السنة واكرم علماء الحديث وامات البدع ومنع
القول بخلق القرآن وشنع على المعتزلة والهمن وامر نائبه بمصر ات
يحلق لحية قاضى مصر محمد بن ابى الليث ويطوف به الاسواق لانه كان
معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن ففعل به ذلك وكتب الى سائر
الافاق برفع المحنة واظهار السنة ولم يزالوا على المعتزلة فى قوة
وغا الى ايام المتوكل فحدوا ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام
فى قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا
ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود
على احد وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على اثنين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى
على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة والمعتزلة جنس
يطلق على فرق منهم الواصلية والهذلية والنظامية والبشرية
والعمرية والمردادية والتمامية والهشامية والجاحظية
والجبائية ومن مشاهيرهم الاعيان الجاحظ وابو الهذيل العلاف
وابراهيم النظام وواصل بن عطا وكان يلثغ بحرف الراء فالتزم
باسقاط حرف الراء من كلامه حتى ضرب به المثل فقال بعض الشعراء

اجعلت وصلى الراء لم تنطق به ... وقطعتنى حتى كانك واصل
لا تجعلنى منك همزة واصل ... يلحقنى حذف وما انا واصل

وقال ايضا

كانى فى الزمان اسم صحيح ... جرى فتحركت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو ... وملقى الحظ فيه كراء واصل

قيل ان بعضهم كتب رقعة وقع فيها امر امير المؤمنين ان تحفر بئر

فى الطريق يشرب منها الشارد والوارد ودفعها لواصل وهو بحضرة أمير المؤمنين ليعجزه عند قراءتها فلما فتحها وراى ما فيها أجاب فورا وقال حكم خليفة الله أن ينبش قليب فى الفلاة يستقى منه الغاد والبادى ولم يتلعثم وواصل بن عطا هذا توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وانشد بعض الشعراء يقول فى الثلغ

يبدل الراء حين ينطق غينا ... فيسمى لون الشقائق احمغ
قلت له يوما تصدق وزرنى ... كى نرى الراح فى زى مصبغ
قال تشغب من الحغام ورغيقى ... مسكغ غائق عجيق مكفغ
ياله واعظا رقيق الحواشى ... وعظ الصب فى الكياسة ابلغ

ومن مشاهير المعتزلة ايضا احمد بن حائط وبشر بن المعتمر ومعمر ابن عباد السلمى وابو موسى بن عيسى المرداد المعروف براهب المعتزلة وشماسة بن الشرس وهشام بن عمر القرظى وابو الحسن بن عمرو الخياط وابو على الجبائى هؤلاء رؤس مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق ومن فضلاء المعتزلة ابو الحسن البصرى والعكبى والقاضى عبد الجبار الرمانى النحوى وابو على الفارسى واقضى القضاة الماوردى وهذا غريب فائدة لا باس بذكرها الماوردى هو ابو الحسن وقيل ابو القاسم على بن محمد بن حبيب الماوردى مات ببغداد يوم الثلاثا سلخ ربيع الاول سنة خمسين واربعمائة ودفن فى يوم الثلاثا وهو ابن ست وثمانين سنة قال بعضهم لما الف كتبه لم يظهرها فى حياته فلما مرض مرض موته قال لبعض أصحابه ان تاليفى فى ركن البيت يعنى بيته واخاف انها لم تقبل منى ولكننى اذا كنت فى النزع فاجعل يدك فى يدى فان بسطت فعلامة القبول وان قبضت فعلامة عدمه فاحرقها فلما كان فى النزع قال فعلت فبسطت يده فعلم بذلك قبوله فنشرها فى الناس قاله ابن خلكان الدمشقى اقول والظاهر ان المتفوه عليه بذلك اما بغضا او حسدا والله اعلم بحقيقة الحال ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى صاحب الكشاف وذكر

ابن خلكان عن بعض الفضلاء ان الزمخشري اوصى ان يكتب على قبره هذه الابيات

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها من لحمها ... والمخ في تلك العظام النحل
امنن علي بتوبة تمحو بها ... ما كان مني في الزمان الاول

وتوفي الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة والهيراني من فضلاء المعتزلة وفي ايام المتوكل ماجت النجوم في السماء وجعلت تتطاير شرقا وغربا كالجراد المنتشر من غروب الشمس الى طلوع الفجر ولم يقع مثل ذلك الا في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وللمتوكل محاسن منها انه وضع على قبر الامام احمد بن حنبل رخامة بيضاء كاللوح ونقش عليها هذا قبر شيخ اهل السنة وزين هذه الامة العالي الهمة الذي لا تاخذه في الله لومة لائم ابي عبد الله احمد بن محمد الشيباني قيل للامام احمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لبعض الكتبة ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا رقاقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال دقا وودلقا ولا اريد رزقا فائدة نقل القرطبي عن الامام ابي بكر الطوسي رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤن شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدفوف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا فقال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا الكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس مع اصحابه كانما على رؤسهم الطير مع الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم

من أئمة المسلمين ذكر الصلاح الصفدى فى كتابه تمام المتون لشرح رسالة
ابن زيدون انه اتفق ان نعم بن جهور على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه
برسالة من جملتها قوله هب انى عكفت على العجل يشير بذلك الى قوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده من حليتهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لما وعد الله تعالى موسى عليه السلام ليقاتل
وهو اربعون يوما كان قوم موسى امنوا ودخلوا مصر ولهم كتاب ولا
شريعة فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى
ذاهب الى ربى آتيكم بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون ووعدهم
اربعين ليلة ثلاثين ذى القعدة وعشرا من الحجة واستخلف عليهم
اخاه هارون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال له فرس الحياة
لا تمر على شئ الا حيى فلما رآه السامرى وكان من بنى اسرائيل من قبيلة
يقال لها سامرة فراى موضع الفرس وكان منافقا من قوم يعبدون
البقر فقال ان لهذا شأنا فاخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل والقى
فى روع السامرى انه اذا القى فى شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد
استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون فى عرس لهم ولما اهلك الله فرعون
وقومه بقيت تلك الحلى فى ايديهم قال السامرى لبنى اسرائيل ان الحلى
التى استعرتموها لا تحل لكم فاحفروا حفرة واد فنوها فيها حتى يرجع
موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى
عجلا فى ثلاثة أيام ثم القى القبضة التى أخذها من اثر حافر فرس
جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من احسن ما يكون
وخار خورة وكان يمشى ويخور فقال السامرى هذا الهكم واله موسى
الذى نسيه هاهنا وكان بنو اسرائيل قد اخلفوا الموعد وعدوها
باليوم مع الليلة حتى مضت عشرون يوما فلم يرجع موسى فوقعوا
فى الفتنة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذى عكف منهم على العجل
ثمانية آلاف يعبدونه الا هارون مع اثنى عشر الف رجل فاوحى الله الى
موسى انا قد فتنا قومك فرجع اليهم غضبان أسفا فقال يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم

خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ومن مناقب
الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه انه بلغه ان رجلا من وراء النهر عنده
أحاديث ثلاثة فرحل الامام أحمد اليه فوجده شيخا يطعم كلبا فسلم
عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب فوجد الامام أحمد
فى نفسه شيئا اذ اقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ الشيخ
من طعمة الكلب التفت الى الامام وقال كانك وجدت فى نفسك اذ
أقبلت على الكلب ولم اقبل عليك قال نعم قال حدثنى ابو الزناد عن الاعرج
عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه
قطع الله منه رجاء يوم القيامة فلم يلج الجنة ثم قال الشيخ أرضنا
هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخفت ان اقطع رجاه
فقال الامام أحمد هذا الحديث يكفينى ثم رجع ومن محاسن المتوكل
أنه ارسل الى عامله بمصر الامير يزيد بن عبد الله انه يبطل ما كان بمصر
من المقاييس المتقدمة ويبنى مقياسا لزيادة النيل فبناه فى أول
سنة سبع واربعين ومائتين برأس جزيرة الفسطاط وسماه المقياس
الجديد وهو الموجود الآن وكان بمصر مقاييس منها ما بنى فى
ايام سليمان بن عبد الملك الاموى وبنى الامير احمد بن طولون مقياسا
بجزيرة الفسطاط وبنى عمر بن عبد العزيز مقياسا بحلوان صغير الذرا
وبنى المامون مقياسا بسروان فهذه المقاييس التى بنيت فى
صدر الاسلام واما المقاييس التى وضعت قبل الاسلام وهو
ما وضعه يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام فوضع مقياسا
بمنف وهو اول من اتخذ مقياسا للنيل بالاذرع واستمر مدة ثم
ان دلوكة العجوز وضعت مقياسا بافضنا ووضعت مقياسا باخميم
وان القبط وضعوا مقياسا بقصر الشمع عند دير البنات واثاره باقية
هناك الى ان بنى الامير يزيد المقياس المذكور فبطلت حكمة تلك
المقاييس التى كانت قبل وان الامير يزيد لما بنى المقياس الجديد المذكور
كسر فيه نحو من الفى مركبا حتى ثبت اساسه فى البحر ويشتمل هذا
المقياس على فسقية مربعة يدخل منها الماء من مسارب وفى وسطها عمود

من رخام أبيض وفوقه جائزة من خشب ووضعوا فى العمود خطوطا أصابع وهى عبارة عن قراديط مقسمة على أذرع يعلم منها ما يزيده النيل فى كل يوم من اوان الزيادة وجعل مساحة الذراع الى ان يبلغ اثنى عشر ذراعا فيكون الذراع ثمانية وعشرين اصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى فوق يصير الذراع اربعة وعشرين اصبعا وكانت أرض مصر كلها تروى الرى الكامل من ستة عشر ذراعا الى سبعة عشر ذراعا وما زاد على ذلك يحصل به الضرر قال بعض الحكماء لولا جعل الله فى نيل مصر حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عند بدو الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه امطار كافية ولا عيون جارية ولله در القائل

وافا لهذا النيل اى عجيبة ... بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مقبل ... حتى اذا ما قل عاد مودع
مستقبل مثل الهلال فدهره ... ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقال آخر فى المعنى

كان النيل ذو عقل ولب ... لما يبد لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه ... ويمضى حين يستغنون عنه

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل بحر فى المشرق والمغرب فاذا اراد الله تعالى ان يجرى نيل مصر امر كل نهر ان يمده فيمده الانهار بما ئها وفجر له الانهار والارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما اراد الله تعالى اوحى كل ماء ان يرجع الى عنصره وعن يزيد بن حبيب ان معاوية بن أبى سفيان سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله عز وجل خبرا قال اى والذى فلق الحبة وفلق لموسى البحر لاجد فى كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يوحى اليه فى كل عام مرتين يوحى اليه عند جريته ان الله تعالى يأمرك ان تجرى فيجرى ما كتب الله له ثم يوحى اليه بعد ذلك عد يا نيل حميدا قال ابن عبد الحكم كان فى زمن الاقباط يتولى قياس النيل

جماعة من النصارى فلما بنى الامير يزيد هذا المقياس عزل النصارى
من قياس النيل واستمر لشخص من المسلمين يقال له عبد الله بن عبد
السلام ابن ابى الردادى وكان اصله من البصرة وكان يقيم بالجامع
العمرى فاختاره الامير يزيد على قياس النيل الى ان توفى فى سنة ست
وستين ومائتين وكان دينا خيرا من اهل الصلاح والدين ولم حال
مع الله تعالى واستمر القياس لاولاده الى يومنا هذا اقول
وفى زماننا هذا علت الارض واهمل امرها من عدم جرف الترع والمساقى
واصلاح الجسور فصارت الاراضى لا يحصل لها الرى الكامل الا
فيما زاد على عشرين ذراعا ومن لطائف المتوكل انه كان فى زمن الورد
لا يلبس الا الثياب الموردة وكان فى زمنه لا يرى الورد الا فى مجلسه
وكان يقول انا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكلانا
اولى بصاحبه وكان يقول مخاطبا للورد

عار علىّ بان يشمك ساقط او ان تراك نواظر البخلاء

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وانواره مستنيره وقد ورد انهم
لما ألقوا سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى النار لم
تأكل النار سوى وثاقه ولما استقر فيها اخذت الملائكة باصبعيه
وأجلسوه على الارض واذا هو بعين ماء عذب وروضة تهتز بورد
أحمر ونرجس فائدة فى اشارة الورد وهو منزع صوفى
الورد يقول انا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف واللطيف
الذى يزور كما يزور الطيف فاغتنموا وقتى فان الوقت ضيف
اعطيت نفس العاشق وكسيت لون المعشوق فاروح الناشق
واهيج المعشوق فانا الزائر وانا المزور فمن طمع فى بقائى فان
ذلك زور ثم من علامات الدهر المكدور وناء عيشى المرور انى
حيث ما نبت رأيت الاشواك تزاحمنى وتجاورنى فانا بين الادغال
مطروح وبنبال شوكى مجروح وهذا دمى يخبر عن رويا عدمى
فهذا حالى وانا الطف الاوراد فمن صبر على نكد الدنيا نال المراد فبينما
انا ارفل فى ظل النضاره فاستلبتنى من بين الازاهير اذ قطعتنى

ايدى النظاره فاستلبتنى من بين الازاهير الى ضيق القوارير فيذاب جسدى ويحترق زبدى ويمزق جلدى ويقطر دمعى فجسدى فى حرق ودمعى فى غرق وقد جعلت مارشح من عرق تعاهدا بما لاقيت من قلقى فينادينى بهذا الاحتراق اهل الاختراق ويترقح بنفسى ذوو الاشواق اهل المعرفة يتوقعون لقائى واهل المحبة يتمنون بقائى شعر

فان غبت عنكم كنت بالروح حاضرا فسيان قربى ان تاملت والبعد
فلله من اضحى من الناس قائلا فانك ماء الورد اذ ذهب الورد

حكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله عن على بن محمد الانصارى انه رأى فى نهاوند وردا اصفر فى الوردة الف ورقة فعدها فاذا هى كذلك وذكر القاضى شهاب الدين أيضا انه رأى وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها ابيض ناصع البياض والورقة كأنها مقسومة بقلم وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يعتكف للعبادة فى ايام الورد ويقول فى زمن الورد يغلب على ظنى كثرة من يعصى الله تعالى فانا استغفر الله لهم واسأله المسامحة وقيل ان اعطر الزهور ورد جور وبنفسج الكوفة ونرجس جرجان ومنثور بغداد قال الصولى كان فى قصر المتوكل اربعة آلاف سرية مائتين رومیات ومولدات وحبش قال الجاحظ اهدى عبد الله بن طاهر الى المتوكل اربعمائة جارية ما بين بيض وحبش وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة فى الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغنا وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها شمرت عليه وابطرتها النعمة فغضب عليها وهجرها ومنع أهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك اياما وكان للمتوكل لها ميل فاصبح ذات يوم وقال لجلسائه قد رأيت هذه الليلة فى منامى كأنى صالحت محبوبة فقالوا نوجو امن ان شاء الله يكون ذلك يقظة فبينما هو فى الحديث واذا بخادم قد اقبلت واسرت الى المتوكل حديثا فقام من

المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى اسرته اليه بان قالت سمعنا من حجرة محبوبة غنا وهى تضرب بالعود وما ندرى ما سبب ذلك فسمعها تغنى على العود هذه الابيات

ادور فى القصر لا ارى أحدا ... اشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كأنى ركبت معصية ... ليس لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك ... قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا ... عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل هذه الابيات تعجب من هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة منامًا كما رآى فلما دخل الى حجرتها واحست به بادرت بالقيام اليه واكبت على اقدامه تقبلها وقالت يا سيدى لقد رأيت هذه الواقعة البارحة فى المنام فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله رأيت مثل ذلك منامًا فعند ذلك اصطلحا واقام عندها سبعة ايام بلياليها وكتبت محبوبة على خدها بالمسك اسم المتوكل وهو جعفر فلما رآها المتوكل انشا يقول وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا ... لنفسى لحظ المسك من حيث اثرا
لئن كتبت فى الخد سطرا بكفها ... لقد اودعت قلبى من الخط أسطرا
فيا من هواها فى البرية جعفر ... سقى الله من سقيا ثنا يالك جعفرا

ولما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة فانها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت الى جانب قبره قال بعض الحكماء يجب ان يكون فى المراة أربعة سود شعر الراس والحاجبين واشفار العينين والحدقة واربعة بيض اللون وبياض العين والاسنان والساق واربعة حمر اللسان والشفتان والوجنتان واللثة واربعة مدورة الرأس والعنق والساعد والعرقوب وأربعة طوال الظهر والاصابع والذراعان والساقان وأربعة واسعة الجبهة والعينين والصدر والوركان واربعة دقيقة الحاجب والانف والشفتان والاصابع وأربعة غليظة البحر والفخذان والعضلتان والركبتان واربعة صغيرة الاذنان

والثديان واليدان والرجلان واربعة طيبة الريح والفم والانف والفرج
واربعة عفيفة الطرف والبطن واليد واللسان فائدة اذا كانت
المرأة حاملا وأردت ان تعلم هل معها غلام ام جارية فتاخذ قملة من
رأسها وتضعها فى كفها وتحلب عليها من ثديها فان اسرعت الخروج من
تحت اللبن فهى جارية وان ابطأت فهى حامل بغلام فائدة اذا أردت
تعلم المرأة عاقر أم الرجل عقيما تمسك بول الرجل وبول المرأة كل واحد على
حدته ثم تعمد الى اصلين من اصول الخس وهما فى المبقلة فصب كل واحد
على أصل خس وتعلم الذى صب عليه بول الرجل والذى صب عليه بول
المرأة ويكون ذلك عند غروب الشمس فاذا كان من الغد انظر الى الاصلين
فايهما وجد أخذ فى الفساد دل على ان الذى صب تحته الماء عاقر فائدة
مجربة من أخذ من ذنب الحمار ثلاث شعرات حين ينزو على الاتان
ويشد هن الرجل على ساقه ينتشر ذكره ويستوى على سوقه فائدة
للحبل يسحق ورق الغبيرا ويعجن منه قدر درهم بعسل ويعمل صوفة
وتحمل بها المرأة عقب الطهر ويجامعها الرجل تحبل باذن الله تعالى
فائدة اخرى اذا تبخرت المرأة بحافر الحمار اسرع خروج ولدها
حيا سالما بسهولة وكذلك اذا كان ميتا حدث البحترى الشاعر
قال كنت عند المتوكل مع الندماء فتذاكروا السيوف فقال بعض من حضر
يا امير المؤمنين وقع عندرجل من البصرة سيف من الهند ليس له نظير
فامر المتوكل بالكتابة الى عامل البصرة يشترى له السيف الموصوف
فاشتراه بعشرة آلاف درهم فسر المتوكل بوجوده وقال لوزيره الفتح
ابن خاقان اطلب لى غلاما شق بخدته وشجاعته وادفع هذا السيف
اليه ليكون واقفا على رأسى كل يوم مادمت جالسا فلم يستتم كلام المتوكل
حتى دخل باغر التركى فدفع اليه المتوكل السيف قال البحترى فوالله ما
أخرج السيف المذكور من غمده الا لقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان
والى هذا المعنى أشار ابن زيدون فى رسالته بقوله وتكون منية المتمنى
فى امنيته ومن شعر الحافظ ابو بكر احمد خطيب بغداد

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها ولا للذة وقت عجلت فرحا

فالدهر أسرع شئ فى تقلبه وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته وكم تقلد سيفا من به ذبحا

وكان السبب فى قتل المتوكل انه عهد الى ولده المنتصر محمد بالخلافة اولا ثم وقع بينه وبين ابنه شئ فرجع عن عهده له وبدا له ان يعهد الى اخيه الصغير محمد المعتز وكان يميل الى ابنه الصغير اكثر من ابنه الكبير فلما بلغ الجند ذلك تغيرت خواطرهم عليه قاطبة ثم ان جماعة من الجند اتفقوا مع المنتصر على قتل ابيه فلما وثقوا منه بذلك ندبوا الى قتله باغر المذكور وكان موصوفا بالشجاعة فلما جاء نصف الليل هجم عليه عشرة من الاتراك ومعهم باغر فوجدوه قد سكر ونام وعنده الوزير الفتح بن خاقان فتقدم اليه باغر وضربه بالسيف على عاتقه فمات من وقته فصاح عليهم الفتح بن خاقان ويحكم يا كلاب كيف تقتلون خليفة الله فقتلوا الفتح بن خاقان أيضا ثم لفوهما فى بساط ودفنوهما فى الليل ولم يشعر بهما أحد قال عمرو بن شيبان رأيت فى الليلة التى قتل فيها المتوكل قائلا يقول هذه الابيات

يا نائم العين فى اقطار جيشان افضى دموعك يا عمرو بن شيبان
اما ترى الفتية الارجاس ما فعلوا بالهاشمى وبالفتح بن خاقان
فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم فقد بكاه جميع الانس والجان

وقال يزيد

كانت منيته والعين هاجعة هلا أتته المنايا والقنا رصد
خليفة لم ينل ما ناله أحد ولم يضع مثله روح ولا جسد

وكان البحترى كثيرا ما يذكر المتوكل والفتح بن خاقان فى شعره ويرتاح لذكرهما أبدا وقال من قصيدة

تدارك نى الاحسان منك ونالنى على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عنى حين لا فتح يرتجى لدفع الاذى عنى ولا المتوكل

وكان المتوكل اول خليفة قتل بيد الاتراك فظهر بذلك صدق الحديث النبوى رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فانه اول ما يسلب ملككم وما وسع الله بنو قنطورا واقام المتوكل فى الخلافة اربعة عشر سنة وتسعة اشهر الى ان قتله باغر باشارة ولده محمد المنتصر فى نصف شوال سنة سبع واربعين ومائتين ولا عجب فى ذلك فان الولد قد يكون ضررا على ابيه كما قيل

ارى ولد الفتى ضررا عليه ... لقد سعد الذى اضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوا ... واما ان يخلفه يتيما
واما ان يوافيه حمام ... فيبقى حزنه أبدا مقيما

شعر فى المعنى

لى ولد قد انتشا ... وجبه ملأ الحشا
كنا فظن رشده ... فما نشا كما نشا

وانشد فى المعنى

اضرب وليدك تاديبا على رشد ... ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة ... وقس على شق رأس السهم والقلم

وفى المعنى ايضا

كان ابو يا بريدنى ... عدل او قاضى البلد
ما يكون الا ما يريد ... يعتبر من له ولد

من الفردوس عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتى على الناس زمان لان يربى احدكم جرو كلب او خنزير خير له ان يربى ولدا من صلبه ومن الفردوس ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتى على الناس زمان تشاركهم الشياطين فى أولادهم قيل كائن ذلك يا رسول الله قال نعم قالوا كيف نعرف اولادنا من اولادهم قال بقلة الحياء وبقلة الترحم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وعن الحسن قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب لا تجامع
أهلك فى النصف الثانى من الشهر فانه يحضر الشياطين ويروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أربعة لا ينظر الله اليهم يوم
القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر وقال
صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه وبين الله حجاب الا شهادة
ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث
دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر
ودعوة الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم ما اكرم شاب
شيخا لسنه الا قيض الله له عند كبر سنه من يكرمه
وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا
والمطر قيظا ويفيض الدلاء فيضا ويغيض الكرم غيضا
ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وقيل لبعض
الحكماء لاى شئ نحب اولادنا وهم لا يحبوننا فقال لانهم
منا ولسنا منهم قال الشاعر

من كان يعلم ان مالك ماله من بعد عينك لا يحب بقاكا

ذكر البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى كما ربيانى صغيرا
روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوى بلغا
من الكبر ان الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما يفعلان ذلك وهما يحبان بقاك وانت تفعل ذلك
وانت تريد موتهما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال
جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
أبى أخذ مالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذهب فأتنى بابيك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله
عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاسأله
عن شئ قاله فى نفسه ما سمعته اذناك فلما جاء الشيخ قال له
النبى صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك اتريد ان تأخذ ماله
فقال له سله يا رسول الله هل انفقه الا على احدى عماته او

خلاته أو على نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا أخبرني عن شئ قلته في نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي فقال قل فانا اسمع فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا ... تعل بما احنو عليك وتنهل
اذا الليلة ضاقت بك السقم لم أبت ... لسقمك الا ساهرا اتململ
كأني انا المطروقة دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانني ... لاعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... اليها مدى ما كنت فيه أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال أنت ومالك لابيك فنسأل الله المات بفضله ان يرزقنا ذرية صالحة موفقة بمنه فائدة لا باس بذكرها في هذا المحل واثرادها في هذا المعنى قول الشيخ المذكور في قصيدته وعلتك يافعا قال الدماميني رحمه الله في وصف الانسان ناظما بشعر

أصح صفات الآدمي وضبطها ... لتلفظ درا تقتنيه بديعا
جنين اذا ما كان في بطن امه ... ومن بعد يدعى بالصبي رضيعا
فان فطموه فالغلام لسبعة ... كذا يافعا للعشر قله مطيعا
الى خمس عشر فالحرور تسمه ... لتحسن فيما تحتنيه صنيعا
كذا الى خمس وعشرين حجة ... دعاه الفاضلون مطيعا
حميل لحد الاربعين وبعده ... بكهل الى خمسين فادع سميعا
وشيخا الى حد الثمانين فاذعه ... بهاشم هما للممات رجيعا

خلافة محمد المنتصر بن المتوكل

بويع له يوم قتل أبيه على كره وسنه اربع وعشرون سنة ولم يتهن بالخلافة لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وكان على

حذر منهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء وكانوا أيضا منه على حذر وارد اوا
قتله فما امكنهم الاقدام عليه لشدة محاذرته منهم ذكر ان المنتصر
جلس يوما للهو وامر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته
الملوك فراى فيه صورة راس عليها تاج وعليها كتابة بالفارسية
فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر له رجل من الفرس فقراها
وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال معنى هذه الكتابة انا
الملك سيرونة بن ابرويز بن اهرمز قد قتلت ابى فى طلب الملك فلم امكث
بعده الا ستة أشهر فاصفر وجه المنتصر وتطير من ذلك وتذكر ما
صنع بابيه وحرم جسمه فطلب ابن طيفور المزين ليفصده فلما أحست
بذلك طائفة الاتراك دفعوا الى ابن طيفور الف دينار وقالوا له اذا
طلبك المنتصر لمداواته فافصده بمبضع مسموم وان المنتصر لما مات
فى توعكه انتبه فزعا مرعوبا وهو يبكى فسالته أمه ما يبكيك
قال افسدت دينى ودنياى رأيت ابى الساعة وهو يقول قتلتنى
يا محمد لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا اياما قلائل ثم مصيرك
الى النار فلما اصبح طلب ابن طيفور ففصده بالمبضع المسموم
فمات قال عمرو بن عثمان رأيت المتوكل بعد قتله بستة أشهر فى المنام
فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى بتعصبى للسنة بان القرآن غير
مخلوق فقلت وما تصنع ها هنا قال جئت انتظر ابنى محمدا حتى
أخاصمه بين يدى الله تعالى فلما اصبح اشيع بين الناس موت
المنتصر واقام المنتصر فى الخلافة ستة أشهر وتوفى فى ربيع الآخر
سنة ثمان وأربعين ومائتين حكى ان طيفور المذكور
لما فصد المنتصر بالمبضع المسموم مكث قليلا بعد موت
المنتصر ومرض فقال لتلميذه افصدنى فلا ياتى له الا بالمبضع
المسموم ففصده فمات لوقته فكان كما يقال

أفعاله رُدّت عليه بماجنى فالدهر قد جازاه من جنس العمل

خلافة ابى العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم

عم المنتصر اخو المتوكل بويع له يوم مات المنتصر وسنه احدى وثلاثون سنة قدمته الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا ان يلى الخلافة احد اولاده فياخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف وبا غر حتى قيل

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالا له كما تقول البيغا

وهى الدرة ومما افاده الدماميني فى كتاب عين الحياة ان الشيخ كمال الدين الادفوى ذكر فى ترجمة محمد بن محمد النصيبى القوصى الفاضل المحدث الاديب اخبر انه حضر مرة عند تقى الدين البصراوى الحاجب بقوص وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والادباء فحضر الشيخ على الحريرى وحكى أنه رأى دردة تقرأ سورة يس فقال النصيبى وكان غراب يقرأ سورة السجدة فاذا جاء الى محل السجود سجد ويقول سجد لك سوادى واطمأن بك فؤادى وسمعت من شخص من كتبة بيت المال المعمور بمصر ان امرأة من أولاد أمراء الدولة العثمانية توفت وليس لها وارث الا بيت المال فضبطت تركتها فكان من جملة مخلفاتها درة ذكروا انها تقرأ القرآن من أوله الى آخره فاتصل خبرها بمحمد باشا الوزير حال تصرفه بمصر فطلبها من وكيل بيت المال فاعطاها له فامتحن فى القراءة فقرأ شخص بحضورها سورة من القرآن فانتقل من اية الى آية مغلطة لها فردته فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجب وكان المستعين فاضلا متطلعا على التواريخ متجملا فى ملبسه وهو أول من اتخذ الاكمام العراض فجعل الكم ثلاثة اشبار ولما ابى المستعين الانقياد الى الاتراك خرج من بيت الخلافة وهو مختف وتوجه الى مدينة واسط فاقام بها وكاتبه الامراء والجند بان يرجع الى بغداد فامتنع من ذلك فارسلوا له من قبض عليه بواسط وسجنه ثم ان الجند احضروا المعتز

وبايعوه بالخلافة وصار العسكر فرقتين فرقة مع المستعين وفرقة مع المعتز فقويت شوكة المعتز وتم أمره فى الخلافة فارسل سعد بن صالح الى واسط فقتل المستعين بعد ان أقام فى السجن سبعة أشهر وكان قتله فى ثالث شوال سنة احدى وخمسين ومائتين فكانت خلافته ثلاثة سنين وتسعة اشهر والله تعالى اعلم

خلافة المعتز محمد ابى عبد الله

بويع له يوم خلع أحمد المستعين وسنه ثلاث وعشرون سنة وكان بديع الحسن حسن الصورة وكان متضعفا وكان صالح ابن وصيف مستوليا على المعتز وهو خائف منه فاجتمع الجند على المعتز وطلبوا منه ارزاقهم ووعدوه انه اذا انفق عليهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه ويصفو له الملك فلم يكن فى خزائنه ما يصرفه عليهم وطلب من امه شيأ من المال وكانت تركية واسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فأبت وشحت بالمال على ولدها وهو خليفة فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا واتباعهما واتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه برجله واوقفوه فى الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وسبعة اشهر وان صالح بن وصيف صادر قبيحة المذكورة وعذبها حتى أخذ منها ألفى الف دينار ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرد وسدس أردب ياقوت أحمر ثم اخرجت الى مكة واقامت بها الى ان ماتت واقل الناس ترحم عليها حين ظهر عندها هذا المال وشحت على ولدها والله أعلم

خلافة عبد الله بن المهدى

بويع له يوم خلع المعتز وسنه تسع وثلاثون سنة وكان كثير العبا

ليس له من الامر شئ وقد كان أبطل الملاهى ومنع الظلمة من
الظلم والمكوس قيل دخل عليه رجل وقال له لك عندى نصيحة
يا أمير المؤمنين فقال له لمن هى ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك
قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعى باعظم عورة ولا اقبح حالا
من قائد سياسة ولا تخلو من ان تكون حاسد نعمة فلا تشقى غيظك
أولك عدو فلا نعاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس فقال
لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضاء الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح
فان مالكنا الا الابدان ولهم القلوب ومن استتر لم نكشفه
ومن ناداانا طلبنا توبته ومن أخطأ قلنا عثرته انى أرى ان نضع
ابلغ من العقوبة والسلامة مع العفو أسلم منها الى العاجلة
والقلوب لا تبقى لوال لا يتعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا
قدر ولا يغفر اذا ظلم ولا يرحم اذا استرحم ولا يخفى ان حظوظ
النفوس نشأ فى الغالب من الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن
المحسود وهو من الكبائر كما قال فى الروضة وهو داء لا دواء له
وعداوة لا يرجى زوالها كما أشار اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه
فى قوله من أبيات منها

كل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة من عاداك من حسد

وحكى عن ابى العباس احمد القادرانه بينما هو ذات ليلة فى
اسواق بغداد اذ سمع شخصا يقول لآخر قد طالت علينا دولة
هذا الميشوم وليس لاحد عنده رزق فامر خادما معه ان يتوكل
عليه ويحضره بين يديه فلما حضر بين يديه سأله عن صنعته
فقال انى كنت من السعاة الذين يستعين بهم ارباب هذا الامر
على معرفة أحوال الناس قد ولى امير المؤمنين اقصانا واظهر
الاستغناء عنا فتعطلت معيشتنا وانكسر جاهنا عند الناس
فقال افتعرف من فى بغداد من السعاة قال نعم وأحضر كاتبا
فكتب اسماءهم وامر باحضارهم ثم أجرى لكل واحد منهم معلوما
ونفاهم الى الثغور القاصية ورتبهم هناك عيونا على أعداء الدين

ثم التفت لمن حوله وقال اعلموا ان هؤلاء ركب الله فيهم شرا وملأ صدورهم حقدا على العالم ولا بد لهم من افراغ ذلك الشر فالاولى ان يكون ذلك في اعداء الدين ولا ينغص بهم على المسلمين شعر في المعنى

قوم هموا كدر الحياة وسقمها عرض البلاء بهم على وطالا
يتاكلون ضغينة وخيانة ويرون لحم الغافلين حلالا
وهموا فراش الشر يوم ملمة يتهافتون تفاشيا وخبالا
وهموا غرابيل الحديث اذا وعوا شرا تقطر منهم اوسالا

ومما يحكى ان السلطان محمد بن قلاوون رحمه الله اخبره وزيره الامير علاى الدين مغلطاي ان تاج الدين كاتب الفتاح ذكر عنده أناس بكل قبيح والتزم فيهم جملة من الذهب اذا صودروا واخرجت وظايفهم فقال السلطان للوزير احضر تاج الدين المذكور فلما حضر بين يديه وسمع كلامه قال هل لك علم باحد في القاهرة يعرف شيئا من هذه الاحوال قال نعم جماعة وعدهم فقال للوزير خذ هذا واحتفظ به واحسن اليه واذا حضر لك هؤلاء الذين ذكرهم عرفني بهم فخرجا من عنده وذكر له جماعة وهو يحضرهم الى ان لم يبق منهم أحد ودخل الى السلطان وعرفه بهم فقال اخرج الآن في هذه الساعة وجهز الجميع الى قبرس ولا تدع احدا منهم في القاهرة فان هؤلاء مناجيس يرافعون الناس فنفاهم أجمعين شعر في المعنى

اقول وطرف النرجس الغض شاخص الينا وللنمام حولي المسام
ايا رب حتى في الحدائق اعين علينا وحتى في الرياحين نمام

وكتب بعض شهود الاهواز الى الوزير ابي الفرج محمود بن فسانجس قد مات فلان وخلف خمسين الف دينار اعينا ولم يخلف غير طفلة فان رأيت استقراض المال الى ان تبلغ الطفلة ففي عقارها واملاكها كفاية فوقع على ظهر كتابه الطفلة جبرها الله والمال ثمرة الله والساعي لعنه الله لا حاجة للسلطان بالمال

وعن أبي بُردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث
الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا قيل من هم يارسول الله
قال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما
انما يأكلون فى بطونهم نارا وحكى انه لما ولى عبد العزيز بن عبد
الملك دمشق ولم يكن فى بنى امية البت منه فى حداثة سنه
قال اهل دمشق هذا غلام شاب ولا علم له بالامور ويتسمع
فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندى نصيحة فقال له ليت
شعرى ما هذه النصيحة التى ابتدأتنى بها من غير يد سبقت
منى اليك قال جار لى عاص فقال له ما اتقيت الله ولا اكرمت
أميرك ولا حفظت جارك ان شئت نظرنا فيما تقول فان كنت
صادقا لم ينفعك ذلك عندنا وان كنت كاذبا عاقبناك قال
أقلنى قال اذهب حيث جئت لا صبحك الله بخير انى اراك شر
رجل وروى ان معاوية رضى الله عنه قال يوما للاحنف بن قيس
فى امر بلغه عنه فانكر الاحنف فقال معاوية الثقة بلغنى فقال
الثقة لا يبلغ وقد جاء فى السنة النبوية احاديث كثيرة فى ذم
النميمة منها ما رواه حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقد جاء عنه افضل
افضل الصلاة والسلام انه قال لعن الله المشلث قيل له وما
المشلث يارسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطانه
فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وعن الفضيل بن عياض
رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اظهر لاخيه الود
والصفا وأضمر له الحقد والبغض اصمه الله واعمى بصر قلبه وقال
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخياركم قالوا بلى قال الذين اذا ذكروا
ذكروا الله ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى قال المشاءون بالنميمة
المفرقون بين الاحبة الباغون العيب وقال شر الناس
عند الله منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس
عند الله منزلة ذا الوجهين الذى يأتى هذا بوجه والى هذا بوجه

وقال ان من شر الناس منزلة عند الله عبدا ذهب اخرته بدنيا غيره
وروى عمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من
نار رواه ابو داود وصححه ابن حبان واخرج الطبرانى من حديث
انس بلفظ من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين
من نار وقال ابن زيدون فى رسالته الهمازون المشاؤن بنميم
يعنى ان هؤلاء ذكرهم الله فى القرآن العظيم فى قوله تعالى هماز
مشاء بنميم الهماز المغتاب الذى ياكل لحم الناس بالطعن والغيبة
وقال الحسن هو الذى يلوى شدقه فى اقفية الناس والنم والنميمة
واحد وهو نقل الكلام السيئ والمعنى انه فتان يسعى بين الناس
بالنميمة ليفسد فيما بينهم قال صلى الله عليه وسلم لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم اوصت اعرابية ابنها وقد
اراد السفر فقالت اى بنى اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة
وتفرق بين الاحبة واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا
وفى المثل النميمة ارثة العداوة وما احسن قول الشيخ شهاب
الدين محمود

يا ملزمى بذنوب ما احطت بها علما ولا خطرت يوما على فكرى
صدقت فى اباطيل الذنوب وكم كذبت فيك يقين السمع والبصر

وقال ابن الرعاد

انهاك ان الحادثين تحدثوا فينا بشر حديثهم لا خيره
فاحذر فديتك ان تكون جليسهم حتى يخوضوا فى حديث غيره

ومن امثال العرب واياك وكل مستحدث فانه ياكل مع كل من اكل
ويجرى مع كل ريح وقال وهب بن الوردى خالطت الناس
منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا اقال لى عثرة
ولا ستر لى عورة ولا امنته اذا غضب ومن كلام النوبا بغه
الناس اجناس واكثرهم انجاس رجعنا الى ما نحن بصدده
من امر عبد الله المهدى فانفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه

فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى ان امسكوه باليد وعصروا على بطنه
الى ان مات وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما والله اعلم

خلافة المعتمد على الله احمد بن المتوكل

بويع له يوم مات ابن عمه المهدى فى شهر رجب سنة خمس وخمسين
ومائتين وكان له انهماك على اللهو واللذات فقدم أخاه طلحة
ولقبه الموفق بالله وجعله ولى عهده وولاه المشرق والحجاز
واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان للمعتمد
ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب
والشام والجزيرة وعقد له لوائين ابيض واسود وعقدهما
البيعة وشرط على اخيه الموفق اذا حدث بريب المنون وولده
صغير كان الموفق ولى عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان
ولده ولى عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها
وكان الموفق عاقلا مدبرا مشتغلا بامور المملكة وكان اخوه
المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية فكرهه
الناس وأحبوا أخاه طلحة وظهرت له نجابة كبيرة وكان
ظهر فى ايام المعتمد طائفة من الزنج وتغلبت على المسلمين وكان
لهم رأس اسمه مهبول يدعى علم المغيبات وفتك فى المسلمين
ذكر الصولى انه قتل الف الف وخمسمائة الف وكان يأسر النساء
ويبيعهن وكان ذلك من اعظم المصيبات فى الاسلام وتملك
هذا الكافر مدائن اخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعل
دار مملكته واسط فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع
فركض بخيله ورجله وجنوده الى ان التقت الفئتان فجعلت السود
من لمعان السيوف وانهزموا ما بين مقتول وما سور الى ان قتل
كبيرهم مهبول ووجوه عساكره واستردت المدن التى أخذها
كواسط وغيرها واطمأنت المسلمون وكافة العباد ولقبوه
الناصر لدين الله وصار له حينئذ لقبان ودخل بغداد فى عظيم

وعلوشان ورأس مهبول الكافر على رأس رمح ورؤس كبار عسكره على رماح ودعا له المسلمون واستمر اخوه المعتمد على حاله منهمكا على لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقاها الموفق بصدره وكان له ولد نجيب يدعى احمد ابا العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه واحواله وظهرت نجابته وقوته فخشى الموفق منه على نفسه وعلى ولد أخيه فحبسه ووكل من يثق به فى امره واستمر محبوسا الى ان وقعت الوحشة بين المعتمد والموفق وتباغضت قلوبهما ونشاحنت صدورهما فان الرياسة لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك اسرع شئ ثم ان الموفق مرض واشتد عليه الكال وتحقق غلمانه ماله فبادروا الى الحبس فكسروه واخرجوا منه ولده وآووه وجاءوا به الى والده فلما رآه ايقن بالموت وتحقق وقال له ياولدى لهذا اليوم خبأتك واوصاه وفوض اليه واوصاه بعهد المعتمد وكان ذلك قبل موته بثلاثة ايام وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت فيه اخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم انه بما قليل به يلحق فكانت خلافة المعتمد ثلوثا وعشرين سنة وتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين والله سبحانه وتعالى اعلم

خلافة احمد المعتضد بن طلحة الموفق

بويع له يوم مات عمه وسنه ست واربعون سنة وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده وكان أسقط المكوس فى ايامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعد ما وهى ووهن وكان يسمى السفاح الثانى وفيه يقول ابن الرومى

هنيئا بنى العباس ان امامكم ... امام الهدى والجود والناس احمد
كما بابى العباس انشأ ملككم ... كذا بابى العباس ايضا يجدد
امام بظل الآس يشكو فراقه ... تاسف ملهوف ويشاقه غد

وفيه ايضا يقول عبد الله بن المعتز

اما ترى ملك بني هاشم عاد عزيزا بعد ما ذللا
يا طالب الملك فكن مثله تستوجب الملك والافلا

وكان مع سطوته يراعي جانب الحق وقد نقل الحافظ السيوطي عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد يوما وانا معه فمر بمقات فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن سبب صياحه فقال له ثلاثة من غلمانك نزلوا المقات واخربوها فامر عبيده باحضارهم فحضروا وضرب اعناقهم ومضى وهو يحادثني فقال اصدقني يا عبد الله ما الذي ينكره الناس من احوالي فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما قط فقلت له باي ذنب قتلت أحمد بن ابي الطيب قال انه دعاني الى الالحاد وظهر لي الحاده فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقاة الآن بماذا استحللت دماءهم ولاي شئ قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما احضرت ثلاثة من قطاع الطريق واوهمت الناس انهم الذين نزلوا المقاة فاحضرهم بانفسهم وشاهدتهم ومما يناسب ذلك ما حكاه ابن ابي حجلة في سكرد انه ان سوادا اتى الى السلطان ملك شاه وهو يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخا بدرهمين لاهلك غيرهما فلقيني ثلاثة من الاتراك فاخذوه مني وما لي حيلة سواهما وكان ذلك في اول قدوم البطيخ فقال له امسك فاستدعى فراشا وقال له قد اشتاقت نفسي الى البطيخ فطف في العسكر وانظر من عنده شئ فاحضره فعاد الفراش ومعه بطيخ فقال له عند من لقيته قال عند الامير فلان فاحضره وقال له من اين هذا البطيخ فقال جاءه الغلمان فقال اريدهم الساعة وقد عرف نية السلطان فعاد اليه وقال لم أجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال له هذا مملوكي وقد وهبته لك حيث لم يحضر الغلمان الذين اخذوا متاعك والله لئن خليته لاضربن عنقك فاخذه بيده وخرج من

بين يدى السلطان واشترى الامير نفسه بثلثمائة درهم وعاد صاحب البطيخ الى السلطان وقال يا سيدى قد بعت المملوك بثلثمائة درهم قال اوقد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة فكانت مدة خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة اشهر ونصفا وتوفى فى يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الذكور اربعا واحد عشر بنتا والله تعالى أعلم

خلافة على المكتفى بالله بن المعتضد احمد بن طلحة

بويع له يوم مات ابوه وسنه احدى وثلاثون سنة وأخذ له البيعة الوزير ابو الحسن عبد الله فان والده عهد له قبل موته بثلاثة أيام وكان المكتفى بالرقة فلما وصل اليه كتاب الوزير بادر وحضر من الرقة الى بغداد فى سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله مشهودا ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور سبع خلع وكان المكتفى حسن الصورة يضرب بحسنه المثل ولهذا قال عبد الله بن المعتز يخاطب الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها ... فاذا الملاحة بالعباءة لا تفى
والله لا اختارها ولوانها ... كالبدر او كالشمس او كالمكتفى

فقرنه بالبدر والشمس فى الجمال وقد أشار ابن سنا الملك الى هذا فى قوله

ومليحة بالحسن يسخر وجهها ... بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا ارتضى بالشمس تشبيها لها ... والبدر بل لا اكتفى بالمكتفى

وقال ايضا فى موضع آخر

بابى وامى من يكون المكتفى ... بكماله وجماله كالمقتدى

قال الصولى سمعت المكتفى يقول فى علته والله ما اسفى على شئ الا على سبعمائة الف دينار صرفتها من مال المسلمين فى ابنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها وكانت مدة تصرفه ستة اعوام ونصفا وانتقل الى دار الخير والبقا فى ليلة الاحد لثنتى عشرة ليلة خلت من

ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين والله تعالى أعلم

خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد

بويع له بالخلافة يوم موت أخيه وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يلى الخلافة قبله اصغر منه وولى الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها أمر لصغره فغلب عليه الجند واتفقوا على عزله وخلعه فخلعوه والله تعالى أعلم

خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل

بويع له يوم خلع المقتدر ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وهو أشعر بنى العباس بل اشعر بنى هاشم على الاطلاق واكثرهم فضلا وادبا ودخولا بعلم الموسيقا واشعر الشعراء فى التشبيهات المبتكرة الغريبة المبتدعة قال المعافا بن ذكرياء لما بويع لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبرى العالم الكبير المفسر فقال ما الخبر فقلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن توشح لوزارته قلت محمد بن داوود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فاطرق قليلا ثم قال هذا امر لا يتم قلت ولم لا يتم قال كل واحد ممن ذكرت ذو شان عظيم متقدم فى علمه وفضله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت برياسة فى مثل هذا الزمان ولا ارى هذا الا الى الاختلال والاضمحلال فقدر الله انهم خلعوه فى ذلك اليوم وتلا شىء امره فان عبد الله بن المعتز لما قعدت له الخلافة ارسل الى المقتدر يامره باخلاء دار الخلافة فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال لبس له عندى جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل فى غاية الخوف وهجموا على عبد الله بن المعتز فاهاله ذلك والقى الله فى قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضية وكل من

فى ديوانه وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى الامرآء والفقهاء وقتل منهم من اراد وحبس عبد الله بن المعتز الى ان خرج من الحبس ميتا الى رحمة الله تعالى فكانت خلافته ساعة من نهار وحيث بحر الكلام فلا باس بايراد شئ من أشعاره المستظرفة منها هذا الموشح الذى يصلح وشاحا لكوكب الجوزآء واكليلا للثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بالسنة الزمان وهو هذا

أيها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع
وندیم همت فى غرته
ولشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكى وسقانى أربعا فى أربع
ما لعينى غشيت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبر
غشيت عيناى من كثرة البكا وبكى بعضى على بعضى معى
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشا موهون القوى
كلما فكر فى البين بكى ويحه يبكى لما لم يقع
ليس لى صبر ولا لى جلد
يا لقومى اعقلوا واجتهدوا
انكروا شكواى مما أجد
مثل حالى حقها ان تشتكى كمد الياس وذل الطمع
كبدى حرا ودمعى يكف
يذرف الدمع ولا يعترف
ايها المعرض عما اصف
قد نماحبى بقلبى وذكا لا تقل فى الحب انى مدعى

ومن تشبيهاته أيضا

ومقرطق يسعى الى الندماء ... بعقيقة فى درة بيضاء
والشمس مالت للغروب كأنها ... دينار يلعب فى قرار الماء
والبدر فى افق السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء
ومهفهف عقد الشراب لسانه ... وكلامه بالرمز والايماء
كلمته سحرا وقلت له انتبه ... يا فرحة الجلساء والندماء
فأجابنى والخمر يخفض صوته ... بتلجلج كتلجلج الفأفاء
انى لافهم ما تقول وانما ... غلبت على سلافة الصهباء
دعنى أفيق من الخمور الى غد ... واحكم بما تختار يا مولاء

وله فى المثلث

خليلى طاب الراح من بعد طبخها ... وقد عدت بعد السكر والعوأحمد
فهاتا عقارا فى قميص زجاجة ... كياقوتة فى درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة ... لها حلق بيض تحل وتعقد
وقتنى من نار الجحيم بنفسها ... وذلك من احسانها ليس يجحد

وله فى التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب اشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان جيد فى الشعر ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ومن كلامه العلماء غرباء لكثرة الجهال النصح بين الملا تقريع ملامة الكذب جرءة اليمين وأشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة

ثم عاد المقتدر ثانيا

واستقام له الحال فسار احسن سيرة واستقر فى الخلافة الى سنة اثنى عشر وثلثمائة ذكر الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء فى خلافة المقتدر سنة ثلثمائة ان بغلة ولدت فلوا وبعد تمام هذا التاريخ المبارك الميمون اتصل بعلم مؤلفه عفا الله

عنه

عنه من الثقاة ان جماعة من الفرارجية من اهل منف عندهم بغلة ذرقا ولدت مهرا في اواسط سنة احدى واربعين والف فسبحان القادر على كل شئ

خلافة ابي المنصور محمد القاهر

ابن المعتضد بايعه يونس والامراء ولقبوه بالقاهر وفوضت الوزارة الى علي بن مقلة الكاتب فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول على الخليفة فمالوا الى دار يونس واخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على اعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وانوا باخيه محمد القاهر وهو يبكي ويقول الله الله يا اخي في روحي فاستدناه المقتدر وقبله بين عينيه وقال له يا اخي لا ذنب لك وانت مغلوب على امرك والله لا ينالك مني ما تكره فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه وقال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند وأرضاهم من عنده

ثم عاد المقتدر ثالثا والثالثة ثابتة

فمن محاسن المقتدر انه أبطل من ديوانه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وابطل تصرفاتهم في الاموال وكان يفرق في يوم عرفة كل عام من الابل والبقر اربعين الف رأس ومن الغنم خمسين الفا وكان يصرف في كل سنة في طريق مكة ولاهل الحرمين الشريفين ثلثمائة الف دينار وخمسة عشر الفا وانه ختن خمسة من اولاده فصرف في ختانهم الف دينار وكان في داره أحد عشر الف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود وقدمت عليه رسل الروم فجعل مركبا لارهاب العدو واقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح واقام بعدهم الخدم وهم ستمائة الف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب

وكانت الستور التى نصبت على الحيطان بدار الخلافة ثمانين الف ستر
من الديباج وكانت البسط الفاخرة التى فرشت اثنين وعشرين
الف بساط وكان من جملة ذلك مائة سبع فى سلاسل الذهب
والفضة وهذا كله مع وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف
زينتها فى ايام قوتها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه
ولا يعتريه زوال وفى ايامه ظهرت الطائفة الملحدة التى تسمى
القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدى الى الكفر اول من ظهر منهم ابو
طاهر القرمطى وبنى دارا فى هجر واراد نقل الحج اليها لعنة الله عليه
وأخزاه فكثر فتكه فى المسلمين وسفك الدماء وكثرت طائفته
واشتدت شوكته ح وجاء ابو طاهر القرمطى بعسكر جرار بالات
السلاح الى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف فى الطائفين
والمصلين وفى مكة وشعابها وقتلوا ما يزيد على ثمانين الف انسان
وركض ابو طاهر بسيفه مشهورا فى يده وهو سكران راكب فرسه
ودخل الى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب
الكعبة وهو يقول انا بالله وبالله أنا يخلق الخلق واقفنهم انا
وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام وقلع الحجر
الاسود وحمله معه يريد ان يحول الناس الى مسجد ضرار
واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنين وعشرين سنة
الا اربعة ايام وهذه مصيبة من اعظم مصائب الاسلام وابتلى
ابو طاهر اللخس باكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات اشنع
ميتة بعد ان عذبه الله بانواع البلاء ولعذاب الاخرة اشد
وابقى ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من احوال القرامطة
المناحيس فان وقايعهم مشهورة ولاجل ذلك اقتصرنا على ما ذكر
فكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين
سنة وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة
والله سبحانه وتعالى اعلم

خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد

بويع له يوم قتل أخيه وسنه اثنان وخمسون سنة فاقام سنة وستة أشهر ثم خلع واكحل في جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

خلافة محمد الراضي بن المقتدر

بويع له يوم خلع عمه محمد القاهر وسنه اثنان وثلاثون سنة فاقام ست سنين وعشرة ايام وتوفي في ربيع الاولى سنة تسع وعشرين وثلثمائة

خلافة المكتفي ابراهيم بن المقتدر

بويع له يوم مات الراضي وسنه ستون سنة فاقام سنتين واحد عشر شهرا واكحل في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفي

بويع له يوم خلع المكتفي وسنه ست واربعون سنة فاقام سنة واحدة واربعة اشهر وخلع في جمادى الاخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر

بويع له يوم خلع المكتفي وسنه ثلاث وسبعون سنة وفي ايامه ردّ الحجر الاسود من هجر الى مكانه من البيت الشريف فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة واربعة اشهر وخلع نفسه في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

خلافة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله

بويع له يوم خلع أبيه وكان مغلوبا عليه من قبل أمرائه وما كان له الا العظمة قال الشريف الرضي يخاطب الطائع

مهلا امير المؤمنين فانما ... في دوحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... ابدا كلانا في السيادة مغرق
الا الخلافة ميزتك فانني ... انا عاطل منها وانت مطوق

قيل ان الطائع لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الراضي وقيل ان الراضي كان يوما عند الطائع وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة فقال بل رائحة النبوة وكان الطائع كبير الانف فقال الشاعر

خليفة في وجهه روشن ... خرشفه قد ظلل العسكرا
عهدي به يمشي على رجله ... وأنفه قد صعد المنبرا

فاقام الطائع سبعة عشر سنة وتسعة اشهر وخلع نفسه سنة احدى وثمانين وثلثمائة

خلافة ابي العباس احمد القادر بالله بن المقتدر

بويع له بالخلافة في عاشر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكان في غاية العبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وعده ابن الصلاح من علماء الشافعية وذكره في طبقاته وطالت مدته حتى بلغت احدى واربعين سنة واربعة اشهر وتوفي في ذي الحجة سنة اثنين وعشرين واربعمائة

خلافة القائم بامر الله عبد الله بن أحمد القادر

بويع له يوم مات أبوه فاقام اربعا وأربعين سنة وثمانية اشهر وتوفي في شهر شعبان سنة سبع وستين واربعمائة

خلافة المقتدي بامر الله بن القائم بامر الله

بويع له يوم مات جده وسنه سبع وستون سنة وكانت المبايعة بحضرة الامام الكبير ابي اسحاق الشيرازي احد اركان أئمة الشافعية رضي الله عنه وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء

بنى العباس ومن جملة صلاحهم ان السلطان ملك شاه قصد ان يتحكم عليه فارسل اليه يقول له لابد ان تترك بغداد وتذهب الى اى بلد شئت فارسل الخليفة له يتلطف فى ذلك فابى الاشدة وغلظة فقال لرسوله اسأله المهلة لى ولو شهرا فابى وقال ولا ساعة فارسل فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم النهار ويقوم الليل ويتضرع الى الله ويضع خده على التراب ويناجى رب الارباب فنفذ دعاؤه فى ملك شاه نفوذ السهم المسموم فى كبد الظالم من المظلوم فهلك ملك شاه قبل مضى عشرة ايام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسرا تى من بعد عسر ... وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا ... وتاتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما ... فثق بالواجد الاحد العلى
تمسك بالنبى فكل هم ... يزول اذا تمسك بالنبى

فاقام فى الخلافة تسعة عشر سنة وخمسة اشهر وتوفى ثامن محرم سنة تسع وثمانين واربعمائة

خلافة المستظهر بالله هو ابو العباس أحمد

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وسنه اربع واربعون سنة وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى الكتابة حافظا للقرآن عالما فاضلا وكان مدة خلافته اربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفى لست بقين من ربيع الآخرة سنة اثنى عشر وخمسمائة والله اعلم

خلافة ابى العباس منصور المسترشد

بويع له بالخلافة يوم مات ابوه وسنه ثلاث وأربعون سنة وكان شجاعا عادلا مشغولا بالعبادة وحفظ القرآن والحديث

وخرج الى قتال مسعود ابن ملك شاه السلجوقى فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى أن قتل وكانت خلافته تسع عشرة سنة وقتل فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة

خلافة ابى جعفر منصور الراشد بالله

بويع له بالخلافة يوم قتل أبيه فاقام سنة واحدة وقبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقين من ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة

خلافة المقتفى لامر الله هو محمد بن المستظهر

بويع له بالخلافة يوم خلع عمه وكان عالما شجاعا قال فى الاكتفا قال ابن الجوزى قرأت بخط الشيخ ابى الفرج بن الحسين الحداد قال حدثنى من أثق به ان المقتفى رأى فى منامه قبل ان يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل اليك هذا الامر فاقتف بى فلقب المقتفى لامر الله فاقام خمسا وعشرين سنة وتوفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة

خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفى

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثمانون سنة يحكى انه قبل ان يصير خليفة رأى ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه ثلاث خاآت فلما اصبح سال المعبرين عن منامه فقالوا له انك تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان كذلك فاقام أحد عشر سنة وتوفى تاسع ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ومن شعره فى بخيل

وباخل أشعل فى بيته ... تكرمة لنا شمعه
فما جرت من عينها دمعة ... حتى جرى من عينه دمعه

خلافة المستضيء بنور الله هو محمد بن الحسن

ابن المستنجد بالله بويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في مملكته وكثر ثناء الخلق عليه وكان سنه اثنين وأربعين سنة وهو الذي خطب له صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر فاقام تسع سنين واشهرا وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة والله تعالى أعلم

خلافة الناصر أحمد بن المستضيء بنور الله

بويع له يوم مات أبوه وسنه تسع وستون سنة فاقام سبعا واربعين سنة وتوفي سنة اثنين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالقبتين والاندلس

خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد

بويع له يوم مات أبوه بعهد منه فاظهر العدل والاحسان وابطل المكوس حكي عنه انه فرق في ليلة النحر على الفقهاء مائة الف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال دعني افعل الخير فاني لا ادري كم أعيش قلم يلبث ان وافاه الله بالكيل الاوفى فعاش حميدا ومات سعيدا فكانت خلافته تسعة اشهر وتوفي في سنة ثلاث وعشرين وستمائة الى رحمة الله تعالى

خلافة ابي جعفر المستنصر بالله

بويع له يوم مات والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب اهل العلم والدين وبنى المساجد والربط وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتوفي سنة تسع وثلاثين وستمائة

خلافة المستعصم بالله بن المستنصر

بويع له يوم مات ابوه وهو آخر خلفاء بني العباس وبزواله زالت
دولة بني العباس كما جرت عادة الله بانقراض الدول ولله البقاء
عز وجل وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وامرائهم عليهم
وتفويض امور المملكة اليهم وامتهانهم غاية الامتهان الى ان
صاروا اسماء بلا مسميات وصورا هيولا يتصرف فيها بالمحو
والاثبات ومن اعظم اسباب زوالها ان مؤيد الدين العلقمي
كان وزير المستعصم وكان رافضيا مستوليا على المستعصم عدوا
له ولاهل السنة يداريهم في الظاهر وينافقهم في الباطن
وكان يريد ازالة الخلافة من بني العباس واعادتها الى العلويين
وطمس اهل السنة واطفاء نورهم وتقوية اهل البدع فصار
يكاتب هولاكو ويطمعه في ملك بغداد ويطالعه باخبارها
ويخبره عن صورة أخذها وضعف الخليفة واختلال العسكر
عنه وصار الوزير يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم
الصرف على العسكر فقطع ارزاقهم وشتت شملهم بحيث انه
اذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا الى اين أرادوا ووفر
علوفاتهم في الخزينة واظهر للمستعصم انه وفر من علوفات العسكر
أموالا عظيمة في بيت المال فاعجب المستعصم رأيه وكان يحب
المال ويجمعه وما يعلم انه يجمعه لعدوه

مفرد

يخبركم انه ناصح وفي نصحه ذبنا نعقرب

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا أؤتمن خان ومما يحكى ان اعرابيا قال اللهم اني اعوذ
بك ممن لا يلتمس خالص مودتي الا بالتتابع لمواقع سهوتي
وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى حيوان
غير موجود

مفرد

لسانك لي حلو وقلبك علقم وشرك مبسوط وخيرك ملتوى

مفرد

اذا أنت فتشت القلوب وجدتها قلوب أعداء فى جسوم أصادق

ولبعضهم

لصديق لديه ود ونصح غير ان الدماغ فيه مذمه
فاذا ما سعى ليدفع عنى فى الملمات صار عون لملمه
ليته كف خيره واذاه ورعى لى بذاك حقا وحرمه

وقال الطغرائى رحمه الله من قصيدة

وبنوا الزمان وان صفوا لك ظاهرا يوما حوالك باطنا متمذق

وقال ايضا من قصيدة له

ومن يك اصله ماء وطينا بعيد عن جبلته الصفاء

وقال الجنيد دخلت على السرى فقلت له أوصنى قال لا تكن مصاحبا الا شرارا ولا تشتغل عن الله بمصاحبة الاخيار

وكان بعض الاعراب يقول فى دعائه اللهم انى اعوذ بك من الصاحب الردى

شعر

قل للذى لست ادرى من تلونه انا صحاح ام على غش بداجينى
تغتابنى عند اقوام وتمدحنى فى آخرين وكل منك يأتينى

فى المعنى

واخوان وثقت بهم فاضحى اذاهم يعترينى كل حين
ولما ان اسأت الظن كفوا فوا عجباه من ظن يقين

مفرد

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقيل فى المعنى

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلوا لتسترنى مبادية الاساءة فى العواقب
ولا قلت ارجوه لدفع ملمة من الدهر الا كان احدى النوائب

وما احسن قول ابى دلف

هل رأينا او سمعنا من نهى رجلا عن سوء فعل فانتهى
بل اذا عوتب فى سيئة لم يدعها وتعاطى اختها

قال الكندى الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى
عنها أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليها حينا دون حين وطبقة
كالداء لا يحتاج اليه ابدا وقالوا الاصدقاء على ثلاثة مراتب
العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة والمرتبة الوسطى
وهو الصديق الحكيم ذو التجارب والمرتبة السفلى وهو الصديق
العاجز وهو ان يتوجع لشكواك فان خلا الصديق من احدى
هذه المراتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده
قال الشاعر

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا أنت ذو دين فترجوك للدين
ولا انت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من طين

وقال الصفدى

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا انت ذو جود فترجوك للقرى
ولا انت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من خزا

قال بعض الحكماء يجب على الملك ان لا يخلو من خمس معاقل
يحصن بها اولها وزير صالح يحصن برأيه فى الشدة والرخاء وثانيها
سيف قاطع يحصن بحده وثالثها فرس سابق يحصن بظهره
اذا لم يمكنه الثبات ورابعها قلعة منيعة يحصن بها اذا احيط
به وخامسها امرأة حسناء يحصن بها بصره وكان يقال
عدوك ضدك وحكم الضدين التنافر والتدابر والتنائى والتباين
قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيوت والاماء هلاكها
ومن كلام الحكمة كن على حذر من الكريم اذا اهنته ومن
اللئيم اذا اكرمته ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا
ماذحته ومن الفاجر اذا عاشرته وكان يقال اذا لم تجد من الخدم
الا من ساءادبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك
من الاذى اضعاف ما يحمل عن بدنك بخدمته من العنا وكان
يقال اغفل من زعم انه يجد راحة اذا شاركك فى سرج غيره لغير ضرورة
لان مشقة الاستدابار المسير وترك المشاورة فدا قل من مشقة

الحسد فى انتشاره بسبب المشاركة تضعف مشقة الحذر قال الطغرائى
فى لاميته

ويا خبيرا على الاسرار مطلعا اصمت ففى الصمت منجاة من الزلل
قال سيدنا عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا علمته أنى
لست أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه شعر فى المعنى

اذا ما ضاق صدرى من حديثى فافشته الرجال فمن اليوم
وقد نقل عن بنى أمية بعد ذهاب ملكهم من ذا الذى كان سببا
فى ازالة الملك فقالوا قواها اننا اعتمدنا على المال واستهونا
بالرجال فاخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وابعدنا الصديق
وقربنا العدو فصار الصديق عدوا بالابعاد والمستعصم
ومن معه فى غفلته لاخفاء ابن العلقمى سائر الاخبار الى ان وصل
هولاكو الى بلاد العراق واستأصل من بها وتوجه الى بغداد
فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم على فعلته حيث لا ينفعه
الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتال هولاكو فوقع المصاف
والتحم القتال ووقع الطراد والنزال واستمر من قبيل الفجر الى
ادبار النهار فهجموا عن الاصطبار وانكسروا أشد الانكسار
وولوا الادبار وما أغنى عنهم الفرار وغرق كثير منهم فى الدجلة
وقتل اكثرهم اشر قتلة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن
والاموال واسر المستعصم هو واولاده وجماعته واتوا بهم الى
هولاكو اسرى اذلا فسبحان المعز المذل واستبقى هولاكو
الخليفة الى ان استصفى امواله وخزائنه ودفاينه ثم رمى رقاب
أولاده وذريته واتباعه ومتعلقيه وامر ان يوضع الخليفة فى
غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت وكان مدة خلافة للمستعصم
سبع عشرة سنة وستمائة وانما ازال الله ملكه واهلكه حيث اتخذ
بطانة سوء ومعلوم ان الله اذا اراد بملك سوءا قيض له قرناء
السوء ولله در القائل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
ولم ينل ابن العلقمي ما اراده من نقل الخلافة لمن اراده وذاق من
الشنار الذل والهوان وكان حسن لهم ان يقيموا خليفة علويا
ولم يوافقوه وصار معهم في صورة بعض الغلمان ومات كمدا
لا رحمه الله وعملت الشعراء قصائد في بغداد قال بعضهم
بادت وأهلوها معا فبيوتهم ببقاء مولانا الامير خراب
وقال بعضهم
يا عصبة الاسلام نوحي وابكي حزنا على ماتم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفراة فصار لابن العلقمي

ثم انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان اول خليفة

بمصر المستنصر ووصل الى مصر في سنة خمس وخمسين وستمائة
واجتمع بالملك الظاهر بيبرس واثبت نسبه من قضاة الشرع
وبايعه بالخلافة واجرى له نفقة وليس له من الامر الا اسم
الخليفة واولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلطان
الذي يريدون توليته ويقولون له ولبناك السلطنة
هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين
الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون لهم احيانا يطلبون السلطنة
باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر ابو
عبد الله محمد بن يعقوب ولقبه المتوكل ولما دخلت الدولة
العثمانية وافتتحت مصر وزالت دولة الجراكسة وعاد
مقر الدولة الشريفة القسطنطينية العظمى اخذ المرحوم
السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور وجعله معه مركنا
فلما توفي السلطان سليم الى رحمة الله تعالى عاد الخليفة
المذكور الى مصر واستمر بها الى ان توفي في ثامن عشر شعبان
سنة خمسين وتسعمائة زمن المرحوم داود باشا وبموته
انقطعت الخلافة العباسية وكان المتوكل هذا فاضلا اديبا

له شعر جيد منه قوله

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ... ولا كريم اليه مشتكى حزن
وانما ساد قوم غير ذى حسب ... ماكنت اوثران يمتد بى زمن

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الآخرة فلقد زالوا وما زالت اخبارهم تروى واحاديثهم الحسنة على السنة الرواة لا تطوى شعر فى المعنى كانوا ملوك الارض فى ايامهم ... كبراء اهل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهناكهم ... تحت الثرى يبلون فى الاكفان
والله وارث كل حى بعدهم ... وله البقاء وكل شئ فان

الباب الرابع

فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى امية والدولة العباسية وما داخلها من بنى طولون والاخشيدية اول من تقرر فى مصر واليا بعد فتحها عمرو بن العاص واليا رضى الله عنه ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص فتح مصر يوم الجمعة سنة عشرين من الهجرة فاختط الفسطاط بخيانا وتولى نيابة مصر واقليمها وهى طولا من العريش الى اسوان وعرضا من ايلة الى برقة ذكر فى فتوح مصر اذ عمرو ابن العاص ارسل الى سيدنا عمر بن الخطاب كتابا يذكر فيه ان السلاح خير يقف عليهم جملة مال فارسل سيدنا عمر بن الخطاب جوابا يعرفه فيه اما بعد انى اعلمك ايتها الاميرا ذا كان زمن التخضير وكتب عليهم سجلات بتقرير فلا تغير ما كتب عليهم والحذر من ايصال المضرة اليهم فنحن القادرون عليهم فى الدنيا وهم خصمانا فى الآخرة وكل راع مسئول عن رعيته واعلم ان الظلم باب لعن الله الداخل فيه والعدل شئ نعتمد ونمضيه فاقصد امرنا ولا تخالف حكمنا وانا منك بعيد والله مطلع عليك وشهيد وقد اتصل بنا كتابك وانت تذكر فيه ان الزارعين يقف عليهم

جملة كثيرة من المال فلا تبع من موجودهم شيأ فترد بهم الى العدم
وتحل بهم النقم وحط على ذراعتهم كل ثقة وأمين واذا علمت
انها محفوظة مصونة فواسيهم بشئ من المؤنة وجوز الايام
تجوز وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وصرف
عمرو بن العاص عن ولايته فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان
رضى الله عنه ثم تولى عبد الله بن ابى سرح من قبل سيدنا عثمان
ابن عفان وفى ولايته فتحت الاسكندرية عنوة الفتح الثانى
ومكث أميرا على مصر المحروسة ولاية سيدنا عثمان بن عفان وكان
محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لها شان وغزا
افريقية وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساورة حتى بلغ
دنقلة وغزوة الصوارى ولما جبى اليه خراج مصر بلغ اربعة
عشر الف الف دينارا فنظر سيدنا عثمان بن عفان الى عمرو
ابن العاص وقال له قد علمت ان النصيحة درت بعدك قال نعم ولكن
أجاعت اولادها والذى جباه عبد الله بن ابى سرح انما هو على
الجماجم خارجا عن الخراج وغيره من الاموال الديوانية ومات
عبد الله بن ابى سرح بعسقلان فى رجب سنة خمس وثلاثين
بعدما استخلف عقبة بن ابى عامر الجهنى فكانت ولايته احدى
عشر سنة ونصف سنة تقريبا والله أعلم ثم تولى قيس
ابن سعد بن عبادة الانصارى من قبل سيدنا على بن ابى طالب
رضى الله عنه فاقام يسيرا ومات ثم تولى محمد بن ابى بكر
الصديق رضى الله عنه من قبل الامام على بن ابى طالب رضى الله
عنه فوصل الى مصر فى نصف رمضان سنة سبع وثلاثين
فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ
ذلك معاوية فبعث عمرو بن العاص فى جيوش اهل الشام الى
مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل مصر فدخل عمرو بن العاص
الى مصر ونفيت محمد بن ابى بكر فظفر به معاوية بن حديج فقتله
ثم جعله فى جيفة حمار واحرق بالنار لاربع خلون من صفر سنة

ثمانية وثلاثين فكانت ولايته خمس شهور ثم عاد عمرو بن العاص
من قبل معاوية بن ابى سفيان ثانيا وجعل له مصر مطعمة ذكر
المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص قال لقبط مصر من كتم كنزا
عنده فقدرت عليه الا قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له
بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله عنه فانكر وجحد
فحبسه وصار يسأل عنه هل يسأل عن أحد فقالوا له لا ولكن نسمعه
يسأل عن راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب
الى ذلك الراهب ان ابعث لى بما عندك وختم الكتاب بختم بطرس
فجاء المرسل بالكتاب بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو
فوجد فيها مكتوبا ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فارسل عمرو الى
الفسقية فحبس الماء عنها فوجد فيها اثنين وخمسين اردب ذهب
مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس واخذ المال جميعا فعند ذلك
أخرجت القبط كنوزهم شفقة على أنفسهم وتوفى عمرو بن العاص
ليلة عيد الفطر سنة اثنين واربعين وغسله عبد الله بن عمرو
واخرجه الى المصلى فلم يبق أحد شهد العيد الا صلى عليه فكانت
ولايته منذ افتتحها الى ان صرف منها اربع سنين وشهر ثم تولى
عقبة بن ابى سفيان من قبل أخيه معاوية فى ذى القعدة سنة
ثلاث وأربعين فاقام ستة أشهر ثم تولى عامر بن عقبة الجهنى
من قبل معاوية وتوفى فى ولايته سنة اثنين وستين بعد وفاة
معاوية بسنتين فكانت ولايته خمس عشرة سنة واربعة
أشهر ثم تولى سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من أهل
فلسطين من قبل يزيد بن معاوية فقدم مستهل رمضان سنة
اثنين وستين الى ان عزل فى رجب سنة أربع وستين فكانت
ولايته سنة واحدة واحد عشر شهرا ثم تولى عبد الرحمن
ابن عقبة بن نمر من قبل سيدنا عبد الله بن الزبير فوصل فى شعبان
فاقام تسعة أشهر ثم تولى عبد العزيز بن مروان من قبل ابيه
فى رجب سنة خمس وستين فكانت ولايته عشرين سنة

وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ثم تولى عبد الله بن عبد الملك بن
مروان من قبل أبيه عبد الملك فى جمادى الآخرة سنة ست
وثمانين وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته ثلاث سنين
وعشرة أيام ثم تولى قرة بن شريك العبسى من قبل الوليد
ابن عبد الملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف
على الجند عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين
الا اياما ثم تولى عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان بن عبد الملك
سنة ست وتسعين الى غاية صفر سنة تسع وتسعين فكانت
ولايته ثلاث سنين ثم تولى ايوب بن سرجيل بن الصباح
من قبل عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين
ومات لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة احدى ومائة
فكانت ولايته سنتين ونصفا ثم تولى بشر بن صفوان
الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك فى رمضان سنة احدى ومائة
وفى ولايته استولت الروم على تنيس فى شوال سنة اثنين
ومائة ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو اخو شريك المذكور
باستخلاف من أخيه فاقره يزيد بن عبد الملك ولما بويع هشام
ابن عبد الملك صرف حنظلة المذكور فى شوال سنة خمس ومائة
فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان
من قبل اخيه هشام فى شوال سنة خمس ومائة فوقع الوباء بمصر
فخرج منها ولم يلها الا نحو من شهر ثم تولى الحر بن يوسف
ابن يحيى بن الحكم من قبل عبد الملك فى ذى الحجة وفى ولايته رابط
بدمياط ثلاثة اشهر وصرف عن ولايته فى ذى الحجة سنة
ثمان ومائة باستعفائه لمفاوضة بينه وبين عبد الله بن
الحجاب فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى الحفص بن الوليد
الحضرمى من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين
يوم الاضحى بشكوى ابن الحجاب ثم تولى عبد الملك بن رفاعة
ثانيا فقدم فى المحرم سنة تسع ومائة ومات فى نصف المحرم

فكانت

فكانت ولايته خمس عشرة ليلة ثم تولى الوليد بن رفاعة باستخلاف
من أخيه فاقره هشام بن عبد الملك فتوفي وهو وال في جمادى الاخرة
سنة سبع عشرة ومائة فكانت ولايته تسع سنين وخمسة اشهر
ثم تولى عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من الوليد فاقام
سبعة أشهر ثم تولى حنظلة بن صفوان ثانيا من قبل هشام
ابن عبد الملك في المحرم سنة تسع عشرة ومائة فحصل بينا وبين
القبط محاورة فبلغ ذلك هشام فصرفه عنها وولاه افريقية وخرج
في ربيع الاخرة سنة اربع وعشرين ومائة فكانت جملة ولايته
خمس سنين وشهرين ثم تولى حفص بن الوليد الحضرمي
ثانيا من قبل هشام في شهر شعبان سنة اربع وعشرين ومائة
ولما مات هشام استخلف من بعده ولد أخيه الوليد بن يزيد
فاقام حفصا ثم صرف عنها في شوال سنة خمس وعشرين ومائة
فكانت جملة تصرفه سنة واحدة وشهرين ثم تولى عيسى بن
عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى ان عزله مروان الاخير ابن مروان
الاول سنة ست وعشرين ومائة فكان جملة ولايته خمسة اشهر
ثم تولى حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور في محرم
وعزله في سنته ثم تولى حفص بن الوليد ثالثا على كره فاقام رجب
وشعبان ثم عزل في المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة ثم تولى
حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلي من قبل مروان المذكور في محرم
سنة ثمان وعشرين ومائة فاجتمع الجند على منعه فابى عليهم
حفص فحاصروه وسألوه الامان فامنهم ونزل ظاهر
الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فاخذ في طلب من كان سببا للفتنة
فجمعوا له فضرب اعناقهم ثم صرف من ولايته في جمادى
الأولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق
فقتل فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ثم تولى
المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان في شهر رجب سنة
احدى وثلاثين ومائة وتوفي في جمادى الاولى سنة اثنين وثلاثين

ومائة فكانت جملة ولايته عشرة أشهر ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل مروان فكان آخر نواب دولة بني أمية وهي سنة احدى وثلاثين ومائة والله البقاء

ثم جاءت دولة العباسية سنة اثنين وثلاثين ومائة

فكان أول نوابها بمصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل أمير المؤمنين أبي العباس السفاح وقدم في المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة فقتل كثيرا من شيعة بني أمية وجهز طايفة منهم الى العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الى صالح المذكور بالعفو فلسطين والاستخلاف على مصر من يشاء ثم تولى أبو عون بن عبد الملك الجرجاني في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة فوقع وباء بمصر فهرب أبو عون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الى دمياط سنة خمس وثلاثين ومائة ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن علي ثانيا على مصر في ربيع الاول سنة ست وثلاثين ومائة ومات السفاح في ذي الحجة واستخلف امير المؤمنين عبد الله المنصور فاقر صالحا على ولايته ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات ثم تولى ابو عون ثانيا من قبل المنصور في ربيع الاولى سنة احدى واربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة اشهر ثم تولى موسى بن كعب بن عبينة من قبل المنصور في ربيع الآخرة سنة احدى واربعين ومائة فكانت ولايته ستة اشهر ثم تولى محمد بن الاشعث الخزاعي من قبل المنصور في ذي الحجة سنة احدى واربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته سنة أشهر ثم تولى حميد بن قحطبة من قبل المنصور فدخل في عشرين ألف من الجند في شهر رمضان سنة ثلاث واربعين ومائة ثم صرف في ذي القعدة سنة ست واربعين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبع شهور ثم تولى يزيد بن حاتم

المهلب من قبل المنصور فى نصف القعدة سنة ست وأربعين ومائة
وصرف عنها فى ربيع الآخرة سنة اثنين وخمسين ومائة فكانت
ولايته سبع سنين وأربعة اشهر ثم تولى عبد الله بن عبد الرحمن
من قبل المنصور فى ربيع الآخرة وهو أول من خطب بالسواد
وصرف عنها فى رمضان سنة اربع وخمسين ومائة فكانت
ولايته سنتين وشهرين ثم تولى محمد بن عبد الرحمن بن معاوية
باستخلاف من أخيه عبد الله فاقره المنصور ومات فى نصف
شوال وكانت ولايته ثمانية اشهر ونصفا ثم تولى موسى بن
على بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور
وبويع لولده محمد المهدى اقر موسى المذكور الى ذى الحجة سنة
احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين
ثم تولى عيسى بن لقمان بن محمد الجمحى من قبل المهدى
فى ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف عنها فى جمادى
الاول سنة اثنين وستين ومائة فكانت ولايته اربع شهور
ثم تولى واضح مولى جعفر من قبل المهدى فى جمادى الاولى
سنة اثنين وستين ومائة وصرف فى رمضان من السنة المذكورة
فكانت ولايته اربع شهور ثم تولى منصور بن زياد الرعينى
وهو خال المهدى من قبل المهدى فى رمضان سنة اثنين
وستين ومائة وصرف فى نصف القعدة فكان مقامه شهرين
وثلاثة ايام ثم تولى يحيى ابو داود من خراسان من قبل
المهدى فى ذى الحجة سنة اثنين وستين ومائة وكان ابوه
تركيا من اشد الناس واعظمهم هيبة واقدمهم على دم فمنع
غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت ومنع حراس الحمام
أن يجلسوا فيه وقال من ضاع له شئ فعلى اداؤه فكان الرجل
يضع ثيابه فى الحمام ويقول يا ابا داود احرسها فكانت الامور
على هذا المنوال واستمر الى محرم سنة اربع وستين ومائة
فكانت ولايته قريبا من سنتين ثم تولى ابراهيم بن صالح

ابن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي في محرم سنة خمس وستين ومائة وفي ولايته خرج دحية بن مصعب بن مروان بالصعيد ودعى لنفسه بالخلافة فتراخى ابراهيم ولم يحفل بامره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدي وعزله عزلا قبيحا في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى موسى بن مصعب من قبل المهدي في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة فتوجه بعسكره الى بلاد الخوف لقتالهم فلما التقوا انهزم اهل مصر بأجمعهم وقتلوه من غير ان يتكلم وكان قتله في شهر شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ في خطبته انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا

ثم تولى عصامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار فحارب يوسف ابن بشر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين واستمر الى سلخ محرم سنة تسع وستين ومائة

ثم تولى علي بن سنان بن علي من قبل الهادي سنة تسع وستين ومائة ولما مات الهادي واستخلف هارون الرشيد اقر علي بن يوسف المذكور فاظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور والكنايس المحدثة بمصر وبذلت النصارى في عدم هدمها ما يزيد على خمسين الف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات فاثنى الناس عليه خيرا بل أشاعوا أنه يصلح للخلافة فسخط عليه هارون وعزله في ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة

ثم تولى عيسى بن موسى العباسي من قبل الرشيد فاذن للنصارى في بناء الكنايس التي هدمها علي بن سنان فبنت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن ابي لهيعة

ثم صرف عن مصر سنة اثنين وسبعين ومائة فكانت

ولايته سنة واحدة وخمسة اشهر ونصف ثم تولى سلمة بن يحيى البجلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته احد عشر شهرا

ثم تولى محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد فى شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم حاله فصرف عنها فى غاية المحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدى فدخلا مصر فى محرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة ثم صرف داود المذكور عن ولايته فى محرم سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة ونصف ثم تولى موسى بن عيسى العباسى من قبل الرشيد فى شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة وصرف فى شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانيا من قبل الرشيد فى غرة ربيع الاول سنة ست وسبعين ومائة وتوفى فى ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم تولى عبد الله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ست وسبعين فكشف امر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز اليه جيشا عظيما وبعثه الى الحوف فقاتلوه بالطاعة واذعنوا وقاموا بالخراج كله ثم صرف عبد الله المذكور فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت ولايته سنتين وسبعة اشهر ثم تولى هرثمة بن اعين من قبل الرشيد فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة فاشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصف ثم تولى

عبد الله بن صالح العباسي من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف
عبد الله بن المسيب وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة
فكانت مدته شهرا واحدا ونصفا ثم تولى عبد الله بن المهدي
من قبل أخيه الرشيد في محرم سنة تسع وسبعين ومائة واستخلف
ابن المسيب وصرف في رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر
ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فارسل ابنه
يحيى خليفة عنه في رمضان سنة تسع وسبعين ومائة وصرف
في جمادى الاخرة سنة ثمانين ومائة فكانت ولايته تسع شهور
ثم تولى عبد الله بن المهدي ثانيا من قبل اخيه الرشيد فقدم
داود بن جاسة خليفة عنه في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة
وصرف في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته
سنة واحدة وثلاثة اشهر ثم تولى اسماعيل بن صالح العباسي
من قبل الرشيد في سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب
الحراعي في جمادى الآخرة سنة اثنين وثمانين ومائة فكانت
ولايته تسع شهور ثم تولى اسمعيل بن عيسى العباسي سنة
اثنين وثمانين ومائة وصرف في رمضان من السنة المذكور فكانت
مدته ثلاثة شهور ثم تولى الليث بن فضل من اهل بيرود
من قبل الرشيد في سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر
في شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف اخاه الفضل وتوجه
بالمال والهدايا الى الرشيد ثم عاد وتوجه ثانيا بالمال واستخلف
هاشم بن عبد الله وكلما غلق سنة وخرج من حسابها توجه بالمال
الى الرشيد ومعه الحساب ثم صرف عن مصر في جمادى الآخرة
سنة سبع وثمانين ومائة فكانت ولايته اربع سنين وسبعة
اشهر ثم تولى احمد بن اسماعيل العباسي من قبل الرشيد
في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة ثم صرف في رمضان
سنة تسع وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرا ونصفا
ثم تولى عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسي من قبل الرشيد في

شوال

شوال سنة تسع وصرف فى شعبان سنة تسعين ومائة فكانت
ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد فى
رمضان سنة تسعين ومائة فكانت ولايته سبعة اشهر ثم
تولى الحسن الفتاح من قبل الرشيد فى ربيع الاول سنة ثلاث
وتسعين ومائة فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار
الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب اهل الرملة
لاخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام
وكان سيره فى ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومائة وصرف فى جمادى
الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة
وخمسة أشهر ثم تولى جانم بن الاشعث الطائى من قبل الامين
وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السرى
ابن الحكم عصبيا للمأمون ودعى الناس الى خلع الامين وأجابوه
وبايعوا المأمون لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ست وتسعين
ومائة وأخرجوا جانم الاشعث فكانت ولايته سنة واحدة
ثم تولى عبادة بن محمد بن حسان بن أبى نصر من قبل المأمون
فى رجب سنة ست وتسعين ومائة فبلغ الامين ما كان بمصر
فكتب الى ربيعة بن قيس رئيس الجوف بولاية مصر وكتب الى
جماعة تعاونه بجيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين
صرف عبادة فى شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته
سنة وسبعة أشهر ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعى من
قبل المأمون فى ربيع الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة ثم
صرف فى شوال فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى العباس بن
موسى العباسى من قبل المأمون فى القعدة سنة ثمان وتسعين
ومائة وعزل سنة تسع وتسعين ومائة ثم تولى المطلب
ثانيا من قبل المأمون فى محرم سنة مائتين وعزل فى شعبان
من السنة المذكورة ثم تولى السرى بن الحكم من اهل بلخ من قبل
المأمون فى مستهل رمضان سنة مائتين وتوفى السرى المذكور

سنة أربع ومائتين وهي السنة التي مات بها الشافعي رضي الله عنه
ثم تولى محمد بن السري المذكور من قبل المامون وتوفي في شعبان
سنة ست ومائتين فكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم تولى
عبيد الله ابن السري باجماع من الجند وعزله عبد الله بن ظاهر سنة
احدى عشرة ومائتين ثم تولى عبيد الله بن ظاهر من قبل المامون
في ربيع الآخرة سنة احدى عشرة ومائتين ثم تولى عيسى بن
يزيد الجلودي باستخلاف عبد الله بن ظاهر الى سابع عشرة القعدة
سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم تولى الامير ابو اسحاق بن
هارون الرشيد وهو المعتصم فاقر موسى على الصلاة فقط وجعل
صالح بن شيراز على الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا اصحابه في
صفر سنة اربع عشرة ومائتين ثم تولى عمر بن الوليد التميمي
باستخلاف ابي اسحاق بن هارون الرشيد فخرج لقتال الخوف
في ربيع الاخرة سنة اربع عشرة ومائتين فكانت ولايته شهرين
ثم تولى عيسى الجلودي ثانيا باستخلاف ابي اسحاق بن
هارون الرشيد فحارب اهل الخوف بالمطرية ثم انهزم فاقبل
ابو اسحاق في اربعة آلاف من اتراكه فقاتل اهل الخوف وقتل اكابرهم
وخرج الى الشام غرة محرم سنة خمس عشرة ومائتين في اتراكه
ومعه الاسارى ثم تولى عبدوية بن جبلة من قبل ابي اسحاق
فاستمر الى غاية سنة خمس عشرة ومائتين وتوجه الى برقه ثم
تولى عيسى بن منصور الرافعي من قبل ابي اسحاق المذكور في اول سنة
ست عشرة ومائتين فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادى
الاول من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم
فكانت حروبا عظيمة الى ان قدم عبد الله المامون الى مصر سنة سبع
عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواه ونسب هذه الفتنة
اليه ثم ان المامون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبى منهم من
سبى وقتل منهم من قتل ثم ان المامون اراد الوقوف على الاهرام
ففتح ثلمة من الهرم الكبير الى ان انتهى الى عشرين ذراعا فوجد

بطمرة فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقيتان من أواقنا وكانت الف دينار فتعجب المامون من جودة ذلك الذهب وحمرته وقال ارفعوا حساب ما انفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه باز آء ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كان هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركهم نحن ولا أمثالنا ثم رحل المامون لثمان عشرة ليلة من صفر سنة سبع عشرة ومائتين

قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف في اخبار مصر وعجايبها أن سوريد أحد ملوك مصر قبل الطوفان هو الذي بنى الهرمين الكبيرين العظيمين المنسوبين الى شداد بن عاد وسبب بنائهما انه قبل الطوفان بثلاثمائة قد راى سوريد في منامه كان الارض انقلبت باهلها وكأن الناس قد هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا باصوات هائلة فاهمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام بان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض في صورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فانتبه فزعا مرعوبا فامر عند ذلك بعمل الاهرام ولما شرع في بنائها امر بقطع الاسطوانات العظام واستخراج الرصاص من ارض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها اساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانوا يمدون البلاطة ويثقبونها ويجعلون بوسطها قضيبا من حديد قائما ويركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبة ويدخلون القضيب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القضيب حول البلاطة الى ان كملت وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام مائة ذراع بالذراع الملكي والذراع الملكي خمسة اذرع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراع العمل فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من أسفلها الى اعلاها وأنشد بعضهم

٠٠٠

بعينك هل ابصرت اعجب منظر على طول ما ابصرت من هرمى مصر
أتانا باكناف السماء واشرفا على الجو اشراف السماك على النسر
وقال بعضهم

خليلى ما تحت السماء ببقعة تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وذكر القبط فى كتبهم ان عليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية انا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام فى وقت كذا وكذا واتممت بناها فى ستة سنين فمن اتى بعدى وزعم انه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد علم ان الهدم اهون من البنا وانى كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر رجعتا الى ما نحن بصدده ثم ان المأمون ولى مضر بن عبد الله الصفدى المدعو كيدر ومات المأمون سنة ثمان وعشرين ومائتين واستخلف المعتصم فاقر كيدر المذكور ثم مات كيدر المذكور فى ربيع الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين بعد أن استخلف ابنه المظفر ثم تولى ابن ابى العباس من قبل المعتصم فى مستهل رمضان سنة تسع عشرة ومائتين فكانت ولايته سنتين واربعة أشهر ثم تولى كيدر بن عبد الله الصفدى من قبل المعتصم ولما مات المعتصم وبويع الواثق اقره الى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين ثم تولى عيسى بن منصور ثانيا من قبل الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين ولما بويع المتوكل صرف عيسى المذكور فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ثم تولى منصور بن المتوكل من قبل ابيه المتوكل وضم اليه المشرق والمغرب واستمر الى سنة احدى واربعين ومائتين فكانت مدته سبع سنوات ثم تولى يزيد بن عبد الله من قبل المتوكل فدخل مصر سنة اثنين واربعين ومائتين وهو الذى بنى المقياس الموجود الآن ولما مات المتوكل وبويع لمحمد المنتصر اقر يزيد المذكور ولما مات المنتصر وبويع للمعتز اقر يزيد المذكور وصرف

عنها

عنها سنة اثنين وخمسين ومائتين فكانت ولايته عشر سنوات ثم تولى أحمد بن مزاحم من قبل المعتز واستمر الى سنة اربع وخمسين ومائتين

دولة الطولونية

أولهم أحمد بن طولون تولى من قبل المعتز فى شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين ولما تسلم مصر وكان على خراجها أحمد بن المبرد وهو من دهات الناس وشياطين الكتاب اهدى الى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار وكان ابن طولون قد رأى عند احمد بن المبرد مائة غلام قد انتخبهم وصيرهم عدة له وكان لهم حسن خلق وباس شديد وعليهم أقبية ومناطق ثقال عراض وبايديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه فاذا ركب ركبوا فى صدور الناس بين يديه فصير له هيبة عظيمة فتفطن ابن المبرد لاوضاع ابن طولون وقال من كانت هذه همته لا بد من على طرف من الاطراف فخافه وكره المقام معه بمصر واتفق مع سفيان الخادم صاحب أحمد المبرد على مكاتبة الخليفة بازالة أحمد بن طولون فلم تكن غير أيام حتى بعث أحمد بن طولون الى أحمد المبرد يقول له قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها فرددناها عليك توفيرا وتجب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فانا اليهم احوج منك فقال ابن المبرد لما بلغه الرسالة هذه أخرى اعظم مما تقدم ولم يجد له بدا من بعثهم اليه فتحولت هيبة احمد بن المبرد الى احمد بن طولون وتقلصت هيبة ابن المبرد بمفارقة الغلمان فكتب ابن المبرد الى الخليفة يحرضه على عزل ابن طولون فبلغه ذلك فكتم ذلك فى نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأقام المهدى بالله بن الواثق فاقر أحمد بن طولون وزاده اعمالا

على مصر من جملتها اسكندرية وتوجه ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها ولم يزل يستاصل الامور شيئا فشيئا الى ان قويت شوكته ونمت عساكره وتغلب وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنا بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو اول من تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة الف وعشرين الف دينار وكان له للنفقة برسم الصدقة كل يوم الف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار ومما يحكى عنه انه تساقطت النجوم في ايامه فراعه ذلك فاحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم فما أجابوا بشئ فدخل الحمل المصري الشاعر وهم في الحديث فأنشد

قالوا تساقطت النجوم لحادث فظ عسير
فاجبت عند مقالهم بجواب محتنك خبير
هذي النجوم الساقطات رجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون واستبشر وأمر له بخلعة سنية وصلة وقال للجماعة اف لكم اما كان فيكم من يحسن ان يقول مثل هذا

وتوفي احمد بن طولون ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن خارج باب القرافة وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف من الذهب عشرة آلاف الف دينار ومن المماليك عشرة آلاف ومن الغلمان اربعة وعشرين الفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن البغال والحمير ستة الاف ومن الجمال عشرة الاف ومن المراكب الحربية مائة مركب قيل انه روى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله وما على رؤساء الدنيا اشد من الحجاب لطالب الانصاف وقال بعضهم كنت اري شيخا يقرا على قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال

كان له علينا بعض احسان فاجبت أن أصله بالقران فقال لا تقرا علي شيئا فانه لا يمر آية الا قيل لي أما سمعت هذه والله تعالى أعلم

ثم تولى بعده ولده خمارويه وبايعه الجند

يوم الاحد لعشرين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين فتعقب ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات والماكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك وأخذ الميدان وجعله كله بستانا وزرع فيه انواع الرياحين واصناف الشجر يحكى عن خمارويه انه شكى الى طبيبه كثرة السهر فاشار عليه بالتنعيم فانف وقال لا اقدر على وضع يد احد على بدني فقال له نعمل لك بركة خمسين ذراعا طولا وخمسين ذراعا عرضا وتملاها من الزيبق فانفق في ذلك اموالا عظيمة وجعل في اركان البركة سككا من فضة وجعل في السكك زنابير من حرير محكمة الصنعة وجعل فراشا من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ وينام على الفرش فصار يربح ويتحرك بحركة الزيبق مادام عليه فكانت هذه البركة من اعظم ما سمع بها من هم الملوك وكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب اذا القى القمر بنور الزيبق ولقد اقام الناس بعد خراب البركة مدة يحفرون لاجل اخذ الزيبق من شقوق البركة وبنى ايضا في داره دارا للسباع في كل بيت سبع ولبوة وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها وكل بيت مفروش بالرمل وفي جانب كل بيت حوض من رخام يصب فيه الماء وكان من جملة هذه السباع سبع ازرق العينين يقال له زريق وقد انس بخمارويه وصار مطلقا بالدار لا يؤذي احدا فاذا نصب خمارويه مائدته اقبل زريق معها ووقف على يديه فيومي اليه بدجاجة أو لحم أو غير ذلك مما على المائدة فيبتلعه وكان له لبوة لم تانس كما انس فكانت في مقصورة ولها وقت معلوم يجتمع معها فاذا نام خمارويه

سماه زريق يحرسه فاذا نام على السرير يراعيه زريق مادام نائما وان
كان على الارض اقعى قريبا منه وينظر لمن يدخل او يقصد خماروية
ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان قد الف ذلك وكان في عنق
زريق طوق من ذهب وكان لا يقدر احد يدنو من خماروية مادام
نائما لمراعاة زريق له وحراسته حتى اذا اراد الله انفاذ قضائه
وقدره في خماروية لما كان بدمشق وزريق بمصر قتل اذ لا
يغني حذر من قدر ومما افاده الكمال الدميري في حياة الحيوان
ان للسبع اسماء كثيرة وكنى والمتكلمون على طبائع الحيوان يقولون
ان الانثى لا تضع الا جرواً واحداً فتضعه لحمة لا حس فيه ولا
حركة فتحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي ابوه بعد ذلك فينفخ فيه
فيتنفس ويتشكل ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح عينيه
الا بعد سبعة ايام من تشكله فاذا مضت عليه ستة أشهر
اكتسب التعليم وله صبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ما
ليس لغيره من الحيوان ولا ياكل من فريسة غيره واذا شبع
من فريسته تركها ولم يعد اليها ولم يشرب من ماء ولغ فيه
الكلب ومع افراط شجاعته يفر من صوت الديك وتقشعر
الطشت ومن السنور ويتحير عند رؤية النار ومتى وضع
جلده على شئ من جلود السباع تساقط شعرها ومن علق عليه
قطعة من جلده بشعرها أمن من الصرع قبل البلوغ فان صادفه
الصرع بعده لم ينفعه ومن لطخ بشحمه جميع بدنه هربت
منه السباع ولم ينله مكروه واذا احرق شعره في موضع هربت
منه سائر السباع ولحمه ينفع الفالج واذا وضعت قطعة من
جلده في صندوق مع ثياب لم يصبها سوس ولا أرضة ومما
يناسب ما تقدم من حراسة السبع ان شخصا مغربيا اخبرني
شفاها في سنة ثلاثين والف ان شخصا من قرية من قرى جزائر الغرب
ذكر له ان شخصا من قريته اجتاز ببعض الاودية فرأى جرو سبع مزور
العينين قد اقطع فالتقطه وجاء به الى منزله وكانت زوجته

مرضعة ومعها ولد فالتمت الجرو وندبها فوضعه واستأنس بها
فصار الولد والجرو كالتوءمين ولما كبر الولد وانتشى وبقى له حركة
فى المشى والدخول والخروج فكان الجرو يتبع الولد اينما سار واينما
نام ينام بازائه واذا سرح بغنمه يتبعه ويراعيه اذا نام الى ان
صار الولد رجلا والجرو سبعا فقدر الله ان الولد عشق بنتا من بنات
قرية قريبة لقريته فكان يتوجه لها ليلا وهو راكب السبع واذا قرب
من القرية التى فيها البنت يقول للسبع اجلس ها هنا حتى اقضى
مرادى واعود لك فيجلس السبع خارج القرية الى ان يعود له الولد
فاتفق ان أهل البيت فطنوا بالولد المذكور فقبضوا عليه وقتلوه
فاقام السبع ينتظره الى أن طلعت الشمس فلم يحضر فظن السبع ان
الولد توجه الى أمه فكر راجعا الى منزل الولد فلم يجده فقالت ام
الولد للسبع يا ميشوم راين صاحبك فذرفت عيناه بالدموع
وكر راجعا على اثره للقرية التى كان بها الولد فقتل من اهلها فى
ساعة واحدة ما يزيد على عشرين نفرا وكلما دخل السبع منزلا
الولد يجد أمه تبكى يعود الى القرية ويقتل من أهلها من يظفر به
الى ان قتل جملة من اهلها ثم ان الذى بقى من القرية شكوا امرهم
لحاكم الولاية فاستشار الناس فى قتله فاشاروا عليه بانه لا يمكن
قتله الا ان تحضر ام الولد ويستانس بها فاذا استأنس بها
يضرب ببندقة فيقتل ففعل به ذلك وقتل السبع بهذه الحيلة
رجعنا الى ما نحن بصدده من اخبار دوبة فانه لما تكامل عزه
وانتهى امره توجه الى دمشق فقتل بها على فراشه مذبوحا ذبحه بعض
جواريه فى ذى القعدة سنة اثنين وثمانين وماتتين وحمل فى
صندوق الى مصر وكان له يوم عظيم ومن كلام الحكمة ان بطانة
الرجل واهله اذا خانوه فسد حاله فكانت ولايته اثنى عشرة
سنة وثمانية عشر يوما والله سبحانه اعلم

ثم تولى ابو العساكر بن خمارويه فى عاشر القعدة سنة اثنين

وثمانين ومائتين بدمشق فصار الى مصر واشتمل على امور منكرة وقتل في جمادى الاول سنة ثلاث وثمانين ومائتين فكانت ولايته ثمانية أشهر واثنى عشر يوما

ثم تولى أبو موسى هارون بن خمارويه

فابتدأ بتشاغله باللهو واللذات فاجتمع عماه شيبان وعدي ابناء أحمد بن طولون على قتله فدخلا عليه ليلة الاحد عاشر صفر سنة احدى وتسعين ومائتين فقتلاه وكان سنه اثنين وعشرين سنة وولايته ثمانية سنين وثمانية أشهر

ثم تولى ابو المغازي شيبان بن احمد

ابن طولون في عاشر صفر سنة اثنين وتسعين ومائتين فانكر عليه قواد هارون بن خمارويه وحالفوا شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر في عسكر جرار فخاف شيبان وطلب الامان فامنه محمد ابن سليمان وقبض عليه في ثامن ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائتين فكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان في اوائل ربيع الاول المذكور فالقى النار في القطائع ونهب اصحاب الفسطاط وكسر السجن واخرج من فيه واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وفعل كل قبيح واخرج اولاد احمد بن طولون وقوادهم فاهانه وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت منهم الديار وآلوا الى البوار فكانت جملة الدولة الطولونية سبعة وثلاثين سنة وسبعة اشهر وعشرين يوما فسبحان المعز المذل ولما خرجت القطائع انشد ابن هاشم يقول

يا منزلا لبني طولون قد دثرا سقاك صوب الغوادي القطر والمطرا
بالله عندك علم من أحبتنا ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

ثم عادت الدولة العباسية بمصر في خلافة المكتفي وفي ذلك

يقول احمد بن محمد

الحمد لله اقرارا بما وهبا قد كان بالامس شعب الحي فانشعبا
الله أصدق هذا الفتح لا كذب فسوء عاقبة حقا لمن كذبا
فتح به فسح الدنيا محمدها وفوج الظلم والاظلام والكربا
لما اطال بنو اطولون خطبهم بين الخطوب وعاف منهم الخطبا
هاروت بهاروت من ذا كراك بقعته وشتت الشمل شيبان ومارعيا
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كانها من زمان غابر ذهبا

ثم تولى عيسى المنوشرى من قبل المكتفى وقدم الى مصر فى سابع جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين ومائتين فتصرف خمس سنوات وشهرين ونصفا الى ان توفى بمصر وحمل الى بيت المقدس ودفن فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ثم تولى تكين المعروف من قبل المقتدى فى حادى عشر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وفى ولايته جاء جباسة بن يوسف من قبل عبد الله الفاطمى صاحب افريقية واستولى على برقة ثم سار الى الاسكندرية فى زيادة من مائة الف وذلك فى محرم سنة اثنين وثلثمائة فقدمت العساكر من العراق مددا لتكين وبرز لهم العساكر فكانت واقعة جباسة مشهورة قتل فيها الوف من الناس ورد جباسة ولم يظفر بمراده فكانت مدة تصرف تكين خمس سنين وشهرين وعزل آخر سنة اثنين وثلثمائة ثم تولى ابو الحسن زكى الاعور الرومى من قبل المقتدر فى ثانى عشر صفر سنة ثلاث وثلثمائة ثم ان المهدى صاحب افريقية سير عسكرا صحبة ابى القاسم فدخل الاسكندرية فى ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس الى مصر برا وبحرا وخرج زكى الاعور والجند الى الجيزة وحفروا خندقا على العسكر فمرض زكى ومات فكان مدة تصرفه اربع سنين وشهرا ودفن فى تاسع ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة ثم تولى تكين ثانيا فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا واقبلت مراكب الغرب فظفر بها وقدم مونس الخادم من بغداد فى نحو ثلثمائة الف فكانت

حروب مع اصحاب المهدى بالفيوم واسكندرية ورجع ابو القاسم
تابع المهدى الى برقة واقام تكين سنة واحدة وشهرا ثم تولى
هلال بن بدر من قبل المقتدى فبعث الجند على هلال وكثر النهب
والقتل والفساد بمصر فصرف عنها فى ربيع الآخرة سنة احدى عشرة
وثلثمائة ثم تولى احمد بن كيغلغ من قبل المقتدى فى رجب
سنة احدى عشرة وثلثمائة وعزل فى القعدة ثم تولى تكين
ثالثا من قبل المقتدر فى محرم سنة اثنى عشرة وثلثمائة فقتل
المقتدر فى شوال سنة عشرين وثلثمائة وبويع لابى المنصور
القاهر فاقر تكين الى ان توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة
وحمل الى بيت المقدس ودفن فكانت ولايته تسع سنين وشهرا
ثم تولى الاخشيد واسمه محمد بن طغج الفرغانى المدعو ابا
بكر من قبل القاهر فى شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة
فاقام سنة واحدة وبويع للراضى بالله والله تعالى اعلم

ذكر دولة الاخشيدية

ثم ان الاخشيد تغلب واخذها قهرا عن الراضى فى سنة اربع
وعشرين وثلثمائة وقدم ابو الفتح بن جعفر بالخلع للاخشيد
ووقع حروب انهزم بها اتباع ابى الفتح الى برقة وساروا الى القا
بامر الله محمد بن المهدى بالمغرب وحرضوه على اخذ مصر ثم
ورد كتاب من بغداد الى الاخشيد بالزيادة فى اسمه ودعى له
بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة ولما
بويع للمقتفى وبويع للمستكفى فاقر اخشيد ولما خلع المستكفى
ودعى للطائع فاقر الاخشيد وتوفى الاخشيد فى ثالث عشر الحجة
سنة اربع وثلاثين وثلثمائة فمدته احدى عشر سنة وثلاثة
أشهر والله اعلم

ثم تولى ابو القاسم ولد الاخشيد
من قبل المطيع والكلام لكافور الاخشيدى وفى سنة ثلاث واربعين

وثلثمايه وقع حريق بمصر فى سوق البزازين وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها لم تتغير وبات الناس على خطر عظيم فركب كافور وأمر بالنداء من جاء بقربة او كوز فله درهم فكان مبلغ ما صرف عشرة الاف درهم وكان من جملة ما احترق غير البضائع والاقمشة الف وسبعمايه دار فاقام ابو القاسم أربع عشرة سنه وعشرة اشهر وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع واربعين وثلثمايه

* ثم تولى ابو الحسن على ولد الاخشيد

فاقام خمس سنين وشهرين والكلام لكافور الاخشيدى

ثم تولى كافور المكنى بابى المسك

الاخشيدى كان خصيا اسود بيع بثمانية عشر دينار وقد سبقت له من الله السعادة كما قيل فى المعنى شعر

واذا السعادة صادفت عبد الشرا نفذ على سادا ته أحكامه

تولى فى صفر الخير سنة خمس وخمسين وثلثمايه وكان يعطى العطى الجزيل اتفق انه وقع فى ايامه زلزلة فدخل محمد بن عاصم الشاعر فانشد قصيدته التى منها

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحا

فاجازه الف دينار ومما اتفق ايضا ان رجلا دخل على كافور ودعى له فقال فى دعائه دام الله ايام مولانا وكسر الميم فى ايام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك فهابوه فقام رجل من وسط الناس وانشد مرتجلا

لا غرو ان لحن الداعى لسيدنا اوغص من دهش بالريق أو بهر

فتلك هيبة جلت جلا لتها بين الاديب وبين الفهم بالحصر

واذ يكن خفض الايام من غلط فى موضع النصب لا عن قلة النظر

فقد تفاءلت من هذا السيد نا والفال نوثره عن سيد البشر
بان ايامه خفض بلا نصب وان اوقاته صفو بلا كدر
فاجازه كافور بجائزة عظيمة وهذه الجوائز التي حشت احمد بن
الحسين المتنبي الى المجي الى كافور وقد مدحه ابو الطيب فقال
واخلاق كافور اذا ما شيت مدحه
وان لم تشأ تملي علي فاكتب
ذكر صاحب القاموس ان المتنبي خرج الى بني كلب وادعى انه حسني
ثم ادعى النبوة فشهد عليه بالشام وحبس دهرا ثم استتيب واطلق
وكان المتنبي مع كثرة ماله واخذه الجوائز العظيمة على جانب عظيم
من البخل وكان يقف بين يدي كافور بخفين ومنطقة ويحضر
سماطه ويجئ صحبته غلام اسود ومعه قدور خزف يأخذ
فيها فضلات الطعام حكى عليه انه طلب ندافا ليعمل له جبايا
فاقام عنده سبعة ايام فاعطاه سبعة قراريط من دينار
فصعب عليه ذلك فقال له كم ظننت اني اعطيك فقال سبعة
دنانير فقال المتنبي والله لو وضعت رجلا على طور زينا ورجلا
على طور سينا وتناولت قوس قزح وقايمة العرش وندفت
قطن الغمام على جباب الملائكة ما اعطيتك دينارا فضلا أن
اعطيك سبعة دنانير وان المتنبي طال ما امتدح كافور بقصائد
طنانة فمن غرر قصائده
فجاءت به اعيان عين زمانه وخلت عيونا خلفها ومآقيا
قواصد كافور تدارك غيره ومن ورد البحر استقل السواقيا
فاجازه كافور بجوائز عظيمة فاتفق ان المتنبي دخل على كافور
في وقت من الاوقات وطلب منه شيأ وكان الوقت غير لايق للطلب
فحصل من كافور تراخي وتغافل فخرج من عنده مغضبا وهجاه فقال
من علم الاسود المخصي مكرمة باؤه السود ام اجداده الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس بحر صالح وأخ لو انه في ثياب الخز مولود

لا تشترى العبد الا والعصى معه ان العبيد مناحيس مناكيد
روى عن وهب بن منبه انه قال اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس
فيك فلا تأمنه ان يذمك بما ليس فيك ومن عجيب ما اتفق
للمتنبى مع عبد اسود لسعيد بن مهنا وهو ان العبد جاء الى عطار
يطلب منه شيأ من البضائع وكان المتنبى جالسا بحانوت العطار
المذكور فقال العبد هات بذى البيضة فلفل وبذى البيضة
حنا فقال له المتنبى عبد من أنت فقال انى عبد سعيد وسعيد بن
مهنا ثم ان العبد سال من العطار عن المتكلم فقال له هذا المتنبى
فتقرب منه وقال

يا نسمة الصك هبى على قفا المتنبى
ويا قفاه تدانى حتى تصير بقربى
ويا يداه اضعفاه طرطق وطرطق طبى
ان كنت انت نبى فالقرد لا شك ربى

فلم يجب المتنبى وقال للعطار هذا العبد يموت بعد ثلاثة
ايام لشدة حذقه وكان الامر كذلك رجعنا الى ما نحن بصدده
من اخبار كافور حكى عنه انه كان جالسا فى بعض الايام
على تخت ملكه وارباب دولته وخدمه واقفون بين يديه
فسمع سماعا بالات مطربة وايقاع منسجم فحرك كتفه على
ايقاع السماع ففطن به ارباب الدولة فخشى من انتقادهم
عليه فاتخذها عادة الى ان مات ولا عجب فى ذلك فقد قيل
لو نزل زنجى من السماء لنزل على الايقاع وقيل اكلت السودان
لحوم القردة فاورثتهم الرقص والغالب على السودان من رجال
ونساء التخلع والتطبع فى حركاتهم وجمعياتهم وعلى الخصوص
اجتماعهم فى الافراح والزفاف ورقصهم على طبلهم وطنبورهم
وذلك مستمر الى الآن بمصر من الجامع الصغير قال صلى الله
عليه وسلم اشتروا الرقيق وشاركوهم فى ارزاقهم واياك
والزنج فانهم قصيرة اعمارهم قليلة ارزاقهم قال الشارح

الاسود انما هو ليظنه ان جاع سرق وان شبع فسق وقال جالينوس اختصت السود بعشر خصال تفلفل الشعر وخفة اللحا وفتح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق الكعاب وطول الذكر وكثرة الطرب فمدة تصرف كافور سنتان واربع شهور وتوفى فى عشرى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثماية ودفن بالقرافه وله قبر مشهور والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم تولى ابو الفوارس احمد بن على

الاخشيد وعمره اثنا عشر سنة فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكان مدة تصرفهم اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر واربعا وعشرين يوما

(* الباب الخامس *)

فى دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون واختلف المورخون فى نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهرا رضى الله عنها وطعنوا فيهم بانهم من اولاد الحسين بن محمد بن احمد القداح وكان القداح مجوسيا وكان ابتداء ظهورهم عبيد الله بن المهدى وثانيهم المنصور وثالثهم المعز لدين الله وهو الذى انتقل من بلاد الغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وكان السبب فى ملكها انه لما مات الاخشيدى جهز جوهر القائد بعسكر عظيم ومعه الف حمل من السلاح ومن الخيل ما لا يوصف فملك مصر ذكر المقريزى فى خططه ان مصر قبل ان ينقل كرسى الامارة منها كان بها من المساجد ستة وثلاثين الف مسجد وثمانية الاف شارع مسلوك والف وماية وسبعون حماما وان جامعة جنادة بالقرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها فى كل يوم خمسمائة درهم وكان

بها من الجهة الشرقية حمام من بناء الروم فدخله شخص وطلب صانعا يخدمه فلم يجد صانعا متفرغا وان مع كل صانع اثنين او ثلاثة فسال كم فيها من صانع فاخبر ان بها سبعين صانعا اقل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج ثم طاف غيرها فلم يجد من يخدمه الا بعد اربع حمامات وقيل ان الاسطبلات التى كانت بالطاقات المطلة على النيل كان بعدتها ستة عشر الف سطل ترحى وتملا ولا يخفى ما مصر عليه الآن من الخراب ودثور الاماكن وان ماء النيل لا يوصل الى الاماكن المطلة على النيل الا بأوان الزيادة سبحان المحيى المميت لا اله الا هو

وان جوهر القايد لما انتظم حاله ضاق مصر بالجند والرعية فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية فلما قدم المعز الى مصر من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة والسبب فى ذلك ان جوهر القايد لما قصد اقامة السور جمع المنجمين وامرهم ان يختاروا طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمى الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بين القائمة والقائمة جل فيه أجراس وافهم البنايين ان ساعة تحريك الاجراس يرمون ما بايديهم من الطين والحجارة فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة واخذ الطالع فاتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فظن الموكلون بالاجراس ان المنجمين حركوها فاقاموا ما بايديهم من الحجارة والطين فى الاساس فصاح المنجمون لا لا القاهر فى الطالع فمضى ذلك وخانهم ما طلبوه وكان الغرض ان يختاروا طالعا لا تخرج البلد عن تسلطهم فوقع ان المريخ كان فى الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فعلم ان الاتراك لا بد ان يملكوا هذا البلد واقليمها وسماها القاهرة وغير اسمها الاول وياب الله الا ما أراد وان جوهر القائد تراض مصر اربع سنين وبنى الجامع الازهر وكان نهاية بنائه فى سابع رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفى المعز سابع ربيع الآخرة سنة

خمس وستين وثلثمائة ودفن بقصره بالقاهرة وكان أحضر صحبته توابيت آبائه واجداده ودفنهم فى قصره فمده تصرفه فى القاهرة ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى المعز ابو النصر نزار بن المعز

فأقام احدى وعشرين سنة ونصفا وتوفى فى حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة والله أعلم

ثم تولى الحاكم بامر الله ابو على المنصور

وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان يروم ان يدعى الالهية كما ادعاها فرعون قال الشيخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه كان الحاكم أمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر ان تقوم الناس على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره وكان يفعل ذلك فى سائر الممالك حتى فى الحرمين الشريفين وكانت اموره متضادة لانه كان عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة للعلماء وانتقام من العلماء وميل الى الصلاح وقتل الصلاح وكان عنده السخا وبخل بالقليل وقتل من العلماء مالا يحصى وأمر بسب الصحابة ومنع صلاة التراويح مدة ثم أباحها وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور فى الاسواق على حماره فمن وجده غش فى أمره امر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى وامر أن يعلق فى اعناق النصارى الصلبان وان يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر ان يجعل فى اعناق اليهود قرامى الخشب وان يلبسوا العمائم السود وصنف له بعض الباطنية كتابا وكتب فيه ان روح آدم انتقلت الى على وان روح على انتقلت الى الحاكم وقرا هذا الكتاب بجامع القاهرة فقصد الناس قتل مؤلفه فصيره الحاكم الى جبال الشام واستمال الناس عليه وأعطاهم المال واباح لهم الخمور والزنا حتى ان جماعة يعتقد

ون

رجوع

رجوع الحاكم ولا بد ان يعود ويمهد الارض وتلك خيالات كاذبة
وظنون فاسدة والكتاب يجيال الدرور الى الآن ذكر الامام
الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخه ان الحاكم لما زاد ظلمه عن له
ان يدعي الربوبية فادعى علم المغيبات وكان يقول فلان فعل في
بيته كذا وكذا واكل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق عنده مع
العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وغيرهم فرفعت اليه في اثناء
ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقه
ان كنت اوتيت علم غيب ... بين لنا صاحب البطاقه

فحين رآها سكت عن الكلام في المغيبات وكان هو واسلافه
بمصر يدعون الشرف يريدون الافتخار على بني العباس خلفاء
بغداد فيقولون ابونا علي وامنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه
وسلم وكان الحاكم يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه
وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا ... يتلى على السامع في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا ... فصف لنا نفسك كالصايغ
او كان حقا كل ما تدعي ... فاعدد لنا بعد الاب السابع
او فدع الاشياء مستورة ... وادخل بنا في النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد اقول وما عليه بعض الناس
الآن وقبل الآن من الدخول في الانساب الشريفة والانتفاء من الانساب
الخبيثة هذا ما لا يحتاج في دعواه الى بينة وقد شاهدنا كثيرا من
الناس ممن هو ليس بشريف ولا أخذ الشرف لا عن أبيه ولا عن
جده قد ادعوا الشرف وعلقوا على رؤسهم العصائب الخضر ولبسوا
العمائم الخضر فقويت شوكتهم وزادت شرتهم وصار كل منهم
يقول انا من بناء الرسول يقصدون بذلك الرفعة وهم في الحقيقة
موضوعون انا لله وانا اليه راجعون شعر في المعنى

فتى لما راى الانساب فخرا ... تناول غير نسبة والديه

ويرضى ان يقال له شريف ومن يرضى اذا كذبوا عليه
روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق وادعى نسبا
لا يعرف رواه احمد والطبراني في الصغير وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى
الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة
خمسمائة عام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه او تولى غير
مواليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين رواه ابن ماجه
وابن حبان في صحيحه وعن انس رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه او انتمى
الى غير مواليه فعليه لعنة الله المتابعة الى يوم القيامة
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله وانتفى من نسب
وان دق كفر بالله رواه الطبراني في الاوسط ولولا خوف
الاطالة في هذه العجالة لبسطت القول الى الغاية وفيما اوردنا
كفاية والله أعلم وفي سنة ثمان واربعمائة ظهرت سمكة بدمياط
طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت حين الملح
تدخل في جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال
ومعهم المجاديف يجرفون الشحم من جوفها وبنا ولونه الناس
واقام اهل تلك النواحي مدة ياكلون من لحمها ذكر ذلك المقريزي
في خططه عند ذكر دمياط اقول اذا ضربت عرض هذه
السمكة في طولها بطريق المساحة فتبلغ ما قدره ستة وعشرون
الف ذراع فيكون ذلك ستة أميال ونصف فان الثلاثة أميال
فسخ والميل الف ذراع والبريد اربعة فراسخ فيكون طولها ثلاثة
ارباع بريد فسبحان الخالق المصور لا اله الا هو قيل كان
في زمن الحاكم رجل بمصر يسمى وردان وكان جزارا متعيشا في اللحم

الضمان وكان كل يوم تأتيه امرأة بدينار مصري يقارب زنته دينارين ونصف وتقول له اعطني خروفا وتحضر معها حمالا وتاخذه وتروح الى ثاني يوم وقت الضحى فكان يكسب عليها كل يوم دينارا فاقامت مدة طويلة فتفكر وردان ذات يوم في امرها وقال هذه المراة كل يوم تشتري مني بدينار ما غلطت يوما بدراهم هذا امر عجيب فسال وردان الحمال في غيبة المراة فقال له انت كل يوم تروح مع هذه المراة الى اين فقال له انا في غاية العجب منها كل يوم تحملني الخروف من عندك وتشتري الحوايج والفاكهة والنقل والشمع بدينار بدينار آخر وتاخذ من شخص نصراني مروقين نبيذ وتعطيه دينارا وتحملني الجميع الى بساتين الوزير ثم تغصب عيني بحيث اني لا انظر موضع قدمي وتاخذ بيدي فما اعرف اين تذهب ثم تقول لي حط هنا وعند قفص آخر فتعطيني الفارغ وتعود تمسك يدي الى موضع شدت عيناي بالعصابة فيه فتحلها وتعطيني عشرة دراهم فقلت له الله يكون في عونها وقد تزايد عندي الفكرة والوسواس وبت في قلق عظيم فلما اصبحت اتنفى على العادة واعطتني الدينار واخذت الخروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبيي على الدكان وتبعتها بحيث لا تراني وانا اعاينها الى ان خرجت من مصر وانا اتواري خلفها الى ان وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى شدت عيني الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى ان وصلت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت عن الحمال وصبرت الى ان عادت بالحمال ورجعت فنزعت جميع ما كان بالقفص وغابت ساعة فاتيت ذلك الحجر فاجده محاذي لطابق نحاس مفتوح ودرج نازلة فنزلت الى ذلك الدرج قليلا قليلا فوصلت الى دهليز طويل فمشيت فيه وهو كثير النور حتى رأيت صفة باب قاعة فاركنت في زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت فيهم اجد صفة صغيرة بها طاقة تشرف على

القاعة فتسللت على القاعة أجد المرأة قد اخذت الخروف وقطعت
منه أطايبه وعملته فى قدر وارمت الباقى الى دب كبير عظيم
الخلقة فاكله عن آخره وهى تطبخ فلما فرغت اكلت كفايتها ومدت
الفاكهة والنقل ومدت النبيذ وصارت تشرب بقدح بلور
وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى انتشا فنزعت لباسها ونامت
فقام لها الدب فواقعها وهى تعاطيه من احسن ما يكون لبنى
آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب اليها حتى فعل ذلك عشر مرات
ووقع ووقعت وهما مغشيان عليهما لا يتحركان فقلت هذا وقتى
ايش انتظر فنزلت ومعى سكين تبرى العظم فأجدهما لا يضربان
بعرق لما قد نالهما من الشدة فلم افتر دون ان جعلت السكين
فى نحر الدب وانكببت عليه خلصت رأسه عن بدنه فبقى له شخير
قلب المكان فانتبهت المرأة مرعوبة لما رأت الدب مذبوحا وانا
واقف والسكين بيدى فزعقت زعقة ظننت ان روحها
قد خرجت وقالت يا وردان هذا جزاء الاحسان فقلت لها يا عدو
نفسها عدمت الرجال حتى تفعلى هذا الفعل الذميم فاطرقت الى
الارض لا ترد جوابا وتأملت الدب وقد نزعت رأسه فقالت
يا وردان ايما خير لك ان تسمع الذى اقول لك ويكون سبب سلامتك
وغناك الى آخر الدهر او اهلكك فقلت قولى قالت تذبحنى كما ذبحت
هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك ورح فقلت لها انا خير من
هذا الدب فارجعى الى الله وتوبى واتزوج بك ونعيش باقى عمرنا
بهذا الكنز قالت يا وردان ان هذا بعيد بقيت اعيش بعده والله
متى لم تذبحنى لا تلفنى روحك فلا تراجعنى تتلف والسلام
فقلت الى خلف سقر وجذبتها بشعرها فذبحتها ووجدت من الذهب
والفصوص واللؤلؤ ما لا يقدر عليه أحد فاخذت قفص الحمال
وملأت من هذا الذهب ما اطيق حمله وسترته بقماشى الذى
كان على وطلعت ولم ازل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من رسل
الحاكم والحاكم معهم فقال يا وردان قلت لبيك قال قتلت الدب

والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطيب قلبك فلك هذا
لا ينازعك فيه أحد فحطيت القفص بين يديه فكشفه ورآ
وقال حدثني فانى حاضر فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول
صدقت فقال يا وردان قم سلم الى الكنز فاتيت به اليه فوجدت
الطابق مغلقا فقال الحاكم شله يا وردان هذا الكنز لا يقدر
يفتحه أحد غيرك فهو باسمك يفتح فقلت والله لا أطيقه
قال فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدى الى الطابق
فاشتال أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فانه
لا ينزله الا من هو باسمه وهذا على اسمك من حين وضع وقتل
هؤلاء على يديك وهو مؤرخ عندى وكنت انتظره حتى وقع
قال وردان فنزلت فنقلت له جميع ما فى الكنز ودعى بالدواب
وحمله وأعطانى قفصى بما فيه فاخذته وعمرت به السوق المعروف
المعروف بسوق وردان وعاش وردان فارغد عيش وهذا اتفاق
عجيب روى عن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى ان أبا
عبيدة وردان مولى عمرو بن العاص كان روميا يقال انه من سبى
أصبهان ويقال انه من روم ارمينية ويقال من روم الشام
ويقال من روم ترابلس الغرب حضر فتح مصر واختط دار عمر
ابن مروان واختط له دارا فى الفضا وعمر بجانبها سوقا
وعرف به فصار السوق يعرف بسوق وردان ويحكى عن الاصمعى
قال كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية ومعه
وردان مولاه فقال معاوية لعمرو ما بقى من لذتك يا ابا عبد الله
قال محادثة أخ صدق مأمون على الاسرار فاقبل على وردان فقال
وأنت يا أبا عثمان ما بقى من لذتك قال النظر فى وجه كريم اصطنعه
نكبة فاصطنعت اليه فيها يدا حسنة فقال معاوية أنا أولى
منك بذلك وقتل وردان بالبرلس سنة ثلاث وخمسين قتلته
الروم فى خلافة معاوية بن ابى سفيان وعقبه بمصر ولعل وردان
الجزار صاحب الكنز المتقدم ذكره من عقب وردان مولى عمرو بن

العاص والله أعلم ذكر في حياة الحيوان ان الدب يحب العزلة اذا
جاء الشتاء ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا اجاع مص يديه
ورجليه فيندفع عنه الجوع ويخرج في الربيع اسمن مما كان وفي
طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه الا
بعنف وضرب شديد ومن خواصه اذا القي نابه في لبن المرأة
المرضع وسقي للصبي نبتت اسنانه بسهولة وشحمه يزيل البرص
طلاء واذا اكتحل بمرارته مع ماء الرازيانج وهو الشمار اذهب ظلمة
البصر واذا احشي بشحمه الباسور نفعه قيل كان لبعض السلاطين
ابنة احبت عبدا اسود فافتض بكارتها وولعت بالنكاح فكانت
لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت امرها لبعض القهرمانات
فاخبرتها بان لا شئ ينكح اكثر من القرد فاتفق ان جاء قرد تحت
طاقتها بقرد كبير فانسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته
بعينها فقطع القرد وثاقه وطلع لها فأخباته في مكان عندها
وصار معها ليلا ونهارا على اكل وشرب ونكاح فغطن ابوها
بذلك واراد قتلها فتزيت بزي المماليك وركبت فرسا واخذت لها
بغلا وحملته من الذهب والمعادن ما لا يوصف وحملت القرد
معها الى ان وصلت الى مصر فنزلت في بعض بيوت بالصحرا وصارت
كل يوم تشتري من شاب جزار لحما لكن لا تأتيه الا بعد الظهر
وهي مصفرة الوجه فقال الجزار لابد لهذا الشاب من امر فتبعه
من حيث لا يراه وهو يتوارى من محل الى محل الى ان وصل الى مكانه
الذي بالصحرا فتسلق عليه من بعض جهاته فلما استقر الشاب
بمكانه أوقد النار وطبخ اللحم واكل منه كفايته وقدم الباقي
للقرد كان معه فاكل القرد كفايته ثم ان الشاب نزع ثيابه ولبس
ثيابا افخر ما يكون من ملابس النساء قال الجزار فعلمت انها انثى
ثم انها احضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد الى ان انتشا
وبعد ذلك اضطجعت للقرد فتناولها نحو عشر مرات حتى غشي
عليها ثم ان القرد اسبل عليها ملاية حرير وراح الى محله ثم ان

الجزار نزل الى وسط المكان فلما احس به القرد أراد افتراسه فبادر
بسكين كانت معه فقد كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة
فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة كادت ان تزهق روحها
ثم افاقت وقالت للجزار ما حملك على ذلك لكن بالله عليك الا ما الحقتني
به قال الجزار فلا زلت الاطفها واضمن لها ان اقوم بما قام به
القرد من كثرة النكاح الى ان سكن روعها وتزوجت بها واقمت
معها مدة فاصبرت على ذلك فشكوت امري لبعض العجائز وذكرت
لها ما كان من أمرها فالتزمت لي بتدبير هذا الامر وقالت تأتيني
بقدر وتملاه من الخل البكر وتحضر قدر رطل من عود القرح
فاحضرت لها ما طلبته ثم علقت القدر على النار والقت العود
القرح على الخل الذي بالقدر وغلت تلك القدر غليانا قويا ثم
امرتني بنكاح الصبية فنكحتها الى أن غشي عليها فحملتها العجوز
وهي لا تشعر والقت فرجها على فم القدر فصعد دخانه الى داخل
فرجها فنزل من فرجها شيء في القدر وطق طقة مسموعة ثم
بعد ذلك نزل شيء آخر من فرجها فاذا هما دودتان احداهما
سودا والاخرى صفرا فقالت العجوز الدودة الاولى تربيت
القرد والاخرى من العبد فلما افاقت من غشوتها مكثت مدة
لم تطلب النكاح فاعلمتها بالقضية وصرف الله عنها تلك الحالة
ومكث الجزار معها في أرغد عيش واحسن معيشه واتخذت الصبية
العجوز مقام والدتها ذكر في عين الحياة ان القرد حيوان
ذكي سريع الفهم وان ملك النوبة اهدى الى المتوكل قردا خياطا
وآخر صائغا وهذا الحيوان شبيه بالانسان في غالب حالاته
فانه يضحك ويطرب ويتناول الشيء بيده ويقبل التلقين والتعليم
ويالف الناس وله غيرة على الاناث وفي عجائب المخلوقات من تصبح
بقرد عشرة ايام اتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه
واحبه الناس حبا شديدا ذكر القاضي ناصر الدين البيضاوي
في تفسيره في قوله تعالى فلما عموا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا

قردة خاسئين روى ان الناهين لما ايسوا من اتعاظ المعتدين
كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا
يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم لشانا فدخلوا
عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم لكن القردة تعرفهم
فجعلت تأتي انسابهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا
بعد ثلاث يحكى ان بعض الناس دخل على شخص ولى الوزارة
فاظهر سرورا مفرطا حتى رقص وصفق بيديه ايها ما لغلبة الفرح
اليه فامر ذلك الوزير باخراجه واهانته وقال لجلسائه انما اراد
قولهم وارقص للقرد في دولته قال بعضهم

واسجد لقرد الترك في زمانه ودارة ما دمت في مكانه

ذكر في كتاب رجوع الشيخ المصباه اذا كان القمر في الميزان
يؤخذ قفص كاروزنه تسعة عشر شعيره وينقش عليه صفة
قرد جالس على فرافيصه ماسك احليله بيده الشمال وينقش حوله
هذه الاحرف وهم اه ط مرف ش ذ ثم يجعل القفص تحت
لسانه عند الجماع فانه يرى عجبا من قوة الجماع وحكى فيه
عن بعض الملوك انه كان عنده ثلثمائة وستون جارية وكان
لكل واحدة منهن يوما في السنة قال فحضرن عنده ذات
يوم باجمعهن وكان يوم عيد فصف الجميع بين يديه واستدعى
بالشراب فشرب وسكر فغنى من جواريه من غنى ورقص من رقص
وطاب المجلس فقال الملك لجواريه ويحكن تمنى على منكن كل
واحدة ما في نفسها ما خلا واحدة منهن فانها قالت ايها الملك
تمنيت عليك ان اشبع لكاحا قال فغضب الملك غضبا شديدا
وامر كل من في القصر من الغلمان والمماليك ان يجامعوها فكان
عدة من جامعها الف رجل ولم تشبع ثم ان الملك استدعى بعض
الحكما وقص عليه قصة الجارية فقال ايها الملك اقتل هذه الجارية
والا افسدت اهل بيتك فان هذه قد انعكست احشاؤها
فلو نكحت مدة حياتها ما شبعت ولا روبت واكثر ما يعرض

ذلك لجوار الرومیات والنسا التی اعینهن زرق فانهن یحبون
النکاح ذکر البیضاوی فی تفسیره فی سورة طه عند قوله
تعالی ونحشر المجرمین یومئذ زرقا یتخا العیون وصفوا بذلك
لان الزرقة اسوء الوان العین وابغضها الی العرب لان الروم کانوا
اعداءهم وهم زرق العیون ولذلك قالوا فی العدو اسود الکبد
ازرق العین قیل لمعافاة الاعرابیة کم تعشقین فقالت
ثلاثون الفا کل یوم اجیئهم وما فی فؤادی منهم احد یبقی *
قیل ان سقراط خرج مسافرا فرای امراة قد اخرجت معها
فقال اما انا فقد عرفت القرین فما بال هذه قالوا زنت ومحی
غیر محصنة قال الان قد جئتم فی القضیة قالوا وکیف ذلك
قال لیس العجب للمراة کیف تزنی وانما العجب ان تعف لانها
مخلوقة بطباع الشهوة قال بعض الحکما انا الرجل کلما طعن
فی السن ضعفت حرکته وبطلت شهوته وعزنکاحه وقال الجاحظ
للمراة مخلوقة بخلاف طبع الرجل وقال لغیره المراة کلما طعنت
فی السن تزایدت شهوتها وطلبت النکاح للذتها وقیل ان جماعة
من اللصوص دخلوا الی بیت یعتقدون ان فیه کنزا فلما دخلوا
لم یجدوا شیا سوی شیخ وعجوز وشاه مربوطة بالدار فقعدوا
علی عبورهم وقعدوا یتشاورون فیما یفعلون وقد خاب
املهم فقال بعضهم لبعض نروح لغیر هذا المکان فکیف یکون
العمل قال بعضهم نذبح هذا الشیخ والشاة ونشوی لحمها
ونأکل وننکح هذه العجوز باجمعنا الی وقت السحر هذا والشیخ
والعجوز یسمعون کلامهم فقال الشیخ للعجوز سمعت ما قالوا
قالت نعم قال وکیف یکون العمل قالت نصبر یا رجل لقضاء
الله تعالی قال اما انت فتصبرین لمصلحتك وانا والشاة یا عجوز
النحس ما نصبر قال فضحك اللصوص وخرجوا وترکوهم فانظر
الی هذه العجوز من شدة شهوتها للنکاح لم تکترث بذبح
زوجها ولا اشغلها ذلك عن بلوغ وطرها قیل تفاخرت

قينة وعشيقها فقالت القينة حرى انعم من كفى واصر من خفى
ابيض نقى شفاف عريض السواعد والاكتاف افطس املس حامى
نامى اصلع اقرع مولد من جنسين قد ركسين يمص الاير انعم من لفة
حرير كافورى ضرار دافى عقار اكبر من عمامة قاضى قد
ملأ ما بين افخادى من عظمة فجج سيقانى ومن قوة حركتى يحتك
باطلتى من القانى مقبقب سمين غليظ الكافات قد جمع صفات
السبع كافات يمص مص الكاس احر واحمى من كانون الحرائر
ادفى من كسا فى زمن الشتا فقال العشيق قد كشفت عن مكنون
سرك واحسنت لكن حسبت اشيا وغابت عنك اشيا ما تعلمين
ان لى اير ما يقبله حلق الزير اقوى من زنار واطول من اسطار
واعظم من فيشلة حمار معجود الراس يسد الانفاس كانه متراس
قوى العروق مسدد الخروق كان مجراه بوق يسع عشرين
فوله مبلوله ان قام وصل السحاب وخرق الثياب ومرق من
الباب كانه الاسد الوثاب ان حمل هدوان دخل سد يخرج كما
عبر ولا عند انتزاعه ينكسر يقوم من غمزه اطول من دكشاب
ينفض شهوته مثل النشاب سالم من جميع العلل والافات قد
جمع العشر كافات (وفى المعنى مواليا ايش قلت
فى كس انعم من فرا السمور احمر موتر يحاكى الخمر من البلور
ضيق وعنده حراره تشبه التنور سالم من الشعر والعرعور
والزنبور الجواب ايش قلت فى رب سميته عويد النور
يصلح لهذا الذى انعم من السمور ان قلت جاروق كان
جاروق له التنور وان كان رصاع كان رصاع له الزنبور
وعن ايسر ما يدل على ذلك ان الجارية يربيها ابواها صغيرة
ويصونها كبيرة ولا تراعى هذه الحقوق مع وجود عقلها بكل
انها تختار لمن تريد لشهوتها وتصطفيه للذتها على ابويها
وهى تعلم فرض حقوق الوالدين وكثير ممن تربت فى النعم
الجليلة والامور الحسنة تركت ذلك ونسيت الاوطان

وسافرت البلدان ونكست العمايم وتجسرت على العظايم والقت
نفسها للقتل كل ذلك متابعة لشهوتها وانها تحمل من الاسباب
والحلل والطيب فتضع نفسها للمنتن الوسخ الزفر القذر
فترمي نفسها عليه وهذا مشاهد في زماننا هذا فنسال الله
العزيز الغفار الحليم الستار ان يسترنا في ذريتنا انه على ما يشا قدير
ولقد انصف من قال

احب بنيتي واود جهدي ... تكون بنيتي في قعر لحد
وما هي بغضة فيها ولكن ... مخافة ان تقاسي الذل بعدي
اذا عاشت وفاز بها لئيم ... فيلعن والدي ويسب جدي
وان يظفر بها رجل غني ... يراني عنده في زي عبد
وان يك زوجها رجلا فقيرا ... فيدفعها ويبقى الهم عندي
وان وافاه في الاجال قصر ... تجيء بعسكر من غير جند
سالت الله ياخذها قريبا ... وان كانت اعز الناس عندي

عدنا الى ما نحن بصدده من امر الحاكم فلما اراد الله سبحانه
وتعالى بهلاك الحاكم وكان السبب في ذلك انه اراد قتل اخته
سيدة الملوك وهم ان يرسل لها القوابل فانه بلغه ازالة بكارتها
وقال لبعض قهرماناتها سمعت انكن تجمعن الجموع ويدخل
اليكن الرجال ولابد من قتلكن جميعا وتكرر هذا القول فعلمت
اخته انه يقتلها لا محالة فاخذت في تدبير الحيلة والعمد
في قتل اخيها الحاكم وخرجت ليلا واتت الى دار الامير يوسف
سيف الدولة ابن دواس وكان الحاكم قد نوى على قتله فدخلت
عليه خفية واختلت به فعظمها واكرمها فقالت له انت تعلم
ما جرى من اخي في سفك الدما وقتل وجوه الدولة وقد صمم
على قتلي وقتلك فقال لها كيف الحيلة في قتله فقالت الراي
عندي ان تجهز له رجالا يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه
ينفرد بنفسه وانت تكون المدبر لدولة ولده فاتفقا على ذلك
ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار وخرج الحاكم على عادته

وانفرد بنفسه فى المقطم وكان سيف الدولة قد احضر له عشرة
عبيد واعطاكل واحد منهم خمسماية دينار وعرفهم كيف يقتلونه
فسبقوا الى الجبل وخرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج
الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب ففعلوا
ذلك سبعة ايام ثم خرجوا فى طلبه فبينما هم كذلك اذ ابصروا
حماره الاشهب المدعو بالقمر قد قطعت يداه وعليه سرجه
ولجامه فتتبعوا اثره الى ان انتهى الى القصبة التى شرقى حلوان
فنزل رجل فوجد ثيابه وهى مزرورة وفيها اثار السكاكين
وكان ذلك فى سابع شوال سنة احدى عشرة واربعمايه
وتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا وبنى فى مصر الجامع
المعروف به الكائن بالقاهره فيما بين باب النصر والفتوح وهو
الموجود الآن ولما بناه قصد قطع الخطبة من الجامع الازهر
فقدر الله انه ما خطب فيه الا لولده وانشد بعض الادباء والبا
فى الجامع المذكور فقال

بجامع الحاكم اسمع قال يا سامع انا الذى قد ظهر نوري مضى لجامع
لموالى كرانى للعدا قاصم والنصر والفتح عمري بينهم جامع

ثم تولى الظاهر ابو الحسن على بن الحاكم *

فاقام خمسة عشرة سنة وثمان شهور وتوفى بالقنطرة بتكة
المقس سنة سبع وعشرين واربعمايه

ثم تولى المستنصر بالله ابو تميم بن الظاهر

فاقام ستين سنة واربع شهور وفى زمنه فى سنة سبع
وخمسين واربعماية حصل بمصر غلا شديد وعم الغلاء
وباء شديد فاقام سبع سنين والنيل يمتد وينزل فلم يجد
من يزرع وانقطعت الطرقات براً وبحراً وصار الحال الى ان
بيع الرغيف من الخبز الدى وزنه رطل باربعة عشر درهما

وبيع الاردب القمح بثمانين دينارا واكلت الناس الكلاب والقطاط
ثم تزايد الحال الى ان اكلت الناس بعضهم بعضا ذكر ذلك
المقريزى فى خططه ثم توفى المستنصر فى شهر ذى الحجة سنة سبع
وثمانين واربعمايه وفى ايامه فى سنة خمس وثمانين واربعماية
بنى امير الجيوش بدر الجمالى الارمنى باب زويله الموجود الآن

ثم تولى المستعلى بالله ابو القاسم احمد *

ابن المستنصر وكان الكلام فى مملكته للافضل امير الجيوش بن البدر
الجمالى المذكور وهو الذى بنى الجيوشى بسفح المقطم وبنى جامع
الجيزة وكان المستعلى سنيا وفى ايامه اخذت الفرنج بيت المقدس
فى ضحوة يوم الجمعه سنة اثنين وتسعين واربعماية وكان
مدة المستعلى سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين واربع ماية

ثم تولى الامر باحكام الله ابو على المنصور

ابن المستعلى وفى ايامه بنى الجامع الاقمر فكانت مدة الامر تسع
وعشرين سنة وثمانية اشهر الى ان قتل بالجيزة سنة اربع وعشرين
وخمسماية

ثم تولى الحافظ لدين الله عبد المجيد

فاقام تسعة عشرة سنة وسبع شهور وتوفى سنة اربع واربعين
وخمسماية والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الظافر باعداء الله اسماعيل

ابن الحافظ وفى ايامه عمر الجامع المعروف بالفاكهانى داخل باب
زويلة الموجود الآن وهو عامر مقام الشعائر الاسلامية قيل
ان السبب فى عمارته ان محله كان مجزره يذبح فيها الاغنام *
وبوسط المجزره حفرة يجتمع فيها ماء من غسالة الذبايح وكان
لامير من امراء الظافر بيت مجاور للمجزرة المذكورة وبه محل

مشرف على الجزيرة فجاء بجزار وقين فذبح الاول وشرع يذبح
الثانى فطرق طارق باب الجزيرة فوضع الجزار سكينه عند الخروف
الذى لم يذبح وتوجه للباب ينظر طارقه فاخذ الخروف السكين
بفمه والقاها فى بركة الماء فاتفق ان الامير وجد البيت المذكور
كان جالسا بالمكان المشرف على الجزيرة وهو ينظر اخذ الخروف
السكين والقاها فى الماء فلما جاء الجزار فلم يجد سكينه فاراد ان
يذبح الخروف بسكين كانت معه فقال له الامير امسك يدك ولا
تذبح الخروف فتوجه الامير الى الظافر واخبره بذلك فتعجب
ثم استاذنه فى عمارة الجزيرة جامعا فاذن له فى عمره فكانت
مدة تصرف الظافر اربع سنين وسبعة اشهر الى ان قتل بدار
الوزارة المعروفة بالسيوفية الموجودة الآن بباب الزهومة
سنة تسع واربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم تولى الفائز عيسى بن الظافر باعداء الله

وعمره خمس سنوات وفى ايامه تولى الوزارة الملك الصالح طلايع
ابن رزيك الذى بنى الجامع خارج باب زويلة فاقام الفائز
ست سنوات ونصف ومات سابع رجب سنة خمس خمسين
وخمسمائة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم تولى الفائز عبد الله بن يوسف الحافظ

فاقام احد عشر سنة وستة اشهر وخلع ومات فى حادى عشر
محرم سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين
كما انقطعت دولة من قبلهم ومدة تصرفهم بمصر مائتا سنة
وثمانون سنين وخمسة اشهر ولله در القائل

وباذروا جميعا فلا خبر وماتوا جميعا وصح الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن فطينا فنى من مضى معتبر

الباب السادس

في الدولة الايوبية السنية التنية اصحاب الفتوحات اولهم الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وكان سلطانا مهابا من الله عليه
بالفتوحات ومكنه من الكفار الفجار من اعظم ما افتتحه بيت
المقدس يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة
بعد ان استولت الافرنج عليه احدى وتسعين سنة ومنها فتح الشام
كلها وانه استفاده من ايدى الافرنج ذكره صاحب الانس الجليل ان
السلطان صلاح الدين لما فتح حلب مدحه محيى الدين زكريا قاضي دمشق
بقصيدة منها

* وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب *

وكان كما قيل وهذا اتفاق عجيب واذ السلطان صلاح الدين بنى
خانقاه سعيد السعدا وقلعة الجبل وبير الحلزون وسور باب الوزير
والمدرسة التي بجوار تربة الامام الشافعي وسور باب البحر وسواقي
القلعة وله الخيرات الكثيرة الى يومنا هذا وفي ايامه ظهر باليمن
خارجي استولى على بلاد اليمن وكان يدعى مذهب القرامطة ويفتي
الى صاحب مصر الفاطمي ويستتر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق
بطون الحوامل وذبح الاطفال فمات وملك ولده بعده ففعل
اشد مما فعل ابوه وبنى على قبر ابيه قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب
والجوهر وعلق بها قناديل الذهب والستور الحرير التي لم يعمل
في الدنيا مثلها ومنع اهل اليمن من الحج الى الكعبة وامرهم بالحج الى
القبة وكانوا يحملون اليها من الاموال في كل سنة ما لا يحصى *
ويطوفون بها ومن لا يحمل شيأ قتله واقام على الفسق والفجور
وذبح الاطفال وسبى النساء وسفك الدماء فكاتب اهل اليمن السلطان
صلاح الدين يوسف فسير اليه أخاه شمس الدولة ففتح اليمن
وقتل الخارجي وكان اسمه عبد الله ابن المهدي وهدم القبة واخذ
ما فيها من الاموال والجواهر فكان جملة ما اخذه ستمائة حمل
ونبش القبر واخرج عظام الخارجي واحرقها حكى الشيخ عماد
الدين في تاريخه البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين بن

ايوب لما استعرض حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقراض
دولة الفواطم وجد بالحواصل امتعة وآلات وملابس وثيابا
فاخره وشيأ باهرا وامراهايلا من جملة ذلك طبل اذا ضرب عليه
احد ممن حصل له ريح فى جوفه يخرج ريح من دبره ويتصرف
مايجده من القولنج فاتفق ان بعض الاكراد اخذ فى يده ولم
يدر ماشانه فلما ضرب عليه حبق فالقاه من يده فانكسر وبطل
امره وتوفى السلطان صلاح الدين فى سابع صفر سنة تسع وثمانين
وخمسماية فكانت مدة تصرفه اثنين وعشرين سنه وشهرين

ثم تولى الملك العزيز عماد الدين

ابو الفتح عثمان فتصرف فى الملك خمس سنين وعشرة ايام وتوفى
فى المحرم سنة خمس وتسعين وخمسماية ودفن بداره بالقاهرة
ثم نقل الى تربة الامام الشافعى قبلبنا القبة ومما يحكى ان الملك
العزيز كان يميل الى القاضى الفاضل فى حياة ابيه فاتفق ان
العزيز هوى قينة شغلته عن مصالحه فبلغ ذلك والده فامره
بتركها ومنعها منه فشق ذلك عليه فلما طال ذلك بينهما
ارسلت له مع بعض الخدام قطعة عنبر مبرومه فكسرها فوجد
فيها زرا من ذهب فلم يفهم المقصود فاطلع القاضى الفاضل
على ذلك فانشد يقول

اهدت لك العنبر فى ضمنه زرا من التبر رقيق الحاشيه
فالزر والعنبر تفسيره زر هكذا مختفيا فى الظلام

وفى ذى العزيز قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف
الدين بن شاذى ملك اليمن وقد اجزل صلته عند ما وفد عليه فلما
قدم الى مصر مما قدم من المتجر طالبوه بالزكاة فقال

ماكلما يتسمى بالعزيز لها اهلا ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما هذا يؤتى وهذا ياخذ الصدقه

(ثم تولى الملك الافضل)

نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف وكان متأدبا حسن الصورة قيل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن ولقبه الملك الجميلة وهو اكبر اخوته ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك ثم تغصب عليه عمه العادل ابو بكر واخوه عثمان فاخرجاه من دمشق وفي ذلك كتب الى الناصر ببغداد ه

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد غضبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاه والده عليهما واستقام الامر حين ولي
فخالفاه وخلا عقد بيعته والامر بينهما في النقض حين جلي
فانظر الى خط هذا الاسم كيف بقي من الاواخر ما لاقا من الاول

فكتب اليه الناصر الجواب يقول فيه

واني كتابك يا ابن يوسف معلما بالصد يخبر ان اصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا على جزاؤهم وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم يمضره بل توفي الافضل فجاة رحمه الله تعالى وانه اقام سنة ست وتسعين وخمسمائة ومن كلام الملك الافضل على شعر في المعنى

اما آن للسعد الذي انا طالب لادراكه يوما يرى وهو طالبي
الا هل يرينّي الدهر ايدي شيعتي تمكن يوما من نواصي العواضب

شعر في المعنى

اقول لدهر قد توالت صروفه اليس لهذا يا زمان زوال
فقال اصطبركم دولة قد تغيرت لكل زمان دولة ورجال

ومن كلام القاضي الفاضل

وانا على دفع الايام وهي تدافعني ولسان الليالي وهي تخالفني

شعر مفرد بعده

قالوا نزلت فقلت اله هر اقسم بي لا وجه للرفع في المجرور بالقسم

ثم تولى الملك العادل سيف الدين

ابو بكر بن ايوب ودعاله ولولده الكامل في الخطبة وفي ايامه

انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل
في سنة اربع وستماية واول من سكنها الكامل نائبا عن ابيه احدى
عشرة سنة ثم توفي العادل في جمادى الاخرة سنة خمس عشرة
وستماية فكانت مدته تسع عشرة سنة واربعين يوما والله أعلم

ثم تولى الملك الكامل أبو الفتح

ناصر الدين محمد فدفن بقبة الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة
بالكاملية قال نور الدين بن المشرف ان صاحب حصن حيفا لما جاء
الشتاء ببرده وهجم عليه بخيله وجنوده وفرس الشتاء يرشق
بسهام القطر من جودها والريح يزمر كلما دقت طبول الرعد من جوها
والثلج قد نتف رياشه وجعل الارض فراشه والجليد قد اذاب
الاجسام وماذاب وكلما مالت الشمس توارت بالحجاب وبيته فارغ
من المشارب والمآكل وقال يشكو حاله للملك الكامل شعر

أحن الى الارز المفلفل بالتبل ويشتاق قلبي للبسابس بالعسل
وان تاح ان هبت رياح شرايح وان حضر اللحم السمين فلا تسل
وان قدموا نحوي خروفا من الشوى ترى وقعتي فيه ولا وقعة الجمل
اشمر عن كف بخمس صوابع وابعثه فيه الى اين ما وصل
أميل على الاطراف مبلة هاشم وانزل في الاضلاع مع كل من نزل
واعمل في الكشكا اذا زاد دهنها ويا فوز من حيا على خيرة العمل
واي فتى يشرى الدجاج ازوره هو المشتري لكن بصاد فرزحل
ورقاصة في الصحن تطرب نخاذا تجلت لنا من غارق السمن والعسل
ولوز يلمع مثل البروق قرونه وكم من هلال في المشتبك يا امل
وان بخبيص الريح جزتم فبلغوا تحية صب في هواه قد انصطل
فلو شرئت عقلي مشوشة الشتا اما طعام الكشك مالي به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد حاير فيا ليت شمس الافق عادت الى الحمل
وكم رمت نظرة منها فيقول لي ترا في لهذا الفضل وانظر الى الجبل
ومالي سوى ملك يسابق فعله مقالي ومامن قال شيأ كمن فعل

فأجازه

فاجازه وقد جهز له جمع ما طلب اتاك الذى ترجو وقصدك قد حصل
واما ارتداد الشمس لست بيوشع ترد اليه الشمس يوما كما فعل
وفى زمنه فى شهر شوال سنة اربع وعشرين وستمائة احضرت
من الاسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفى موضع يديها مثل
الحلمتين فجئ بها بين يدى الوزير رضوان فعرفته انها تعمل برجليها
ما تعمله النساء بيدها من خط ورقم وغير ذلك فاحضر لها دواة
فتناولت برجلها اليسرى قلما فلم ترض شيئا من الاقلام المبرية
التى احضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته
وقطته واخذت ورقة فأمسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى
احسن ما تكتبه النساء بأيديهن وناولت الرقعة للوزير فاذا فيها
السؤال بالزيادة فى راتبها فزادها وأعادها الى بلدها وقد اخبرنى
شخص ان لها قبرا مشهورا باسكندرية يزار ومقام عظيم وهو
موجود الان بباب رشيد على يمنة الداخل ويعرف بمقام
بنت خداوردى ولها اوقاف واطيان ويصرف لها من ديوان
الاسكندرية فى كل سنة ثلاثة آلاف نصف ذكر ابن كثير وغيره
انه كان بطوابلس بنت تسمى نفيسة زوجت بثلاثة ازواج وهم
لا يقدرون عليها يظنون ان بها رتقا فلما بلغت خمس عشرة سنة
غار ثديا ها ثم جعل يخرج من محل الفرج شئ قليلا قليلا الى
ان برز منه ذكر قدر الاصبع وانثيان وكتب بذلك محضر وقد
ذكر الشيخ محمد الدماميني فى كتابه عين الحياة قال كان لنا جار
له بنت اسمها صفية بلغت من العمر خمس عشرة سنة ثم طلع لها
ذكر ونبت لها لحية فكان لها فرج ذكر وفرج امرأة ومما
شاهدناه ان بمنف شخصا يدعى الشيخ عمر المعروف بابى ديه
يقرأ القرآن ويحفظه حفظا جيدا ويؤدب الاطفال وله يدان
طول كل يد شبر ونهاية ما يبلغ بهما من جسده وجمعه وصدره
واما استنجاؤه فباحدى رجليه ورزقه الله ولدين احدهما يد
مثل يدى ابيه والثانى بلا يدين وهم موجودون الى الآن وكل من

شاهدهم يتحنن عليهم بالصدقات ويتعجب من صنع الله تعالى
فاقام الكامل عشرين سنة وشهرين وتوفى فى رجب سنة خمس
وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق

ثم تولى الملك العادل أبو بكر ولد الكامل

قيل ان عبد الله بن ظاهر كان هو وبعض الزهاد بايوان العادل
فقال عبد الله للزاهد كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم بيننا فقال
مادام بساط العدل فى هذا الايوان ثم تولى قوله تعالى ان الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ذكر الشيخ احمد بن عبد
السلام المنوفى فى كتابه النصيحة بما ابدته القريحة قال رأيت فى
كتاب ادب القضا لابن ابى الدم ما اتفق لقاضى القضاة شرف
الدين محمد بن عين الدولة لما تولى القضا بالديار المصرية فيما حكاه
السبكى فى طبقاته ان الملك العادل شهد عنده وهو فى دست ملكه
فى واقعة مرارا والقاضى يسوف فى قبولها فتفطن العادل لها
فقال له تقبلنى ام لا فقال ما اقبلك وكيفما قبلك وفلانة تطلع
اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على ايدى الجواروتنز
فلانة من عندك انخس مما نزلت فتناوله الملك العادل بكلمة شتم
فردها عليه فى وجهه ثم عزله ونزل الى بيته معزولا فخشى العادل
من رد شهادته بسبب فسقه فيمتهن بسبب ذلك عند غيره من الملوك
ووجوه الناس فنزل بنفسه الى القاضى وترضاه واعاده الى القضا
وذكر ايضا فى كتاب النصيحة المذكور ان عبد الصمد الدمشقى
ناب فى القضا عن ابن عصرون بدمشق ثم تولى قضاء دمشق
استقلالا وانه تداعى لديه خصمان وجاء أحدهما بكتاب العادل
يوصيه عليه فلم يفتحه وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى
عليه ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به الى حامله وقال كتاب الله قد
حكم على حامل الكتاب فبلغ العادل ذلك فقال صدق كتاب الله
أولى من كتابى وذكر القطبى فى اعلامه ان الامام العالم ابو حازم

بالخاء المعجمة والراء وهو من اكابر العلماء اهل الدين والتقوى
كان قاضيا ومن بعض تقلباته فى الدين ان شخصا انكسر عليه مال كثير
وثبت ذلك عند القاضى المذكور فامر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة
وكان قد انكسر على المديون مال للخليفة المعتضد فارسل المعتضد
الى القاضى المذكور يقول له تشركنى مع غرماء هذا المديون بالمحاصة
فان لى ايضا ما لا بذمته فاجعلنى كاحد غرمائه فقال ابو خازم
لا احكم لمدع بدون بينة عادلة فارسل وكيلا وبينة ارضاها لتكون
باسوة غرماء هذا المديون فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة
سرا وجهرا فاقام المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضى
وكانوا من اكابر امرائه فما حضر احد منهم خوفا من رد شهادتهم
فاعجب المعتضد ديانة القاضى المذكور وثباته على الحق وتصميمه
على ذلك وقد روى ان قوما قدموا خصماءهم الى الحاكم فقالوا
لنا عليه مال فقال صدقوا ايها القاضى سلهم المهلة الى ان
ابيع ماكان لى من عقار ورقيق وابل وشياه فقالوا كذب اعزك
الله ليس له شئ وانما يداهننا بذلك فقال ايها الحاكم قد شهدوا
بالاعسار فخلى سبيله اقول وفى زماننا هذا اذا
كان شخص عليه ديون ثابتة لاناس وله موجود وعليه شئ من
المال الميرى يقدم المال الميرى بالوفاء ولا يشترط ثبوته عند
قاضى بل يكفى قول كتبة الديوان فالحكم لله العلى الكبير حكى
صاحب النكت اللطيفة ان العباس بن المعلى الكاتب كتب الى
القاضى محمد بن عبد الرحمن البغدادى المعروف بابن قريعة
ووفاته سنة سبع وستين وثلثمائة ما يقول القاضى فى بهوى
زنا بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد
قبض عليهما فماذا يقول القاضى فيهما فكتب له الجواب هذا
من اكبر الشهود على الملا عين اليهود فانهم اشربوا العجل فى
صدورهم حتى خرج من ابورهم وارى ان يناط هذا اليهود
برأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل

ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض
قيل ان امرأة شكت زوجها الى القاضى من كثرة النكاح
فسأله عن ذلك فقال تكف ضرسها واكف ايرى اترافا علف ولا
أركب وحكى ان رجلا شكى امرأته الى القاضى من كثرة شعرها وطول
عانتها فنتفتها وكتبت اليه تقول
فديتك سهلت السبيل الذى شتكى جوادك فيه للحفا وخشونته
فان كنت تهوى ان تزور جنابنا فلا تبطعنا فالهلال ابن ليلته
وحيث انجر الكلام فى ذكر من ولى القضا لم يخش فى الله لومة
لائم وبالحق قضا فلا باس باثراد نبذة مفيدة فربما ينتفظ بها
من على هذه الوظيفه لعل ان يسلك اعدل المسالك مراقبا
لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون
أقول وبالله التوفيق من ولى القضا التى نفسه فى بحر عميق
وصار فيه كالغريق شعر
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس
قال صلى الله عليه وسلم لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق
وقال صلى الله عليه وسلم من ولى القضا فقد ذبح بغير سكين
قال العلامة ابن الرفعة كناية عن شدة الالم فان الذبح بالسكين
فيه سرعة وبغيرها تعذيب روى الامام الحافظ من حديث عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى
بالقاضى يوم القيامة فيلقى من الهول قبل الحساب مايود انه لم يقض
بين اثنين فى تمرة ذكر الكمال الدميرى فى حياة الحيوان عند ذكر
البقرة كانت القضاة فى بنى اسرائيل ثلاثة فمات احدهم فولوا غيره
مكانه فبعث الله ملكا يمتحنه فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء
وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما
فقال بيننا القاضى الاول فجاء الى القاضى الاول فدفع الملك
اليه درة كانت معه وقال احكم لى بان العجلة لى قال ارسل الفرس
والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى لى فتبعتها فحكم له بها

وأتيا القاضي الثاني فحكم له كذلك واخذ الدرة وأتيا القاضي الثالث فدفع اليه الدرة فقال احكم بيننا فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله ايحيض الذكر فقال القاضي سبحان الله اتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها وهؤلاء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاضيان في النار وقاض في الجنة قال الشاعر

قضى بهدم الكنيس قاض ... وقد قضى بالعمار ثاني
وفي رواة الحديث قالوا ... في الحشر قاض وقاضيان

ولبعضهم في المعنى

ولما ان وليت وصرت قاض ... وفاض الظلم من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وانا ... لنرجوا الذبح بالسكين ايضا

ولبعضهم

قضاة الدهر قد ضلوا ... فقد بانت خسارتهم
فباعوا الدين بالدنيا ... فما ربحت تجارتهم

ولبعضهم

قضاة زماننا صاروا الصوصا ... عموما في القضاء بلا خصوصا
يرون الغنم اموال اليتامى ... كأنهم تلوا فيها نصوصا
فنخشى منهم اذ صاروا خصوما ... يسلوا من انا ملنا الفصوصا

ولبعضهم يهجو قاضي جاهلا متكبرا

الا قل لمن قد طيشته رياسة ... رويدا ومهلا فيك قد غلط الدهر
ركبت بلا اصل ولا طيب عنصر ... حكمت بلا علم فهذا هو الكفر
تأن يراجع دهرنا فيك ما مضى ... فما سدت الا والزمان به سكر

كتب بعض الافاضل الى بعض القضاة قد فشت المعاصي ووصل الاذى للداني والقاصي وتعاظم الباطل واصبح وجه الحق عاطل واكلت الرشوات وحكم بالشهوات وعرى الاكثر من لباس تقواه وباع دينه بدنياه عندي حديث ظريف لمن به يتغنى في قاضيين يعزى هذا وهذا يهنى وذا يقول غصبنا وذا يقول استرحنا ويكذبان جميعا ومن يصدق منا

ولبعضهم فى قاض خان فى ولايته فعزلوه

عزلوه لما خانهم فغدا كئيبا مدنفا
ويقول لم أحزن لذاك ولم أكن متأسفا
قالوا كذبت لقد حزنت وقد حزنت مصحفا

فينبغى لمن ابتلى بالقضاء والحكم بين العباد ان يكون عاقلا عفيفا مرضيا يغلب خيره على شره فان الحكم مبنى على ميزان الاعتدال فمتى رجح او مال تلفت به نفس او مال واذ القاضى اذا كان امره نافذ الاحكام الشرعية بين الرعية تصير احواله مستقيمة واذا كان امره غير نافذ فى رعيته وهن امره وتلاشى حكمه ومفشأ هذا انطواؤه على الطمع وقد كان السلف الصالح يمتنعون من الدخول فى القضاء مع تاهلهم وورعهم ومراقبتهم لله خوفا مما عساه ان يحصل من هفوة ونحوها

قضاة زماننا احتجوا بعلم ومالهم على ذاك اجتماع
واضحى العلم منفردا ينادى أضاعونى واى فتى اضاعوا

ومن المصائب العجيبة استنابة الجهلة بالاوياف فى القضا فيقضون بين الناس بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ومع ذلك ياخذون الرشوة جهرا من غير نكير ولا يكتفون منها باليسير ثم يقدمون على ابطال الحقوق البينة ولا يلتفتون للذى معه الحق وان تمسك بقيام البينة واعلم ان اكثر ما يفعلونه يكتب فى صحائف من يفوض اليهم وان كثيرا من ارباب الدنيا الذين يسعون للناس فى الولايات لاغراض دنيوية يكتب فى صحائفهم كل المسيئات التى يفعلها من يسعون له وما يترتب عليه الى يوم القيامة وقد كتب الشيخ ولى الدين العراقى فى وصية الى نوابه كتب فيها اعلموا معاشر النواب ان من ولى امرا فعليه بالتقوى فى السر والنجوى وليحضر منكم قرب أجله ووقوفه بين يدى الله عز وجل مسئولا عن عمله فيا نجلة المقصر ولو غفرله ويا ندامته اذا وجد اعماله محصاة محصلة واجتنبوا أخذ المال

من غير حلها وما تساوى لذة الانتفاع وغضب الله من أجلها
فقد بلغنا ان الدانق وهو سدس الدرهم اذا أخذ من غير وجه
أخذت فيه يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة واحذروا ظلم
اليتيم واسلكوا الطريق المستقيم فقد قمت بما وجب من النصيحة
فستذكرون ما اقول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد
وقد حصل الاكتفا بما ذكرناه ووفقنا الله لجميع الطاعات
ووقانا جميع الافات بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة
جدير رجعنا الى ما نحن بصدده من امر العادل فانه تصرف
سنتين وثلاثة اشهر وخلع فى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة
والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل

وفى ولايته ارسل له براش الذى يقال له زيد افرنس كتابا يذكر فيه
اما بعد فانه لا يخفى عليك ان عندنا خزائن الاندلس وما يحملون
الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل
منهم الرجال ونزمل النساء ونستأثر بالبنات والصبيان ونخلى
منهم الديار وانا قد ابديت لك الكفاية وبذلت النصيحة الى الغاية
والنهاية فلو حلفت لى بكل الايمان ودخلت على بالاقسام والرهبان
وحملت الشمع قدامى طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك
فى اعز البقاع عليك فاما ان تكون البلاد لى فيا هدية حصلت لى
يدى واما ان تكون البلاد لك والغلبة على ويدك اليمنى ممتدة
الى وقد عرفتك وعرفت ما قلته لك وحذرتك من عساكر حضرت
فى طاعتى تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون
اليك باسياف القضا فلما قرأ السلطان الصالح كتاب افرنس
بكى واسترجع وامر القاضى شهاب الدين محمد بن زهير ان يكتب
الجواب فكتبه بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على
سيدنا محمد وآله وصحبه اما بعد فقد ورد كتابك وانت تهدد

فيه بكثرة جيوشك وعدد ابطالك ومحن ارباب السيوف وما
قتل منا قرن الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا مرناه فلو رأت
عينك ايها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم
الحصون والسواحل وتخريبنا منكم الاواخر والاوائل لكان
لك ان تعض على انامل بالندم ولابد ان يزل بك القدم من يوم
اوله لنا وآخره عليك فهنالك تستبين الظنون وسيعلم الذين
ظلموا اى منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابى هذا فتكون منه
على اول سورة النحل أتى امر الله فلا تستعجلوه وتكون ايضا
على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين وتعود الى قوله تعالى
وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين وقول الحكماء الباغى له مصرع وبغيك
يصرعك والى البلا يقليك وكان الامر كذلك فلما وصل الكتاب
الى زيد افرنس بادر فورا بالحضور الى دمياط بعساكره وضربوا
خيامهم فاستقبلهم المسلمون وتعاركوا معهم فاستشهد يومئذ
الامير نجم الدين والامير حسام الدين ازبك فلما امسى الليل
رحل الامير فخر الدين بعساكر الاسلام الى جهة طناح فخاف من
كان فى دمياط وخرجوا منها على وجوههم وتركوا المدينة خالية
من الناس ولحقوا بالعساكر وهم حفاة حيارى بمن معهم من
النساء والاولاد فشنعوا على الامير فخر الدين وعدوا جميع ما
نزل بالمسلمين من البلا بسبب هزيمتهم فان دمياط كانت مشحونة
بالمقاتلة والازواد والاسلحة وغيرها ولما اصبح الصباح قصد
الافرنج دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا احد بها يدفع
فظنوا ان ذلك مكيدة فلما تحققوا خلوها واخلوها من غير
مانع استولوا على ما بها من الاسلحة والاقوات فانزعج الناس
فى مصر انزعاجا عظيما وكل ذلك مع شدة مرض السلطان الملك
الصالح نجم الدين وعدم حركته وقد اشتد خوفه على الامير فخر
الدين فامر بشنق من كان فى دمياط من الامرآء والمقاتلين فشنق

منهم فى ساعة واحدة مايزيد على خمسين أميراً ويقال ان شنقهم كان بفتوى من العلماء فانتقل الملك الصالح الى المنصورة بعد ان سوّرها وشرع العسكر فى تجديد الابنية هناك وقدمت المراكب تجاه المنصورة وفيها الاسلحة والعدد فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشر ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل فى تابوت الى القلعة فان شجرة الدر زوجة الملك الصالح لما مات احضرت الامير فخر الدين والطواشى جمال الدين محسن فاعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا من الافرنج فارسل الامير فخر الدين الى الملك المعظم نوران شاه وهو بحصن كيفا لاحضاره وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى سائر الممالك الاسلامية المصرية فلما علم الافرنج بموت الملك الصالح خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم ومراكبهم تجاريهم فى البحر حتى نزلوا فارسكور فارسل المسلمون كتابا الى القاهرة فقرئ على منبر الجامع الازهر يوم الجمعة انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ وحث على الجهاد فارتجت مصر والقاهرة وظواهرهما بالبكاء والعويل وايقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر فخرج الناس من مصر والقاهرة وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم سار مشاة والبرمون ووصلوا تجاه المنصورة ونصبوا المجانيق على المسلمين وصارت مراكبهم بازائهم فى البحر والتحم القتال وكان فى البحر بعض مخايض فدل من لادين له الفرنج عليها فركبوا سحرا فلم يشعر المسلمون الا وقد هجم عليهم الفرنج وكان الامير فخر الدين قد عبر الحمام فاتاه الصياح ان الفرنج قد هجموا على المسلمين فركب دهشا فاخذ يحرض المسلمين على القتال فاستشهد الامير فخر الدين ووصل زيدافرنس الى باب القصر السلطانى ولم يبق الا ان يملكه فاذن الله تعالى ان طائفة من المماليك البحرية الذى استخدمهم الملك الصالح ومن جملتهم

الملك الظاهر بيبرس البندقداري حملوا على الفرنج حملة صدقوا بها اللقاء حتى ازاحوهم عن مواقفهم فانهزموا وبلغت عدة من قتل من الفرنج الخيالة في هذه النوبة الف وخمسمائة فارس وهذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما افلت من الفرنج أحد وفي اثناء هذه المدة حضر السلطان المعظم توران شاه واستقر بقصر المنصورة فأحاط بالفرنج وظفر منهم باثنين وخمسين مركبا وقتل واسر ألف رجل وانقطعت الميرة عن الفرنج وقد احاط المسلمون بالفرنج وقتلوا واسروا منهم كثيرا والذي نجوا من القتل تركوا خيامهم واموالهم وقصدوا دمياط هاربين ومازال السيف يعمل في ادبارهم وقد حل بهم الخزي والويل حتى قتل منهم ما ينوف على ثلاثين الفا غير الذي القى نفسه في البحر واما الاسارى فحدث عن البحر ولا حرج وذهب المسلمون من اموالهم ودوابهم وذخائر ما لا يحصى والتجا الفرنسيس الى المنية المجاورة لدمياط بمن بقي معه واستسلموا للقتل وسالوا في الامان فامنهم السلطان المعظم ونزلوا مشاة حفاة وسيقوا الى المنصورة وقيد زيد الفرنسيس واعتقل بالدار التي كان بها القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب الانشا ووكل به الطواشي صبيح واعتقل معه اخوه وزوجته ومن بقي معه من أصحابه ولما انهزم الفرنسيس سقطت قلنسوته من رأسه وهم يسمونها غفارية وكانت من قطيفة بفرو سنجاب فاخذها الامير جمال الدين بن يغمر فلبسها فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارية الفرنسيس لما قد انتنا لسيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطاني على سورها واعلن فيها كلمة التوحيد والاسلام وشهادة الحق بعد ان اقامت في يد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة ايام وافرج عن الفرنسيس واخيه وزوجته ومن بقي معهم وتوجهوا الى بلادهم وفي ذلك يقول جمال الدين ابن مطروح شعر

شاه

هم

قل

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال صدق من وزير نصيح
اتيت مصرا تبتغي ملكها ... تحسب ان الزمر باطل ورتيح
فساقك الدهر الى ادهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك أودعتهم ... بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا يرى منهم ... الا قتيل أو أسير او جريح
وفقك الله لامثالها ... لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم بذا راضيا ... فرب عنف قد اتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة ... لاخذ ثارا ولعقد صحيح
دار ابن لقمان على عهدها ... والقيد باق والطواشي صبيح

فقدر الله تعالى ان الفرنسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس واخذ يحاصرها فقال له شاب من اهل تونس يقال له أحمد بن اسماعيل الزيات شعر

يا فرنسيس هذه اخت مصر ... فاذهب لها اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر ... وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا فالا حسنا فهلك الفرنسيس على محاصرة تونس وكفى الله المؤمنين القتال فكانت مدة الصالح بمصر عشرين سنة وعشرة أشهر وتوفي بالمنصورة وحمل الى القاهرة كما تقدم وقد قيل بقبة بنيت له بجوار المدرستين وان الملك الصالح هو الذي بنى قلعة الروضة واقام بها جنادا وسماهم المماليك البحرية ومقدمهم الفارس اقطاي وبنى قنطرة بالسد والمدرسة التي بين القصرين التي هي محكمة الآن والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح

ووصل الى المنصورة في سابع عشر القعدة سنة سبع واربعين وستمائة وقتل بعد شهرين في محرم سنة ثمان واربعين وستمائة والسبب في قتله انه اخذ بهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطالبها بمال أبيه فخافت وكاتبت مماليك الملك الصالح

وأخذت تحرضهم عليه وكان الملك المعظم فيه هوج وخفة وميل على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وأخذ في ابعاد مماليك أبيه وكان اذا سكر أوقد الشموع وضرب رؤسها بالسيف وقال هكذا افعل بالمماليك البحرية فاتفقوا على قتله فدخلوا عليه وفي أيديهم السيوف مجردة فهرب الى برج خشب كان في خيمته التي نصبها على شاطئ بحر النيل فادركوه وضربوه بالسيوف فدخل البرج واغلق بابه فاطلقوا النار في البرج وهو يقول ما أريد ملككم دعوني ارجع الى الحصن يا مسلمين فلم يجبه أحد وقطعوه بالسيوف فمات غريقا حريقا وترك على ساحل البحر ثلاثة أيام ثم دفن بعد ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولت شجرة الدر سرية الملك الصالح باتفاق من الامراء وحلفوا لها واستحلفوا جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عزالدين ايبك التركماني على العساكر فاقامت ثلاثة شهور الا ثمان خلعت في ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستمائة وكانت آخر الدولة الايوبية وجملة ولاتهم اثنان وثمانون سنة واربعا أشهر خارجا عما تخلل في المدة وهو سنة وثمان شهور ولله در القائل

كانوا ليوثا لا برام حماهمو في كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ما عشت لا ادع البكا مع كل ذي نظر وطرف ساج

وما أظرف قول القاضي الفاضل في ذكر الدولة الايوبية وانتم يا بني أيوب لو ملكتم الدهر لا مطيتم ليالية اداهم وفلدتم اياهم صوارم وافنيتم شموسه واقماره في الهبات دنانير ودراهم واياكم اعراس وماتم فيها على الاموال ماتم والجود فايديكم خواتم ونفس حاتم تحت نقش ذلك الخاتم رحمة الله تعالى عليهم اجمعين

الباب السابع

في الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية كان ابتداؤها في ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستمائة

أولهم الملك المعز آيبك التركماني الصالحي

اقام ست سنين واحد عشر شهرا الى ان قتل في ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة وكان السبب في قتله انه لما تزوج بشجرة الدر وكان مملوك زوجها الملك الصالح وخلعت نفسها من المملكة وسلمتها اليه خطب عليها بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فبلغ شجرة الدر ذلك فاخذها ما ياخذ النساء من الغيرة فتغيرت عليه وتغير عليها وكرهها لانها كانت تمن عليه بانها ملكته مصر وسلمت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف في مملكته وتامر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التي هي ام ولده نور الدين حتى الزمته بطلاقها ولما تمكن الغيظ منه نزل الى قناطر اللوق واقام بها اياما فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد اعدت له من يقتله اذا صعد اليها ولما صعد اليها ودخل الحمام ليلا فدخلت عليه ومعها خمس خدام فاخذ بعضهم باذنيه وبعضهم بخناقه واستغاث بشجرة الدر فقالت لهم اتركوه فاغلظوا في القول وقالوا متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك ثم قتلوه فتملك بعده ولده نور الدين المنصور فقبض على شجرة الدر ودخل بها على امه فقتلتها الجواري بالقباقيب وارماها في الخندق وهي عريانة على باب القلعة وبعد ايام دفنت في التربة التي كانت قد اعدتها لنفسها فالدهر قد جازاها من جنس العمل لانها سعت في قتل الملك المعظم فقتل غريقا حريقا كما تقدم وترك ثلاثة ايام على شاطئ البحر فكذلك قتلت ورميت في الخندق وهي عريانة قال الله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال الشاعر

من يحفر حفرة يوما بصيرها ... فان حفرت فوسع حين تحتفر

والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك المنصور نور الدين

على بن الملك المعز فاقام سنة واحدة وثمان شهور الى ان مسك وقتل بعين جالوت فى رابع عشر القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة والله أعلم

ثم تولى الملك المظفر قطز المعزى

وفى ايامه قطعت التتار الفراة ووصلوا الى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا الى دمشق قال سبط ابن الجوزى اول ظهور التتار سنة خمس وعشرين وستمائة فاخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر فلم يجدوا أحدا فى وجوههم فاباد والبلاد قتلا وسبيا وساقوا الى ان وصلوا الى همذان وقزوين فى هذه السنة وقد ملكوا اكثر العمور من الارض وأحسنه واعزه فى سنة ولم يبق احد فى البلاد التى لم يطؤها الا وهو خائف يترقب وصولهم ثم انهم لم يحتاجوا الى ميرة فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل ويأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتاكل عروق النبات ولا تعرف الشعير واما دياناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا ويأكلون جميع الدواب وبنى آدم ولا يعرفون نكاحا بل المراة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد فى مائتى ألف ومقدمهم هولاكو فدخلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كما ذكرنا ذلك سابقا فى محله ولما فرغ هولاكو من قتل الخليفة واهل بغداد ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة والوقت بلا خليفة وقطعوا الفراة ووصلوا الى دمشق كما تقدم ارسل هولاكو كتابا الى الملك المظفر يذكر فيه نحن جنود الله ننتقم ممن عصى وتجبر وطغى وتكبر وبأمر الله ما أمر

ونحن قد اهلكنا البلاد وآذينا العباد وقتلنا النسوان والاولاد
فيا ايها الباقون انتم بمن مضى لاحقون ويا ايها الغافلون انتم
اليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المملكه مقصودنا
الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا فى ملكنا
قد اشتهر ومن سيوفنا اين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطان
الثرى والماء ذلت لهيبتنا الاسود واصبحت فى قبضتى الامراء
والخلفاء ولما وصل الكتاب الى دمشق اقبل المظفر بالجيوش
وساليسه بيد بيبرس البندقدارى فالتقوا هم والتتار عند
عين جالوت ووقع المصاف فهزم التتار اشر هزيمة وانتصر
المسلمون ولله الحمد والمنة وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا
الادبار وطمع الناس فيهم يتخطفوهم وساق بيبرس وراء التتار
الى بلاد حلب وطردهم من البلاد ثم ان الملك المظفر وعد بيبرس
بحلب ثم رجع عن ذلك فتاثر بيبرس من ذلك وكان ذلك سببا
للوحشه بينه وبين المظفر فاتفق بيبرس وجماعة من الامراء
على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق فى سادس عشرى القعدة
سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بالقصر بارض الشام
فكانت مدته احدى عشر شهرا وسبعة عشر يوما والله سبحانه
وتعالى اعلم

ثم تولى الملك الظاهر بيبرس العلائى

البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات والهمم العلية والشيم
الزكية والاخلاق المرضية ومن أثر خيراته انه انشا المدرسة
التى بين القصرين تجاه البيمارستان والجامع الذى بالحسينية
وقناطر المنجا بالقرب من قليوب وغير ذلك ومما يحكى عنه انه
بلغه ان الشريف محمد بن نمى بن سعيد حاكم مكة والمدينة المنورة
حصل منه اجحاف للتجار والحجاج والمجاورين والواردين الى
الحرمين الشريفين وتجاوز الامور وخرج عن الحد فكتب له

أما بعد فان الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوة احسن
والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوة اسوأ وقد بلغنا
عنك ايها السيد انك بدلت حرم الله بعد الامن بالخيفة وفعلت
ما يحمر الوجه ويسود الصحيفه فكيف تفعلون القبيح وجدكم
الحسن وتقاتلون حيث لا تكون فتنة وتقاتلون حيث تكون
الفتن هذا وانت من اهل الكرم وساكن الحرم فكيف آويت
المجرم واستحللت دم المحرم ومن بهن الله فماله من مكرم فان
لم تقف عند حدك والا اغمدنا فيك سيف جدك فكتب له الجواب
المملوك معترف بذنبه تائب الى ربه فان أخذت فانت الاقوى
وان تعفوا اقرب للتقوى حكى ان الملك الظاهر بيبرس
لما عرض عليه الامير بدر الدين بيلبك الخازندار ليشتريه قال
التاجر يا خوند هو يكتب ويقرا فاحضر له دواة وقلما وورقة
بان يكتب شيئا يراه فكتب

لولا الضرورات ما فارقتكم ابدا ولا انتقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغب فى شرائه وحكى ان
انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فاعجبه خطها
فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب
مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر
وجده مملوكه الذى كان يحمل مداسه وكان عنده فى حاله غير مرضية
فقال له هذا خطك قال نعم قال له طوبقتى فمن ذا الذى
اوقفك عليها قال يا مولانا كنت اذا وقعت لاحد قصة اخذتها منه
وسألته المهلة على حتى اكتب عليها سطرين او ثلاثة فامره ان
يكتب بين يديه ليراه فكتب يقول

وما انتفع الآداب والعلم والحجى وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد اكثر من الخط ورفع منزلته

تنبيه لا يخفى ما فى هذا البيت الذى تمثل به المملوك من التورية
التى من انواع البديع والتمثيل ايضا لما فيه من المعنى ومطابقه

اللفظ كأنه يقول ان الله من علي بحسن الخط بان ضاهيت سيدي في كتابته التي صار بها رئيسا في زمانه وانا عنده غير محظوظ كأني ميت عند الكمال ويقال ان الناس في ذلك على ثلاثة اقسام قسم اعطي حظا لا خطا وقسم اعطي خطا لا حظا وقسم اعطي خطا وحظا شعر

لا تحسبن بان الخط يسعدني ولا فصاحة شعر الحاتم الطائي
بل انما انا محتاج لواحدة لنقل نقطة حرف الخاء للعطاء

فائدة قال الفخر الرازي حد البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كأنه ما يقول في قلبه مع الاحتراز عن الاعجاز المخل والتطويل الممل وقيل البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ويحفظ الالفاظ على تردد المعاني ويقال الكتابة صناعة شريفة تجلس الحقير مجالس الملوك وهي آلة قانونية تحملها آلة جسمانية ه تضعف بالترك وتقوى بالادمان قال علي كرم الله وجهه عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق وقيل ما حسن خط انسان الا وطلب الرياسة وما حسن صوت انسان الا وطلب السخاء ه فائدة لا باس بذكرها عند الاحتياج اليها وهي قال المنصوري في اعتبار علامات المماليك والجواري عند المشتري تدل على سقام ظاهرة وباطنة وعلى احوال في الجماع من النساء وهو نوع تام من انواع الفراسة محتاج اليه جدا احذر اللون الاصفر فانه يدل على علة في الكبد والطحال او المعدة او يكون له بواسير تنزف الدم احذر الكوز الرقيق البياض او الرقيق السواد والمخالف للون البدن كله فانه قد يكون بوادي بهق او برص لم يستحكم احذر الخشونة الخفيفة التي تراها في موضع من البدن فانه ربما يكون بوادي قوباء ولم تستحكم ه احذر ايضا الشامة وشبهها او ما تراه في البدن كالكي او الوسم فانه ربما يكون على موضع برص واذا اشكل عليك شئ منه فادخل بالمملوك الحمام وادلك ذلك الوشم او الشامة بالاشنان

والبورق والحك فانه يتبين لك أمره احذر كدرة بياض العين
وظلمتها فانهما ينذران بالجذام احذر الصفرة فى العين فانها
دالة على رداءة الكبد وان كان فى العين عروق ظاهرة دلت على
السبل احذر غلظ الاجفان وبطء حركتها فانه ربما كان
بوادى جرب فيها احذر عظم الانف واعوجاجه فانه ربما دل
على نواسير فى داخله فانظر فيها فى الخمس وربما سال منهما
رطوبة عند الغمز له تدل على نواسير احذر قلة اشفار العيون
وقلة شعر الحاجبين فانه دال على الجذام واعتبر حال الانفاس
والنكهة من الفم والانف فانه ربما دل على البخر واعتبر حال
الاسنان فان القوى منها طويل البقاء دال على العمر وعلى صحة
البدن وقوة الدماغ وبالعكس واعتبر وضعها فى مغارسها
فان كانت تدمى او فيها خلل فى اصطفافها وكذلك رائحة النكهة
فاحذره واحذر ما يركب بعضها من الفلح كاللون الاخضر والاصفر
والاسود وتشبيه الحرق بالنار فانه يدل على فساد المعدة
والنكهة احذر ايضا من قلة صبغ الشفتين او بياض لون
اللسان وغلظه او تغير لون عقبه او خضرة او سواد يسير فانه
منذر بمرض قريب او الكبد ضعيف والطحال معتل احذر النتو
فى البطن والمكان الموجع منه والمؤلم عند الغمز له فانه يدل على
مرض فى المعدة او فيها احذر النتو فى العنق وان كان صغيرا
او اثر قرحة فيه فانه يدل على ان يكون هناك خنازير وغدر او
نتو يتولد منه بسرعة ولا بأس ان تأمر المملوك ليجرى شوطا
ثم تتفقد المشى منه هل فيه ربو او سعال ثم تتفقد حال
مفاصله فى سلامتها للحركات وتتفقد الساق منه هل فيه
عروق تخان كثيرا واسعة فانه ربما يدل على داء الفيل أو عرق
النسا واعتبر ضعف العصب وقلة الجلد والرعشة عند
الاعمال القوية والضعف عند الجماع والاسترخاء بعد شرب
الماء البارد واعتبر لطافة المفاصل ورقة الاوتار ورقة

الجلد والبشرة فانك تنتفع بهذه العلامات فى اقتناء المماليك
نفعا جيدا القول فى اعتبار احوال الجوارى بعلامات
تدل على أحوال مستورة (منها) اذا كان فم المرأة واسعا كان
فرجها واسعا واذا كان ضيقا كان مثله واذا كان معتدلا كان
كذلك واذا كانت كبيرة الارنبة من الانف غليظة الشفتين
كانت غليظة حافتى الفرج وان كان لسانها شديد الحمرة كان
فرجها شديد الرطوبة واذا كانت حدباء الانف فهى قليلة
الرغبة فى النكاح وان كانت طويلة العنق فهى رابية الفرج
قليلة نبات الشعر وان كانت كبيرة الوجه غليظة العنق
دل ذلك على صغر العجز وصغر الفرج وضيقه وان كانت
صغيرة الخد كانت غليظة الفرج وان كان لحم ظاهر قدميها
صلبا كانت عظيمة الفرج وان كانت نحيلة مكتنزة اللحم
اليدين والقدمين فتكون كثيرة الشبق لا صبر لها على النكاح
وان كانت حارة المجس فى كل وقت حمراء الشفتين واللثة
صلبة العجز فتكون شديدة الطلب للنكاح وان كانت حمراء
اللون زرقاء العينين فتكون شديدة الشهوة وان كانت كثيرة
الضحك خفيفة الروح سريعة الحركة فتكون قوية الشهوة
للنكاح وان كانت كحلا العينين مع كبرهما فتكون شديدة الغلمة
ضيقة الفرج وان كانت كبيرة الاذنين صغيرة العجز
فتكون عظيمة الفم وان كانت ناتئة العقبين الى ناحية
الظهر يدل على سعة الفرج وان كان لحم المرأة عبلا مترهلا
ولونها ابيض بصفرة يسيرة والعين منها كالجامدة ليس عليها
سرور ظاهر دل على رطوبة الفرج وبرودته اعلم ان النساء
على ضروب ورتب سبعة ولكل ضرب ورتبة منزلة فى الشهوة
ولا يحصل لها كمال اللذة الا بها ولا تنقاد للرجل بالطاعة والمحبة
وحفظه فى الغيبة الا بها فقال من شحمة وزلقة
وجوفا وقعرا وبلجا وفهوا وسكفا فاما الشحما فالعبلة

الفرج مع صلابته وامتلائه شحما وهذه لا يكمل لها لذة الجماع الا بالذكر الطويل الذى يصل الى باب الرحم ومحل الولد باعلى الفرج سئل عمر بن عثمان القاضى عن جارية اشتراها فقيل له كيف وجدتها فقال فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة وذكر الهندى ان مقدار الذكر الطويل اثنى عشر اصبعا فما فوقها والوسط تسع أصابع فما فوقها والصغير ستة اصابع فما فوقها واما الرلقة فهى مضمومة الفرج الى ما حوت جوانبه وهزل بعد سمنه ولا يحصل لها كمال اللذة الا بالذكر القصير الغليظ جدا وأما الجوفا فهى منضمة اول عنق الفرج ومجوفة الداخل منه وهذه لا يكون لها لذة الجماع الا بالذكر الوسط الرأس بجوانب الفرج واما القعراء فهى طويلة عنق الفرج بعيدة باب الرحم وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل المفرد دون غيره وأما البلجا فهى التى فرجها معتدل يوافقها كل ما ذكرنا وأما الفهوا فهى واسعة الفرج يوافقها الذكر الطويل الغليظ والوسط كذلك وأما السكفا فهى الناتئ فى فرجها عظمان يكادا يلتقيان فى عنقه ويمنعان من الايلاج وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل الرقيق وقل ان تحمل الا وتموت عند الولادة قبل خروج الولد لضيق الفرج ومن اراد الاستلذاذ بالجماع فعليه بالقصيرة من النساء رجعنا الى ما نحن بصدده من امر السلطان بيبرس فانه اقام فى السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين ونصفا ومات بالقصر بدمشق فى سابع عشرى محرم سنة ستة وستين وستمائة

ثم تولى الملك العادل سلامش بن الملك الظاهر بيبرس

فتصرف سنتين وثلاث شهور وكان الافرم نائبه فى الامور ثم خلع وتوجه الى الكرك فى سابع عشر ربيع الآخرة سنة ثمان وستين وستمائة

ثم تولى الملك المنصور قلاوون الصالحى الالفى

وهو

وهو الذى بنى البيمارستان بين القصرين بمصر والقبة التى دفن
بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها طرابلس وبيروت
وصيدا وغير ذلك ومما اتفق له انه بعث سيف الدين عبد الله
وكان من خيار جنده وعقلائهم وأفاضلهم بتقدمة وهدية الى
الى ملك الغرب فلما رجع من عند ملك الغرب اخبر الملك المنصور
قلاوون أنه لما كان مقيما عند سلطان الغرب فجاءت رسالة من بعض
ملوك الافرنج الكبار المعادين للمسلمين ان يشفع له فى تزويج بعض
ملوك الفرنج لولده وكان والدها مهادنا لملك الغرب ومدعيا
صحبته وكان الملك المستشفع بر قبل ذلك معاديا للمسلمين ومؤذيا
لهم ولكن حمله هوى ابنه على ان يبعث الى ملك الغرب فى ذلك
فاحتاج الى ارسال رسول الى ملك الفرنج بسبب ذلك فقال لى
تذهب فى هذه القضية فتمنعت فقال لى هذه مصلحة فيها
للمسلمين راحة وأرى انك تذهب فيها فلم يزل يلح على حتى ذهبت
فادّيت الرسالة الى ملك الفرنج وقضيت اربى واقمت عند ملك
الفرنج مدة فأعجبه حالى واحبنى حبا شديدا وعرض على المقام
عنده مبقى على دينى دين الاسلام فقلت لا سبيل الى ذلك فاجازنى
واكرمنى فلما اردت الانصراف من عنده قال أريد ان اتحفك بأمر
عظيم لا يحصل لاحد من المسلمين مثله فتعجبت من ذلك وقلت
من اين ذلك فاخرج لى صندوقا مصفحا بالذهب واخرج منه مقلمة
من ذهب فاخرج منها كتابا قد زال اكثر حروفه وقد الصق عليه
خرقة حرير وقال اتدرى ما هذا قلت لا قال هذا كتاب نبيكم الى
جدى قيصر وما زلنا نتوارثه ملكا بعد ملك وكل ملك كان عندنا
حفظه وقد اوصانا أجدادنا انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا
يزال الملك فينا وهذه الوصية متلقاة عن جدنا قيصر فنحن
نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم ونتبارك به
ولا يعرف به احد من النصارى الا نحن ولولا عزتك وكرامتك
وثقتى بعقلك ما اطلعتك عليه فاخذته وعظمته وتبركت به

ولم اقدر على قراءته لتقطع اجزاء حروفه من طول الزمان وبسبب هذه الرسالة كف الله شر هذا الملك المعادى للمسلمين فكانت مدة ولاية الملك المنصور قلاوون احدى عشرة سنة وشهرين ونصفا وتوفى بمنزله مسجد التبن بالقرب من المطرية عند خروجه على نية الجهاد فى سادس شهر القعدة الحرام سنة سبع وثمانين وستمائة

ثم تولى الاشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون

قال محمد بن غانم فى الملك الاشرف خليل وفى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب شعر

مليكان قد لقبا بالصلاح فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لاشك فى فضله ولكن خليل هو الاشرف

ومما يحكى عن الملك الاشرف خليل انه كان جالسا فى بعض الايام والقراء يقرؤن القرآن وكان والده المنصور قلاوون محاصرا لطرابلس فقال نصره الله فى هذه الساعة اخذت طرابلس فشاع هذا الخبر وذاع وملأ الافواه والاسماع ولم يمض الا مسافة الطريق ووردت الاخبار بفتح طرابلس فى الساعة المذكورة وذلك لامر كشفه الله عن ذهنه وحكى القاضى محب الدين ابن عبد الظاهر ان الشيخ شرف الدين البوصيرى راى فى منامه قبل مسير الاشرف خليل الى حصار عكا قائلا يقول قد اخذ المسلمون عكا واشبع الكافر من صكا وساق سلطانها عليهم خيلا تدك الجبال دكا واقسم الترك منذ سارت لا يتركون للفرنج ملكا فاخبر بذلك جماعة شهدوا بصحة ذلك فسافر الاشرف فى اثناء ذلك ففتحها وفيه يقول القاضى محب الدين المذكور اعلاه

يا بنى الاصفر قد حل بكم نقمة الله التى لا تنفصل
نزل الاشرف فى ساحتكم فابشروا منه بصفع متصل

فاقام الاشرف خليل ثلاث سنين وشهرين وقتله مملوكه الامير

سيف الدين بنذار بتروجته بالبحيرا فى ثالث عشر محرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل الى تربته التى انشأها بجوار المشهد النفيسى

ثم تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون

وعمره تسع سنين وخلع فى المحرم سنة اربع وتسعين وستمائة

ثم تولى الملك العادل كتبغا المنصورى

واستقر لاجين نائبا فاقام سنتين وهرب الى الشام فى محرم سنة ست وتسعين وستمائة والله تعالى اعلم

ثم تولى الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى

الذى كان نائبا فاقام سنتين وسبعة واربعين يوما وقتل فى القلعة حادى عشر ربيع الاخرة سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بالقرافة

ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيا

بعد ان تعطلت السلطنة أحدا واربعين يوما الى ان حضر الى القلعة فى سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاقام عشرين سنة ثم عزم على الحج فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة وعرج على الكرك وأرسل يخبر الامراء انه اقام بها ورجع عن السلطنة لما قصرت يده فى مملكته بوجود سلار وبيبرس وكان ذلك تدبيرا منه وذلك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة والله تعالى اعلم

ثم تولى المظفر بيبرس جاشنكير المنصورى

استدار الناصر محمد بن قلاوون ويعرف بالعثمانى فاقام أحد عشر

شهرا وخلع نفسه وهرب الى الصعيد وهو الذى بنى البيبرسية بالدرب الاصفر ودفن بها وجدد جامع الحاكم بعد الزلزلة ومات فى سادس رمضان سنة ست عشرة وسبعماية ووجد بعد موته ختمة شريفة مكتوبة بالذهب فى سبعماية جزا فى قطع البغدادى كتبها له شرف الدين بن الوحيد بقلم الثلث واخذ لها ليقة بالف وسبعماية دينار وانفق عليها جملة اموال والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون

ثالثا وجاء من الكرك قال الشاعر

الملك الناصر قد اقبلت ... دولته مشرقة بالشمس

قد عاد الى كرسيه مثلما ... عاد سليمان الى الكرسى

وان الملك الناصر عمر فى زمنه الجامع المعروف بالجديد بمصر القديمة بجوار المجراه وعمر جامعا بالقلعه وعمر المدرسة التى بين القصرين وسافر بالحج سنة تسع عشرة وسبعماية وسافر ايضا بالحج سنة اثنين وثلاثين وسبعماية وحفر الخليج الناصرى المتوصل الى سرياقوس وعمر عليه القناطر وعمر قناطر الجيزة وله عمارات كثيرة من ميادين وقصور وغير ذلك (قيل) انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فأمره ببناء خانقاه بحاه سرياقوس وقال له هناك علامة بالرمل تهتدى بها فبادر فورا الى المحل المذكور فوجد العلامة فبنى هناك خانقاه وجعل محلات للمتزوجين ومحلات للغرباء وحمامين وبينهما بيمارستان ومدرسه عظيمه ووضع بها اربعة عشر ربعة ومن جملتها ربعة مكتوبة بالذهب المسموه كتابة بالقلم المحقق بالتحرير والاتقان وكل حرف مشقر بالسواد الرقيق الذى لا قطع به ولا وصل وفاتحة كل سورة من ليقة وبآخر كل جزء كتبه وجدوله وذهبه وجلده محمد بن محمد الهمذانى وهى من مفردات الدهر واجزائها ثلاثون جزأ ذكر انه صرف

كل جزء مايتى دينار والناس ياتون من الاقطار ويتفرجون
عليها وقد شاهدتها مرارا وان الناس عمروا بجوار الخانقاة
المذكورة جوامع ومساجد واسواقا وبيوتا وغير ذلك حتى
صارت مدينة من مدائن مصر المشهورة وهى عامرة الى الآن
ومما اتفق فى ايام الملك الناصر المشار اليه ان مغربيا كان
جالسا بباب القلعة عند سلار فحضر بعض كتاب النصارى
بعمامة بيضا فقام له المغربى وتوهم انه مسلم ثم ظهر انه نصرانى
فدخل على الملك الناصر وفاوضه فى تغيير زى اهل الذمه ليمتاز
المسلمون منهم فامر أن تلبس النصارى الازرق واليهود الاصفر
والسمرة الاحمر ليقل اذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم ه
ومات الملك الناصر يوم الاربعا سابع عشر الحجة سنة احدى
واربعين وسبعماية ودفن مع والده بالقبة المنصورية فكان
جملة ولايته فى الثلاث مرات اربعة واربعين سنة وخمسة
عشر يوما خارجا عن ما بين ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الملك المنصور أبو بكر

وهو اول اولاد الناصر محمد بن قلاوون فاقام شهرين
واياما وخلع سنة اثنين واربعين وسبعماية وقتل بقوص والله
سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم تولى الاشرف على جوكوك ابن

الناصر محمد وعمره ست سنوات فاقام ثلاثة شهور والأمر
فى دولته ودولة اخيه لقوصون ويشبك والله اعلم ه

ثم تولى الملك الناصر أحمد بن الناصر

محمد وكان مقيما بالكرك فحضر الى مصر فى عاشر شوال سنة اثنين
واربعين وسبعمايه فاقام ثلاثة شهور وخلع فى تاسع عشر محرم

سنة ثلاث وأربعين وسبعماية والله اعلم

ثم تولى الملك الصالح اسماعيل بن الناصر

محمد فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما الى ان توفى في رابع ربيع الاخرة سنة ست واربعين وسبعماية والله أعلم

ثم تولى الملك الناصر شعبان بن الناصر محمد

في ربيع الاخرة سنة ست واربعين وسبعماية وفيه يقول جمال الدين بن نباته

طلعة سلطاننا تبدت بطالع السعد في طلوع
فاعجب لها كيف ابدت هلال شعبان في ربيع

فاتفق انه كان للسلطان شعبان اخ يدعى امير حاج وهو محبوس فعمل لاخيه طعاما يأكله في الحبس وعمل للسلطان طعاما يأكله على تخت الملك فقدر الله سبحانه ان خلع السلطان شعبان وحبس مكان اخيه امير حاج وجلس امير الحاج على تخت الملك فالمتولى اكل الطعام المعزول والمعزول اكل طعام المتولى فمدة تصرف السلطان شعبان سنة وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى السلطان امير حاج

ولقب بالملك المظفر فاقام سنة واحدة وثلاثة شهور وعشرة ايام ومسك ومات في ثاني عشر رمضان سنة ثمان واربعين وسبعماية والله سبحانه اعلم

ثم تولى الملك الناصر اخو امير حاج

فاقام ثلاث سنين وتسع شهور وعشرة ايام وخلع في ثالث عشري جمادى الاولى سنة اثنين وخمسين وسبعماية والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى الملك الصالح صلاح الدين

اخو الناصر حسن فاقام ثلاث سنين وثلاثة اشهر وهلك في شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة والله اعلم

ثم عاد السلطان حسن ثانيا وجلس

على تخت السلطنة الشريفة وتمكن وتصرف وبنى مدرسته التي بالرميلة بمصر وهي من احسن المدارس محكمة البنا ليس لها نظير وقد سمعت من بعض الافاضل ان السلطان حسن لما تم بناء مدرسته المذكورة رتب لها وظائف لاقامة الشعائر الاسلامية ووقع الاتفاق ان السلطان حسن يجلس بالمدرسة ويفرق وظائفها لمستحقيها بحضرته وحصل التنبيه على يوم معلوم فجاء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد ان فرشت المدرسة بالفرش التي تليق وجلس السلطان حسن بالمدرسة وجلس من له عادة بالجلوس وكان باز اء السلطان حسن فرجة وبجوارها وسادة متكا عليها السلطان حسن فاتفق ان الشيخ الامام العالم العلامة الهمام قوام الدين الاتقاني العجمي صاحب الاتقان في فقه الحنفية والنهاية شرح الهداية وغير ذلك من التصانيف وكان في زمنه اوحد الدهر باتفاق وشيخ الحنفية على العموم والاطلاق وكان حالة قدومه الى مصر في صورة قلندري وعلى راسه طرطور فبلغه هذه الجمعية فبادر الى المدرسة ودخلها فرآى السلطان في هذا المحفل العظيم فما زال يتخطى الرقاب الى ان جلس في تلك الفرجة فنظر اليه السلطان حسن شزرا وقال له ما الفرق بينك وبين الحمار قال هذه الوسادة فهابه السلطان فتكلم معه من حضر من العلما والافاضل وحصل البحث في علوم شتى فاجاد وافاد واخرست الالسن وفتحت الاذان لما ابداه من العلوم فاحتظ به السلطان حسن وانعم

عليه بالمشيخة بمدرسته وتوجه السلطان حسن الى تخت ملكه وامر ان الشيخ قوام الدين المذكور يركب على المركوب الذى كان راكب عليه السلطان حسن بسرجه وعدته فركب ومشى امامه اكابر الدولة من جملتهم الامير صرغتمش الى أن طلع الديوان فتعجب بعض من حضر هذه الجمعية فقال الشيخ قوام الدين لا عجب فى ذلك لقد مشى تحت ركابى عشرة سلاطين من سلاطين العجم فسبحان المنعم على عبده ولقد صدق من قال فى المعنى

العلم يرفع بيتا لا عمود له ... والجهل يخفض بيت العز والكرم

وفى أيام السلطان حسن بنى شيخون جامعه وخانقاته وبنى صرغتمش مدرسته وقرر الشيخ قوام الدين فى تدريسها ٥

وكان مدة تصرف السلطان حسن فى الولايتين عشرة سنين واربعة اشهر ثم مسك وقتل عند مملوكه يلبغا فى شهر جمادى الاولى سنة اثنين وستين وسبعمايه والله سبحانه اعلم

ثم تولى الملك المنصور بن حاجى بن الناصر

محمد بن قلاوون فاقام سنتين وخمسة شهور وخلع وأقام بالقلعة الى ان مات فى خامس شهر شعبان سنة اربع وستين وسبعمايه والله سبحانه وتعالى اعلم ٥

ثم تولى الاشرف شعبان بن السلطان حسن

وهو الذى بنى الاشرفية براس الصنوة تجاه القلعة وهدم غالبها بعده فاقام اربعة عشر سنة وشهرين ونصف ثم خلع وقتل فى خامس القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمايه وفى زمنه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمايه كان ابتدا خروج تيمور لنك وكان اصله من ابناء الفلاحين ونشا يسرق ويقطع الطريق الى ان انضم الى خدمة خيل السلطان وما زال يترقى الى ان وصل ما وصل قيل لبعضهم فى اى سنه كان ابتدآ خروج تيمور لنك

قال فى سنة عذاب ٧٧٣

ثم تولى الملك المنصور على بن الملك

الاشرف فاقام خمس سنين واربعة اشهر وكان محجوبا لصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى الملك المنصور يوم الاحد ثالث عشرى صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعماية وفى زمنه فى سنة اثنين وثمانين وسبعماية ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما قام يصلى وان شخصا عبث به فى صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب الى الغابة فتعجب الناس من ذلك وكتب بذلك محضر بواقعة الحال ۞ والله تعالى اعلم بالصواب

ثم تولى الملك المنصور حاجى بن الاشرف

فاقام سنة وستة اشهر وكان عمره ست سنين والامر فى ذلك لبرقوق ثم خلع فى ثانى عشر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعماية وقد انقضت دولة الاتراك كما انقضت دولة من قبلهم ولله البقاء ودولة ملكهم ماية سنة وثلاثون سنة وستة شهور ولله در القايل حيث قال

۞ وصار واحاديثا لمن جاء بعدهم وكانهم فى ملكهم يضرب المثل ۞

* (الباب الثامن) *

فى دولة الجراكسة وهم طوائف سواذج ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت ارزاق مصر بايديهم فكانت اهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانت حكامهم تبيع جميع ما يتحصل من طعامهم للناس من لحم ودجاج ونفايس وغير ذلك وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من اطعمتهم التى اخذتها خدامهم

من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات وقد نظم بعضهم فيهم فقال

قوم اذا اقبلوا كانوا ملائكة لطفا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

الى ان فشى فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سياتهم على حسناتهم ومالوا الى العوابية والمفسدين واخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالمين ولو بعد حين وان الملك لله يؤتيه يشاء والعاقبة للمتقين

أولهم السلطان الظاهر برقوق

وكان اسمه من قبل الطبنغا فسماه استاذه يلبغا الكبير برقوق تسلطن يوم الاربعا تاسع عشر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعماية فاقام ست سنين وعشرة ايام واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعماية ثم ظهر وجهز الى الكرك وكان قد بدأ بعمارة مدرسته التى بين القصرين والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم عاد الملك المنصور حاجى بن الاشرف

فاقام سبع شهور الى ان خلع نفسه من السلطنة عند مجى برقوق من الكرك فدخل مصر والملك المنصور عن يمينه والخليفة على يساره والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم جلس برقوق على تخت السلطنة

الشريفة فاتم بناء مدرسته وهى من محاسن مدارس مصر قال الشاعر

قد انشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفى الخليلى ان جاءت لخدمته صم الجبال بها تمشى على عجل
وبنى ايضا تربة بالصحرا وهى مسكونة معمورة الى الآن وكان
مدة تصرفه ست عشرة سنة واربعة شهور وتوفى فى شوال
سنة احدى وثمانماية ودفن بتربته المذكورة وضبط ماخلفه
برقوق من الذهب العين الف الف دينار واربعماية الف دينار
ومن القماش والخز والاثاث ماقيمته الف الف دينار ومن
الخيول المسومة والبغال سته الاف ومن الجمال البختية خمسة
الاف وكان عليق دوابه فى كل شهر عشرة الاف اردب والله اعلم

ثم تولى الملك المنصور ابو السعادات

فرج بن برقوق فاقام ست سنين وخمسة اشهر وعشرة ايام
ثم اختفى بعد ذلك والله اعلم

ثم تولى الملك المنصور عبد العزيز

ابن برقوق فاقام سبعة واربعين يوما وظهر الملك ابو السعادات
ومسك اخاه وحبس بالاسكندرية وقتل بها ثالث عشر جمادى
الاولى سنة ثمان وثمانماية والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم عاد الملك الناصر ابو السعادات

فرج الى السلطنة فاقام ست سنين وتسعة اشهر وجملة ولايته
اولا وثانيا ثلاث عشر سنة وشهران وعشرة ايام وكان
ماكان بينه وبين جنده فقتلوه اشر قتله بدمشق والقى على
مزبلة وهو عريان من الثياب يمر به الناس وينظرون الى ذلك
ذلك الجسد العادى وذلك من اعظم العبر واكبر المحن الى ان
حسن الله عليه بعض الناس بعد عدة ايام فغسله وغسله وادرجه
فى كفن ووراه فى التراب والرجا من الكريم الوهاب ان يكون قد
غفر الله تعالى له انه على كل شئ قدير

ثم تولى الملك العادل ابو الفضل العباسى

ابن المتوكل فاقام ست شهور وأيام وخلع فى مستهل شعبان وكان استناب المؤيد شيخ وشاركه فى الخطبة والامر للمؤيد والله اعلم

ثم تولى الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودى

وحبس الخليفة بالقلعة الى ان ارسله الى الاسكندرية فى محرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ومعه أولاد الناصر فرج وهم محمد وفرج وخليل وان المؤيد شيخ بنى مدرسته الموجودة الآن فبدأ فى عمارتها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وليس بمصر مدارس السلاطين احسن منها ولا اكلف ولا انهى منظرا قيل ان حالة بناها امر المهندسين ان يعملوا بابها مثل باب مدرسة السلطان حسن فبنى كما امر ولما تم بناها اشاروا عليه انه لا يصلح لباب مدرسته الا الباب المركب على مدرسة السلطان حسن فقلعه وركبه على بابها وجعل لوقف السلطان حسن فى نظير الباب قرية بالقليوبية تسمى قها فكان ذلك سببا لنموو وقف السلطان حسن وادر ريعا واجزل منفعة وهى مستمرة الى الآن ذكر القطبى فى اعلامه انه فى سنة خمس عشرة وثمانمائة زمن السلطان المؤيد ان شخصا بمكة المشرفة يدعى القادونى كان له جمل حمله فوق الطاقة فهرب الجمل من صاحبه ودخل البيت ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولا يمكن احدا من امساكه الى ان تم ثلاث أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك تجاه الميزاب الشريف فبرك عنده وبكى والقى نفسه على الارض ومات وحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك ومما يحكى ان السلطان سليم فاتح مصر لما كان بمصر دخل مدرسة السلطان حسن فقال هذا حصار عظيم ودخل مدرسة المؤيد فقال هذه عمارة الملوك ودخل مدرسة الغورى

فقال

فقال هذه قاعة تاجر وكان مدة السلطان المؤيد ثمان سنين وخمسة شهور وتوفى يوم الثلاثا ثامن محرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك المظفر ابو السعادات ابن المؤيد

وعمره ست سنين وتسلطن يوم الخميس تاسع محرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما والامر لتتر فاقام سبع شهور واياما قلائل ثم خلع بعد ذلك والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك الظاهر ابو الفتح تتر

فى تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة فاقام ثلاثة وتسعين يوما وتوفى فى خامس عشر ذى الحجة سنة تاريخه والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك الظاهر محمد بن الظاهر تتر

فاقام أربعة شهور ويومين وخلع تاسع ربيع الاخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة واقام بقلعة مصر مكرما فى احسن عيش الى ان مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى

ثم تولى الملك الاشرف ابو النصر برسباى

الدقاقى يوم الاربعاء ثامن ربيع الاخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان سلطانا مهابا ذا شهامة وتدبير وفتح قبرس سنة وعشرين وثمانمائة واحضر ملكها اسيرا ذليلا حقيرا حتى وقف بين يديه بخضوع وانكسار فتحنن عليه واعاده الى مملكته بمن اختاره من اتباعه وجعل عليه خزينة فى كل سنة يرسلها

حكى انه لما سافر سفرته المشهورة الى آمد سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة نزل بالخانقاه السريا قوسية بمكان خال من البناء فنذر لله تعالى نذر تبرر وقربى ان أحياه الله تعالى وظفره بعدوه ورجع سالما ليعمرن فى هذا المكان سبيلا ومدرسة فلما توجه الى آمد ظفره الله بعدوه فقتل ملكها واستأصل موالله وأحضر خودنده وعلقها بسلسلة فى دهليز مدرسته التى انشاها بمصر برأس الوراقين والخوذة باقية مرئية الى الآن مشاهدة وان الاشرف اوفى نذره وعمر بخانقاه سريا قوس بالموضع الذى كان نزل به عند ذهابه الى آمد جامعا عظيما مفروشا أرضه بالرخام الملون وبجواره سبيلا وقيل ان بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم وفى معنى ذلك قال الشاعر

الاشرف السلطان عمر جامعا بالخانقاه ليرتحم بثوابه
وأتى بآثار النبى محمد شعراته قد قبلت فى محرابه
وامامه بين البرية محسن وكذا القضاة مع الشهود ببابه

وان الاشرف عمر ايضا تربة خارج باب النصر بجوار تربة الظاهر برقوق ومما يحكى عنه ان شخصا مؤذنا كان قاطنا بمدرسته التى برأس الوراقين وكان مولعا بشرب الخمر ويؤذن ويسبح وهو سكران فبينما هو ذات ليلة قبيل التهجد وهو نائم مخمور اذ رأى رجلا جليل المقدار ذا هيبة ووقار وخلفه ثلاثة انفار غلاظ شداد ومع أحدهم فلقة وقرابيج فقال للمؤذن ما السبب الداعى فى جراءتك على شرب الخمر فى هذه المدرسة فقال له المؤذن من تكون انت فقال انا السلطان برسباى منشئ هذه المدرسة ثم قال لاتباعه اطرحوه فطرحوه ووضعوا الفلقة فى رجليه وأمر بضربه فضرب ضربا شديدا الى ان غاب عن وجوده فلما افاق لم ينظر أحدا ووجد ألم الضرب برجليه فاراد الانتصاب فوجد نفسه مقعدا ثم انه تاب الى الله تعالى عن شرب الخمر واستمر وهو مقعد الى ان مات وتوفى السلطان برسباى فى يوم السبت

ثالث عشر الحجة سنة احدى واربعين وثمانمائة فكان مدة تصرفه ستة عشرة سنة وثمان شهور وخمسة ايام والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الملك العزيز يوسف بن برسباى

فاقام ثلاثة شهور وستة ايام وخلع فى سادس عشر ربيع الآخرة سنة اثنين وأربعين وثمانمائة واقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى ايام خوشقدم والله تعالى أعلم

ثم تولى الظاهر ابو سعيد جقمق العلائى اينال

وعمر فى ايامه عمارات كثيرة من مساجد وجوامع وقناطر وجسور وغيرذلك وكان مغرما بحب الايتام والاحسان اليهم ولغيرهم ومما يحكى عنه انه كان مقيدا بخدمة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين محمد الحنفى عمت بركاته وكانت خدمته عنده ملئ المطهرة فخرج الشيخ من خلوته ذات يوم فوجد جقمق بلا عمامة على رأسه وكان الشيخ فى ساعة جمال فقال له اين عمامتك يا جقمق قال سقطت فى البئر يا سيدى فتبسم الشيخ محمد الحنفى وقال له ما يكفيك يا جقمق فى عمامتك سلطنة مصر فقبل أقدام الشيخ على هذه البشارة ولم يزل جقمق يترقى فى المناصب الى ان ولى سلطنة مصر فاقام فى السلطنة اربع عشرة سنة وعشرة اشهر وتوفى ليلة الثلاثا ثالث صفر الخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد ان فوض امر السلطنة لولده فى ابتداء توعكه ودفن بتربة الامير قانى باى امير اخور والله أعلم

ثم تولى الملك المنصور ابو السعادات عثمان بن جقمق

فاقام اربعين يوما وخلع يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وجهز الى الاسكندرية والله تعالى اعلم

(ثم تولى الاشرف ابو النصر اينال العلائى الناصرى)

في يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان قليل السماع فالناس فاقام ثمان سنين وشهرين وستة ايام وتوفي يوم الجمعة خامس عشر جمادى الاول سنة خمس وستين وثمانمائة بعد ان فوض الامر لولده بيوم ودفن بتربته التي انشاها بالصحرا

ثم تولى ابو الفتح احمد بن المؤيد فاقام اربعة

اشهر واربعة ايام الى ان خلع يوم الاحد تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة

ثم تولى الملك الظاهر ابو سعيد خشقدم الناصري ثم المؤيدي

وهو السلطان الاول من الاروام بمصر ان لم يكن المعز ايبيك التركماني ولاجين من الاروام فاقام ست سنين وخمسة شهور واثنين وعشرين يوما وتوفي يوم السبت عاشر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين وثمانمائة ودفن بالتربة التي انشاها بالصحرا

ثم تولى الظاهر ابو سعيد بلباي العلائي ثم المؤيدي

يوم وفاة السلطان خشقدم فاقام سبعة وخمسين يوما وخلع يوم السبت عاشر جمادى الاول وجهز الى الاسكندرية فاقام بها الى ان مات رحمه الله تعالى

ثم تولى الملك الظاهر تمربغا الظاهري

يوم خلع بلباي فاقام ثمانية وخمسين يوما وخلع يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنين وسبعين وثمانمائة وجهز الى مياط وخرج لامرهم يبلغه فاعيد الى الاسكندرية ليسكن بها في اي مكان شاء فسكن بها الى ان مات رحمه الله تعالى

ثم تولى الملك الاشرف قايتباي المحمودي

فى سادس رجب سنة اثنين وسبعين وثمانمائة قيل انه حصلت له
البشارة بالسلطنة من عدة اولياء الله الصالحين قبل ان يليها
وكان محبا للخير معتقدا للصالحين حكى عنه انه لما جلبه الخواجا
محمود الى مصر وكان معه رفيقه احد المماليك الذى جلب معه
فتحادثا مع الجمال الذى قائد الجمل الذى حاملهما فى ليلة من الليالى
فى شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة المنيرة ليلة القدر ولعل
الدعاء فيها مستجاب فليدع كل منا بما يحبه فأما قايتباى فقال
انا اطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى وانا اطلب ان
اكون اميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له اى شئ تطلب أنت
فقال اطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباى سلطانا وصار
صاحبه أميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا
والسلطان قايتباى محاسن لا تحصى من خيرات وعمارات
ومساجد ومرابط ومدارس واسبلة وغير ذلك منها أنه
امر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء محكما وبوسطه قبة عظيمة
وان بالمسجد خوخة صغيرة يتوصل منها الى الجبل الذى فى سفح
غار المرسلات وهو الموضع الذى انزل فيه المرسلات على النبى
صلى الله عليه وسلم وفى سنة اثنين وعشرين والف حج مؤلف
هذا الكتاب ودخل الغار المذكور وشاهد به تحويفا باعلى
راس الجالس فيه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار
وجلس فيه وكان الجالس لا يستطيع أن يرفع رأسه فلما رفع نبى
صلى الله عليه وسلم رأسه الشريفة لان الحجر والناس يضعون
رؤسهم فى هذه التحويفة تبركا ومما شاهده المؤلف المرقوم
فى الحجة المذكور من الامر المهول ان أمير الحاج الشريف دخل بالحجاج
المدينة المنورة على الحال بها افضل الصلاة والسلام يوم
الاثنين والغالب ان الحجاج يصلون الجمعة عند النبى صلى الله عليه
وسلم والعادة انهم لا يزيدون فى المقام بالمدينة زيادة عن ثلاثة
ايام فاراد أمير الحاج الرحيل بالحجاج يوم الخميس فابرم عليه

جماعة من اكابر الدولة بصلاة الجمعة فى الحرم النبوى فوافق على ذلك
وكان حصل من عرب العنزة عند قدوم الحاج بجبل مفرح مفاسد
وضرر للحجاج فخاف أمير الحاج على الحجاج فى التقدم قبله من غير
حرس يقدمهم من العسكر المنصور فنادى ان لا أحد من الحجاج يتقدم
بالمسير قبل صلاة الجمعة ولا يتأخر بعدها فلما قضيت الصلاة
واراد الانصراف من صلى الجمعة بالحرم الشريف من الحجاج لاجل
التأهب للمسير فحصل ازدحام فى بابى السلام والرحمة فقتل فى
تلك الساعة بالبابين خلق كثير والذى ضبطه شهود المحمل من
القتلى ما يزيد على سبعين نفرا خارجا عن المكسورين ومن هو للموت
اقرب وتركوا بمحلهم الى ان يحنن الله عليهم من يواريهم التراب وهذه
مصيبة عظيمة ومن اثر عمارة السلطان قايتباى مسجد نمرة
الذى بجبل عرفات ومن اثاره أيضا أنه أمر تاجره الخواجا
شمس الدين بن الزمن ان يجعل له محلا ملاصقا للحرم المكى فبنى
له مدرسة واحكم بناها بالرخام الملون والسقف المذهبة
وبها شبابيك مطلة على الحرم الشريف وهى على يسار الداخل
من باب السلام وقرر بها خدمة وطلبة للمذاهب الاربعة وهى
باقية عامرة لم يحصل بها خلل فى اوضاعها ولا بناها وينزل
بها امير الحاج المصرى ومما وقع فى زمن السلطان قايتباى
من الامر المهول والحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوى
على الحال به افضل الصلاة والسلام وذلك فى ثالث عشر رمضان
سنة ست وثمانين وثمانمائة فارسل امير المدينة قاصدا الى مصر
لاجل عرض ذلك على السلطان قايتباى فتهول لتلك الحادثة العظيمة
وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتاهيله
لهذا الشرف العظيم فارسل نحوا من ثلثمائة من ارباب الصنائع
وكثيرا من البغال والحمير وسائر مؤنهم ومبلغا نحو مائة الف دينار
او اكثر وجهز المؤن الكثيرة حتى امتلات البنادر من الخيرات
وأمر بعمارة المسجد الحرام وان تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم

الشريف ولما تمت العمارة أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف ووقف عدة قرى بمصر تحمل غلالها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن المدرسة باقية الى الآن فى غاية الانتظام وهى على يسار الداخل الى الحرم الشريف النبوى ويقرن بها امير الحاج الشريف المصرى قال بعض الشعراء

لم يحترق حرم النبى لريبة تخشى عليه ولا هناك عار
لكنما ايدى الروافض لامست ذاك الضريح فطهرته النار

وحج السلطان قايتباى حجة عظيمة وعن الملوك لا نسال وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة واقربهم ميلا الى قلوب الرعية واكملهم عقلا وعاشت الرعية فى ايامه رغدا الى ان انتبه له الزمن الجائر واستيقظت له طرق الليالى الغوابر فاقدم على ما اقدم من عمله وترك ما خوله من متاع الدنيا وراء اظهره وادرج فى أكفان عمله بعد ما غسل بدموع فقره وانزل من سريره الى قبره وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى فى آخر يوم الاحد لثلاث بقين من شهر ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته التى انشأها بالصحرا فى حال حياته وهى فى غاية الحسن وبها مساكن للفقرآء وأرباب وظائفها ولها أوقاف دارة وهى مسكونة معمورة الى الآن ليس بالصحرا أعمر منها وكان مدة سلطنته تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر ولم يملك أحد من الجراكسة قدر مدته وقيل انه نقطب قبل موته

ثم تولى الملك الناصر ابو السعادات ابن السلطان

قايتباى وكان شابا يغلب عليه السفه والجنون وما كان له التفات الى ملك ولا الى سلطنة بل يغلب عليه اللهو وكان والده فى حال حياته يود ان يخلفه ويأبى الله الا ما اراد حكى عنه امور قبيحة قيل ان والدته كانت من اعقل النساء واجملهن فهيأت له جارية وجمعتها به فى بيت خال من ان أعدته لها فدخل

بها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها من رجليها ويديها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا صراخها اراد وا الهجوم عليه فما امكنهم لانه قفل الباب واحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى ان سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر استاديته في السلخ وان الجلادين عجزوا عن صنعته واستمر في حركاته الشنيعة الى ان قتل في برّ الجيزة وجاؤا بر مقتول الى القاهرة ودفنوه في تربة ابيه في سنة اربع وتسعماية فكان مدة سلطنته ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الظاهر ابو النصر قانصوه وهو خال الناصر فتايباى وكان ساذجا اميا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان فتايباى ببلده من بلاده وهو كبير وصار يرقيه بواسطة زوجته خوند ام الناصر لانه أخوها وهي التي اقامته مقام ولدها وبذلت له الاموال واراد ان تقويه وعمل يسلح العطار ما افسده الدفتر خلعوه بعد ان ساسهم سنة وسبعة اشهر واخرجوه من الملك في اواخر سنة خمس وتسعماية والله تعالى اعلم

ثم تولى جان بلاط اميركبير ولقبوه بالملك الاشرف بان بلاط

في اوائل سنة ست وتسعماية ولا تهنا بالملك ولا وافقه عليه احد وخلع نفسه بعد سنة اشهر والله تعالى اعلم

ثم تولى الملك العادل طومان باى

وما استكمل يوما واحدا حتى هجم عليه العسكر وقتلوه ظلما فلم يقدر احد على السلطنة واتفقوا على ان يولوا قانصوه الغوري لانهم راوه ليّن العريكة سهل الازالة اى وقت رادوا ازالته ازالوه لانهم كان افلهم مالا واضعفهم حالا وأوهبهم قوة فقال اقبل بشرط ان لا تقتلوني فاذا أردتم خلعي من السلطنة اخبروني وانا اوافقكم وانزل لكم عن الملك فعاهدوه فقبل ذلك منهم والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى قانصوه الغوري ولقبوه بالملك الاشرف

وذلك في سنة سبع وتسعماية وفرح العسكر بولايته وكان قانصوه كثير الدهاء ذا فطنة وراى الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم محبا للعمارة

ولما سكنت الفتنة بهذا التدبير الذى ذكره للجند قبل ولايته واشتغلوا
عنه بضرورات آخر فصار يلقى الفتنة بينهم ويأخذ هذا بهذا ويلقى لهم
دسايس فى الطعام من سم ونحوه حتى افنى قرانصتهم ودهاتهم الا
قليلا منهم ثم اتخذ مماليك لنفسه جلبا واعدهم جندا فصاروا يظلمون
الناس واظهروا الفساد واهلكوا العباد وهو يتغافل عنهم وصار هو
يصادر الناس ويأخذ اموالهم بالقهر والباس وكثرة العوانية فى زمنه
لكثرة ما يصفى اليهم وصاروا اذا شاهدوا واحدا فى دنياه متوسع وشوا
به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويستصفى امواله ويسلمه الى من
يعاقبه ويأخذ ما اخفاه من دنياه الى ان يصير فقيرا بعد غناه وجمع
من هذا الباب اموالا عظيمة ذهبت فى الامر سدا وتفرقت بيد العدا
وهكذا كل ملك يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع على هذا الطريق المكتوب
واما الميراث فبطل فى زمانه ولما اشتد ظلمه وطمعه استغاث الناس
فيه الى الواحد القهار وتضرعوا فيه آناء الليل واطراف النهار فاستجاب
الله دعاء المظلومين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
(حكى) عن شخص مجاب الدعوة من اولياء الله الصالحين انه رأى
جنديا من الجلبان اخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتبعه الدلال
يطلب حقه وهو ممتنع فقال الدلال بينى وبينك شرع الله فضربه
بدبوس فخ راسه وسقط على الارض مغشيا عليه فرفع يديه الى السماء
ودعى على الجندى المذكور وعلى سلطانه فصادفت ساعة الاجابة
ونام الرجل فرأى فيما يرى النائم ان ملئكة نزلت من السماء وبايديهم
مكانس وهم يكنسون الجراكسة فاستيقظ واذا بقارئ يقرأ قوله
تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين فعلم ان الله ياخذهم اخذا وبيلا فما مضى قليل الا وبرز الغورى
بجنوده وامواله وخزائنه لقتال السلطان سليم خان الى حلب فجاء
الخبر ان الغورى كسرت عساكره وقد هو تحت سنابك الخيل فى
مرج دابق وهرب بقيه الجراكسة الى مصر وصيروا طومان باى

الدوادار أخى الغورى سلطانا ومازال السلطان سليم فى أثر
الجراكسة يفتح البلاد ويضبطها الى ان وصل الريدانية فخرج
طومان باى ومن معه لقتال السلطان سليم فما حمل هو ومن
معه الا ساعة واحدة وانكسروا وهربوا وهرب طومان باى
ومسك وجئ به الى السلطان سليم فامر بصلبه فى باب زويله فصلب
لاحدى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين
وتسعمائة فان الناس كانوا يزعمون بانه اختفى حتى يحصل له فرصة
ويعود فلما صلب سكنت الفتنة وللسلطان الغورى مآثر
من عمارات وخيرات وغير ذلك منها عمارة مدرسته التى برأس
الشوايين بمصر وكان الفراغ من بنائها فى ربيع الاول سنة
تسع وتسعمائة والمدفن الذى هو مقابلها وسبيلا بجوار المدفن
يعلوه مكتب أيتام وكان يود ان يدفن فيه وما ندرى نفس
ماذا تكسب غدا وما ندرى نفس باى ارض تموت ومنها
عمارة منارة بالجامع الازهر ومنها عمارة جامع المقياس
بالروضة وما جاوره من قاعات ومساكن وغير ذلك ومنها
عمارة سبيل المؤمنين بالقرافة ومنها عمارة بندر عقبة ايلا
وتمهيد جبالها للسالك فيها ومنها سحابة للفقراء بطريق الحاج
الشريف فى كل سنة وهى مستمرة الى الآن ومنها السواقى بمصر
القديمة والحراة المتصلة من السواقى الى القلعة وهى باقية الى
الآن ومنها القبة بالملقة بالقرب من المطرية وما يليها من
الكشك والمجالس المطلة على الملقة ومنها انه عمر بمكة المشرفة
باب ابراهيم وبيوت حوله ومنها بناء مبيضة خارج باب ابراهيم
على يمنة الخارج ومنها ترخيم فى حجر البيت الشريف ومنها
بناء سور جدة فانها كانت بلا سور فكانت مدة تصرف الغورى
فى السلطنة ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة
تصرف الجراكسة مائة سنة واحدى وعشرين سنة وملوك
الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باى

وقد انقطعت مدة الجراكسة كما انقطعت دولة من قبلهم ولله البقاء كما قيل

عمّروا الارض مدّة ثم صاروا الى الحفر
يا بني جركس كنتم خبرا فانقضى الخبر

وقد سمعت من بعض الافاضل ان المرحوم السلطان سليم لما ملك مصر انشا يقول

يا بني جركس هينوا ملك الامر سليم
ملككم كان معارا والعواري لا تدوم
ظلمكم اوجب هذا انه فعل ذميم
قد ملكتم فقهرتم فلهذا لم تقيموا
ولهذا قد ذهبتم ما لكم خل حميم
قد حمى الله حمانا انه البر الرحيم
بمليك فاق كسرى اذ له الملك العظيم
اسمه في الذكر يتلى فافهمنه يا حكيم

والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب التاسع في ظهور ملوك آل عثمان خلد الله ملكهم الى آخر الزمان

أول جلوس السلطان عثمان الغازي على تخت السلطنة الشريفة

في سنة تسع وتسعين وستمائة فبدأ بالجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار أهل الفساد وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام شجاعا مقدام فعاش حميدا ومات شهيدا فكان مدة سلطنته ستا وعشرين سنة وتوفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة

ثم تولى السلطان اورخان الغازي بن السلطان عثمان

وجلس على تخت السلطنة في سنة ست وعشرين وسبعمائة

وسنه خمس وثلاثون سنة وهو الذى افتتح بروسيا وجعلها مقر سلطنته وكان فاق والده فى الجهاد وفتح عدة حصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته وله حروب مشهورة مع النصارى فكان مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنة والله تعالى أعلم

ثم تولى السلطان مراد الغازى بن السلطان أورخان

وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى بروسا سنة احدى وستين وسبعمائة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح عدة قلاع وحصون من جملتها ادرنه وهو الذى اتخذ المماليك وسماهم يكجرى يعنى العسكر الجديد وألبسهم البركاه وكانت له صولة عظيمة على الكفار فاظهر واحد من ملوك النصارى الطاعة وكان اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب منه اخرج خنجرا كان أعده فى كمه فضرب السلطان مراد فاستشهد الى رحمة الله فصار القانون العثمانى من يومئذ لا يدخل على السلطان ابلجى او غيره بسلاح وان يفتش وان يدخل بين رجلين يكتنفانه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله اعلم

ثم تولى السلطان يلدرم بايزيد بن السلطان مراد

وعمره اثنان واربعون سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم فقبض على جماعة منهم ابن قرمان وأخذه وحبسه فهرب من الحبس ومضى الى تيمورلنك وخلى له الوصول الى بلاد الروم وشكوا من السلطان بايزيد واستمر تيمورلنك يفسد فى الارض الى ان وصل الى اذربيجان فخرج السلطان بايزيد الى لقائه اولما التقى الفريقان هرب من عسكره طائفة التتار وعسكر منتشار وعسكر كرمان وتركوا

السلطان بايزيد وهربوا الى تيمورلنك ووقع الحرب فشرع عسكر
بايزيد فى الانهزام وثبت هو وقليل معه واستمر السلطان
بايزيد يقاتل الى ان وصل الى تيمورلنك بسيفه وهو مشهور
وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا ومسكوه وحبسوه فلحقته
الحمية الغضبية فتوفى الى رحمة الله تعالى فكانت مدة سلطنته
ستة عشرة سنة ثم تخلف من بعده اولاده وهم عيسى
ومحمد وموسى وسليمان وقاسم وصار النزاع والقتال
بينهم اثنى عشر سنة وقتل بينهم خلق كثير الى ان استقر
بالسلطنة (السلطان محمد بن السلطان بلدم بايزيد)
فى سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره تسع وثمانون سنة
وكان شجاعا مقداما مجاهدا فى سبيل الله افتتح عدة بلاد
وبذل نفسه فى الغزو والجهاد ومهد البلاد اعظم مهاد ومما
افتتحه قلعة اصطمونية وقلعة اسكب وقلعة اق شهر
وغيرها وهو اول من عمل الصرة لاهل الحرمين الشريفين
من آل عثمان وفى ايامه ظهر بدر الدين بن قاضى سموات
وادعى السلطنة وجمع جماعة من مريديه نحو ثلاثة آلاف
نفر ومسك بدر الدين وقتل وفى ايامه ايضا خرج محمد بن
قرمان وولده مصطفى عن الطاعة واحقا بروسيا فجا السلطان
محمد من بلاد رومللى ووصل الى قونية ووقع بينه وبين محمد
ابن قرمان حروب عظيمة مشهورة ومسك محمد بن قرمان وولده
مصطفى واتى بهما اسيرين الى السلطان محمد فعاتبهما وانعم
عليهما بمملكتهما فكانت مدة سلطنته تسع سنين وتوفى
بمرض الاسهال فتكون له مرتبة الشهادة وذلك فى سنة خمس
وعشرين وثمانمائة

ثم تولى السلطان مراد الثانى بن السلطان محمد
وجلس على تخت السلطنة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وعمره

ثمان عشرة سنة وكان ملكا عظيما مقداما فاتكا فتح الفتوحات ومهد المسالك وامن السالك واذى الكفار والملحدين واعز الاسلام والمسلمين الى ان انشأ ولده محمد فرآى نجابته وعرف اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ بحسن رضاه فكان مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

تولى السلطان محمد خان بن السلطان مراد

فى سنة ست وخمسين وثمانمائة وسنه عشرون سنة وكان من اعاظم سلاطين آل عثمان واقواهم اقداما واجتهادا واكثرهم توكلا على الله واعتمادا له غزوات كثيرة من اعظمها فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن رخا بحرى برا وبحرا وحاصرها خمسين يوما وفتحها فى اليوم الحادى والخمسين وهو الرابع والعشرون من جمادى الاخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى اكبر كنايس النصارى صلاة الجمعة وهى آيا صوفية وقد عمل بعض الفضلاء لفتح القسطنطينية تاريخا وهو بلدة طيبة سنة ٨٥٧ ذكر علماء التاريخ ان مدينة القسطنطينية كمل بناها فى اربعين سنة وكان اسمها قبل ذلك البرنطية ومات بانيها قسطيطن فى منتصف سنة ست وعشرين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر وهى مدينة مثلثة الشكل جانبان فى البر وجانب فى البحر ولها سور سمكه احد وعشرون ذراعا والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية واجتمع فيها أهل الكمالات من كل فن فعلماؤها الآن أعظم علماء الاسلام واهل حرفها ادق الفطنا فى الانام وقد ضبطت اماكنها ذ من المرحوم زكريا افندى شيخ الاسلام فى سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون محلا ومن الجوامع

اربعماية

أربعمائة وثمانية وثمانون جامعا ومن المساجد أربعة آلاف وخمس مائة وستة وتسعين مسجدا ومن مكاتيب الاولاد الف وستمائة واربعة وخمسون مكتبا ومن المدارس خمس مائة وخمسة وثمانون مدرسة ومن التكايا مائة تكية ومن الخانات مائة وخمسون خانا ومن الزوايا ثمانمائة وستة وثمانون زاوية ومن الشمامات تسعمائة وخمس وسبعون شمة وهى الصهاريج للشرب بلغة الترك ومن الحنفيات أربعة آلاف واربعمائة وثمانون حنفية ومن الفرانين الفين ومائتين وخمسة وثمانين فرانا ومن اسواق الاسباب تسعمائة وخمسة وثمانين سوقا ومن القيانة اثنى عشر الف قبانا ومن الحمامات ألف حمام ومن البوخانات ثمانمائة وخمسة وثمانين بوظه ومن القهاوى الفين وثلثمائة واثنين وخمسين قهوة ومن محلات النصارى اربعة آلاف وتسعمائة ومن محلات اليهود أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وثمانين محلا ومن الكنايس مائة وخمسة واربعين كنيسة ومن الميخانات اربعة الاف وخمسمائة وثمانية وخمسين ميخانا وذلك خارجا عما تجدد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات البيوت وغير ذلك وقد ضبط فى مملكة آل عثمان من قضاة الاقضية ما جملتهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضيا ما هو بقضا اناضولى خمسة آلاف وستمائة وما هو بقضا وملى ثلثمائة وستون قاضيا وذلك خارجا عن الموالى والدانشمانية والملازمين وقد سمعت من شخص من العسكر المنصور ان بالقسطنطينية الآن من العسكر المنصور ما هو من الينشرية أربعين ألفا ومن الاسباهية ستون الفا ومن عجم اوغلان اربعة وعشرون الفا ومن السراجين ثلاثة عشر الفا ومن الجبجيان ثلاثة عشر الفا ومن العربان اثنا عشر الفا ومن الطوبوجية سبعة آلاف وذلك خارجا عن الموالى والوزراء والجاويشية والمفتيين والمتفرقة والزعما والمتقاعدين والصناجق والقابوجية والاغاوات والطباخين

والبازرجدان والخوانين والنساء والمصاحبين وأرباب الآلات
وما لهؤلاء من الاتباع والخدم وما لكل مملكة من ممالك آل عثمان مثل
مصر والشام واليمن والحجاز والثغور والبنادر والحصارات والشرق
والغرب من العساكر والاجناد مما يعجز عنه الوصف وأخبرت أيضا
انه في يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان بن المرحوم السلطان أحمد
صرف الترقي للعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع كرات
فسبحان مالك الملك جل جلاله وقد اطلعنا على بعض تواريخ
الدول السابقة والملوك السالفة فيما سمعنا فما رأينا مثل دولة
بني عثمان ولا احسن نظاما منها ولا أحفظ في قانونها لا سيما
اطاعتها للشرع الشريف وتوقيرها لاهل العلم وحملة القرآن
واسداء الخيرات للفقراء والمساكين ولسكان الحرمين الشريفين
ولمجاوريهما على ما سيأتي بيانه فيه قريبا فنسأل الله الحنان
المنان ان يديم دولة بني عثمان الى آخر الزمان فكانت مدة
مولانا السلطان محمد احدا وثلاثين سنة وتوفي سنة ست
وثمانين وثمانمائة والله أعلم

ثم تولى السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد

وجلس على تخت السلطنة الشريفة في تاسع عشر ربيع الاول سنة
ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة وهو من
أعيان سلاطين آل عثمان تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت
وفرعها في السماء وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت
باسمه صدور المنابر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله اعظم
الغزوات وظهر في أيامه من بلاد العجم اسماعيل بن الشيخ
حيدر الصفوي في سنة تسعمائة وخمسة وكان له ظهور عجيب
واستيلاء على ملوك العجم يعد من الاعاجيب فتك في البلاد
وسفك دماء العباد وأظهر مذهب اهل الرفض والالحاد وغير
اعتقاد أهل العجم الى الفساد وأخرب ممالك العجم وأزال من أهلها

حسن الاعتقاد والله يفعل ما أراد وتلك فتنة باقية في غالب
البلاد حكاية عجيبة وهي ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق
من أهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة
أولاد فكان التحذير قبل ان يولد له السلطان سليم فطلب
السلطان بايزيد معتمدة عنده بيده جواريه الموطوآت وهي
القابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات فقال
لها اذا وضعت احدى الجواري الآن صبيا فاقتليه ولا تدعيه حيا
وان ولدت أنثى اتركيها واكد عليها في ذلك غاية التاكيد واستمرت على
ذلك الى أن ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتخنقه فرأت
صورة جميلة فرقت وقالت في نفسها بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل
هذا الطفل المعصوم والله لا اقدم على قتله وقالت لابي يزيد قد
حصلت لك بنت جميلة حسنة الصورة فلما اخبر بذلك سماها
سليمة واستمر الحال مكتوم لا يعلمه غير القابلة والام والله تعالى
وصار كلما كبر وانتشى ظهر عليه سمت الغلبة والقهر فاذا اجتمعت
البنات وجلس بينهن لطم من بجانبه وضرب ونهب ما بايديهن
من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان
بايزيد داخل السرايا في يوم عيد وامر بالمكان ان يطيب ويزين
واستدعى بناته واجلسهن بين يديه وأمر ان يوضع بين يدي كل
واحدة منهن انواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان
سليم فشرع السلطان سليم في سطوته وعادته وخطف ما بايديهن
من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يديه والكل خائفات منه
فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل في اثناء ذلك وصار السلطان
سليم يضرب البنات ويلسعهن فقال السلطان بايزيد للنسا الواقفات
هذا لا يكون بنتا اكشفوا عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هو صبي
وليس ببنت فقال لها وكيف خالفت أمري وما قتلتيه فقالت خفت
الله وخلصت ذمتك من هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا
ثم قال ما قدر الله فهو كائن لا مفر منه وامر بالكف عنه وتربيته

الى ان كان من أمره ما كان ولما استولى على السلطان بايزيد مرض النقرس
ضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر لبطرهم
وكثرة داحتهم يطلبون سلطانا قوى الحركة كثير الاسفار ليجاهد
فى سبيل الله ورأوا السلطان سليم أجلد من سائر اخوته وعاين
السلطان بايزيد من اركان الدولة والعسكر ميلهم الى السلطان سليم
فاشار عليه وزراؤه ان يفرغ عن السلطنة بقلب سليم لسليم
ويختار المقاعد فى ادرنة فى عز وتعظيم فابرموا عليه فى ذلك فأجابهم
الى سؤلهم وفرغ وترك وتوجه الى ادرنة فلما وصل اليها انتقل بالوفاة
الى رحمة الله تعالى فى سنة ثمانى عشرة وتسعمائة فكانت مدة
سلطنته اثنين وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد كاسر العجم

وفاتح ممالك العرب وذلك فى سنة ثمانى عشرة وتسعمائة وكان
سلطانا مهيبا قهارا كثير السفك للدماء قوى البطش والفحص
عن أخبار الناس عظيم الكشف عن اخبار الممالك والملوك
وكان يغير زيه ولباسه فى الليل والنهار ويتجسس ويطلع
على الاخبار وله عدة مصاجين تحت القلعة وفى الاسواق
وفى الجمعيات والمحافل ومهما سمعوه ذكروه له فى محل المصاحبة
ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك بدأ بقتال العجم
وتوجه بخيله ورجله وعساكره المشهورة الى ان وصل تبريز
وتصادمت عساكره مع عسكر قزل باشا ونزل النصر من عند
الله والفتح القريب وانهزمت عساكر اسماعيل شاه وسقطت
العساكر المنصورة خلفه وكادوا يقبضون عليه ففر من بين
أيديهم وهم ينظرون اليه وترك ما حوله من مخيمه وأثاثه
بجملاته فاغتنمها عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله
أرض تبريز ونهى وأمر وقتل وأسر واعطى الرعية تمام الامان
وأراد التمكن من بلاد العجم فما امكنه ذلك لكثرة القحط والغلاء

بحيث

بحيث بيعت العليقة بمائة درهم وبيع الرغيف بمائة درهم وسبب ذلك انقطاع القوافل التى كان أعدها السلطان سليم بان تبعه بالمؤن والعليق فتخلفت عنه فى محل الاحتياج اليها وما وجد فى تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسماعيل أمر باحراق اجران الحبوب من شعير وغير ذلك فاضطرب السلطان سليم لذلك فتفحص عن انقطاع القوافل فاخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى فانه كان بينه وبين اسماعيل شاه محبة ومودة ومراسلات وغير ذلك فلما استقر كاب السلطنة الشريفة فى تخت ملكه الشريف تأهب لاخذ مصر وازالة الجراكسة عنها فتوجه بعسكره الجرار الى حلب سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ولما بلغ السلطان الغورى قدوم السلطان سليم جمع عساكره من الجراكسة وغيرهم وبرز الى قتال السلطان سليم فلاقى العسكران قرب حلب بمرج دابق وكان الغورى يتوهم ويخاف على نفسه من خاير بك والغزالى وكانا يكرهانه فى الباطن ويكرههما كذلك فامرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما أمامه ووقف الغورى بخواص عسكره الذين يعتمد عليهم من الجلبان وقصد بذلك قتل خاير بك والغزالى وعسكرهما بالبنادق فى أول مرة ويسلم هو ومن معه فخاب ظنه وردّ الله مكره عليه قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وقيل فى المعنى

شعر للامام على كرم الله وجهه

الحذر ينفع مالم يأتك القدر ... فان اتى قدر لم ينفع الحذر
من يحتفر حفرة يوما يصيرها ... فان حفرت فوسع حين تحتفر
ان الشباب لهم عذر اذا جهلوا ... وليس يقبل من ذى شيبة عذر

فتفطن خاير بك والغزالى لذلك وكانا ارسلا للسلطان سليم وطلبا منه الامان ووثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما الامان لو عهد لهما بان يطيب خاطرهما وان يعطى خاير بك مصر والغزالى الشام فقبلا منه ذلك ووافقاه على ذلك

فلما تراءى الجمعان واضطربت نيران المدافع والبنادق فى مرج دابق فر خاير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى بمن معه من خواص اتباعه فى القلب واطلقت البنادق والزربطانات فهلك من هلك وهرب من هرب وانقلب النهار ليلا بالدخان وامتلأ وجه الارض بشعل النفط والنيران وغار الغورى تحت سنابك الخيل ومحى نور العدل ظلم الجراكسة كما يمحو النهار الليل وانقلبت رايات السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء فطلب اهلها الامان فاجابهم بالقبول لطفا وكرما وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولاسلافه وبالغ فى المدح والتعريف وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول فى تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذى يسر لى ان صرت خادم الحرمين الشريفين واظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر واحسن اليه احسانا كثيرا واقام بحلب اياما وهو يمهد الممالك ويجرى احكام العدالة والسياسة والاحسان الى الرعايا ثم ارتحل بالجيوش المنصورة الى الشام فخرج اهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الامان والامن فاجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه وخلع على من يستحق خلع الرضى والاكرام ودخل الشام بموكب عظيم واقام لتمهيد أمور المملكة برأيه الشريف وخطب له الخطباء فخلع عليهم واكرمهم وأمر بعمارة مقام الاكسير الاعظم مولانا الشيخ محيى الدين ابن عربى ورتب له اوقافا كثيرة وهو باق الى الآن واستمر السلطان سليم بارض الشام حتى مهد امورها وضبط حصونها ثم توجه الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل بمفرده الى زيارة القدس والخليل فى نفر يسير بقصد الزيارة فاحسن الى اهل القدس والخليل وعاد الى عسكره فصار كلما مر ببلدة او قصبة او قرية فى طريقه احسن الى الرعايا وفر بقية الجراكسة الى مصر وولوا الى مصر

وجعلوا

وجعلوا الدوادار طومان باى سلطانا ولقبوه بالاشرف واجتمعوا
عليه وألقوا مقاليد سلطنتهم اليه وصاروا بوكبهم بين يديه
وجندوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود وبرزوا الى الريدانية
خارج باب النصر ونصبوا المدافع الكبار والاحجار وهيؤها ليطلقوها
اذا اقبلت العساكر العثمانية فلما اخبر الجواسيس السلطان سليم
بذلك عدل هو وعسكره وجاوا من خلف الجبل المقطم من وراء عسكر
الجراكسة واستمر مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من أمام الريدانية
وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من الجراكسة قتالا
شديدا واظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف
وهو يغوص فى العسكر ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان
سليم سنان باشا وأسف عليه وقال اى فائدة فى مصر بلا يوسف
ووجه النكتة ان يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ساعة
انكسر الجراكسة وانهزموا وهرب طومان باى ومسك وصلب
فى باب زويلة كما ذكرنا ذلك سابقا واستمر السلطان سليم
يدبر امور مصر ويضبط خراجها ومحصلاتها الى ثالث عشرى
رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة (وكان مقام
السلطان سليم بالروضة وبنى له كوشكا على قاعات المقياس
وهو مشرف على بحر الروضة والمقياس ولما رحل السلطان سليم
منه قفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم *
ذكر القطبى فى اعلامه قال رأيت جماعة من مصاحبى السلطان
سليم وسمعت منهم حسن مصاحبته ولطف معاشرته وشدة
تيقظه ودقة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه
فى اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية
بحيث انه فاق الطائفتين ورأيت بيتين بخطه الشريف
كتبهما على المقياس فى الكوشك الذى امر ببنائه لما افتتح
مصر وسكن الروضة وكان هذا الكوشك محرما مقفلا
لا يصل اليه احد لعظم بانيه فدخلت مصر سنة ثلاث واربعين

وتسعماية وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا
الكوشك لباشة مصر خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلمه عبد
الكريم العجمي فطلع واطلعني صحبته فرايت مكتوبا على الرخام
الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بالتأمل هذين البيتين
وهما

الملك لله من يظفر بنيل منى يرد قترا ويضمن منه ما دركا
لو كان لي او لغيري قدر انملة فوق التراب لصار الامر مشتركا

ومرقوم تحته كتبه الفقير سليم ولعمري ان كان هذان
البيتان من نظم المرحوم فهما في غاية البيان والبراعة ونهاية
في الشعر العربي الفصيح المنسجم وان كان قد تمثل بهما
فهما ايضا مرتبة عليه في حسن التمثيل ولطف الاستحضار رحمه
الله تعالى وكان اشيع بمصر في جمادى الاول سنة احدى
وثلاثين والف ان السلطان عثمان بن المرحوم السلطان أحمد
يحل ركابه السعيد الى مصر المحروسة بقصد الحج أو غير ذلك
على ما قيل فجدد ما تهدم من الكوشك المذكور وزخرف وزين
بناء على ان السلطان عثمان اذا قدم الى مصر يقيم بالكوشك
المذكور ويابى الله الا ما اراد ومما افاده مولانا شيخ الاسلام
الشيخ محمد حجازي الواعظ الشعراوي خادم السنة النبوية
بالديار المصرية في فتوى افتى بها على سؤال رفع اليه في سنة
احدى وثلاثين والف فيمن يتعرض للمرتزقة واوقاف
المسلمين فمن جملة جوابه انه قال سمعت من استاذنا المؤرخ
من الحق الاصاغر بالاكابر شهاب الدين احمد الجهركسي يخاطبني
وكثيرا من مشايخي مشافهة ان مولانا السلطان سليم لما أخذ
مصر من الجراكسه ووضع رجله في الركاب ليتوجه الى الروم
فتقدم اليه خاير بك بمفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها
الى أن يموت بها فشاوره على ان ابناء الجراكسة يريدون
الدخول من جملة الأجناد فاجازه بذلك على ابقاء اوقاف الجراكسه

وهي نحو عشرة قراريط من اراضي مصر فاجازه بابقائها على
ماكانت عليه فشكوش وزيره وقال فنى مالنا وعساكرنا
وتسلمهم بلدهم وتدخلهم في عسكرنا وتبقى اوقافهم يستعينون
علينا بذلك فقال السلطان سليم اين الجلاد فضرب عنق
الوزير المذكور ووضع رجله الثانية في الركاب ولما نزل الخانقاه
السريا قوسية لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من
بلادهم ابقيناهم عليها وجعلناهم امراؤها فهل يجوز منا
أن نخون العهد ونغدر واذا ادخلنا ابناءهم في جندنا هم اولاد
المسلمين ويغارون على دارهم واما اراضيهم اصلها ملك الغائبين
ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز
أن ننازع الملاك في أملاكها وانما ازلت الوزير كراهة ان يغير
على اعتقادي بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم *
وهكذا شأن الملوك ولما رحل السلطان سليم بعساكره المنصورة
ظهرت في اثناء ظهره جراحة منعته الراحة وعجزت عن علاجه
حذاق الاطبا وتحيرت في دائه عقول الالبا وكانت توضع
الدجاجة في جرحه فتذوب وشوهد معاليق اكباده من خلف
ظهره وانشبت المنية اظفارها فما منعه التمايم والرقى وفدى
بالاموال فما قبل الفدا كما قيل في المعنى

ولو قبل الفداء لكان يفدى ... وانجل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون ... تكد لحاظها في الانتقادي
فقل للدهر انت اصبت فالبس ... بزعم بنيك اثواب الحداد

وكان السلطان سليم قصده العود ثانيا الى بلاد العجم
فما ساعدته القدرة الربانية ولما وصل الى تخت ملكه الشريف
وهو متوقع استمرار الامان لحق بربه فكانت وفاته سنة ست
وعشرين وتسعماية ومدة سلطنته تسع سنين ولم يعمر اكثر
من ذلك ولم تطل سلطنته لانه كان سفاكا للدم كثير القتل
وهذه مادة الله في السلاطين والامر اذا اكثر واذا سفك الدما

والله أعلم

ثم تولى السلطان سليمان خان

ابن السلطان سليم خان بعد وفاة والده فى سنة ست وعشرين وتسعماية وجلس على تخت السلطنة الشريفة ولاءاد مخالف أحد ولا اريق محجمة دم وسنة ست وعشرون سنة وكان سلطانا مهابا سعيدا ايده الله لنصرة الاسلام مرغم انوف اعدائه وكان مؤيدا فى حروبه ومغازيه مسعودا فى حركاته ومعانيه أين توجه فتك وانى سافر سافر وسفك (ذكر غزواته) (+ اول غزواته انكروس سنة ٩٢٧ه ثانى غزواته دودس سنة ٩٢٤ه وعمل الناس لذلك تواريخا لطفها يفتح المؤمنون بنصر الله ثالث غزواته انكروس ثانيا سنة ٩٢٩ه رابع غزواته غزوة مسيح سنة ٩٢٩ه خامس غزواته غزوة العجم سنة ٩٢٩ه سادس غزواته غزوة المان سنة ٩٤١ه سابع غزواته غزوة الونية سنة ٩٤٤ه ثامن غزواته غزوة بغداد سنة ٩٤٥ه تاسع غزواته غزوة اسطبور سنة ٩٤٨ه عاشر غزواته غزوة مسيح واسترعون سنة ٩٥٠ه حادى عشر غزواته غزوة القاس سنة ٩٥٤ه ثانى عشر غزواته مسيره الى المشرق سنة ٩٦٠ه ثالث عشر غزواته غزوة سكتوار وهى آخر غزواته وتوفى فيها سنة ٩٧٤ه (ذكر وزرائه العظام) (أول وزرائه بيرى باشا الصديق صاد فه وزير الوالده فابقاه ثم استعفى من الوزارة لكبر سنه فاجيب (ثانى وزرائه ابراهيم اوده باشا حرمة الخاص (ثالث وزرائه اياس باشا وكان من الارنؤت (رابع وزرائه لطفى باشا وكان من الانؤت (خامس وزرائه سليمان باشا الخادم وكان من الارنؤت (سادس وزرائه رستم باشا وكان من الارنؤت (سابع وزرائه أحمد باشا ثم اعيد رستم باشا (ثامن وزرائه على باشا وكان

من البوسنه (تاسع وزرائه محمد باشا وكان آخر وزرائه
وكان متصرفا متمكنا فى الوزاة العظمى مع التدبير الحسن
والتصرف العام على الخاص والعام وكانت وزارته فى سنة ٩٧٢
واستمر بقية مدة السلطان سليمان وكان مدة السلطان
سليم الثانى الى ان استشهد فى زمن المرحوم السلطان مراد *
وكان السلطان سليمان يحب الخيرات واجراء الصدقات
من جملة اثاره الحميدة السحابة الكبرى بطريق الحاج الشريف
ولها اوقاف بكثرة يشترى من ريع اوقافها فى كل سنة
جمالا لحمل الفقرا والمنقطعين والعواجز والماء والزاد
وغير ذلك ومقرر بها من المغاربة اربعين نفرا ومن
المطاوعة اربعين نفرا ذهابا وايابا وذلك مستمر الى الآن
وانضم الى اوقاف الدشيشة الكبرى اوقاف اخر فصارت
الآن خمسة اوقاف وقف السلطان قايتباى (ووقف
السلطان جقمق (ووقف السلطان نتم (ووقف السلطان
سليمان (ووقف خوند والقرى الموقوف عليها وهى بالقليوبية
ناحية سرياقوس (وناحية سندوه (وناحية نوى والقشيش
(وناحية امياى (وبالمنوفية ناحية البيجور (وناحية
المقاطع (وناحية اسدود (وناحية الصفرا (وناحية
سمدون (وبالغربية ناحية شبرابسيون (وناحية القضا
(وناحية كفر شبرابسيون (وناحية محلة المرحوم وكفرها
(وناحية منية الليث هشام (وناحية بقلوله (وناحية
قويسنه (وناحية دمقنوا (وبالدقهلية ناحية بدويه
(وناحية قيده (وناحية منية شرف (وناحية منية
القرشى (وناحية ابوداود العزب (وناحية طوانيس
وناحية منشاة عنبر (وناحية منية العز مساعد (وناحية
الجديدة ناحية شبراغنت (وناحية بستبودا (وبالبحيرا
ناحية مطوبس الرمان (وناحية منية المرشد (وناحية

شمشير (وناحية عزبة عمرو (وناحية الفتى (وبالجيزة ناحية صفيل (وناحية منية قادوس (وناحية صيده وناحية الكنيسه (وناحية وسيم (وبالبهنسا ناحية منية بن خصيب (والاسيوطيه (والوجه القبلى (وناحية القيوم (وناحية زاوية عباس (وناحية طرشوب (وناحية جلف (وناحية شمسطا (وناحية براوه (وناحية سنجج (وناحية ابو الهدر (وناحية طحا ذات الاعمدة (وناحية طوة بنى ابراهيم وناحية منشاه التركمانى (وناحية ابو الهر (وناحية صنبو وكفورها وناحية طمية (وناحية اللاهون وان المحصل من النواحى فى كل سنة ماهو من المال سبعون كيسا وماهو من الغلال ثلاثة وثلاثون الف اردب وثمانماية وثمانون أردبا وذلك جار جاعن اجرة الاماكن الكائنة بمصر وغيرها وهو فى كل شهر هلالى اربعة واربعون كيسا فكان مدة تصرف السلطان سليمان فى السلطنة تسعا واربعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى السلطان سليم الثانى

ابن السلطان سليمان وجلس على تخت السلطنة الشريفة تاسع ربيع الاخرة سنة اربع وسبعين وتسعماية وسنة ست واربعون سنة وعمل بعض الفضلا تاريخا لتوليته فقال سليما تولى الملك بعد سليمان وبعد ثلاثة ايام من جلوسه توجه الى سكتوار لحفظ عساكر الاسلام المجاهدين فى سبيل الله فسار سيرا حثيثا الى ان وصل ركابه السعيد الى سرم فتلقاه الوزير محمد باشا المتقدم ذكره واعلمه بهجوم الشتاء وتيسير قلعة سكتوار والتماس الاذن الشريف بعود العسكر المنصور الى الاوطان واستمرار الركاب الشريف بذلك المكان الى ان يصل هو وبقية الوزرا واركان الدولة الى السلم

الركاب

الركاب الشريف وبعد ذلك يعودون فى خدمته الى عتبة
التخت الشريف بالقسطنطينية الكبرى فاجيب حضرة الوزير
الاعظم الى ما اشار واستمر ركاب السلطنة الشريفة بذلك
المحل الى ان ورد عليه الوزير الاعظم وباقى الوزرا وقبلوا
الركاب وهنوه بالملك وعاد وا فى خدمته الى القسطنطينية
الكبرى بغاية البشر واليمن والقبول وجهزت البشاير الى
الممالك الشريفة ووصلت اليه الهدايا والتحف من الملوك
والاشراف فعم بحسن نظره الشريف البلاد واطمانت
العباد ودمر اهل الكفر والالحاد (وله غزوات مشهورة
دمر بها بلاد الكافرين وقطع دابر الظالمين وهو جالس مكة
الشريف (ومنها فتح قبرس (ومنها فتح تونس وحلق
الوادى (ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة
ومما يحكى عنه انه كان لوالده المرحوم السلطان
سليمان مصاحبا يدعى شمسى باشا العجمى ولا يخفى ما بين آل
عثمان والعجم من العداوة المحكمة الاساس الراسخة الاوتاد
فاقر السلطان سليم شمسى باشا مصاحبا على ما كان عليه زمن
والده وكان شمسى باشا له مداخل عجيبه وامور غريبة يلقيها
فى قالب مرض يسحر بها ذوى العقول فقصد ان يدخل شيأ
منكرا فى بيت آل عثمان يكون سببا لخلخلتها ويحتو قبول الرشا
من ارباب الولايات والعمال فلما تمكن من مصاحبة السلطان
سليم فقال له على سبيل العرض عبدكم فلان المعزول من منصب
كذا وليس بيده منصب الآن وقصده من فيض انعامكم
عليه بالمنصب الفلانى ويعطى كذا وكذا فلما سمع السلطان
سليم ما ابداه شمسى باشا وعلم انها مكيدة منه فى ادخال
السوء ببيت آل عثمان تغير مزاجه الشريف وقال له يا باشا
تريد ان تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا
لازالتها وامر بقتله فتلطف به وقال له يا باشاهم لا تعجل

هذه وصية والدك لى فانه قال لى السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه الامر فان جنح اليه فامنعه بلطف فان امتنع فقل له هذه وصية والدك فقدم عليها وعجله بالثبات فى ترك الرشوة التى هى من الامور المستصعبات فخلص من القتل بهذه الحيلة فكان مدة سلطنة السلطان سليم تسع سنين وكانت وفاته فى سابع رمضان سنة اثنين وثمانين وتسعماية والله اعلم

ثم تولى السلطان مراد بن السلطان سليم

وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى عاشر شهر رمضان سنة اثنين وثمانين وتسعماية وستة وثلاثون سنة *
وكان يحب الخيرات ووجوه المبرات فمن جملة خيراته انه انشأ تكية بالمدينة المنورة على الحال بها افضل الصلاة والسلام ورباطا بقباظاهر المدينة المنورة وقرر بهما ارباب وظائف ومجاورين ورتب بالتكية طعاما يطبخ صباحا ومساء ورتب حبا لاهل الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهى باقليم البحيرة ناحية نكلا (وناحية الظاهرية (وبالمنوفية ناحية سبك الاحد (وناحية شبراذنجى (وبالغربية ناحية طنان (وناحية كفر زريق (وناحية طوخ الملق (وناحية سد طنان (وناحية سنهرا (وبالدقهلية ناحية سندوب (وناحية منية سمانود (وناحية ابو الحسن (وبالجيزية ناحية كوم برا (وناحية نهيا (وبالبهنساوية والوجه القبلى ناحية بلغيا (وناحية دندبل (وناحية الحكامنه (وناحية دبشنا (وناحية الضوابط (وناحية اهناس الخضيرات وفى كل سنة يجهز الى بندر السويس من محصل النواحى المذكورة ومجاورى الحرمين الشريفين وان ما يجهز من النقد من

محصل

متحصل النواحى المذكورة فى كل عام صحبة أمير الحاج الشريف بمصر
ما قدره سبعة عشر كيسا توزع على اربابها من مجاورين الحرمين
الشريفين وتوفى السلطان مراد فى سابع عشر جمادى الآخرة
سنة ثلاث والف فجملة تصرفه فى السلطنة عشرون سنة وتسعة
اشهر وستة ايام والله أعلم

ترقى السلطان محمد بن السلطان مراد

وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة
سنة ثلاث والف وقد نظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

مراد فى الفردوس والملك زانه محمد الآتى بخير معاد
باشر أبيه قد تولى فارخوا محمد تولى عين ملك مراد

وقد نظم ايضا بعضهم تاريخا لجلوس السلطان محمد المومى
اليه فقال

بولاية المولى المليك محمد عم الهنا والكون بالبشر انشرح
ومحا الشقا سقم الوجود فارخوا بمحمد قد شرف الملك وصح

ونظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

محمد خان سلطان على ادم يارب دولته وابق
أيا أهل الممالك أرخوه محمد خان سلطان بحق

وتوجه بذاته الشريفة وصحبة عساكره المنصورة الى غزوة
المجر وحصل هناك قتال وجدال يطول شرحه الف المؤرخون لهذه
الغزوة تواريخ بالتركى والعربى وحصلت النصرة لمولانا حضرة
حضرة السلطان محمد وعاد سالما مؤيدا منصورا ومن اثر خيراته
انه رتب حبا يحمل فى مراكب من بندر السويس الى ينبوع لفقراء
الحرمين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهى باقليم
المنوفية ناحية البتنون وناحية مليج وناحية شنوان وبالغربية
ناحية الهياتم وناحية منية الجميل وناحية نهوت وبالقليوبية

ناحية صنافير وناحية مجول البيضا وبالشرقية ناحية شلشلمون
وبالد قهلية ناحية نقيطا وناحية صهرجت للمش وبالفيوم
ناحية نقليفه وناحية بغتمين وبالبهنساوية والوجه القبلي ناحية
نويرمو وناحية سلاوه وناحية باها وناحية قاى وناحية الزينة
وناحية بهداد وناحية بلوصره وناحية صفط الخمارة وناحية
اهناس المدينة وناحية كفر حيدره وناحية العيس وناحيت
انسوخ وناحية ديده والذى يجهز من محصولات القرى المذكورة
الى المدينة المنورة وفقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما ما قدره
من الحب اثنا عشر الف اردب ومن المال المنقد ما جملته اثنا عشر كيسا
فكانت مدة تصرف السلطان محمد فى السلطنة تسع سنوات
وخمسة عشر يوما وتوفى فى رجب سنة اثنى عشر والف

ثم تولى السلطان احمد بن السلطان محمد

وسنه نحو الثمانى عشر سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة
فى ثالث رجب سنة اثنتى عشرة والف وكان ملكها باولية التفات
الى السلطنة الشريفة وقتل جماعة من ورائه من جملتهم بصوح باشا
فانه لما آلت اليه الوزارة العظمى وتصرف بها مع نفوذ الكلمة
فكثرت اتباعه ومماليكه حتى خرج عن طوره ووقع فى السنة العامة
والخاصة واشيع عنه ما يوجب التيقظ لامره كما قيل وعند
صفو الليالى يحدث الكدر فازيل ولله عز وجل البقاء ومن
جملة محاسن السلطان أحمد انه عمر جامعا بالقسطنطينية
لم يعمل مثله فى السعة ولا احكام بنائه ودقة صنائعه وغير
ذلك مما يعجز عنه الوصف ومنها انه ارسل حجرا من الماس قيمته
اثنا عشر الف دينارا واكثر الى المدينة المنورة واراد ان يوضع بالحجرة
النبوية على الحال بها افضل الصلاة والسلام وهو موجود الى الآن
وذكر انه حصل فى بناء الكعبة الشريفة ميلان فى بعض احجارها فارسل
عمدا من فولاد مموهة بالذهب مطلية بالفضة فطوقت بها

الكعبة الشريفة من جوانبها الاربع وحفظت الاحجار من السقوط
ومن آثاره خيراته أيضا انه ارسل ميزابا من فضة مموه بالذهب ووضع
موضع الميزاب العتيق وتسلم امير الحاج الشامي الميزاب العتيق
ووضعه في تختروان وأسبل عليه كسوة المحمل الشريف الشامي
وخرج امير الحاج الشامي أمامه وخلق كثير من العسكر المنصور
ركبانا ومشاة بالطبل التركي وكان يوم خروجه من مكة يوما
مشهودا وذلك في سنة اثنين وعشرين والف وكان مؤلف
هذا الكتاب حاجا في السنة المذكورة وشاهد خروج الميزاب
المذكور وارسل الميزاب العتيق الى القسطنطينية ووضع بالخزائن
العامرة تبركا ومن خيراته أيضا انه عمل سحابة بركب الحاج الشريف
المصري يحمل بها الماء للفقراء والمساكين ووقف عليها اوقافا وهي مستمرة
الى الآن وبها النفع العام ومن آثاره أيضا انه رتب من ريع اوقافه
ايضا لفقراء الحرمين الشريفين وارباب وظائفهم زيادة في معلوماتهم
في كل سنة ما قدره اثنا عشر كيسا يحمل اليهم صحبة امير الحاج المصري
ولا يخفى على اولي البصائر وذوي العقل الباهر ما لبني عثمان من
الخيرات والطول الكامل في اسداء المبرات وكثرة احسانهم
واكرامهم لاهل الحرمين الشريفين جيران الله وجيران نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم في هذين البلدين العظيمين للمنيفين والتصدق
عليهم والرأفة اليهم بكثرة الانعام في كل عام فلا غرو ان نطقت
بمدحتهم افواه الدفاتر وخطبت بذكرهم الاقلام على انها خطبا
والانامل لها منابر وشدت بذكرهم الاطيار في اوكارها واجابهم
عاصي الصوادح طائعا اوكارها وطربت بها الحداة
عند ما مالت الى اوكارها فلا زالت الوية نصرهم منشورة
الذوائب مشرقة كالشمس في المشارق والمغارب
ظاهرة السفور محلية عاطل طروس السطور والذي
ضبطه جامع هذه الاوراق المرتجي عفو ربه الخلاق
فقير رحمة ربه محمد بن اسحاق ورقمه بطريق التقريب

فى هذا الكتاب ووسمه حسبما وصل اليه علمه من افواه المباشرين والكتاب ان الذى يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما فى كل عام من صدقة آل عثمان وخدمتهم وممن يأتى ذكره فيه من الديار المصرية حماها الله تعالى من كل ضر وبليه ماهو من المال النقد المسمى بالصره مائة كيس واربعة وستون كيسا بيان ذلك ماهو من اوقاف الدشيشة الكبرى اربعة وستون كيسا وماهو من اوقاف السلطان مراد سبعة عشر كيسا وماهو من وقف السلطان محمد اثنا عشر كيسا وماهو من وقف السلطان احمد اثنا عشر كيسا وماهو من وقف الخاصكية عشرة اكياس وماهو من وقف الحرمين عشرة اكياس وماهو من وقف الاشراف خمسة عشر الف نصف فضة وماهو من وقف الخدم ثمانون الف نصف فضة وماهو من وقف رستم باشا اثنا عشر الف نصف فضة وماهو من وقف اسكندر باشا عشرة الاف نصف فضة وماهو من وقف سنان باشا اثنان وثلاثون الف نصف فضة وماهو من الحب فى كل عام ثمانية واربعون الف اردب وثمانية اردب وثمانون اردبا كما ذلك مذكور فى محله فى هذا الكتاب وذلك خارجا عن صدقات البلاد الرومية والحلبية والشامية وغالب البلاد الاسلامية وذلك ببركة دعوة سيدنا ابراهيم الخليل عليه افضل الصلاة والسلام قال الله تعالى فى كتابه العزيز ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فاجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فان اودية مكة حجرية لا تنبت بها قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى فاجعل افئدة من الناس اى افئدة من الناس ومن للتبعيض ولذا قيل لو قال افئدة للناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولجت اليهود والنصارى وتوفى السلطان احمد فى عاشر شهر القعدة سنة سبع وعشرين والف

وكانت

وكانت مدة تصرفه اربع عشرة سنة واربعة شهور وعشرة ايام والله اعلم

ثم تولى السلطان مصطفى بن السلطان محمد وهو اخو

السلطان احمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث عشرى القعدة سنة سبع وعشرين والف وكان فى مدة ولاية أخيه السلطان احمد فى محل داخل السرايا وهو ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لا يمكن من الخروج من السرايا وعنده بعض اطفال يخدمونه وهو موصوف بالصلاح لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف فى امر من الامور وكان كلما اجتمع باخيه السلطان احمد يقول له لا حاجة لى بسلطنة مطلقا وكان يشاع ان السلطان احمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى يقول له ارجع عما تقصده فكان ذلك سببا للكف عنه ثم خلع مولانا السلطان مصطفى ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين والف واودع فى جب داخل السرايا وسد بابه ماعدا روزنة لطيفة ينزل منها طعامه وشرابه وكانت مدة ولايته ثلاثة اشهر وعشرة ايام والله اعلم

ثم تولى السلطان عثمان بن السلطان احمد

وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وسنه احدى عشر سنة وهو مع صغر سنه ملك همام وأسد ضرغام ولما تمكن وتصرف واستقام له الحال توجه بذاته الشريفة وعساكره المنيفة الى غزوة طايفة من النصارى المعروفين بالمليه من جنس الروس فانه بلغه عنهم امور قبيحة وخروج عن الطاعة وايذاء للمسلمين فوطئ بلادهم بخيله ورجله وقتل منهم من قتل وأسر من أسر فاذعنوا له ووافقوا على ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وعاد الى تخت ملكه مؤيدا منصورا فمكث مدة يسيرة وبعد ذلك شاع الخبر من

الداخل ان السلطان عثمان قصد الحج الى بيت الله الحرام والفوز بزيارة
قبر خير الانام عليه افضل الصلاة والسلام وبعد تمام الحج يحل
ركابه السعيد بمصر المحروسة لاجل احتياطه بامورها فبلغ ذلك
الخبر مولانا محمود أفندى الولى العارف وبعض الوزراء والاكابر
الدولة فاشاروا على مولانا السلطان عثمان بترك هذا الوارد وبانه
ما تقدم لاحد من اكابر سلاطين آل عثمان بمثل هذه الحركة وان
فيها ضررا عاما للرعايا والبرايا والعساكر المنصورة فلم يقبل لاحد
اشارة ولم يلتفت لما قالوه وصمم على هذا الامر اشد تصميم لامر
اراده العزيز العليم ثم فى يوم الاربعاء سابع رجب سنة احدى
وثلاثين والف اثيرت فتنة بالقسطنطينية بسبب هذه الحركة
المتقدم ذكرها فقتل بها خلق كثير من اكابر واماثل وغير ذلك
من جملتهم سليمان أغا ودلاور اغا الوزير الاعظم واخو السلطا
عثمان ونزل من السرايا الى سكودار لاجل الاجتماع بمحمود افندى
المشار اليه فطرق عليه الباب فلم يمكنه من الاجتماع به بسبب
عدم قبول وعظه له اول مرة وكان ذلك قبيل الغروب ثم عاد الى
السراية الكبرى فوجدها مقفولة فلم تفتح له فرجع على اثره لمنزل
حسين باشا وبات به ثم توجه بكرة النهار هو وحسين باشا الى
اغات الينشرية وابرم السلطان عثمان على حسين باشا واغات الينشرية
بالتوجه الى العسكر المنصور واخذ خواطرهم وان يعطيهم ما يريدون
ويدفع ما يتضررون منه يكرهون فقالا لا يتيسر ذلك الآن
بمقتضى انهم اخرجوا السلطان مصطفى من الحبس واجلسوه
على تخت السلطنة الشريفة فابرم السلطان عثمان على اغات
الينشرية فى ايصال هذا الكلام الى العسكر المنصور فما وسعه
مخالفته وسلم الامر الى الله تعالى لانفاذ القدر المقدور فلما وصل
اليهم وذكر لهم ما ذكره له السلطان عثمان فما كان جوابهم الا ان
قطعوه بالسيوف أربا أربا وتوجهوا فورا الى بيت اغات الينشرية
واخرجوا السلطان عثمان وجاء وابر السلطان مصطفى فلما تلاقيا

بتباكيا وعما حصل لا تسل وأخذوا السلطان عثمان ونزلوا به في
قايق وتوجهوا به الى المكان المعروف بيدى قلة فبات به واحضروا
داود باشا بالقايق وهو ميت لا روح به ولا حركة وادخل الى السرا
الكبرى واذن للناس اذنا عاما في الصلاة عليه ثم دفن بتربة
والده المرحوم السلطان احمد التي انشأها عند جامعه وكان
له مشهد مشهود بتباكت عليه الرعايا والعساكر المنصورة ونم
بعضهم على بعض في الذي كان سببا لذلك ونشأ بعد ذلك فتن
كقطع الليل المظلم من قال وقيل وغير ذلك مما يجب كتمه
ولا يستحب اذاعته وبعد ذلك قتل داود باشا اشر قتلة وقتل معه
جماعة من الاكابر وما يعلم ما يحدث بعد ذلك الا الله تعالى
وكانت وفاة السلطان عثمان يوم الخميس تاسع رجب سنة
احدى وثلاثين وألف ومدة تصرفه اربع سنوات واربعة اشهر
واربعة ايام وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال

قتلتموا عثمانكم وختموا امانكم
الم تخافوا فتنة تاريخها ظلامكم

وقد نظم بعضهم ايضا تاريخا فقال

مات سلطان البرايا وهو في الاخرى سعيد
قال لي الهاتف ارخ ان عثمان شهيد

١٠٣١

ثم أعيد مولانا السلطان مصطفى الى

الملك ثانيا مرة وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الخميس
ثامن رجب سنة احدى وثلاثين والف خلد الله تعالى ملكه على الانام
والمسلمين وجعل ظل سلطانه قويا متين وانام الانام في
ظل أمانه وعدله المكين فلم تزل ان شاء الله دولته ما شيه
وآية ملكه تقول لسرجه هل اتاك حديث الغاشيه
وابقاه على سرير السلطنة الباهرة دهرا طويلا وثبته

على منهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا وجعل السلطنة باقية فى عقبه الى يوم التناد وانار بنور عدله ظلم الظلم والفساد بجاه سيدنا محمد افضل العباد انه كريم جواد لطيف بالعباد

الباب العاشر

فيمن تصرف فى مصر من جانب آل عثمان المعظمين من الوزراء والباشوات المفخمين واثراد أخبارهم ومدة اقامتهم بالديار المصرية واحكامهم بها

اول من تقرر باشا بمصر خاير بك اميرالاموات بموعد سابق له فى ذلك من المرحوم السلطان سليم وذلك فى اوائل رجب سنة اربع وعشرين وتسعمائة وجعلها مطعمة له الى ان يموت فتوفى فى عاشر شهر صفر سنة ست وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنتان وتسعة أشهر وثلاثة ايام

ثم تولى مصطفى باشا

وكان دخوله فى اوائل شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسعمائة وعزل فى سادس عشرى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان اثنان والله أعلم

ثم تولى قاسم جزل باشا

فكان دخوله سنة تسع وعشرين وتسعمائة وخروجه من مصر فى اوائل سنة ثلاثين وتسعمائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة والله تعالى اعلم

ثم تولى أحمد باشا الخائن

فى شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة والسبب فى توليته ان المرحوم السلطان سليمان لما جلس على تخت الملك صادف وزير

والده

والده المرحوم السلطان سليم هو محمد باشا الصدبقي فابقاه على
الوزارة العظمى وكان محمد باشا كبير السن بطئ الحركة في قيامه
وقعوده وتصرفه والملوك لا يليق بخدمتها الا من يكون له حركة
ومبادرة للامور فاستعفى من الوزارة وولى مكانه اوده باشا
حرمة الخاص ابراهيم باشا وكان أقدم منه في الخدمة المذكور
أحمد باشا وكان مؤملا ان الوزارة العظمى لا تتعداه فزاحمه
ابراهيم باشا وجلس بقوة قربه من السلطان فشكاه ابراهيم
باشا للسلطان وأعطاه باشوية مصر يستجلب بذلك خاطره
وصار ابراهيم باشا متعقبه للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب
قتله فبرز الامر لجماعة الامرآء المحافظين بمصر ان يجتمعوا عنده
ويقتلونه في محله بالامر الشريف ويولوا أحدهم مكانه الى ان يرد
الامر الشريف باقامة باشا وارسلت الاحكام الى الامرآء بمصر فوقعت
تلك الاحكام بيد أحمد باشا قبل أن تصل الى الامرآء فسولت له نفسه
العصيان وانه يقاتل بجيش يلفقه من مصر فابدى الطغيان وادعى
السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وعصى بقلعة
الجبل وكان قد حبس عنده بالقلعة أميرين كبيرين هما جانم الخزاوى
ومحمود بك واراد قتلهما وقد أخزاه الله تعالى أجلهما فسمعا انه دخل
الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا وناديا من
أطاع السلطنة فليقف تحت لوائهما فوقف تحت الصنجق السلطاني
خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم جانم الخزاوى ومحمود بك
وتوجه بالعسكر الى الحمام فحبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق
نصف رأسه وأعجله النصف الثاني هجوم العسكر فهرب الى سطوح
الحمام وتسلق من مكان الى مكان الى ان وصل الى البر فنهبوا جميع
ما عنده من السلاح وغيره ثم انهم تقفوا اثره فادركوه بمنية
جناج بالغربية فقتلوه في أواخر سنة ثلاثين وتسعمائة وجزوا
رأسه وجئ بها الى مصر وعلقت في باب زويله ثم جهزت الى الاعتاب
الشريفة فكان مدة تصرفه بمصر سنة واحدة والله تعالى أعلم

ثم تولى ابراهيم باشا

الذى صار وزيرا عظم وكان دخوله فى اوائل سنة احدى وثلاثين
وتسعمائة وخروجه من مصر فى شهر شعبان من السنة المذكورة
لمدة تقرر فى سبعة اشهر

ثم تولى سليمان باشا الخادم

فى تاسع شعبان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وفى زمنه حررت
الدفاتر الموضوعة بديوان مصر المحروسة وفى سنة ثلاث وثلاثين
وتسعمائة عين الامير كيوار المساحة قرى مصر وضبط اراضيها
كل قليم على حدته من الاطيان السلطانية والارزاق والاوقاف
والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك دفاتر محررة ووضعت
بديوان مصر المحروسة وهى معول عليها الآن ومشار اليها
وتسمى دفاتر تراييع سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وعمر
ايضا جامعا بقلعة الجبل وعمر سليمان باشا جامعا ببولاق
القاهرة وبجواره وكابل واسواق وربوع وغير ذلك ولما تولى
المرحوم الامير محرم بيك امير اللوا بالدار المصرية ناظرا على اوقاف
سليمان باشا المرقوم زاد فى الجامع المذكور زيادة حسنة ووقع سقفه
فصار الآن فى غاية الحسن والكمال مقام الشعائر الاسلامية وعمر
ايضا جامع ساروية بقلعة الجبل وعمر ايضا وكابل برشيد وغير
ذلك ثم ورد عليه امر شريف بالتوجه الى اليمن فكان مدة تصرفه
بمصر تسع سنين واحد عشر شهرا وستة ايام

ثم تولى خسرو باشا

فى عشرى شهر رمضان سنة احدى واربعين وتسعمائة وعمر
فى ولايته صهريجا بين القصرين بمصر وبه النفع للشاربين والواردين
فتصرف الى سادس جمادى الاخرة سنة ثلاث واربعين وتسعمائة

فكان

فكان مدة تصرفه سنة وثمان شهور وستة ايام والله اعلم

ثم عاد سليمان باشا الخادم الى باشوية مصر

عند عوده من اليمن في حادي عشر شهر رجب سنة ثلاث واربعين وتسعمائة فتصرف الى حادي عشرى محرم سنة خمس واربعين وتسعمائة فكانت المدة سنة واحدة وخمسة اشهر واحدى وعشرين يوما

ثم تولى داود باشا

في سابع محرم سنة خمس واربعين وتسعمائة وبنى في ولايته مدرسة عظيمة محكمة البنا بسويقة صفية اللاله بمصر المحروسة ووقف لها اوقافا وهي باقية الى الآن مقامة الشعائر الاسلامية فتصرف الى ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت المدة احدى عشرة سنة وشهرا واحدى وعشرين يوما وتوفي بمصر المحروسة ودفن بالقرافة بها

ثم تولى مصطفى باشا صفيصفان

في خامس ربيع الاول سنة ست وخمسين وتسعمائة ومكث الى رجب من السنة المذكورة فكانت ولايته اربعة شهور ونصف شهر والله اعلم

ثم تولى علي باشا

في خامس شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية محرم سنة احدى وستين وتسعمائة فكانت المدة اربع سنوات وخمسة اشهر وستة وعشرين يوما ولما انصرف من باشوية مصر الى الاعتاب الشريفة فتنقلت به الاحوال الى ان ولي الوزارة العظمى فاحسن فيها السلوك

وساوى بين الغنى والصعلوك وصار محمودا فى جميع تصرفاته
مع الثناء عليه

ثم تولى محمد باشا الشهير بدوقماكين زاده

فى أول صفر سنة احدى وستين وتسعمائة وتصرف الى عشرى
شهر ربيع الآخرة سنة ثلاث وستين وتسعمائة فكانت المدة
سنة واحدة وشهران وتسعة عشر يوما

ثم تولى اسكندر باشا

فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتصرف
الى غاية رجب سنة ست وستين وتسعمائة فكانت المدة
ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام وفى ولايته عمر
المدرسة التى بباب الخرق المطلة على الخليج وهى مشيدة محكمة
البنا وعمر تكية تجاهها وسبيلا بجوار المدرسة وعمل له
بعض الفضلاء تاريخا وهو رحم الله من دنا وشرب ٩٦٦
ووقف على ذلك أوقافا وهم فى غاية الحسن والانتظام ولله
الحمد والمنة

ثم تولى على باشا الخادم

فى سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف
الى سادس صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة فكانت المدة
سنتين وستة اشهر

ثم تولى شاهين باشا

فى ثانى ربيع الاول سنة ثمان وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية
جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة
ولايته ثلاث سنين وثلاثة اشهر والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى على باشا المقتول

فى أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة وتصرف الى غاية رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فكانت المدة سنتين وثلاثة شهور

ثم تولى محمود باشا المقتول

وكان دخوله يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فتصرف الى ان قتل يوم الاحد تاسع عشرى شهر جمادى الاخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة شهور وعشرين يوما وقد نظم بعض الفضلاء تاريخ قتله فقال

موت محمود حياة فيه للعالم رحمه
قتله بالنار نور وهو فى التاريخ ظلمه

وقال بعضهم

أتى محمود بالمايوم نحس فساقته منيته عصيبه
بجاه الناصرية خلف حيط بغيط جاه منه مصيبه
بندقة رماه كف دام فحزرها فجاءته مصيبه

ثم تولى سنان باشا

فى ثالث عشرى شهر شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وتصرف الى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فمدة تصرفه تسعة شهور وأربعة وعشرون يوما

ثم ورد عليه امر شريف خاقانى بان يتوجه الى فتح بلاد اليمن واسترجاعها من الوندين العصاة فتوجه ومعه جماعة من اكابر صناجق مصر وكان يقال استصحابهم فى الصناجق بامر ليسبوا اليه وهو قتل محمود باشا ولم يرجع من الصناجق أحد ولله البقاء

وفتح سنان باشا اليمن واستنقذها من ايدى العصاة

وشتت شملهم وقطع دابرهم وقد ألف القطبي تاريخا لهذا الفتح وسماه البرق اليماني في الفتح العثماني لم ينسج على منواله في حسن انسجامه فمن أراد أن ينزه طرفه ويطلع على ما اودعه من الدر المكنون فليطالعه وبه قصيدة لا بأس باثر ادابيات منها اولها

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر ... على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت ... لها همم العليا الى اشرف الذكر
جنود رمت من كوكبان خيامها ... وآخرها بالنيل من شاطئ المصر
سنان عزيز القدر ويوسف عصره ... ألم تره في مصر احكامه تجري
تدلها الى اقصى البلاد بجيشه ... ومهد ملكا قد تمزق بالشر
وشتت شمل الملحدين وردهم ... مثال قرود في الجبال من الذعر
وقطع رؤسا من كبار رؤسهم ... له باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما ... بدا من صنيع الملحدين من السحر

ومنها

وما يمن الا ممالك تبع ... وناهيك من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها ال عثمان او مضت ... بنو طاهر اهل الشأمة والذكر
فهل يطمع الزيدي في ملك تبع ... ويأخذها من ال عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا ... وسر امام المسلمين ابي بكر

ثم تولى اسكندر باشا الفقيه

الجهركسي في رابع جمادى الآخرة سنت ست وسبعين وتسعمائة فتصرف الى غاية المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وسبع شهور وخمسة عشر يوما والله تعالى اعلم

ثم عاد سنان باشا من اليمن

وتصرف في باشوية مصر من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وله مآثر جميلة وآثار حميدة وخيرات جسام لا

تنقطع

تقطع على توالى الايام وعدة مساجد وربط وتكايا وجوامع
بالديار المصرية والشامية والرومية والثغور والبنادر ولم
يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشأ خيرات مثله وتوجه بذاته
الى زيارة القطب العلوى سيدى أحمد البدوى فى تاسع شهر
القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة فانه بلغه ان الامير
منصور بن بغداد امير ولاية المنوفية صغير السن متلاعب
لا التفات له فى التصرف فى ولايته وعنده تجبر وانهماك على
اللذات واتباع الشهوات واحتوى على عقله جماعة من
السفهاء من منسوباته وهم متصرفون فى ولايته كيف شاءوا
وعنده غرور فى نفسه وهو متمسك بحبل ظهره الوزير الاعظم
سياوش باشا فانه مكث عنده بالقسطنطينية مدة وكان
فى زعمه ان لا قدرة لاحد على عزله فحشى سنان باشا من ضياع
الاموال الديوانية وخلل يحصل باقليم المنوفية فقبض على
الامير منصور وعزله فى رابع عشرى شهر القعدة المذكور
وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستمر الامير منصور
مسجونا فى البرج بقلعة الجبل بمصر المحروسة من سنة تسع
وسبعين وتسعمائة الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة الى ان
قدم حسن باشا الخادم واطلقه وولاه المنوفية على
عادته فكان مدة حبسه نحو العشر سنوات ومدة تصرفه
بالمنوفية الى ان عزله اويس باشا عشر سنوات سنتان قبل
حبسه وثمان سنوات بعد اطلاقه من الحبس فولايته
معادلة لحبسه وهذا اتفاق عجيب فكان مدة تصرف
سنان باشا فى الولاية الثانية سنتين وتوجه الى الاعتاب
العالية فولى الوزارة العظمى وفرحت الناس بولايته
والله تعالى اعلم

ثم تولى حسين باشا

فى ساس عشر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فصرف الى غاية جمادى الاخرة سنة اثنين وثمانين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة اشهر ونصف وفى زمنه حصل غلاء عظيم وقحط حتى اكلت الناس بزر الكتان واعقب ذلك موت فجأة حتى ان الرجل او المرأة او الخادم اذا توجه من منزله لاجل قضاء مصلحة فتدركه المنية فيموت من غير ضعف ولا الم واستمر ذلك مدة والله سبحانه اعلم

ثم تولى مسيح باشا الخادم

فى أوائل سنة اثنين وثمانين وتسعمائة وكان ذا مهابة ترع متصفا بالعدل والعفة يكره اهل الفساد والحرامية وقطاع الطريق ويتجسس عن اخبارهم ومواطنهم ويرسل الحكام الاقاليم فى احضارهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع فى قتله وبموجب ذلك رجع أهل الفساد عن فسادهم واختفى ارباب التهم وانتظم الحال فى زمانه وأمنت الرعايا على انفسها وأموالها والقى الله الرعب فى قلوب الحكام والكشاف والولاة وانكفت ايديهم عن التجرى فى الامور الخارجة عن الشرع والقانون وعمل شنكلا من حديد لقتل المفسدين بالرميلة وبولاق وبالشون بمصر القديمة وظفره الله بغالب المفسدين ووقع نادرة غريبة لاباس بايرادها وهو ان شخصا من الواحات اخبرنى شفاها انه كان بوابا عند القاضى محب الدين الظاهرى كاتم اسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية ثم ان القاضى محب الدين المشار اليه لما شرع فى بناء قاعة مجاورة لبيته الكائن بمصر المحروسة بباب سر الصالحية وابتدا فى حفر اساسها فوجد تحت الارض قاعة وبوسطها قبة لطيفة معقودة بالجبس والمون المحكمة فهدمها فوجد بها صندوقا لطيفا به قنينة زجاج تقارب ان تكون ظرفا لرطلين

زيتا وبازائها ثلاثة ارغفة ففتحها فوجد بها شيئا يشبه الدهن
ولم يعلم جنسه فاطلع عليه بعض جلسائه فما أحد عرف منهم ما بها
فاشاروا عليه ان يطلع عليها المرحوم الشيخ سرى الدين الصائغ
الحكيم رئيس الحكماء بمصر فاحضروه واطلع عليها فعرف ما بها
فعمى عليه امرها وقال لابد من مراجعة كتب الحكماء وتركه وطلع
من فوره الى مسيح باشا وأخبره انه وجد كنزا عظيما ولا يأخذ
جائزته الا كذا وكذا عثمانيا فى الجوالى فاجابه فقال ان القاضى
محب الدين الظاهرى وجد عنده بقاعة خربة قنينية اكسير اذا القى
منها درهم على قنطار من القزدر او الرصاص قام ذهبا للحمى والروباص
فاحضر القاضى محب الدين وأمره باحضارها فاحضرها فورا
واختبر ما فيها فوجد كما قيل ثم ان مسيح باشا جمع جمعا كثيرا
من الموالى واكابر الصناجق واطلعهم على ذلك ثم جهزت القنينية
بعد الختم الى خزانة المرحوم للسلطان مراد وان القاضى محب الدين
لم يتأسف لذلك ولم يعاتب الشيخ سرى الدين بكلمة واحدة
وان مسيح باشا بنى له مدرسة ومدفنا بالقرافة ووقف على ذلك
أوقافا وكان يؤمل ان يدفن بالمدفن المذكور وما تدرى نفس
ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت فتصرف
الى ثانى عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة
وكان تصرفه خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما

ثم تولى حسن باشا الخادم

فى سادس عشرى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وقد
نظم بعض الفضلاء لعزل مسيح باشا تاريخا فقال

والله نرجوا ان نراه كاسمه ... وبه نرى الكربات عنا تنجلى
ولطالب تاريخ زين أقول خذ ... أرخ مسيح اثره حسن ولى

وفى زمنه البست اليهود المطواطير الحمر والنصارى البرانيط
السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى
العمائم الزرق وكان حسن باشا محبا لجمع المال من محله ومن غير

محله وحصلت منه مصادرات لبعض اكابر مصر من اولاد العرب
وعتر وكالة ببولاق القاهرة تجاه التارسخاناه وصهريجا مقابلها
يعلوه مكتب ايتام وكان قصده التارسخاناه ويعمر مكانها جامعا
فاتمكن من ذلك فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الاخرة سنة
احدى وتسعين وتسعمائة فكان مدة تصرفه سنتين واحد
عشر شهرا وثمانية عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة
حصل له مشاق واهوال وبعد ذلك تنقلت به الاحوال وولى
الوزارة العظمى وعزل بها قتلا وهو غير محمود والله تعالى اعلم

ثم تولى الوزير ابراهيم

فى رابع عشرى ربيع الآخرة سنة احدى وتسعين وتسعمائة
ودخل مصر فى موكب عظيم لم يعهد لاحد غيره وفرحت الناس
بقدومه واستبشروا بالخير وكان بيده امر شريف بالتفتيش
على حسن باشا المذكور وكان مؤملا ان يظفر به ويقبض عليه
فسبقه بالتوجه ثم اذا قام عنه وكيلا فى الدعاوى واثبت عليه
مبلغا أخذه غالبه ولم يسفر ذلك عن شئ مطلقا وان ابراهيم
باشا توجه بنفسه الى بير الزمرد فاحاط بها علما وظفر منها
بالزمرد النفيس وتوجه الى الاهرام بعد ذلك واراد الوقوف على ما
بها وانزل جماعة الى الهرم الكبير بشموع مطيبة ليخبروه بما
يعاينوه فلم يظهر لذلك نتيجة ثم توجه الى دمياط ثم الى
المحلة الكبرى وهدم بها كنيسة وعمرها مدرسة وسماها
الوزيرية ثم خرج بعد ذلك الى زيارة القطب الربانى والولى
الصمدانى سيدى احمد البدوى عمت بركاته فزاره واحسن
الى مجاوريه ثم توجه الى محلة المرحوم ثم رجع الى مصر فكانت
ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وتوجه الى الاعتاب
الشريفة سنة اثنين وتسعين وتسعمائة

(ثم تولى سنان باشا الدفتردار)

باقامة ابراهيم باشا الوزير فى ثالث عشرى شوال سنة اثنين وتسعين وتسعمائة فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الاخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام واستمر مقيما بمصر المحروسة الى ان قدم أويس باشا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق القاهرة فارسل هدية الى اويس باشا من جملتها حصان اشهب وهو مسرج بسرج مرصع وعدة تليق بالمرسل اليه وكان يؤمل ان اويس باشا حال طلوعه من المركب الى اوثاقه للمنصوب له ان يركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب اكديشا اشهب كان احضره معه من الديار الرومية ثم ان سنان باشا قدم الى ناحية شبرا وقابل اويس باشا عند غروب الشمس فشاهد غيظا لا يخفى فى وجه اويس باشا وهاله ذلك وداخله أمور تخوف منها فلما رجع من عنده الى مصر اختفى ولم ير بعد ذلك الا بالديار الرومية

ثم تولى أويس باشا المشار اليه

فى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفى زمنه حصلت الفتن بمصر المحروسة وتحركت العساكر وقتل من قتل وهرب من هرب ومنعت اولاد العرب من الدخول فى العسكر المنصور ومن التشبه بلباسهم وحدثت الطلب وحصلت المتاعب من وجوه شتى وقيل ان هذه الحركة كانت باشارة اويس باشا فسبحان عالم الغيب وفى يوم الاحد المبارك رابع شهر صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة حصلت زلزلة بمصر بعد ظهيرة اليوم المذكور فمكثت درجة وسدس وسقطت منها موادن وبيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة ايلا ونهب العرب جميع ما كان فيها من ذخيرة الحجاج والمحافظين وسقطت صخرات من الجبال بطريق مكة وحال وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا

الكتاب اذ ذاك ببيت نقيب الجيوش بمصر فشاهد جهات حوش البيت المذكور وهي تتمايل ولها قعقعة وسقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكور سدرة كبيرة فصارت تتمايل يمينا وشمالا كأنها في فلاة وطرقها ريح عاصف ولم ير مثل تلك الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء تاريخها فقال

اقترب الامر فتب ممتثلا للموعظه
زلزلة قد رعبت تاريخها وهي عظه

٩٩٦

وفي يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة كان جانبا من الجبل المقطم بالقرب من التبين بشرقي طفيح انفرق ثلاث فرق وخرج من كل فرق عين ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون في الجريان ذكر الجلال السيوطي في كتابه المسمى بكشف الصلصلة في وصف الزلزلة فقال أخرج ابو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة وابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وعروقه الى الصخرة التي عليها الارض فاذا اراد الله ان يزلزل قرية أمر ذلك الجبل ان يحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم يحرك القرية دون القرية أول زلزلة وقعت في الدنيا حكى المفسرون ان قابيل لما قتل هابيل رجفت الارض سبعة أيام واخرج الحاكم في صحيحه عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله عذاب أمتي في الدنيا القتل والزلازل والفتن وفي خلافة المأمون كانت زلزلة بخراسان دامت سبعين يوما وفي سنة خمس واربعين ومائتين في خلافة المتوكل زلزلت الارض شرقا وغربا وسقطت الحصون والاسوار وخربت المنازل بالغرب وبمصر والشام وانطاكية والمدائن حتى بدت أهلها الى الصحاري وانقطع الجبل الاقرع بانطاكية وسقطت منه قطعة عظيمة في البحر وارتفع منها دخان اسود

منتن

سنين وفى سنة ثمانين فى خلافة المعتضد ورد الى مصر شخص من
أهل قرية اردبيل اخبران فى شهر شوال فى السنة المذكورة
كسف القمر واصبحت الدنيا مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت
الى ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة اذهبت غالب عامر المدينة
وكان عدة من اخرج من تحت الردم مائة وخمسين ألفا وفى خلافة
المطيع سنة أربع واربعين زلزلت مصر زلزلة عظيمة هدمت
البيوت ودامت ثلاث ساعات وفى سنة اثنين وخمسين وخمسمائة
كانت الزلزلة العظيمة المعروفة بزلزلة حماه هدمت ثلاثة عشرة
مدينة وهى حلب حماه المعرة شيراز كفطاب اقاميه
حمص حصن الاكراد عدقا اللاذقية طرابلس انطاكيه
بلرحب ويستحب عند الزلزلة العتق والدعاء والتضرع
والتكبير والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فانها تدفع كل
بلية وتزيل كل سوء فى جميع الامور الدنيوية والاخروية (ذكر
الكمال الدميرى فى حياة الحيوان قال وهب بن منبه كانت
الارض كالسفينة تذهب وتجئ فخلق الله ملكا فى نهاية العظم
والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فاخرج يده
من المشرق ويده من المغرب وقبض على اطراف الارض وامسكها
ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها
سبعة آلاف ثقبة يخرج من كل ثقبة بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى
ثم امر الصخرة حتى دخلت تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة
قرار فخلق الله ثورا عظيما له اربعة آلاف عين ومثلها آذان
ومثلها انوف وافواه والسنة وقوائم ما بين كل اثنين منها
مسيرة خمسمائة عام وامر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت
الصخرة فحملها على ظهره وقرونه واسم هذا الثور كيونا ثم
لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر احد ان
ينظر اليه لعظمه وبريق عينيه وكبرها حتى قيل لو وضعت البحار
كلها فى احدى مناخره لكانت كخردلة فى فلاة فامر الله ذلك الحوت

ان يكون قواما لقوائم الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قرار
الماء وتحت الماء ظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة هكذا
نقله القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتاب مسالك الابصار
ومما اتفق في زمان أويس باشا ان الامير حسين اليرموني انكسر
عليه مال للسلطنة الشريفة قدره ثلاثون الف دينار فطلب منه
ذلك فتعلل وذكر ان عنده قصبا سكريا بقي بالقدر المذكور فاستعد
ذلك أويس باشا فحبسه فشفع فيه بعض ارباب الدولة وطلبوا
المهلة ثلاثين يوما فقال اويس باشا كيف يمكن ذلك وهل متصور
أن يجمع من بيع القصب في كل يوم الف دينار فقالوا له يرجى ذلك ان
شاء الله فاطلقه من الحبس وسلمه للحوالة ثم انه احضر الاقصاب
الى ساحل بولاق شيأ فشيأ واطلق المبيع فيها فما مضى الشهر حتى وفى
الثلاثين الف دينار وطلع بها الى اويس باشا فتعجب من ذلك وقال
مصر يباع فيها قصب برسم المصاصين كل يوم بالف دينار فقالوا
له هذا من موجود شخص واحد وهناك ما يباع براو بحرا من الاقصاب
ما ينوف عن ذلك فانظر يا اخي الى خيرات مصر وما اودعه الله
فيها من الارزاق والبركات وسماحة أهلها بالمصرف والنفقات
وهذا القصب من اعظم نعم الله على اهل مصر لما فيه من الحلاوة
السائغة فسبحان ذي المنة العظمى والحكمة البالغة قال
الامام الشافعي رحمه الله لولا القصب ما أقمت ببلدكم يعني مصر
والقصب حار رطب وقيل انه معتدل واجوده الحلو الكثير الماء
ويوجد فيه شيء من الصمغ اذا اكتحل به يجلو العين وهو يجلو الصدر
والسعال ويولد دما معتدلا ويدر البول ولكنه يربي ريحا
فينبغي ان يغسل بماء حار بعد تقشيره ليزول ضرره وقد
شاهدت في سنة ست وتسعين وتسعمائة اعجوبة لا باس بذكرها
وان كانت خارجة عن المقصود وهو ان شخصا يدعى الامير سليمان
ابن احمد بن ازدمر المشهور بالاخرس الجركسي الاصل وهو من
اعيان عسكر مصر حضر الى محكمة منف وأبرز من يده حبة أرز

مكتوب

مكتوب عليها ما قرأته وصفة رسمه بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان
الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل
لربك وانحر ان شانئك هو الابتر بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كتبه محمد سنة ٩٩٤
وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة وشهودها وما من شخص منهم
الا وقرا ذلك مرة او مرتين وأما مؤلف هذا الكتاب فانه قرأ ما على
الارزة اكثر من ثلاث مرات وتأمل حروفها تاملا شافيا وشاهد
جرة كل بسملة والكافات المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب
بالاحمر وكتب في خصوص ذلك محضر ورقم به شهادة من شاهد ذلك
ورآه فرحم الله كاتبها وعفى عنه بمنه وكرمه فانظر يا أخي كيف يلم
التراب مثل هذه الانامل فانه من سمع ذلك ولم يشاهده فربما
يداخله الشك ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان
المنعم المتفضل على عبيده ومن على من يشاء بجودة الخط الذي
هو من اعظم موجبات الحظ وانعم بهذه الصناعة على اهل البراعة
والبراعة واجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة وقال في كتابه
العزيز الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ذكر ابن الخادم
في تفسير سورة اقرا تنبيه على فضل الكتابة [illegible]
الجرة كل بسملة والكافات المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب
أ الاحمر وكتب في خصوص ذلك محضر ورقم به شهادة من شاهد ذلك
الدرآه فرحم الله كاتبها وعفى عنه بمنه وكرمه فانظر يا أخي كيف يلم
لو لتراب مثل هذه الانامل فانه من سمع ذلك ولم يشاهده فربما
فقد اخله الشك ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان
والمنعم المتفضل على عبيده ومن على من يشاء بجودة الخط الذي
حو من اعظم موجبات الحظ وانعم بهذه الصناعة على اهل البراعة
البراعة واجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة وقال في كتابه
عزيز الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ذكر ابن الخادم
تفسير سورة اقرا تنبيه على فضل الكتابة [illegible]

خ عرف الديك د الرجل الاكول ذ القرد الصغير ر الشيخ
البخيل ز التفاح الاحمر س الديك المرغ منقاد فى التراب
ش رجل لا يشبع من الجماع ص الهدهد ض المراة الكبيرة
الثديين ط سنام البعير ظ الابل المقطورة ع زبد
الماء غ المقدم على اقرانه ف المتوسط فى الصلح ق الشجرة
المخضرة ك الفحل ل جمل وسنام م الحوت
ن الدواة والسيف ه اللطم على وجه الصغير وشراك النعل
ى اللبن الباقى فى الضرع وقد اختلف فى لفظ اللسان
وخط البنان فقال بعضهم لفظ اللسان لا يجاوز الاذان ولا
يذكر فى كل مكان ولا يترجم بكل لسان واما خط البنان فيوجد
فى كل مكان ويترجم بكل لسان فكان صلى الله عليه وسلم ينطق
له الخط ولا يكتب فسمى النبى الامى فعدم الكتابة ونطق الخط
معجزة فى حقه صلى الله عليه وسلم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
كتب الى النجاشى واترب فاسلم وكتب الى كسرى ولم يترب كتابه
فلم يسلم اذا كتب احدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو
انجح للحاجة وسمعت وانا بمكة المشرفة سنة ثمانى عشرة
والف ان كاتب الارزة المتقدم ذكره توجه الى بلاد الهند واجتمع
على سلطان كجرات فكتب له قل اللهم مالك الملك الى آخر الاية
فى فرخ ورق هندى دولة عباد بالقلم المثلث الوضاح كتابة
تحرير على الاوضاع المرضية والطريقة الياقوتية ثم كتب
الاية الشريفة ومطلوبه على حبة ارز واوصل ذلك السلطان
المذكور فاجله وانعم عليه بانعمة وافرة من القمشة وغير ذلك
واعطاه مصرف الطريق وهو ستة وثلاثون دينارا زنة كل دينار
عشرة مثاقيل ثم عاد الى مكة المشرفة وقد نظم المرحوم
الشيخ الفارضى فى وصف آلات الدواة قصيدة لا باس
بايرادها فى هذا المحل وهى هذه

حمد المولى انزل الكتابا وشرف القرآن والكتابا

ثم صلاة الله تهدى للعلم ... من مدحه فى أى نون والقلم
والآل والصحب ذوى النجابه ... والحافظين العلم بالكتابه
ففى حديث قيدوا العلم بها ... اسناده مصحح جاز بها
واختلفوا هل خط أشرف البشر ... اصح قول لا وانما امر
قد ورد النص بذا وبسطه ... فى قول ذى العرش ولا تخطه
لحكمة بيانها ما غابا ... يتلى علينا فى اذا لارتابا
وكان من كتابه معاويه ... ومن علت صحبته يا ساريه
وللدواة أربعون ميما ... اثبتها اصطلاحهم قديما
وقد حوتهن دواة باهره ... فهن فيها كنجوم زاهره
يخطبها يراع كل ناقش ... وما سواها ملحق بالهامش
شافية بحسنها وكافيه ... ما حكيت وهاهنا ما نافيه
نظمتها فشكل فسرته ... وواضح على التوالى سقته
أما الذى لا يختفى فالمحبره ... مركبه ومنقد ومسطره
ومبرد ومغرز ومكشط ... ثم مقص مجمع ومخيط
ومجرد ومحفر ومكتره ... مقلمة ومموه ومقطره
مطويه ومدية ومرمله ... ممسحة ثم محك مصقله
ثم مزم ومسن ومقط ... والحقت مفرشة بما قد انضبط
ثم ملف ثم محراك ولا ... باس بملقاط وعد المشكلا
فالمنبر المخيط خذ فى العرف ... لقلم وافترقا فى الوصف
ومكبس للضبط والمجفف ... رمل له مزودة تنعطف
ومركز الاقلام هيئ وكذا ... للحبر مصفاة بها ينفى الاذى
ومقسم وهو بيكار صدق ... والزموا ملزمة خوف الورق
لهم ملاق حفة مشاق ... وفى حديث لفظه مساق
ولف بالمنديل ما تقدما ... وختمه مسك لما قد علما

رجعنا الى ما نحن بصدده فان اويس باشا تصرف فى باشوية مصر الى سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين وتسعمائة ومات بمرض السبات فجاة ودفن بالقرافة فكانت مدة تصرفه

اربع سنوات وشهرا واحدا وثمانية ايام وقد نظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

أهلك الله أويسا انه ... جار في الحكم ولم يخش الوعيد
مذ أتى مصر تجبر واعتدى ... وبه الظلم تبدى في مزيد
اهلك الله الحريث وكم من فتنة ... أمها بالجهل فيما لا يفيد
مذ دهاه الموت ما أفلته ... لا ولا كان له عنه محيد
خاب سعيا بوفاة أرخوا ... هاوخاب كل جبار عنيد

٩٩٩

ثم تولى احمد باشا حافظ الخادم

في سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأى وتدبير في تصرفه وعمر وكالة كبرى ووكالة صغرى وسوقا وقهوة وبيوتا وربوعا ببولاق القاهرة بجوار شون الحطب وعمل مصلاة بالوكالة الكبرى مطلة على بحر النيل وقرر بها ارباب وظائف وهي مقامة الشعائر الاسلامية وعمر أيضا برشيد وكالة وقهوة وربوعا وعمل سحابة بطريق الحاج الشريف وبها النفع للحجاج ولما صرف من باشوية مصر وتوجه الى الاعتاب الحقانية فساعدته العناية الربانية فولي الوزارة العظمى وشكره الناس وحمد في ولايته ثم انه استعفى من الوزارة واستأذن في الحج فاذن له وجاء الى مصر بحرا وتلقته الاكابر باحسن ملقا واهديت اليه الهدايا وحج ورجع وتوجه الى القدس وخليل الرحمن فزار ورجع الى الديار الرومية وتوفي بها الى رحمة الله تعالى فكان مدة تصرفه في باشوية مصر الى ان عزل في تاسع شعبان سنة ثلاث والف ثلاث سنوات وعشرة شهور واثنان وعشرون يوما والله سبحانه وتعالى أعلم

(ثم تولى قورد باشا)

فى ثالث عشرى رمضان سنة ثلاث والف وكان أتيا ساذجا
محب اللهو واللذات لاحيلة له فى جمع المال ولا فى غيره ومما
حكى عنه انه كان جالسا بمجلس عال مشرف على حارة عرب اليسار
فراى شخصا بمكان ينكح حمارة فضحك حتى استلقى على قفاه
ثم اطلع نفرين كانا عنده من خدمته على ذلك الرجل وامرهما
باحضاره له وأوصاهما ان لايشوشا عليه ويبرّ فقابه فنزلا
من عنده واجتمعا بالرجل وقالا له نحن ضالين عن باب القلعة
ودفعا له نصفين وقالا له دلنا على الطريق فاتى بهما الى باب القلعة
فقالا له لابد من اكرامك فاخذاه الى ان اوقفاه بين يدى قورد
باشا فسأله بان قال له من اى القبائل انت قال انا من عرب
اليسار ثم قال له أنت عازب ام متزوج فقال عازب فقال
لاى شئ انت عازب فقال له من الفقر فقال له لاى شئ تنكح
الحمير فخجل الرجل ونكس برأسه الى الارض حياء ثم ان قورد باشا
احضر له جارية بيضا من جواريه وقال له قد وهبتك هذه
بشرط التوبة عن نكاح الحمير فقال تبت الى الله ثم بعد ذلك
امر ان يعطى له ألف نصف وقال له هذه الدراهم تنفقها لقيام
الاود أنت وعيالك فاخذ الجارية والدراهم ونزل بهما وهو مسرور
محظوظ فانظر الى مكارم اخلاق هذا الرجل وقل من يفعل
مثل ذلك فى هذا الزمن وان قورد باشا تصرف فى باشوية مصر
الى سابع رجب سنة أربع وألف وكان مدة تصرفه عشرة اشهر
وعشرة ايام وفى سنة اربع والف توفى مولانا شيخ الاسلام
محمد الرملى الشافعى ومولانا شيخ الاسلام الشيخ على المقدسى
الحنفى فنظم بعض الفضلاء تاريخا لوفاتهما فقال

لما قضى الرملى شيخ الورى ... من كان يملى مذهب الشافعى
ثم تلاه المقدسى الذى ... حاز علوم الصحب والتابعى
فقلت فى موتهما ارخا ... مات أبو يوسف والرافعى

ومما يحكى عن ابى يوسف رحمه الله تعالى ان هارون الرشيد اوى ذات يوم الى فراشه وقت الظهر فلما رقد سرره وجد منيا طريا بفراشه فهاله ذلك وانخرف مزاجه انخرافا شديدا فدعى زبيدة فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقى على هذا الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا منى يا امير المؤمنين فقال لها اصدقينى عن سبب ذلك والا بطشت بك فى هذا الوقت قالت له يا امير المؤمنين والله لا اعلم لذلك سببا وانى بريئة مما تتوهمه ثم انه طلب ابا يوسف ونصب لزبيدة ستارة خلف السرير فلما حضر ابو يوسف ذكر له ان سبب دعواه هذا المنى الذى وجد بالفراش فنظر ابو يوسف الى المنى ثم رفع رأسه الى السقف فرأى فرجة بالسقف ثم قال يا امير المؤمنين ان للخفاش منيا كمنى الرجال وهذا منى خفاش وطلب رمحا فأخذه بيده ووضعه بالفرجة التى بالسقف فطار منها خفاش والمنى يقطر منه فوق الفراش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وظهرت برآءة زبيدة ثم انها لغلغت بلسانها فرحا ببرآءتها وأمرت لابى يوسف بجائزة وافرة وقالت له يا امام ايما احب اليك حلاوة الفيروزج ام حلاوة الفيلوذج فقال لها مذهبنا لا يحكم على غائب فاحضر له الحلوتان فاكل من هذه ومن هذه ولم يفرق بينهما فقالت له فما الفرق بينهما فقال لها كلما أردت ان اسجل على احدهما اقام الآخر الى حجته فضحك هارون الرشيد وأمر له بصلة وافرة فاخذ الصلتين وانصرف من عنده فرحا مسرورا والله أعلم

ثم تولى الشريف محمد باشا

فى ثالث عشر شوال سنة أربع بعد الالف وكان حاكما مهابا ذا بصيرة وسطوة وعند قدومه تكاثرت الشكاوى فى كوسى حسن الشاعرت واحمد المسلمانى بسبب خيانة حصلت فى الاموال

لديوانية والشون السلطانية ووضع وانضم عليهما فامر بشنقهما
فنظم الامير باكير الناظر تاريخا لشنقهما فقال

بالعدل دب الخلق اجرى حكمه في خائنين خالفا أهل التقى
وان ترد في الحال تاريخا يكن كوسا حسن وللمسلماني شنقا ٧٠٠٤

وكان نية الشريف محمد باشا ان يبطش ببعض أناس ولما اشيع
عنه ذلك حصل التيقظ فحامره الغرور وقد خاب ظنه كما قال
الطغرائي

والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وقال ابو اسحاق المغربي

مصاحبة المنى خطر وجهل وكم شرق تولد من زلال

وقال غيره

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال امية بن ابي الصلت

تجري الامور على حكم القضاء وفي طي الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرني ما بت أحذره وربما ساءني ما بت أرجوه

ثم ان الشريف محمد باشا عزم على التوجه الى الربيع فاشار
عليه جماعة من ذوي الاراء بترك التوجه للربيع فبذكلام
للامر المقدور وصمم على التوجه للربيع فتحرك عليه جماعة من
العسكر المنصور وتقرضوا له عند انصرافه من الربيع وهو
بباب الوزير بموكبه وعسكره وطائفة من السامانية وهم
معدون بالبنادق الجزايرية فلما عاين من معه كثرة العسكر
المنصور تفرقوا في الازقة وتركوا محمد باشا في نفر قليل من
أتباعه فدعاه العسكر الى المحاكمة على يد الشرع الشريف بمدرسة
السلطان حسن فابوهم الانقياد لما دعوه اليه فتوجه معهم
الى ان وصل الرميلة فركض حصانه نحو باب السلسلة ودخل
القلعة وقفل الباب بينه وبين العسكر المنصور واندفعت تلك
الثائرة وقتل بعض من كان بكثر التردد على محمد باشا واستمر

بالقلعة وهو مكفوف التصرف قاصر الكلمة الى ان صرف فى خامس عشر الحجة سنة ست بعد الالف فكان مدة تصرفه سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما وفى ولايته غيرت استا الاروقة بالجامع الازهر التى كانت من حصير قديمة وجعلها من خشب مدهون بالدهان الاخضر ورمم ايضا سقف الجامع الازهر ودهن بالدهان الاخضر ورتب عدسا بمطبخ الجامع الازهر للفقراء والمجاورين وهو مستمر الى الآن وكان له احسان الى الفقراء والمساكين وخرج من مصر فى موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته وكان يوم خروجه مشهودا ولما توجه الى الاعتاب الشريفة مكث مدة يسيره وعين لسفر قول باش فمسكه الشاه واستمر وهو محصور عنده الى ان مات ببلاد العجم رحمة الله تعالى عليه

ثم تولى خضر باشا

فى عشرى ذى الحجة سنة ست بعد الالف فتصرف الى خامس عشر شهر محرم الحرام سنة عشرة والف فكان مدة تصرفه ثلاث سنوات وخمسة ايام والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى على باشا

فى تاسع صفر الخير سنة عشرة والف وعند قدومه الى الاسكندرية تكاثرت عليه الشكاوى فى الكشاف واكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فقتله حالة مقابلته ويقال ان شيخى افندى لما انصرف عن ولاية قضاء المنوفية لقى على باشا على رودس فسأله عن الاحوال فقال له برويز كاشف المنوفية مستحق القتل وعدد له جرائم وقبايح وعند وصول على باشا الى كفر الخضر احصلت شكاوى فى محمد بن بخا حاكم النخراوية فقتله بكفر الخضر فاهابه الحكام والكشاف ودخل مصر فى هيبة وجلالة ولقبوه بالنمر ولما استقر بالقلعة ارسل قوسا وامر ان يعلق على بابه ذويلة بالرماه

ولصق به تذكرة ذكر انه مكتوب فيها ان كل من أوفى القوس المذكور يعطى ما هو مقيد بالتذكرة فلم يجسر أحد ان يمسك القوس تأدبا واستمر وهو معلق ثم رفع وكان قصد على باشا اظهار تتاج واستقامت بعض أمور فساعدته القدرة على ذلك ما كلما يتمنى المرء يدركه ومما أحسن قول ابن أسيد المحاربي

شفى المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له نظر

ثم ان على باشا قصد زيارة الشريف العلوى سيدى أحمد البدوى عمت بركاته ونزل فى المراكب الى طنتا وزار سيدى احمد البدوى وأحسن لفقراء المقام الاحمدى وقصد العود فعرض له طائفة من العسكر المنصور مشاة وركبانا وهم معدون بآلات السلاح وطلبوا منه أشياء كان توقف معهم فى اعطائها فاجابهم الى ما طلبوه واعطاهم ما سألوه وطلع الى مصر وهو مغموم مقهور فاعقبه ذلك مرضا شديدا فأرسل الى الاعتاب الخاقانية يستعفى فأذن له فى سادس ربيع الآخرة سنة اثنى عشرة وألف وفى زمنه فشى الدخان المضر بالابدان اليابس الطباع الذى لا شئ فيه من الانتفاع المبطل لحركة الجماع بل ذكر اكثر من اكثر منه ان عاقبته وخيمة ومداومة شربه ذميمه يورث النتن فى الفم والمعده ويظلم البصر ويطلع بالياس على الافئدة ومن زعم ان شربه محرق للبلغم فقد اخطا فيما زعم بل غم وقوله فى ذلك غير صحيح وانما هو من تحسين القبيح والعلامة اللقانى ذمه وقبحه والف فيه نبذة توجب على من اقبل عليه نبذه ولو لم يكن من دناآته الا ولع السودان والاجلاف لكان ذلك ما يكف عنه اكف الاشراف فكيف باصل لا نفع فيه ولا أثر بل شوهد منه القبح والضرر ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام عند قوله تعالى أو يأتى بعض آيات ربك يعنى عن اشراط الساعة عن حذيفة بن أسيد والبراء بن عازب رضى الله عنهما قالا اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة

فقال انها لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان وداية الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم ونارا تخرج من قعر عدن ذكر الكواشي في تفسيره عند قوله تعالى واذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اى وقع القول على الكفار وقيل على جميع الناس والمراد بالقول العذاب قال ويروى ان الدابة لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ولون نمر وصدر أسد وخاصرة هر وقرن ايل وذنب كبش وقوائم بعير بين كل مفصل اثنى عشر ذراعا وقيل ان لها وجها كوجه رجل وسائرها طير وقيل لها زغب وريش وجناحان وأسها يمس السحاب ورجلاها في الارض وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالناس بالبيت فتضطرب به الارض وتنشق الصفا مما يلي السعي فتخرج الدابة ملمعة اول ما يخرج رأسها ذات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفر منها هارب معها عصا موسى وخاتم سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لو أشاء ان أصف قدمي مكانهما اليوم لفعلت وجاء انها تختم انف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل البيت يجتمعون فيقولون لهذا مؤمن ولهذا كافر وعنه صلى الله عليه وسلم انها تسم الكافر بين عينيه كافر والمؤمن بين عينيه مؤمن ذكر الكواشي ايضا في تفسيره عند قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض أنهم ثلاثة أصناف صنف كامثال الارزة وهو شجر بالشام طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا قال وهذا الصنف لا يثبت له الجبال ولا الحديد وصنف يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بشجر ولا جبل ولا حديد الا

أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون
أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء وبنو آدم كلهم جزء واحد وعن
حذيفة بن اليمان مرفوعا ان ياجوج وماجوج امتان وكل أمة اربع
مائة أمة لا يشبه بعضها بعضا لا يموت الرجل حتى ينظر الرجل الى
ألف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم من ولد ياغوث بن يافث
ابن نوح يشيرون الى خراب الدنيا وخروجهم بعد عيسى عليه الصلاة
والسلام وقتله الدجال وجاء ان الترك بريئة منهم خرجت الفساد
فسد ذو القرنين دونهم فجميع الترك منهم وكل قبائلهم
اثنا وعشرون قبيلة وترك واحدة فلذلك سموا تركا وفسادهم
في الارض انهم يفعلون فعل قوم لوط ومستايؤيد ماذكرنا من
امر الدخان قال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثة وعليكم بأربع
ولا حاجة لكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدم
والطيب والحلوى والحمام ولا تاكلوا فوق شبعكم قال الحكيم الزنير
موسى بن عبد الله الاسرائيلي القرطبي لو دبر الانسان نفسه
كما يدبر بهيمته التي يركبها لكان يسلم من امراض كثيرة وذلك انه
لا يأتي العلف بهيمته جزافا من غير تقدير بل يتفقد حالها لكي لا
تعطب والعجب كل العجب ان الانسان لا يفعل ذلك لنفسه ولا
يتفكر في رياضة الجسم التي هي الركن الاكبر ودوام الصحة ودفع
اكثر المفاسد والامراض ولا ينام من برز كمة على قفاه ذكر الفخر
الرازي في كتابه برء ساعة ان أصعب العلل الزكام قال الحكيم الزكام
هو سيلان الرطوبة من بطن الدماغ المتقدم الى المنخرين فان كان معه
صداع والتهاب في الرأس وحمرة الوجه فعلاجه الفصد في القيفال
ويسقى شراب البنفسج بدهن اللوز وان لم يكن معه دلائل
الحر ولا يتحرك معه بلغم غليظ نضج أصفرا وابيض فيترك حتى
ينقطع من ذاته وان كان أبيض رقيقا فيكمد الراس بالمناديل المسخنة
ويستنشق بالرياحين الحارة وذكر بعض الحكماء ان شم المبيعة

او التبخر بها ينفع من الزكام والنزلة وشم اللادن ينفع من الزكام
وكذلك شم التفاح اذا اكل ثمره ينفع الصداع وينوم ولا ياكل من
به غم حموضة اعلم ان آفة القلب الهم والغم وهو ظهور الحرارة الغريزية
الى ظاهر البدن عند الاهتمام بالامور قال الامام علي كرم الله وجهه
أقوى خلق ربي ابن آدم واقوى منه السكر الذي يزيل العقل وأقوى
من السكر النوم واقوى من النوم الهم والغم ذكر العارف بالله
تعالى في كتابه المسمى بالانسان الكامل فقال اعلم انه يكون وجه القلب
دائما الى نور في الفؤاد يسمى الهم هو محل نظر القلب ووجهه لوجهه اليه
فاذا حاذاه الاسم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب فانطبع بحكمه
ثم يزول فيعقبه اسم آخر اما من جنسه او من جنس غيره فيجري معه
ما جرى له مع الاول وهكذا مع الدوام واما ما كان من قفا القلب
فلا ينطبع له ثم اعلم ان القلب كله قفا ينفض عليه بل كله وجه لكن
موضع الهم منه يسمى وجها وموضع الفراغ منه يسمى قفا وهذه
المداين فيها كيفية ماذكر قال بعض الحكماء ان استعمال اللازورد يصفي
دم القلب وينفع من الوحشة والغم والهم والامراض السوداوية
ومن خاصية لسان الثور التفريح وازالة الهم والغم روى ان
عائشة رضي الله عنها لما حصل لها من الافك أصابها هم وغم لا يوصف
فكانت تدعو وتقول في دعائها يا سابغ النعم ويا دافع النقم
ويا فارج الهم ويا كاشف الغم وأعدل من حكم وحسيب من ظلم وولى
من ظلم ويا اول بلا بداية وآخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كناية
اجعل لي من امري هذا فرجا ومخرجا فانزل الله تعالى براءتها وفرج
همها وغمها وذكر البوني في اللمعة النورانية وأما اسمه الفعال
فهو اسم المطلوبين بالخواطر الوساوس واغتمام القلب فمن
ذكره واكثر من ذكره ذهب ذلك عنه وهو من الاسرار البديعة فانه
من داوم على ذكره فرج الله عنه ما نزل به وفرح بعد حزنه وسر بعد كده
وقد حصل لي غم وهم ووسواس وتزايد ذلك علي الى ان كدت ان
انتقل من حالة الى حالة وقبل نومي فاستعملت له أدوية كثيرة وأوراد

شتى فلم يذهب عنى وكلما تقادم تجدد ولازمنى هذا الحال نحو سنة
فلما استعملت هذا الاسم الشريف وهو نقال فخف عنى هذا الوارد
بركة هذا الاسم الشريف قال الحكيم ولا تسرعوا اذا فصدتم
فانه مخاطرة الموت ولا تتقايا من تؤلمه عيناه ولا تاكلوا فى الصيف
لحما كثيرا لان الهضوم فى الصيف ضعيف محلل الحار الغريزى وكلما
زاد الهواء زاد فى المقدار فان الهضوم فى الشتاء كثير بوفر الحار الغريزى
فى الاجواف لانسداد المسام وافضل اللحوم لحول الضان المحول
المسمن وافضل لحمه مقدمه وكلما فى البطن رديء واللحوم كلها
رديئة تشبع وتخم وماكان لاصقا بالعظم وتسقط شهوة
الطعام وتولد اخلاطا بلغمية وكذلك رأس كل حيوان والخرفان
الرضيعة كثيرة الفضلات لاخير فيها واما الجداء الرضيعة
فجيدة الغذا سريعة الانهضام ومن حكمة لقمان ان سيده
اعطاه شاة وامره ان يذبحها ويأتى باطيب ما فيها فذبحها
وأتاه بقلبها ولسانها ثم اعطاه فى يوم شاة اخرى وامره بذبحها
وان يأتيه باخبث ما فيها فاتاه بقلبها ولسانها فسأله عن ذلك
فقال هما اطيب ما فيها ان طابا وأخبث ما فيها ان خبثا وهذا
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب
الا وهى القلب وذكر الدماميني فى عين الحياة انه يجلب من الهند
نوع من الضان فى صدره الية وعلى كتفه اليتان وعلى ذنبه اليه
وربما كبر اليته حتى تمنعه من المشى وفى الامثال كل شاة برجلها
معلقة اول من قال هذا المثل وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد وكان
ولى البيت بعد جرهم فبنى صرحا باسفل مكة وجعل فى الصرح
سلما وكان يرقاه ويزعم انه يناجى ربه تعالى وكان يفعل الخير
وكان علما العرب يقولون انه من الصديقين لما حضرته الوفاة
جمع اياد فقال لهم اسمعوا وصيتى من رشد فاتبعوه ومن غوى
فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة فارسلها مثلا اى كل احد

مجرى بعمله ولا تزدوازرة وزر اخرى ولحوم الطير على العموم اخف من لحوم المواشي واسرع انهضاما فائدة لحم الدجاج معتدل يربي الدماغ ويزيد في المني لحم الديك حار يابس يضر بالمعدة مرقه ينفع القولنج ومن اسمائه الديك الصارخ روى البخاري ومسلم وابو داود والنسائي عن مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يحب الدائم من العمل قال قلت اي حين كان يصلي قالت كان اذا سمع الصارخ قام يصلي قال النووي الصارخ هنا الديك باتفاق العلماء وسمي بذلك لكثرة صياحه في الليل قال في الاحياء وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه وقد الف العلامة الجلال السيوطي رحمه الله كتابا وسماه الوديك في فضائل الديك لحم الحمام حار رطب يضر بالامراض الحارة ولحم العصفور حار يابس يقوي الظهر ويزيد المخ ولحم الكركي بارد يابس يطي الهضم ولحم الماعز بارد يابس سريع الهضم ولحم البقر يابس وقيل بارد يصلح للمعدة القوية ويولد السوداء ولحم الغزال حار يابس ينفع للقولنج والفالج واللقوة والارولحم الباردة فائدة لسان الغزال اذا جفف في الظل واطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها واذا احرق بعر الغزال وجلده وسحقا وجعلا في طعام صبي نشأ كيسا فصيحا حافظا ذلقا ولحم ابن عرس ينفع من الصرع لحم الجمل حار يابس يولد القولنج والماخوليا لحم الفرس حار يابس كثرة اكله تولد البواسير ولا ينام صاحب الحمى الباردة في الشمس فائدة قال بعض الحكماء النوم له اربع حالات الحالة الاولى النوم على الشق الايمن الحالة الثانية النوم على الشق الايسر الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فالحالة الاولى وهي الاضطجاع على الشق الايمن وهو السنة ولكن غير محمود طبا وهو ان القلب يتعلق بالجانب الايسر فاذا نام على الجانب الايسر استقبل نومه لان يكون في ذعر واستراح واذا نام على الشق الايمن تعلق القلب ويسترق في النوم وطلب

ومیله الیه الحالة الثانیة النوم علی الجانب الایسر فانه أهنی لانه مستقر
القلب بسبب میل الاعضاء فتصیب المراد من الراحة من هضم الطعام
وخلافه الحالة الثالثة الاضطجاع علی الظهر فانه محمود اذا کان
من غیر نوم لان البدن یستریح بذلك ویحصل للظهر راحة بسبب
تلك الحالة الرابعة الاضطجاع علی الوجه فانه مذموم لانه نوم اهل
جهنم ومن نام علی وجهه نکحه الشیطان وقد ورد فی سنن ابن ماجة
أنه صلی الله علیه وسلم مر علی رجل فی المسجد منبطح علی وجهه فضربه
برجله وقال له قم اوا قعد فانها نومة جهنمیة والی هذا المعنی
أشار سیدی علی بن سیدی محمد وفا بن سیدی محمد وفا فی قوله
عینی تنام لکن قلبی والله لا ینام وکیف ینام عاشق ناظر الی وجه
المحبوب مسبی فی الحب مستهام شاخص علی الدوام ومن شرب
کل یوم فی الشتاء قدحا من ماء حارا أمن من الاعتلال ومن ذلك
جسمه فی الحمام بقشر الرمان أمن من الجرب والحکة بانواعها
روی عن امامنا الشافعی رضی الله تعالی عنه انه قال اربعة تقوی
البدن اکل اللحم وشم الطیب وکثرة الغسل من غیر جماع ولبس
الکتان وأربعة توهن البدن کثرة شرب الماء علی الریق وکثرة
الجماع وکثرة الهم وکثرة اکل الحموضة واربعة تقوی البصر
الجلوس قبال القبلة والکحل عند النوم والنظر الی الخضرة
وتنظیف المجلس واربعة توهن البصر النظر الی المقتول والمنظر
الی المصلوب والنظر الی فرج المرأة والقعود مستدبر القبلة
وأربعة تزید فی الجماع اکل العصافیر واکل الاطریفل واکل
الفستق واکل الجرجیر واربعة تزید فی العقل ترك الفضول
فی الکلام والسؤال ومجالسة العلماء ومجالسة الصالحین
وعن عبد الله بن المبارك رضی الله عنه قال مررت فی سیاحتی بالشام
بطبیب یصف لکل ما یسأل عنه فقلت یا طبیب اعندك دواء
للذنوب قال نعم قلما تفرق الناس قال لی یا هذا علیك بورق الفقر
وعروق الصبر واهلیلج الصفا وبلیلج الرضا وغاریقون الکتمان

وسقمونيا الاخران فامرسه بماء الاجفان ودعه فى طاجن القلق وقد تحته نار الفرق وصفه بمنخل الارق واشربه على الحرق فانه شفاؤك وانشد يقول

يا طبيبا بذكره يتداوى ... وصفوه بكل داء غريب
ليس حزنى عليك شئ عجيب ... انما الصبر عنك شئ عجيب

رجعنا لما نحن بصدده فوفى زمن على باشا المذكور حصل فناء بالطعن والطاعون عم الامصار والقرى ومكث مدة ورفعه الله وكانت مدة تصرف على باشا بمصر المحروسة سنتين وستة أشهر وعشرين يوما ولما وصل على باشا الى الاعتاب الخاقانية قلد الوزارة العظمى وفرح الناس بولايته فوجه لسفر المجر فنقض عليه المرض السابق فمات ولعله بلغ مرتبة الشهادة

ثم تولى بيرى بك أمير الحاج الشريف

باقامة على باشا فانه أحضر له اجازة من الاعتاب الشريفة بالتصرف فى باشوية مصر فتصرف من عاشر ربيع الاول سنة اثنتى عشرة وألف وتوفى باجله يوم الثلاثا سادس عشر شعبان فكانت المدة أربعة شهور ودفن بالقرافة رحمة الله عليه

ثم اقيم بعده عثمان بك مير اللوا

بمصر المحروسة فى سابع عشر شعبان المذكور باتفاق من الامراء واكابر الدولة الى ان يرد من الاعتاب الشريفة من يتصرف وكان الامير عثمان مشهور بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبة لا يخشى فى الله لومة لائم وله خط مليح فاق به العرب والعجم وحاز فضيلة السيف والقلم فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوماً وكانت مدته حسنة والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى ابراهيم باشا المقتول

في يوم السبت ثاني عشري المحرم سنة اثنتي عشرة وألف وكان مستقلا برأيه لا ينقاد الى نصيح ولا يهتدي لقول مشير سواء كان بالكناية او بالتصريح وكان يريد اظهار شئ يستحسنه وهو في نفس الامر قبيح كما قيل

كان لا يدري مداراة الورى ... ومداراة الورى من همم

من كلام الحكماء من علامات العاقل بره باخوانه وخشنته لاوطانه ومداراته لاهل زمانه وقال ابو قتادة البحتري

اذا المرء لم يرض ما امكنه ... ولم يأت من امره ازينه

واعجب بالعجب فاقاده ... وتاه به التيه فاستحسنه

فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوما ويبكي سنه

ومن كلام الحكمة فلم يغن ذلك التدبير عما رقم قلم التقدير في لوح المقادير والله على كل شئ قدير فاخذ يتتبع عثرات العسكر المنصور ويتجسس عن اخبارهم وعن اجتماعهم بالاماكن خصوصا مجالس الانس فاشار عليه اهل العقول بترك هذا الوارد وهذا مشرع لا يعقبه الا التعب وربما يتولد من ذلك مفاسد ومضرات فلم يهتد لما القي اليه وركب فرس الغرور لانفاذ امر الله المقدور والمثل المشهور من احسن السياسة دامت له الرياسة واستمر على ما هو عليه حتى بلغه ان جماعة من العسكر المنصور بالغيط الذي بقناطر السباع فبادر فورا بنفسه وغير لباسه ومعه ثلاثة انفار وهجم عليهم وهم بالغيط المذكور فلما تحققوه فروا هاربين مع انه كان في قدرتهم البطش به ومن معه خصوصا من دب الشراب في رأسه ولحقته حمية الجاهلية ولولا لطف الله لهلك هو ومن معه في تلك الساعة

ومن كلام الحكمة من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصادع بغير قوة فقد اعظم الخطر واكثر الضرر ومن كلام الحكمة ايضا من الحكمة تكون الشجرة العظيمة ومن الجمرة تكون النار العظيمة ثم ان ابراهيم باشا بعد ذلك عزم على التوجه لقطع

جسر ابى المنجا والقدر يقول له لست اليوم المنجا قال صلى الله عليه
وسلم اذا اراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول
عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره ومن كلام القاضى الفاضل
رحمه الله والمقدور كائن والهم فاضل والمعنى من سخط على الاقدار
ويقلب الله الليل والنهار اذا دار الفلك فعليك او فلك لا حذر
من قدر ولا ملام على الايام مفرد

اذا عقد القضاء عليك امرا فليس يحله الا القضاء

ذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الكريم الجيلى رحمه الله فى كتابه
المسمى بالانسان الكامل ان القضاء المحكم هو الذى لا تغيير فيه
ولا تبديل والقضاء المبرم هو الذى يمكن فيه التغيير ولهذا
استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من القضاء المبرم لانه يعلم انه
يمكن انه يحصل فيه التغيير والتبديل قال الله تعالى يمحو الله ما
يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب بخلاف القضاء المحكم فانه المشار
اليه بقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم ان البعض من اكابر
الدولة عرف ابراهيم باشا انه ما سبق لاحد من الباشوات
بالتوجه لقطع الجسر المذكور وانما المعتاد ان زعيم مصر يباشر ذلك
بل واذا كان مشغولا يرسل احدا من أتباعه يقطعه فلم يلتفت الى ذلك
الكلام ثم طلع له بعض المنجمين يوم الجمعة قبل صلاتها وذكر له
ان فى اليوم الذى يلى يوم الجمعة المذكور قران النحسين ولا بد
فيه من اهراق دم والحركة فيه مذمومة منحوسة فلم يكترث
بكلامه وكان من جوابه ما قدره الله سيكون كما قيل

خليلى لا تستعجلا وانظرا غدا على ان يكون المكث فى الامر أرشد

وما احسن قول محمد الخفاجى

وكم طالبا امرا وفيه حمامه وسائرة تسعى الى ما يضرها

مفرد

اذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته اليها حاجة فيطيره

سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الهدهد كيف يبصر الماء من

فائدة الفرق بين القضا والقدر هو ان القضا وجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ اجمالا والقدر تفصيل قضائه السابق بايجادها فى الموجودات اى المواد الخارجة واحدا بعد واحد اه

تحت الارض ولا يرى الفخ اذا غطى عليه بقدر اصبع من تراب فقال
اذا نزل القضاء عمى البصر و يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد
در عليه من تراب حفرته ويروى عن ابن مسعود ان الملك الموكل
بالرحم ياخذ النطفة من الرحم ويضعها في كفه ثم يقول يارب مخلقة
ام غير مخلقة فان قال له مخلقة قال يارب ما الرزق ما الاجل
ما الاثر فيقول الله انظر في ام الكتاب فينظر في اللوح المحفوظ
فيجد فيه رزقه وأجله وأثره وعمله ثم ياخذ التراب الذي يدفن
في بقعته ويعجن به نطفته وفي رواية فيقال للنطفة من ربك
فتقول الله ثم يقال لها من رازقك فتقول الله فتخلق فتعيش
في أجلها وتاكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها ماتت فدفنت
في المكان الذي أخذ منه التراب وعجن به ماؤها وذلك قوله
تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى
ويروى عن ابي هريرة انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطوف ليلة في بعض نواحي المدينة واذا بقبر يحفر فاقبل حتى
وقف عليه فقال لمن هذا فقيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا
الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الارض التي خلق منها
وفي المثل انشدوا لابن عمران الزاهد رحمة الله عليه في هذا
المعنى فاجابهم عن ذلك بقوله

اذا أراد الله أمرا بامرئ	وكان ذا عقل ورأي وبصر
وحيلة يفعلها في دفع ما	ياتي به محترم اسباب القدر
غطى عليه عقله وسمعه	وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه	رد عليه عقله ليعتبر

ثم ان ابراهيم باشا ركب من وقته فورا واسرع والمنية تسوقه
حتى أدرك صلاة الجمعة ببولاق ولما قضيت الصلاة هيئت
له سفينة عظيمة وزينت له بالستاير والبيارق والفرش
وغير ذلك مما يليق لمثله ونزل وهو محظوظ وما تدري نفس

ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت وتوجه وصحبته
الامير محمد بن خسرو اميرا للوا بمصر المحروسة بموكب عظيمة وكذا
البعض من اكابر خدمة الديوان وسارت المراكب احسن سير
الى ان وصلت الى محل القطع وقطع الجسر المذكور فى يوم السبت
مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف وكان ابراهيم
باشا قد هيأ طعاما بالغيط الذى أنشاه محمود باشا تجاه قناطر
أبى المنجا فدخل الغيط وصحبته الامير محمد بن خسرو المرقوم ومصطفى
افندى عزمى زاده قاضى مصر المحروسة اذ ذاك وحصل لهم الصفا
والمباسطة قبل الطعام وعند صفو الليالى يحدث الكدر الى ان
قدر الله ما قدره فى الازل ودنا منه وقت حلول الاجل ولكل
شئ حد محدود وامر من المقدور ممدود فلما قدم الطعام وشرعوا
فى الاكل هجم عليهم طائفة من العسكر المنصور وهم معدون
بالآت السلاح وأحاطوا بالغيط احاطة الخاتم بالاصبع وطلبوا
من ابراهيم باشا فى تلك الساعة شيئا كان يمكن الاجابة لتخميد
هذه الثائرة فامتنع وأغلظ عليهم فلاطفهم الامير محمد بن خسرو
واراد دفعهم بلطف فلم يهتدوا وقدموا واقدموا وفتكوا
أولا بالامير محمد بن خسرو ثم من بعده بابراهيم باشا وقطعوا
رؤسهما وامتلأت جفان الطعام دما وانقلب النهار ليلا
ورفعوا رؤسهما على جريدتين من محل القطع الى باب زويلة
وكان يوما عبوسا قمطريرا وقد نظم فيه مصر المحروسة وقد نظم
بعضهم تاريخا لقتله فقال

ان ابراهيم باشا قد سعى فى الخير سعيا
قتله قد أرخوه وأرى التاريخ بغيا

١٠١٣

وكان مدة تصرفه اربعة اشهر وثمانية أيام والله تعالى أعلم
وفى سنة ثلاثة عشر وألف كانت وفاة مولانا شيخ الاسلام
الشيخ صالح الملقنى الشافعى وقد نظم بعضهم تاريخ وفاته

فقال

شيخنا صالح اذيق المنايا ومن الهم والغموم استراحا
قلب مع غاية المصايب أرخ صالح المومنين بات وراحا
١٠١٤

ثم اقيم بعده مصطفى افندى

عزمى زاده فى ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة والف فتصرف الى سادس رجب فكانت مدة تصرفه بمصر شهرين وثلاثة عشر يوما والله أعلم

ثم تولى جرجى محمد باشا الخادم

فى سابع رجب المذكور سنة ثلاث عشرة والف ورمته الرياح عند قدومه الى دمياط ولم يتقدم لاحد من الباشوات انه قدم من دمياط ولما استقر بمصر أخذ فى طلب من كان سببا لاثارة فتنة ابراهيم باشا فانه اخبر بما تقدم مفصلا ومجملا فلما تحققوا الطلب تشتتوا فى البلاد فجد فى طلبهم من الاكناف والاطراف فمنهم من جئ به حيا فقتل ومنهم من تلقته العربان فقتل اشر قتلة ولم تطل مدة محمد باشا فانه ورد عليه العزل فى يوم الاحد ثانى عشر شهر ربيع الاول سنة اربع عشرة والف فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وانتقلت به الاحوال الى ان ولى الوزارة العظمى فى مدة السلطان مصطفى فتصرف مدة يسيرة وصرف عنها ومنع من الاقامة بالقسطنطينية ثم رجع وأقام بها وهو مكفوف البصر

ثم تولى حسن باشا الوزير

بعد صرفه من اليمن فانه لما قدم من اليمن صحبة الحاج الشريف الى مصر المحروسة نزل ببيت المرحوم داود اغا الكائن بجامع قوصون

فتردد عليه الناس من جليل وحقير وأمير وفقير وهم يشاهدون
منه الملاطفة والمصاحبة الحسنة والسكون والاخلاق المرضية
فانطبق الاجماع على محبته وحسن اخلاقه وهم يطلبون
من الله ان يلي باشوية مصر وان يصلح الله الاحوال على يديه
والله الفعال لما يريد ومدة اقامة حسن باشا وهو يتجسس
عن أخبار مصر من كليات وجزئيات وربما تفوه لبعض المتردد
عليه انه اذا اسند الامر اليه ربما يكون الصلاح على يده
فوردت الاخبار الخاقانية الى مصر يوم الاثنين المبارك ثالث
ربيع الاول سنة اربع عشرة وألف بولاية حسن باشا بباشوية
مصر وقد نظم الشيخ حسن الشامي تاريخا لولايته فقال

قد جاء وزير العدل لنا من ساد بمكة بعد يمن
ولسان الحال مؤرخة كملت مصر بجمال حسن

وان حسن باشا لما اسند اليه الامر وتصرف في مصر لم يحصل
منه نفع للعباد ولا دفع ضرر عن البلاد ولم يمنع ولم يدفع
وتلاشت أحواله وقصرت كلمته وعمت البلوى وانقفلت
باب الشكوى والامر يومئذ لله ثم صرف حسن باشا عن
باشوية مصر في يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف
فكانت مدته سنة واحدة وستة وعشرين يوما ولما توجه
الى الاعتاب الشريفة بما جمعه من ولاية اليمن من تحف واحجار
وأموال وأثاث وغير ذلك فانه تصرف في ولاية اليمن نحو خمس
وعشرين سنة ثم مكث بالقسطنطينية مدة يسيرة ومات
هو وولده وعياله ولم يعقب وارثا سوى بيت المال وترك ما
خوله خلف ظهره وقدم على رب رحيم كريم غفور حليم يغفر
الذنب العظيم

ثم تولى محمد باشا

في يوم الخميس خامس شهر صفر الخير سنة ست عشرة والف وفيها

توفى مولانا شيخ الاسلام الشيخ سالم السنهورى المحدث فنظم
بعضهم تاريخا لوفاته فقال

مات شيخ الحديث بل علم سالم ذى الكمال افضل عصر
قلت من غير غاية البكا أرخوه قد مات عالم مصر

وعند قدومه تراكمت عليه القصص والشكاوى باسكندرية
ورشيد وفى طرقاته الى ان وصل الى مصر المحروسة وهو ساكن
الجنان ثلبت الاركان لا يرد جوابا لاحد واشتد الحال على الرعايا
من كثرة الطلب واوقعت الناس فى المهالك والعطب الى غاية جمادى
الاولى من السنة المذكورة فعند ذلك طلب محمد باشا سلحمان
ابن درغث كاشف المنوفية وبرويز مجر كاشف الغربية وكوسى على
كاشف البحيرة وعزلهم من ديوان الاجيا واراح الله منهم البلاد
والعباد وولى مكانهم كشافا وأخذ عليهم العهود ان لا يتعدوا
الحدود من جملة الكشاف الحلوجى عين لكشف الغربية فتوجه
بولاق لقضاء مصالحه فقدم عليه جماعة من العسكر المنصور
وتكالموا معه فى امر من الامور فلم يوافقهم واغلظ عليهم فدب
فى رؤس بعضهم حمية الجاهلية ففزعوا عليه بالسلاح وهو
بمركب فى البحر فالقى الله الرعب فى قلبه فرمى بنفسه فى البحر فاقلع
أثوابه فغرق ومات ان شاء الله تعالى شهيدا وكان ذلك سببا
لازالة الطلب ثم ان محمد باشا جمع الامراء واكابر العسكر
المنصور بالميدان ونصبوا البيارق السلطانية واجهروا
النداء بانه كل من كان مطيعا لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية
فاجتمع عالم كثير من الامراء واكابر العسكر المنصور وهم
طائعون ممتثلون داخلون فى طاعة السلطنة العثمانية
ومكثوا بالميدان ثلاثة ايام وبعد ذلك حصل الاتفاق بالخروج
من حق من فعل تلك الفتنة فقتل منهم طائفة جهارا وخفية
وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعة تاريخا فقال

ان البغاة المارقين قد رمى ... رب العباد كيدهم فى نحرهم
براس ابراهيم باشا سابقا ... طافوا جهارا مع مزيد مكرهم
والحلوجى جرعوم كأسهم ... واغرقوم فى بحار شرهم
على الفساد قد بنوا أمورهم ... فقوتلوا تاريخهم بظلمهم

ثم خمدت تلك الثائرة باذن الله تعالى ثم ان جماعة ١٠٦٣
من الاشقياء أيقظوا الفتنة وأثاروها فى أوائل القعدة
سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الاقاليم وصاروا
حزبا واحدا ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتحالفوا واظهروا
المحاربة والجدال فبلغت هذه الجمعية محمد باشا فارسل لهم
جماعة من اختيارات العسكر المنصور المتصفين بالعقل
والتدبير فوعظوهم وعرفوهم عواقب الامور وقالوا لهم ان
الذى يخالف ولى نعمته لا يفلح أبدا فلم ينتهوا ولم يتعظوا لامر
أراده الله تعالى ثم ان محمد باشا أرسل الى الاجناد ومشايخ
العربان من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا وجيشا عرمرما
بسلاح ونار ومدافع كبار وعين الامير مصطفى بيك سردار
العسكر المنصور وبرزوا لمحاربة الخوارج وساروا بعون الله
والنصر امامهم الى ان وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان فما
وجدت الخوارج للحرب طاقة وضاقت عليهم الارض بما رحبت
فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبض على شرارهم ومقد
ووضع الحديد فى أعناقهم والذى هرب منهم تلقته العربان
وقتل اشر قتلة ومزقهم الله كل ممزق وما نجا منهم الا القليل
ودخل مصطفى بيك السردار الى مصر المحروسة بمن معه من
الخوارج المقبوض عليهم وهم مشاة حفاة منكسة رؤسهم
موضوعون فى الحديد ورؤس القتلى المقتولين منهم حالة الاختلاط
مرفوعة على رماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون
اليهم ومروا بالقصبة الى ان وصلوا الى القلعة المنصورة وكان
يوما مشهودا ومحفلا معهودا وقد نظم بعض الفضلاء

ميهم

لهذه

لهذه الواقعات أبياتا فقال

يوم نصر الوزير قد كان عيدا | عيد فطر لفطر قلب الحسود
واذا قلت عيد اضحى فصدق | فضحايا ه ضاريات الاسود
الحدوا في الانام نهبا وقتلا | فازيلوا واسكنوا في اللحود

ثم ان محمد باشا قتل منهم جماعة حالة طلوعهم جهارا وقتل منهم جماعة ليلا وألقوا في البحر ومن بقي نفى الى اليمن

وقد نظم تاريخ لهذه الواقعة فقيل

انظر انظر الى البغاة ومنهم | لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طورا وجاءوا بافك | طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج | واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل | لم يروا منه للفرار محالا
وعلاهم الذل فأرخت | زالوا وكفى الله المؤمنين القتالا

وقد نظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشري تاريخا فقال

بشرى لمولانا الوزير محمد | فهو الذي بذوي المفاسد يفتك
وعلى البغاة له انتصار دائم | تاريخه جمع الخوارج أهلكوا

واستمر محمد باشا محفوظا ملحوظا منصورا فانفذ الكلمة لا يرد له أمر ولا يعارض في قضية الى ان اختار التوجه الى الاعتاب الشريفة فخرج من مصر يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة عشرين والف في جلالة وموكب عظيم ما تخلف عنه احد من العسكر المنصور فكانت مدة تصرفه اربع سنوات واربعة أشهر واثني عشر يوما وعمر في زمنه وكالة برشيد وبجوار الوكالة جملة حوانيت وقهوة وسوق صاغة وغير ذلك وأخذ غالب الجزر المقابلة لرشيد واطيانا بالمنوفية والجزيرية وعمل سحابة بطريق الحاج الشريف وتوجه الى الاعتاب الشريفة فقوبل بمزيد الاجلال والاكرام وولي الوزارة العظمى وفرح الناس بذلك وكان القياس ان يفعل أفعالا تزيد على ما فعل بمصر فوجه لسفر العجم فما ساعدته الارادة الازلية على نتاج فعل يكون

فيه اصلاح وصار كلما دبر امرا انعكس الى الفساد وخرج من سفريته غير محمود وما زال الدهر يقهقره الى ان أعطوه باشوية حلب فمات بها وهو مغموم مقهور وبعد ذلك حلت أوقافه وبددت وتصرف فيها الغير وهكذا احوال الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى حسن جي باشا

بامر أحضره له محمد باشا قبل سفره وأعطاه له بمدينة بلبيس في يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين والف فتصرف الى يوم الخميس عشرين شعبان من السنة المذكورة فكانت مدة تصرفه شهرا واحدا وسبعة عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الخاقانية فكث مدة يسيرة وتوجه باشوية اليمن ولما تمكن منها احتكر البهار والبن والبضايع وكان التجار لا ياخذون الا ما فضل منه وحصل من هذا القبيل ومن غيره أموال لا تحصى غير ما ظفر به من نفائس الاحجار والتحف والاقمشة ولما صرف من ولاية اليمن قدم مكة المشرفة بجميع ما معه وما حوله فورد عليه أمر خاقاني باصلاح العين التي بمكة فادركه الاجل المحتوم فمات بها وكان يؤمل اذا توجه الى الاعتاب اولا يصل الى مصر يأتيه باشوية مصر ويأبى الله الا ما أراد فكانت وفاته بمكة المشرفة سنة احدى وثلاثين والف وذهب غالب ماله ولم يظفر ولده الا بما قل وأقيمت فتنة بين الاشراف حكام مكة بسبب متروكات حاجي باشا وهي باقية الى الآن ونسأل الله حسن الخاتمة

ثم تولى محمد باشا

ثاني عشري شعبان سنة عشرين والف وفي شهر ربيع الآخرة سنة اثنين وعشرين والف ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الرومية نحو الاربعة آلاف نفر خارج عن الاتباع بقصد الاقامة بمصر فلما وصلوا الى مصر واستقروا بها ورد حكم خاقاني بان محمد باشا

يجهز العسكر الذى ورد عليه الى اليمن فشق عليهم ذلك وعلموا انها
حيلة عليهم فى خروجهم من البلاد الرومية فانهم أحدثوا فتنة
بالقسطنطينية ولولا لطف الله لحصل ما حصل فدبر لهم محمد
باشا الوزير هذا التدبير وطمعهم بالاقامة فى مصر ولما
حضروا اعقبهم الامر بالسفر الى اليمن فلما تحققوا انها مكيدة
أظهروا التمرد والعناد وعدم الانقياد فاعجلهم محمد باشا
بالخروج بعد ان صرف لهم جوامك السفر وقدره أحد وثلاثون
كيسا وعين لهم سردار يوصلهم الى السويس وهو قيدق بك
فبرز أوتاقه يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخرة من السنة المذكورة
فلما مر الاوتاق بباب النصر على طائفة العسكر المذكورين ارموا
الخيام من ظهور الجمال ومنعوهم من الخروج فوصل الخبر الى محمد
باشا فجمع من وجد بمصر اذ ذاك من العسكر المنصور وامر قيدق
بك بالطلوع الى الريدانية بالعساكر المنصورة واجهار النداء
ان جميع العسكر الذى ورد من الروم يطلع من السمردار ومن
خالف وتأخر قبض عليه وخرج من حقه فامتنعوا جميعا وقفلوا
بابى النصر والفتوح وارموا خلف البابين الاحجار وتحفظوا من
كل جانب ومنعوا اكابرهم واغواتهم الخروج الى الريدانية والطلوع
الى الديوان وجعلوا حوجز بالشوارع المتوصلة اليهم نحو القامة
ونصف حتى صار كل حاجز مانعا لتوصل الخيول والعجل الحاملة
للمدافع وتحصنوا بمتاريس ولبسوا اللبوس وأوقدوا البنادق
وأشهروا السلاح وصعد غالبهم على الخانات والربوع والبيوت
والجوامع والموادن وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد
باشا هذا التحصن العظيم والتيقظ والاقدام على الموت وعلى ان
قيدق بك ومن عين معه لا كفاءة لهم بمحاربتهم فجمع الصناجق
والكشاف وابن الخبير والقلاوية ومقدمين الخفر او كانت هذه
الجمعية بالرميلة وساروا على الخوارج فلما عاينوا ذلك اذعنوا وأجابوا
ورفعوا الحواجز والمتاريس والاحجار الموضوعة خلف الابواب

وطلبوا الامان والجمال فاحضروا لهم ما يزيد على ثمانين جملا فلما
وصلت اليهم الجمال ضربوها بسيوفهم فنفرت وتشتت وقفلوا
الابواب وتحصنوا اقوى من المرة الاولى وعاد كل شئ الى محله وشاع
الخبر بانهم قتلوا اغاواتهم فامر محمد باشا السردار بالخروج فخرج
معه جمع كبير من الامراء وهم الامير قاسم والامير يوسف الغطاس
والامير ماماى والامير عيسى والامير مصطفى والامير احمد
والامير مراد والامير صالح والامير يوسف زعيم مصر سابقا
والامير عبدى كاشف القليوبية والامير على زعيم مصر حالا
وطائفة اليمانية وطائفة من القلاوية وطائفة من حارة الفواله
وهم معدون بالسلاح والسيوف والدرق والعمد الحديد والفوس
وتقدم الامير يوسف الغطاس وامامه ستة مدافع كبار مملوءة
فلوس جدد ونودى للرعايا الملاصقين لاماكنهم وبيوتهم بقفل
حوانيتهم وبيوتهم فلما وصلوهم وجدوهم متيقظون متحفظون
علوا الاسطحة والموادن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كلما
ألقى العسكر من البنادق والنشاب والاحجار لا تصل الى الخوارج
وكلما ألقاه الخوارج على العسكر نال منهم فقتل من العسكر نحو سبعة
أنفار وفرس ثم ان الامير على زعيم مصر توصل الى الخوارج من
وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدى من خلف اماكنهم
والامير يوسف الغطاس رفع الحواجز والمتاريس وبقية العسكر
نقبوا عليهم اماكنهم ودخلوا عليهم من محلات متعددة فلما
اشتد الحال على الخوارج ولم يجدوا لهم قوة على القتال اجابوا
بالامتثال فى التوجه الى اى محل يريده محمد باشا وخرجوا جميعا
ولم يتخلف منهم أحد وتوجهوا الى السويس واندفعت تلك الفتنة
وكفى الله المؤمنين شرها فاتفق ان عند خروجهم حصلت زلزلة
فنظم بعض الفضلاء فى ذلك فقال

خرج الخوارج للسويس وهجموا ... من أرض مصر لكثرة الافساد
وقصت لهم طربا فقالوا زلزلت ... زالوا فزالت جملة الانكاد

حفروا للمولانا الوزير محمد بيرا ففيها اوقعوا الفساد
والله ساعده على آذاهم وأمده بنهاية الامداد
وفى زمن محمد باشا حصل رخاء عظيم وكساد فى الاقوات أما القمح
ابيع كل اردب بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول كل
اردب بخمسة عشر نصفا والعدس والباسلا كل اردب بثمانية
عشر نصفا والارز بستة وتسعين نصفا والجبن الطرى كل
قنطار بثلاثين نصفا والسكر كل قنطار بالوزن الغوى مائة
وستين نصفا واما اللحوم والاسماك فلكثرتها تباع بارخص
قيمة فسبحان المتفضل على عبيده وعبرة القنطار الغوى
بالوزن المصرى ما قدره مائتا رطل ثمنتان وخمسون رطلا
تصير كل خمسة وعشرين رطلا بالوزن المصرى بستة عشر نصفا
فلوسا نحاسا وكل رطل ونصف رطل ونصف ثمن رطل بنصف
فلوسا جددا ثم فى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة اربع
وعشرين وألف وردت أحكام سلطانية بصرف محمد باشا
عن ولايته فكان مدة تصرفه ثلاث سنوات وستة أشهر
وثمانية وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى أحمد باشا الدفتردار

فى يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة اربع وعشرين وألف وكان
حاكما سيوسا صاحب تدبير سهل فى أموره قريب من الناس ليس عنده
تحجب ولا غلظة ومما اتفق عند قدومه لما استقبله العسكر
المنصور على العادة فدخل مصر يوم الاثنين سادس ربيع الآخرة من
السنة المذكورة فى موكب عظيم بجلالته وكان بعمامته ريشتان
مكللتان بالمعادن قيل ان قيمة كل ريشة الفه دينار فلما وصل
الى الجوخيين وهو بموكبه سقط على عمامته حجر من طاقة ببيت
بالربع الذى يعلو حوانيت الجوخيين فالقى أحد الريشتين على الأرض
ومزق جانبا من الشاش ونسب رمى الحجر لشخص من اقارب ابراهيم

المنصورى الخياط فقبض على رامى الحجر بعد ان اعتبر الحجر بالوزن فوجد زنته خمسة أرطال فتطير احمد باشا من ذلك وامر بشنق الرامى وكان يوصف بخبال العقل وان احمد باشا لم ينله من ذلك مكروه واستمر نافذا التصرف الى ان صرف عن ولايته يوم الخميس ثالث شهر صفر سنة سبع وعشرين والف وكان مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثلاثة ايام والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى مصطفى باشا السلحدار

فى ثالث عشر صفر سنة سبع وعشرين والف فتصرف الى اواسط شهر صفر سنة ثمان وعشرين والف فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام

ثم تولى جعفر باشا

فانه لما قدم من اليمن مكث بمصر مدة والناس يترددون عليه وكان له مصاحبة لطيفة وعنده فضل وله قوة فى طرح المسائل العلمية ومشاركة فى غالب العلوم وابحاث جيدة وفكرة وقادة ويحب اهل العلم والصالحين ويركن اليهم ويحب الفقراء والمساكين قليل الطمع لا ينظر الى ما فى ايدى الناس مستغنيا بما فى يده عن الدنيا وكان ارسل عرضا للابواب الشريفة فى خصوص باشوبرة مصر وهو منتظر ورود الاخبار وقد كثر لغط الناس من قال وقيل فى جعفر باشا وكان اقامته بمصر فى زمن أحمد باشا الدفتردار المتقدم ذكره وكان احمد باشا متألما منه وخشى الفتنة فارسل اليه من اكابر الدولة من يحثه على الرحيل من مصر فتوجه براو لما توجه الى الاعتاب الشريفة انعمت عليه بولاية مصر فقدم براكما توجه ففرح لاستقباله الامراء والعلماء والاقبر العسكر المنصور ودخل مصر فى موكب لم يعهد مثله وفرح العامة والخاصة بقدومه فاستبشروا بالخير وكان قدومه الى مصر فى اواسط صفر سنة ثمان

وعشرين

وعشرين وألف ولما استقر بمصر المحروسة حصل الطعن والطاعون بمصر المحروسة وقراها ومكث نحو الشهرين فاشتغل الناس بموتاهما وقفلت غالب اسواق مصر وحوانيتها ما عدا اسواق الاتمان فانها مفتوحة ليلا ونهارا وان جعفر باشا منع ما على الاموات من التعرض للموتى فصار الناس يدفنون موتاهم بغير اذن وحصل بذلك رحمة للعالمين وهنا حكاية لطيفة لا باس بايرادها وهي انى لما حججت في سنة ثمان وعشرين وألف وكان ركبي للتكرور حاجا فعند العود سرت مع رفقة بغالة ايام الركب المصرى فادركت رجلا من التكرور قريبا من بندر المويلح راكبا على ناقة وحوله ثمانية انفار وهو مشاة فسالت من رجل منهم من الرجل الراكب الناقة فاخبرني انه شيخ الركب وقد وسع الله عليه دنياه وهو ماش على الكتاب والسنة وله اربع زوجات وما يزيد على الستين جارية كلهن موطوأته فرزقه الله من زوجاته وجواريه مائة وعشرين ولدا ثمانون ذكورا واربعون اناثا وتناكحوا وتناسلوا وهو لا يعلم عدة أولاده واولاد اولاده وان بلادهم مجاورة لبلاد النصارى وفي كل أوان يذهب هو وأولاده وهم معدون بالسلاح ركبانا ومشاة ويقاتلون النصارى وينهبون ويأسرون ولما وصل الركب التكرورى الى مصر نزل بقرية من قرى الجيزة تسمى منشية البكارى فادركه شيخ الركب المذكور الاجل المحتوم فمات فاشيع عنه انه ترك مالا كثيرا فارسل وكيل بيت المال من يضبط ماله فمنعوا اولاده وكيل بيت المال وقالوا والله نقتل دون مالنا فبلغ ذلك جعفر باشا فمنع بيت المال من التعرض لهم وسافروا اولاده الى بلادهم وتركوا اباهم تحت رحمة الله تعالى قال الطغرائي في لامية

والدهر يعكس آمالي ويقنعني ... من الغنية بعد الكد بالعقل

وفي نفس الواقع ان الزمان مستدبر ما شرع فيه شئ يكون فيه ازكى صلاح الا انعكس الى الفساد والله في هذا مراد ثم ان جعفر باشا في أوايل رمضان سنة ثمان وعشرين وألف صرف عن باشوية مصر وتوجه الى الديار الرومية في البحر لعدم تأهبه لآلات السفر برا فان

عزله جاء بغتة على حين غفلة وما أمكنه الاستعداد لسفر البر والله يفعل
ما يشا فكان مدة اقامته بمصر ستة أشهر وايا ما ولما وصل
الى الديار الرومية مكث مدة يسيرة ومات وذهب ماله ونواله وهكذا
حال الدنيا وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وعاد ولده الى مصر وأقام بها فقيرا

ثم تولى مصطفى باشا

فى عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف وفى ولايته حصل تأهب
لارباب الاموال وكثرت العوانية والوشاة ببابه وصاروا ينقلون
اليه اخبار الناس ويزخرفون له اقاويل كاذبة وامورا باطلة
يتوصلون بها الى اغراضهم الفاسدة فانتهبت ارباب الاموال واختلت
الاحوال فى زمنه فمن وشى عليه بشئ فمنهم من يبذل ما يطلبه منهم
بزيادة او نقص سرا او علانية ويستر عرضه ومنهم من يتقاعس
فيحقر ويؤخذ منه اكثر مما هو مطلوب منه وكان مصطفى باشا
عنده شجاعة واقدام فقتل مصطفى بجلى بيده وكان يظن ان
تقام بسببه فتنة فلم يظهر لذلك أثر ولما زاد طمعه توسلت
الرعية بالنبى صلى الله عليه وسلم الى خالق البرية بكف هذه البلية
فاستجاب الله دعاهم وورد الخبر بعزله فى ثالث عشرى رمضان
سنة تسع وعشرين فكانت مدته سنة الا ثلاثة أيام والله أعلم

ثم تولى سيره حسين باشا

فى ثالث عشرى رمضان سنة تسع وعشرين وألف وقدم مصر فى اقرب
وقت وادرك مصطفى باشا قبل سفره فمنعه من السفر وانزله من القلعة
الى بيت مراد باشا الذى بالسبع قاعات بمصر وأشيع بانه جعل على الباب
حرسا وأراد ان يفتش عليه ثم انفك ذلك بتدبير بعض الاكابر
من ارباب الدولة وتوجه مصطفى باشا الى الديار الرومية وتبعه
جماعة ممن صادرهم وأخذ أموالهم الى القسطنطينية وشفعوا عليه
ومزقوا عرضه وأخذوا منه جملة مال وفى زمن حسين باشا

فى سنة ثلاثين والف حصل غلا عام حتى أبيع القمح كل اردب بالكيل المصرى بمائتى نصف والشعير بمائة وعشرين نصفا والفول بمائة وستين نصفا وكذلك الباسلا والعدس واما الارز بمائتين واربعين نصفا وتحرك الاسعار فوق ذلك واما ماء النيل مكث فوق الارض الى غاية ها تور القبطى حتى كادت الناس تيأس من الزرع والذى زرع شتويا هاف ولم يحصل منه الا ما قل لكون زرع بعد الاوان وقد من الله على عباده بنمو زرع الذرى فانه اخصب ونما وحصل به النفع لاقليم مصر وقراها وغيره من الاقاليم وفى زمنه حصلت بلية عمت وطمت على الرعية وهى رمية الاطرون على المدن والثغور وتألمت الرعية بسبب ذلك ورجع حسين باشا فى رفعها ولم يرفعها ثم رفعت بعد عزله باذن الله تعالى وقد حصل فى زمنه فساد عظيم وفى عشرى ربيع الآخرة سنة احدى وثلاثين والف عزل حسين باشا فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وسبعة أشهر وعشرة أيام ثم توجه الى الديار الرومية فحصلت الفتنة الكبرى بالقسطنطينية وقتل من قتل واعيد مولانا السلطان مصطفى وجلس على التخت الشريف وتحرك بعد ذلك فتن اخر ومات جماعة من الاكابر قتلا وآل الامر الى ان ولى حسين باشا الوزارة العظمى فى احد الجمادين سنة اثنين وثلاثين والف ولما تمكن من الوزارة ظن ان الدهر قد صفا له من الغم والنحوس فاستبد برأيه المنكوس فتصرف بالجهل والجنون ولم يراع الشرع والقانون ووقر فى قلبه وسوسة الشيطان الخناس ومشى بالجور والشدة والباس وركست بغضته فى قلوب الناس

فمن جملة مجازفاته انه بلغه ان جماعة من العلماء والموالى والدنشعانية مجتمعين بجامع السلطان محمد وهم يدعون عليه ويطلبون من الله ازالته فارسل لهم جماعة من اتباعه واعوانه من قتل منهم جماعة ونفى جماعة من العلماء وشاع ذلك وذاع فى غالب الامصار والاقطار ومن جملة مجازفاته ايضا انه وضع يده

على جملة مال الخزائن العثمانية وصار كلما أخذ مبلغا يرسله خفية
الى انقاد من اكابر الدولة ويأخذ منه تذكرة بوصول المبلغ وكميته
ويوضع التذكرة عنده فقد رأى الله ان السلطان مصطفى استعفى
وفرغ منها لولد أخيه السلطان احمد هو مولانا السلطان مراد
جعل الله جلوسه مباركا على البلاد والعباد انه على ما يشاء قدير

فكان جلوس مولانا السلطان مراد

حفظه الله وبصره بجاه محمد وآله على تخت السلطنة الشريفة
العثمانية في يوم الاحد المبارك رابع عشر القعدة سنة اثنين
وثلاثين والف خمت بالخير الوف فامر السلطان مراد بعود من
نفى العلماء وطلب العسكر المنصور حسين باشا فلما احس بالطلب
وتحقق انه انما طلب للهلاك والعطب فاختفى وتمزقت اتباعه
وتشتتوا وذهبت دولته كأن لم تكن وندم حيث لا ينفعه الندم
وصار في الوجود عدم ثم ان مولانا السلطان مراد أعلا
مصطفى قولار الى مرتبته فاخذ مصطفى اغا يدبر في تحصيل حسين
باشا فبلغه انه بمكان فارسل اليه الامان من مولانا السلطان
فحضر وقبل اقدام السلطان مراد فاظهر له البشري وأعاده
الى الوزارة العظمى وخلع عليه خلع الرضى فلما تصرف وزال
روعه مكث مدة يسيرة ثم طولب بما وضع يده عليه من مال
الخزائن العامرة فاعترف بالاخذ واحضر التذاكر التي اخذها ممن
وصل اليه شئ من المال ثم ان مولانا السلطان مصطفى قتل حسين
باشا اشر قتلة واخذ جميع ما كان بمنزله مما اخفاه واظهره وامر ان
يلقى حسين باشا بباب منزله والناس يمرون عليه وامر ان لا يدفن
الا بعد ثلاثة ايام فمر عليه شخص ممن كان ظلمه واذاه فرفسه
برجله كانت برجله فدخلت جوفه وصار يلقى في جوفه رملا وفي
بعد مضي الثلاثة ايام وقل الناس الترحم عليه وهكذا حال الظلمة
المغرورين ثم ان مصطفى اغا ارسل الى ارباب التذاكر واحضرهم

واحدا

واحداً بعد واحد واستخلص منهم المال جميعاً وكل من اخذ منه ما كان
عنده يعاتبه بقبوله من حسين باشا المال ويقال له اما علمت
انه من مال الخزينة ويقبله وينسب اليه الخيانة بسكوته
وعدم اعلامه فيقتل ويلقى في البحر ولم يبق منهم احد ولله
البقاء

ثم تولى محمد باشا البستنجي

في حادي عشر ربيع الآخرة سنة احدى وثلاثين والف فقام
عنه حسن افندي الدفتدار وما يسر الله له الحضور الى مصر
وصرف عنها فكان مدة تصرف حسين افندي اربعة شهور
وسبعة ايام والله اعلم

ثم تولى ابراهيم باشا السلحدار

وحضر بنفسه الى رشيد يوم الجمعة ثاني عشر رمضان سنة
احدى وثلاثين وألف ووصل الى مصر في اواخر رمضان وقد
تحركت الغلال في زمنه بزيادة في الثمن عما تقدم وجلت غالب
الناس من اوطانها من الاقطار الشامية والحجازية وبلاد غز
وجاءوا الى مصر واقلبها بقصد الميرة فمن كان ذو ميسرة يمتار
ما يحتاج اليه ويرجع الى اهله وما لا مال معه وله قدرة على الكسب
او الخدمة فيقتات من كسبه او من خدمته ومن لا مال معه ولا قدرة
على الكسب او الخدمة فيستعطي حتى امتلأت مصر وقراها منهم
والذي ضبط بيعه من الذرى في ثغر دمياط في عدة ثلاثة اشهر ما يزيد
على ستين الف اردب وتجدد بعد ذلك ما يقاربه أو أزيد وذلك
خارج عما يباع من الحنطة والشعير والفول وبقية الحبوب
واما ما يباع برشيد فضعف ما يباع بدمياط فان رشيد اكثر
وارداً من دمياط واما ما يباع ببلولا والمداين والقرى فلا حصر
له وكل ذلك من كفاية اهل مصر وقراها وما يدخرونه لزيادة الثمن
فسبحان المنعم المتفضل على عبيده ونسأل الله ان يكم مصر

إقراها ويكثر زرعها وخيرها ويهلك من أراد بها سوءا انه على ما يشاء قدير وفي زمن ابراهيم باشا حصل من اعوانه واتباعه اجحاف وطمع وخروج عن الحد في الخدم التي يتوجهون اليها ويتعبتج الرعايا بسبب ذلك وان ابراهيم باشا رمى بضة على التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم خسارة فاحشة فشكوا امرهم اليه فلم يلتفت لشكواهم فتحرك عليه طائفة من اكابر الدولة ومنعوه من ذلك فلا شأ أمره وقصرت كلمته وآستمر الى ان صرف في يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنين وثلاثين وألف وكان مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما وبما انتهى ذكره من ورد من ارباب الحنكاري الى الديار المصرية ووقف عنده القلم طالبا لكمال هذه الخدمة التاريخية شعر

فما لها في الورى مثلا يناظرها ... وكم لها ثار بين الناس من مثل
يرتاح سامعها حتى يهز بها ... من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعز غيرها سمعا ولا نظرا ... في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ونرجو من الله بقاء الدولة العثمانية ودوام عزتها الممدة بالعناية الربانية واستمرار اقطار الارض في ملكها داخلة تحت سلطنتها وملكها وتخت مصر عندهم بالالتفات محفوفا وكلما قدم مفخم واقتضت الحكمة تولية اصبح محفوظا بالسعد متحوفا بجاه محمد افضل العباد وعلى اله واصحابه صلاة وسلام الى يوم المعاد

الخاتمة

روى الامام احمد بن حنبل في مسنده والترمذي عن عمرو بن مرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام او وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة الا اغلق الله ابواب السماء دون

حاجته

حاجته وخلته ومسكنته ولهذا كان بعض الحكام لا يغيب عن بيته
ولا يسكن الا في هليزه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس من ولي منكم عملا فحجب
بابه عن ذوي حاجة من المسلمين حجبه الله يوم القيامة ان يلج الجنة
فليس شئ احب الى الله عز وجل من قضاء حوائج المسلمين ومن كانت
همته الدنيا حجبه الله عز وجل عن جواري فاني بعثت بخراب الدنيا
ولم أبعث بعمارتها وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لابد للناس من امارة برة أو فاجرة فاما
البرة فيعدل في القسم ويقسم فيكم بالسوية واما الفاجرة فينبغي
فيها المؤمن والامارة الفاجرة خير من الهرج قيل يا رسول الله
وما الهرج قال القتل او الكذب (فائدة) الهرج باسكان الراء
الفتنة وكثرة العباد وبفتحها تحير البصر روى انه صلى الله عليه
وسلم قال ليس من نفس بارة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة
ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت يا ليتني قصرت
وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيلي امركم من بعدي رجال يطفئون السنة
ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها (فائدة)
تعريف البدعة من ابتدع الشئ اي اخترعه واحدثه ثم غلب
على ما خالف قواعد الشرع وروى الحاكم وصحح اسناده من ولي
من امور امتي شيئا فاحتجب عنهم احتجبت عنه يوم القيامة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان لله عز وجل أقواما يخصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما
بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم اخرجه الطبراني
في الكبير وابو نعيم في الحلية وغيرهم وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا
وسبعين مغفرة واحدة منها فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون
درجات يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أبلغ حاجة من لم يستطع ابلاغها ثبت الله قدميه على الصراط وعن
ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سعى لاخيه المؤمن فى حاجة قضيت أولم تقض غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من
النفاق وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه
الطبرانى فى الصغير باسناد حسن ومن رسالة للجاحظ مما اوتى
فيها بالحكمة قوله كن شفيعا الى أذنك حتى تسمعها وشفيع أذنك الى
قلبك حتى تفهمها وشفيع قلبك الى نفسك حتى تعمل بها وقال
ابن زيدون فى رسالته المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة
ومن كلام الحكمة بذل الجاه أحد المالين وشفاعة اللسان افضل
زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين والشفيع جناح الطالب
والشفاعة امر مندوب اليه نطق به القرآن وحث عليه السنة قال
الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع
شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقال جابر بن عبد الله من كثرت نعمة
الله عليه كثرت حوايج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها عرضها
للدوام والبقاء وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال نعوذ بالله من
ذلك ونسأله التوفيق والعصمة وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه طالب حاجة
أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه
ما أحب متفق عليه وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا من ولى من امر امتى شيئا
فشق عليهم فاشقق الله عليه ومن ولى شيئا فرفق بهم فارفق اللهم
به (فائدة) الرفق هو التوسط واللطافة فى الامر مع الناس من يرفق
فى تحصيله نحن فضل ذلك ولم يجهد نفسه دام له ما استفاد وأفاد
وصرى واهتدى ومن كلف نفسه فوق طاقتها وعامل الناس بصلابة
الجانب لم يدم له بجهله فضل وأضل قال صاحب المنفرجة

والرفق يدوم لصاحبه والخرق يصير الى الهرج وقد تقدم الكلام على الهرج وقال عبد الله بن طاهر لا ينبغي للملك ان يظلم ويريد دفع الظلم ولا يبخل ومنه يتوقع الجود من الفردوس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على امتي زمان السلطان كالسبع ومن قبله كالذئب ومن قبله كالثعلب ويكون المسلم كالشاة فمتى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب فقولوا في ذلك الزمان يا سلام سلم يا سلام سلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن قال الشاعر ناظما

ان كنت لا ترحم لمسكين ان ظلما ولا الغنيا اذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن مرحمة وانما يرحم الرحمن من رحما

ذكر الجلال السيوطي في الاحاديث العشارية الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ناظما

ارحموا لمن في الارض يرحمهم من في السما فما عدا عنك وسوسا
وقل اعوذ برب الناس منك اذا لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

ومن كلام الحكمة يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور الاول الاكتفاء بغير اهل الديانة الثاني ان يقصد مودة أبيه واسلافه بالاذى الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه الرابع ان يكون تقريبه وابعاده بغرض نفسه معرضا عن مراتب النار الخامسة استهانته بنصايح الفضلاء وآراء ذوي التجارب ويقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وقال بعض اهل الحكمة الملك بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلدان وعمارة البلدان بالعدل في الرعية

شعر

عليك بالعدل ان اوليت مملكة واحذر من الظلم فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع الكفر البهيم ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

وقال الشاعر ايضا

خف الله واحذر من عواقب لذة مسرتها تفنى ويبقى لك الوزر
ولا تحقرن ذنبا صغيرا تضيفه الى غيره فالغيث اوله قطر

واعلم انه لا ذنب اعظم من ظلم الناس واخذ اموالهم بغير استحقاق
لا سيما من كان ضعيفا او مسكينا او لا عقل له او كهلا اشرف نفسه
على الهلاك وقال الامام علي كرم الله وجهه ملك بلا عدل كنهر بلا
ماء وعالم بلا علم كغيم بلا مطر وغنى بلا جود كشجرة بلا ثمر
وشاب بلا توبة كقنديل بلا زيت وفقير بلا صبر كبيت بلا سقف
وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال طلحة الطلحات لاسد بن عبد الله
وهو والي خراسان ان كنت تعطي من ترحم فارحم من تظلم ان السموات
لتفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر الا الله ولا بد له
الا الثقة ولا سلاح له الا الابتهال فان البغي يصرع اهله والبغي
مصرعه وخيم فلا تغتر بابطاء الغياث من ناصرك متى شاء ان يغيث
اغاث وقد امهل لقوم لكي يزدادوا اثما وقال صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد ناصرا غيري
نقل القزي في كتابه حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما قيل
يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا
رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله ومن الجامع
الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم
ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام ومن الجامع
الصغير ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوى صاحب بدعة
فقد اعان على هدم الاسلام وذكر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني
في الاربعين حديثا التي جمعها الحديث التاسع عن ابن عمر رضي
الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاصم
في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع رواه ابو داود وصححه
الحاكم وفي لفظ آخر من اعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من
الله تعالى الحديث الحادي عشر من الاربعين حديثا المتقدم ذكرها
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه من اعان ظالما بباطل
ليدحض به حقا فقد برئ من الله ورسوله وقد اجمع المسلمون على
تحريم الظلم قليله وكثيره ومن استحله فهو كافر والظلمة من المكاسين

وغيرهم

وغيرهم غافلون عن هذا كله وعن قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس حديث حسن رواه الامام أحمد في مسنده وهذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم في قصة ماعز والله انه لتاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له من املاء الشيخ جلال الدين السيوطي على الدرة الفاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القيتم عاشرا فاقتلوه أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن عبد الملك بن سلمة عن ابن لهيعة الى الامام أحمد عن التبرى وعن منصور بن مجاهد في قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال نزلت في المكاسين وانشد

اقتل أولى المكث ولا تكثرث ان حرموا ذاك أو حللوه
فان خير الخلق اوصى به اذا القيتم عاشرا فاقتلوه

وقال بعضهم

مصر السعيدة اصبحت دار تنظيب بها النفوس
فالظلم فيها قد فشى واصله قبض المكوس

وذكر بعض الافاضل ان الشيخ محمد الحيشي بالثاء المثلثة ذكر في كتابه البركة في فضل السعي والحركة قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ولد الزنا وأخفاه بين خلقه فاذا اراد ان يظهره جعله مكاسا او عوانيا وقد احدث الظلمة اشياء تقشعر لسماعها الجلود فضلا عن مشاهدتها لا شتهارها عند الخاص والعام لما ذكر الله في قلوبهم من حب الدنيا الدنية والغفلة عن الآخرة وقد ورد ان الظلمة كلما احدثوا ظلما جدد الله لهم نعمة وأنساهم الاستغفار والرجوع اليه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى وقد خاب من حمل ظلما وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون قال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا انما استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما

ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فالشدة تعريف الظلم هو مجاوزة الحد والتعدى على خلق الله وقال الراغب هو لغة وضع الشئ بغير موضعه بنقص او زيادة او عدول عن وقته أو مكانه قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال الشارح الظلم على اصحابه فى الدنيا بمعنى انه يورث ظلمة القلب فاذا اظلم القلب تاه وتحير وذهبت الهداية والبصيرة فصار صاحبه فى ظلمة ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة النبا عند قوله يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه افضل الصلاة والسلام سئل عنهم فقال تحشر عشرة أصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم وبعضهم ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذاع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون ثيابا من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واكل السحت واكل الربا والجائرين فى الحكم والمجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين بجيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبر والخيلاء وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما تكلم بعض الملوك ببكاة بنى وهو جالس على سريره فسخنه الله فلم يراثره شعر فى المعنى

أيها المستطيل بالبغى قصر ... طالما طاطا الزمان رؤسا
وتذكر قول الاله تعالى ... ان قارون كان من قوم موسى

وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

اذا ما ظالم استعمل الظلم مذهبا ... ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها ... ستبدى له ما لم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متجبرا ... يرى النجم تيها تحت ظل ركابه

طغى وبغى حتى اذا غره البقا اناخت جميع النائبات ببابه
وقد ورد فى البغى آثار منها ان النبى صلى الله عليه وسلم اوصى
رجلا فقال له انهاك عن ثلاث لا تنقضن عهدا واياك والبغى
فانه من بغى عليه لينصرنه الله واياك المكر السيئ فانه لا يحيق الا
باهله وقال صلى الله عليه وسلم اذا جار الحاكم قل المطر واذا نقض
العهد جار العدو واذا ظهرت الفواحش كانت الزلزلة وقال
صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله على قوم امطرهم المطر فى وقته وجعل
المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل
عليهم شرارهم وجعل المال فى بخلائهم وامطرهم المطر فى غير وقته
ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة المطففين ويل يومئذ
للمطففين التطفيف البخس فى الكيل والوزن روى ان اهل
المدينة كانوا ابخس الناس كيلا فنزلت وفى الحديث خمس بخمس
ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما
انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا
فشا فيهم الموت ومما طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر حديث واصل بن عبد الله
المسلمى عمن حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما
يذهب من هذا الدين الامانة وآخر ما يبقى منه الصلاة وسيصلى
من لا خير فيه وما استحاز قوم بينهم الزنا الا استوجبوا حرب
الله ورسوله ولا ظهرت فيهم للمعازف والغنا الا صمت قلوبهم
حتى لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر قيل ان سيدنا عيسى
عليه افضل الصلاة والسلام رأى ابليس وهو يسوق اربعة جمير
فقال ما هذا قال اسوق بتجارة لمشترىها الجور للسلاطين والحسد
للعلماء والخيانة للتجار والكيد للنساء ومن كلام الحكمة الاسباب
التى تجر الملك الى الهلكة ثلاثة احدها ان تنام رعيته على
عقله فيستهويه نشوان الشهوات فلا تسنح له لذة الا اقتنصها
الثانى من جهة الوزراء وهو التحاسد المقتضى لتعارض الآراء

فلا يسبق أحدهم الى حق الا عوض وفقد الثالث من جهة الجند
والجند صنفان صنف وسع الله عليهم ارزاقهم فابطرهم الاسراف
وصبوا بنفوسهم للاتلاف وصنف قتر الملك عليهم ارزاقهم فركنوا
الى الاحقاد والتزموا النفاق واعلم ان آفة الملوك سوء السيرة
وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة العادة وآفة
الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة
العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدل
قلة الورع وآفة القوى استضعاف الهمم وآفة المنعم منع النعم
والخلافة لا يصلح لها الا القوى والرعية لا يصلح لها الا العدل
فمن جارت قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت
رياسته ومن كلام الحكمة خير الملوك من اشرب قلوب رعيته
محبته كما اشعرها هيبته ولن ينال ذلك الا بخمسة اشياء اكرام
شريفها واغاثة لهيفها ورحمة ضعيفها وكف عدوان عاديها
وتامين سبل رايحها وغاديها روى عن الامام علي رضي الله عنه
انه قال فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة تنقسم
اربعة اقسام العلماء وهم الدلاء على الله والزهاد وهم الطريق
الى الله والتجار وهم امناء الله والملوك وهم رعاة دين الله
فاذا كان العالم طامعا والمال جامعا فبمن نقتدي واذا كان الزاهد
راغبا فبمن نهتدي واذا كان الملك جائرا فبمن تلتجي فوالله ما اهلك
الرعية الا العلماء الطامعون والزهاد الراغبون والتجار الخائنون
والملوك الجائرون فانا لله وانا اليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا
اى منقلب ينقلبون وقال صاحب النفحات المسكية واما اصناف
العدل من الخلائق فخمسة رفع الله بعضهم فوق بعض درجات
الصنف الاول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم ادلاء الامة
وعمد الدين والاسلام ومعادن حكم الكتاب وامناء الله في
خليقته وهم الهداة والقدوة والسرج المنيرة على سبيل الهدى
وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية وانزل معهم الكتاب

والايمان وان لا يتعدوا حدود ما انزل الله من الاوامر والزواجر
ارشادا وهداية حتى تقوم الناس بالقسط والحق ويخرجوهم من
ظلمات الكفر والطغيان الى نور اليقظة وهو سبب نجاتهم
من دركات جهنم الى درجات الجنان الصنف الثاني العلماء وهم
ورثة الانبياء فهموا مقامات القدوة من الانبياء واقتفوا اثارهم
واقتفوا آثارهم فصدقوا ما اتوا به وشيدوا كلمتهم وايدوا دعوتهم
ونشروا حكمتهم كشفا وذوقا وتحقيقا وايمانا بكمال المبالغة
لهم ظاهرا وباطنا اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون وما ظهر في هذا الزمان من اختلال في حال
البعض من حب الرياسة والمال والجاه والحسد فلا يقدح في حق
الجميع غفر الله لنا ولهم (تنبيه) في هذا المحل وهو ان مولانا
شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصاري رحمه الله افاد في شرحه
على المنفرجة حيث قال قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر اجرى
منه واد ومن الوادي نهر ثم من النهر جدول ثم من الجدول ساقية
فلو جرى البحر في النهر او الوادي الى الجدول لغرق وهو المراد بقوله
تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فيجوز والعلم
عند الله ان الله اعطى الرسل منها اودية ثم اعطت الرسل من اوتيها
العلماء انهارا ثم اعطت العلماء من انهارها العامة جداولا
بقدر طاقتهم والمناسب ان يقيد العلماء بالمتفقهة في الدين
الصنف الثالث الملوك الذين هم يراعون العدل والانصاف
بين الناس والرعايا توصلا الى نظام المملكة وتوسلا الى قوام السلطنة
في اموالهم وابدانهم وعمارة بلدانهم وبسطوتهم يمنع القوي عن الضعيف
والدني عن الشريف فرأس المملكة واركانها وثبات احوال الامة
وبنيانها العدل والانصاف فان الله تعالى امر بالعدل والانصاف
ولم يكتف به حتى اضاف اليه الاحسان فقال ان الله يامر بالعدل
والاحسان لان العدل ثبات المملكة ودوامها والجور والظلم خرابها
وزوالها قال سفيان الثوري صنفان اذا صلحا صلحت الامة

واذا فسدت فسدت الامة الملوك والعلماء الصنف الرابع أوساط
الناس يراعون بالعدل فى معاملاتهم وأروش جناياتهم فيكافئون
بالحسنة الحسنة والسيئة السيئة الصنف الخامس القائمون
بسياسات نفوسهم وتعديل قواهم وحفظ جوارحهم وانخراطهم
فى سلك العدل لان كل فرد من افراد الانسان مسئول عن رعاية رعيته
التى هى جوارحه وقواه كل راع مسئول عن رعيته قال صاحب الدرر
مسئول عن أهل بيته وحاشيته ولا تؤثر علالة الشخص فى غيره
مالم تؤثر اولا فى نفسه والتأثير فى القريب قبل البعيد كما قال
الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

انتهى كلام النفحات المسكية وعلى ذكر الصنف الثانى من النفحات
المسكية المتقدم ذكرها قال الشاعر

اجعل العلم يا فتى لك قيدا واتق الله لا تخنه وريدا
لا تكن مثل معشر فقهاء جعلوا العلم للدراهم صيدا
طلبوه فصيروه معاشا ثم كادوا بر البرية كيدا
فلهذا اصاب البلاء علينا مستحقا وملأت الارض صيدا

وقال الغزالى رحمه الله تعالى فى بداية الهداية ايها الحريص ان
كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الاقران
واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع
فى هدم دينك واهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك
خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك
وشريكك فى خسرانك وهو كبائع سيف القاطع طريق ومن
اعان على معصية ولو بشطر كلمة قال صلى الله عليه وسلم مررت
ليلة أسرى بى باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت
من أنتم قالوا كنا نامر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه
ومما يعزى لمولانا الشيخ عبد العزيز الدرينى رحمه الله تعالى

ان شئت تدعى ففقيه قوم فطوّل الكم تمّ عمّم

واجعل على الرأس طيلسانا ... واجلس على الركبتين واحمم
وباحث القوم في عياط ... لا من بخارى ولا بمسلم
الا زعيق ونفض كم ... وقول لم لا ولا مسلم
ثيابهم بيضب رياء ... وقلبهم بالسواد مظلم
وان راوا الوقف ياكلوه ... ويتركوا العلم والمعلم
احذر ترى في الورى فقيها ... اهرب وقل يا سلام سلم

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزده هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبراني والبيهقي وخبر لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم انا من غير الدجال اخوف عليكم فقيل من هم يا رسول الله قال العلماء السوء واعلم ان الناس في طلب العلم على ثلاثة احوال رجل طلبه ليتخذه لمعاد ولم يقصد به الا وجه الله والدار الاخرة فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال العز والمال وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله فهذا من المخاطرين حقيق عليه سوء الخاتمه وبقي امره للمشيئة ان وفق للتوبة قبل حلول الاجل ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء ان يقضي وطره من الدنيا ومع ذلك يضر مر في نفسه انه عند الله بمكان فلا تسمه بسيمة العلما فما افسده هذا المغرور باعماله اكثر مما أصلحه باقواله انتهى

كلام الغزالي شعر

اني رأيت الناس في عصرنا ... لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهات لاصحابهم ... وعدة للظلم والغشم

ومن الجامع الصغير من اكل بالعلم طمس الله وجهه ورده على عقبه

وكانت النار اولى به ومن الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون
عامتهم يقرؤن القرآن ويجتهدون في الصلاة يستعملون
عمل أهل البدع يشركون من حيث لا يعلمون يأخذون على قراءتهم
وعلمهم الورق ويأكلون الدنيا بالدين هم اتباع الدجال الاعور
ومما افاه مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا رحمه الله في شرحه
على المنفرجة حيث قال ان كتاب الله تعالى خص بالذكر لانه مرجع
الاودية الكبرى والنعمة العظمى في بيان ما لا تهتدي اليه العقول
فالاعتصام من الفتن لخبر سيكون فتن كقطع الليل قيل فما النجاة
منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من
بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبرا قصمه
الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين
ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو كلام الله لا تزيغ
به الاهواء ولا تتشعب منه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا
تمله الاتقياء من عمل به اوجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد
هدى الى صراط مستقيم (وهنا) حكاية لطيفة لا باس بايرادها
في هذا المحل وهي ان الشيخ زكريا المشار اليه آنفا كان قاضي القضاة
بالديار المصرية وكان معاصر له رجل من العلماء فاخذ ذلك الرجل
يعيب الشيخ زكريا بولاية القضاء ويشنع عليه في المجالس
ثم ان ذلك الرجل رأى في منامه رب العزة جل جلاله فقال له مالك
ولعبدنا زكريا ان اغضبتنا نهارا صالحنا ليلا ثم ان ذلك الرجل
تاب الى الله تعالى ورجع عما هو فيه وجاء الى الشيخ زكريا معتذرا
فانظر الى هذا المقام الذي للشيخ زكريا رحمه الله تعالى ومما
يقع لكثير من الناس ممن ابتلي بالرد على ارباب الولايات ومجالستهم
ممن ينتمي الى علم او صلاح فانه يرى منهم ما لا يحل فعله فلا ينكر
عليهم فيقع بسبب ذلك في الهلاك وربما يظن صاحب المجلس ان
سكوته عن النهي تقرر له واستحسان فيتمادى على ذلك فما ظنك

باناس يحضرون مجالس الظلمة ويشاهدون من ظلمهم مالا يحل من
اكراه وضرب ومصادرات وغير ذلك ولا ينكرون عليهم والعجب
من اطباق من يتظاهر بالدين والصلاح فانا لله وانا اليه راجعون
لم يبق من الاسلام الا رسمه ومن الدين الا اسمه ومن تذكر فيما ذكر
وعمل بما اوردناه فقد احسن لنفسه ويرى نور عمله فى ظلمات رمسه
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور من الجامع الصغير عن ابى
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص قال
الشارح اى سارق محتال على اقتناص الدنيا بالدين ويجذبها
اليه من حرام او غيره فاحذره اما لو خالطه احيانا لمصلحة كشفاعة
ونصرة مظلوم فلا بأس والله يعلم المفسد من المصلح وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا
الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على اشرار الناس
ولو بسطنا القول فى هذا المحل لاتسع الخرق على الراقع ونسال
الله العفو وحسن الخاتمة والتوفيق للعمل الصالح بمنه وكرمه
ومن كلام الحكمة احسن الملوك من تكلف الكلف من رعيته
فانه سايسها فى اقبالها وادبارها والقائم على ثغورها بسدادها
والرادع لمروغها عن افسادها والحافظ لدينها والمعد لنوازل
المهمات قبل حينها والجابى لفيئها وخراجها والمنفق فى
مصالحها وحاجاتها والمجاهد لعدوها والكالئ لضعيفها
من قويها ولرشيدها من غويها والى ذلك اشار عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ومن ولى امر المؤمنين فهو عبدهم ويقال أربعة
من استقبلهم بالعنف فى أربعة أحوال هلك الملك فى حال غضبه
والسيل فى حال صدمته والفيل فى حال غلمته والرعية فى حال
هيجانها ويقال ان الرعية لا تخلو من عاقل ذى حزم يخرج السوقة
والتجارب وأرباب الصنايع من طبقات الجند فانه ليس فى قواهم
ما فى قوى الجند من بذل النفوس فى تشييد عز الملك ولم تزل قدماء

الملوك يلزمون كل طبقة ترك التعرض للترقي عنها (فصل في ادلة
رأى والاحتراز من العدو قال بعضهم الرأي مرآة العقل
فمن اودعت استحسان صورة عقله فاستشره (فائدة)
سبعة لا ينبغي لذي لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومرائي
وجبان وبخيل ومتهوس فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك
ويتمنى زوال النعمة والمرائي واقف على رضا الناس والجبان من
رأيه الحرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره وذا
الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته واحترز من تدبيرك
على عدوك كاحتراسه من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر وساقط
في البئر الذي حفر وجريح بالسلاح الذي شهر ويقال اذا امكنت
عدوك من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والخوض في وهن سحره
والعجب لمن يصغي لعدوه ويلقي له سمعا وهو لا يرجو له نفعا
ويقال من غرس العلم اجتنى بالنباهة ومن غرس الزهد اجتنى
العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى
الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المكر اجتنى الملقت
ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكمد والالام
على اختلاف أزمانها وبلدانها وأديانها اتفاق على أربعة اخلاق
العلم والزهد والاحسان والامانة (حدث) عباد بن كثير عن ابي
ادريس عن وهب بن منبه قال من أخلاق العاقل عشرة الحلم والعلم
والرشد والعفاف والصيانة والرزانة ولزوم الخير والمداومة
عليه وقصر الشر عنه وعن أهله وطواعية الناصح وقبوله منه
(حدث حسان بن عبد الله البصري عن المري بن يحيى قال وجدت
كتابا فيه قول قاله وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم
ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم
ومن لا يدع المراء يشتم ومن يكره الستر يأثم ومن يكره الشر يعصم
ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتولى الله
يمنع ومن لا يسأل الله يفقر ومن لا يكون بالله يخذل ومن

يستعن بالله يظفر ويقال صفا النفس الناطقة بمواظبة الفكرة الصادقة من لا فكرة له فيما خلق فهو مسلوب يعني الانسانية وحقيقة الروحانية ويقال الامانى فى الشدة ارتياح وفى الرخاء جماح فلا يصلح للعاقل ان يريح نفسه فى الامانى الا بمقدار ما يؤنس الوحشة ويفش الكربة ويقال استيلاء الامانى على النفوس لئام السفلة الذين يجعلون الرؤساء اذنابا والاذناب رؤساء ويسعون فى تغيير صور الصواب روى الطبرى باسناد صحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر النخوة قالوا يا رسول الله ما الوعول وما النخوة قال الوعول وجوه الناس واشرافهم والنخوة الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يعبأ بهم (فائدة) الفحش هو السوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد فى القبيح من الجرائر وقيل الاول ما فيه حد والثانى ما شرع فيه الحد

ولنجعل ختام هذه الخاتمة

فى التفويض والمصير اما التفويض اعتقاد العجز عن مغالبة القدر وانه لا يكون من الخير والشر الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لا يعتقد ذلك ويعلمه على اليقين قال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة من كلام وان اصابك شئ فلا تقل لو فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله تعالى ومن كلام الحكمة اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن اعوانه نفوذ الحيلة الكيس الماهر من استسلم لامر القادر واما الصبر فقد تقدم الكلام على نبذة منه فى خلافة المقتدى لكن لا باس باثراد نبذة منه فى هذا المحل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله وقائده والرفق والده والبر اخوه والصبر جنده وقال

صلى الله عليه وسلم ما أعطى المؤمن عطاء أوسع من الصبر وان الصبر من الانسان بمنزلة الرأس من الجسد (فائدة) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان في حوادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك ما لا تقدر بحولك ولا بحيلتك ولو لم يكن في الصبر الا ما جاء في القرآن العظيم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضي الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وافضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام علي رضي الله عنه اي شيء اقرب الى الفكر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث بن اسد المحاسبي لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل البصر قال

الشاعر

لا تجزعن لعسرة من بعدها ... يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ... ويجيء في أعطافها الطاف

مفرد

ما أحسن الصبر ولكنه ... في ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضي الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة ... وما فهموا بلغ عاقبة الصبر
وفي الصبر روح او طريق مبلغ ... الى الربح لكن الخسارة في العمر

وللسراج الورّاق

وقائل قال لي لما رآى قلقي ... لطول وعد وامان تمنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم ... محمودة قلت نخشى ان تخوّنا

والصبر انواع كثيرة واللائق بهذا المقام صبر الملوك وهو عبارة عن ثلاث قوى الاولى قوة الحكم وثمرتها العفو الثانية قوة الحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات

قال الشاعر

لا تقف للخطوب فى كل وقت ... ولا تخشها اذا هى جلت
فحقيق دوام ما ليس يبقى ... كثرت فى الزمان او هى قلت
واودع للهموم صبرا جميلا ... فالرزايا اذا توالت تولت

ولكن هذا آخر ما يسر الله تعالى جمعه على يد مؤلفه محمد اسحاق فى هذه الاوراق مما رق معناه وراق لا سيما مع توزع البال والاشتغال بهم العيال والخاطر بالافكار مشغول والعزم للالتوا بالامور وتقسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن المقطوب كليل والقلب لتوالى المحن وتواتر الغم عليل

كما قيل

يعاندنى دهرى كانى عدوه ... وفى كل يوم بالكريهة يلقانى
فان رمت منه جانبا منه ضده ... وان راق لى يوما تكدر فى اثنى

وأرجو ممن رشف من راح براعة هذه العبارة وراح يدير فى حديقة البراعة نظره وبعض انظاره ان يغمض نظر الافكار عند العثور على العثار فانى فى خجل واضطراب من هفوات هذا الكتاب لانى أدرج فيه بقدر ما وسع ملئ اهابى من غث وسمين ورخيص وثمين واذا عثر على غير صواب فليصلح واذا وقف على ما ليس بحسن فلا يقبح فانى ناقل عمن مضى واحسن الناس ما كان للطرف الانتقاد مغمضا فان الكريم غفار والحليم ستار فانى لا اعى رتب الكمال ففوق كل ذى علم عليم ولا ازعم التراهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم

قال الشاعر

ما كان من خطاء فى النقل أو خطل ... فى اللفظ او هفوة فى الرقم او خلل
وشامه ذو ذكاء ناقد فطن ... فليستر عن عوار منه بالحلل
فليس يعصم من عيب ومنقصة ... سوى الملائك والانبا والرسل

تم

ذكر أثر متصل السند في النيل

حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث بن سعد قال بلغني انه كان رجل من بني العيص يقال له حايد بن ابي شالوم بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام خرج هاربا من مصر من ملك من ملوكهم حتى دخل ارض مصر فاقام بها سنين فلما رآى عاجيب نيلها وما يأتي به جعل لله عليه أن لا يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج او يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة في الناس وثلاثين سنة في غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر اخضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلي تحت شجرة من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من أنت فقال له انا حايد بن ابي شالوم بن العيص ابن اسحاق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فمن انت قال انا عمران بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم قال فما الذي جاء بك يا حايد قال جئت من أجل هذا النيل فما جاء بك هنا انت يا عمران قال جاءني الذي جاءك حتى انتهيت الى هذا الموضع فاوحى الله الى ان أقف في هذا الموضع حتى يأتيني امره فقال له حايد اخبرني يا عمران ما انتهى اليك من امر هذا النيل وهل بلغك في الكتب ان احدا من بني آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغني ان رجلا من بني العيص يبلغه ولا اظنه غيرك يا حايد فقال له حايد يا عمران اخبرني كيف الطريق اليه قال له عمران لست اخبرك بشيء الا ان تجعل لي ما اسألك قال وما ذاك يا عمران قال اذا رجعت الي وانا حي تقيم عندي حتى يوحي الله الى بامره او يتوفاني فتدفني فان وجدتني ميتا فتدفني وتذهب قال ذلك على قال له

سر كما أنت على هذا البحر فانك تأتى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها
فلا يهولنك مرها اركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت أهوت
اليها لتلتقمها حتى يحول بينه وبينها يحجبها واذا غربت أهوت عليها
لتلتقمها فاذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهى الى
النيل فسر عليها فانك ستبلغ أرضا من حديد جبالها واشجارها
وسهولها من حديد فان انت جزتها وقعت فى ارض من نحاس جبالها
واشجارها وسهولها من نحاس فان انت جزتها وقعت فى ارض من
فضة جبالها واشجارها وسهولها من فضة فان انت جزتها وقعت
فى أرض من ذهب جبالها واشجارها وسهولها من ذهب فيها
ينتهى اليك علم النيل فسار حتى انتهى الى ارض الذهب فسار فيها
حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبة من ذهب
فيها اربعة ابواب فنظر الى ما يخدر من فوق ذلك السور حتى يستقر
فى القبة ثم ينصرف فى الابواب الاربعة فاما الثلاثة فتغيض فى الارض
واما الواحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح
واهوى الى السور ليصعد فاتاه ملك فقال له يا حايد قف مكانك
فقد انتهى اليك علم هذا النيل وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة
فقال اريد ان انظر الى الجنة فقال انك لن تستطيع دخولها اليوم
يا حايد قال فأى شئ هذا الذى أرى قال هذا الفلك الذى يدور فيه
الشمس والقمر وهو شبيه الرحى قال انى اريد ان اركبه فادور فيه قال
بعض العلماء انزركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال له يا حايد
انزل سيأتيك من الجنة رزق فلا يؤثر فيه شئ من الدنيا يبقى ما بقيت
قال فبينما هو واقف كذلك اذ نزل عليه عنقود من الجنة فيه ثلاثة
من الاصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون
كاللؤلؤ الأبيض ثم قال يا حايد ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيبها
فارجع يا حايد فقد انتهى اليك أمر النيل قال فهذه الثلاثة التى
تغيض فى الارض ما هى قال احدها الفرات والاخر دجلة والاخر

جيحان فارجع فرجع حتى انتهى الى الدابة التى ركبها فركبها فلما أهوت
الشمس لتغرب فدنت به من جانب البحر فاقبل حتى انتهى الى عمران
فوجده ميتا حين مات فدفنه واقام على قبره ثلاثا فاقبل شيخ له
مقشعب بالناس اغر من السجود ثم اقبل الى حايد فسلم عليه ثم قال
يا حايد ما انتهى اليك من علم هذا النيل فاخبره فلما أخبره قال هكذا
نجده فى الكتب ثم اظهر له شجوة تفاح فى عبثة فقال الا تاكل معى
قال معى رزق قد اعطيته من الجنة ونهيت ان أوثر عليه شيئا من الدنيا
قال له صدقت يا حايد او ينبغى لشئ من الجنة ان يؤثر عليه شئ من الدنيا
وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح انما انزل الى الارض وليس من الدنيا
وانما هذه الشجرة من الجنة اخرجها الله تعالى لعمران ياكل منها وما تركها
الا لك وان ولت عنها رفعت فلم يطر بها له فى عينه حتى أخذ منها تفاحة
فعضها فلما عضها عض يده ثم قال اتعرفه هو الذى اخرج اباك من الجنة
اما انك لو سلمت لهذا الذى كان معك لاكل منه اهل الدنيا قبل ان ينفد
وهو مجهودك ان يبلغ فكان مجهوده ان بلغه وأقبل حايد حتى دخل
ارض مصر واخبرهم بهذا ومات حايد بارض مصر وبهذا الاسناد
الى عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد الغافرى عن
عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم قال كانت الجنان مجانى هذا النيل من أوله الى آخره من
الشقين جميعا من اسوان الى رشيد وكان له سبعة أخلجة خليج الاسكندرية
وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى
متصلة لا ينقطع منها شيا عن شئ ويزرع ما بين الجبلين كله من اول
مصر الى آخرها ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من
ستة عشر ذراعا وبهذا الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب
انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها
وقطع جزائرها مائة الف وعشرون الفا فاعل معهم الطور والمساحى
والاداة يتبعون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا وذكر فى بعض الاخبار
ان حايدا هذا لم يتنبأ وانما أوتى الحكمة وانه سال الله تعالى ان يريه

منتهى

منتهى النيل فاعطى قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن
يطلع على اعلاه فلم يقدر فسأل الله تعالى فيسره عليه فصعد فرأى
خلفه البحر الزفتى وهو بحر أسود منتن الريح مظلم فرأى النيل يجرى فى
وسطه كانه السبيكة الفضة وقال صاحب مباهج الفكر ذكر
ابو الفرج قدامة ان مجموع ما فى المعمور من الانهار مائتان وثمانية
وعشرون نهرا منها ما يجرى من المشرق الى المغرب ومنها ما يجرى من
الشمال الى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال
ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر
قدامة ان ابتعاثه من جهة القمر ورأى خط الاستواء من عين تجرى منها
عشرة أنهار وكل خمسة تصب منها الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الاول
ومن هذه البطيحة يخرج ماء النيل وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق
فى اختراق الآفاق أن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة
من السودان بين كاتم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف
من غربيها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثانى فيكون على شفته عمارة
النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف
الى الجادل واليها ينتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الاعلى
صعودا وهناك احجار مضرسة لا مرور للمراكب عليها الا فى ايام زيادة
النيل ثم ياخذ الى الشمال فيكون على شرقيه مدينة اسوان من الصعيد
الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لاعمال مصر شرقى وغربى الفسطاط
فاذا جاوزها مسافة يوم انقسم قسمين احدهما يمر حتى يصب فى بحر
الروم عند رشيد ويسمى بحر الغرب ومسافة من منبعه الى ان يصب
فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية واربعون فرسخا وقيل انه يجرى فى الجزائر
أربعة أشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهرا وليس
فى الارض نهر يزيد حين تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون
فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار
تمدها بمائها وقال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف على حسب
مددها تكون كثرته وقلته وذهبا آخرون ان زيادته بسبب أمطار

كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته عن اختلاف الريح وذلك ان الشمال اذا هبت عاصفة الريح للبحر الرومي فيدفع اليه ما فيه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيسترجع منه ماءه اليه فينقص وقال آخرون مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف وانه يخرق البحر ويجري على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله الى ان ياتي بحيرة الزنج قالوا ولولا دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع أحد شربه لشدة حلاوته وقد تم هذا الكتاب البديع المستطاب وفيه يقول

الناظم

شمس الهنا لاحت على الآفاق ... ودعا السرور معاشر العشاق
فيه الغرائب والعجائب اشبهت ... في النظم عقد اجل في الاعناق
وكذا نوادره الفريدة اوثقت ... من حكمة معهودة الميثاق
يا من يميل الى نديم صادق ... ياتي الى تاريخنا الاسحاقي
يغني السكارى عن تغرد آلة ... او هزة بالردف او بالساق
حظ الجليس ولا يمل سماعه ... اذ حن للمعشوق والمشتاق
يهدي القلوب مع اللواحظ والنهى ... سبلا الى خلاقنا الرزاق
وحوى كلام الاولين بصحة ... ولطافة وعذوبة بمذاق
يكفيه من درر المعاني لفظه ... وحديثه للنفس كالدرياق
وكفاه في التشريف مصر واهلها ... من شاهد في الفضل بالاطلاق
فيه الكفاية من اراد مسامرا ... يسقي الندامى كان هذا الساقي
فاسعى الى دار الطباعة انها ... دار الهنا في صحة الاوراق
فترى الكتاب وما عليه من البها ... فتجود بالارواح والارزاق
هذا كتاب من تامل ما حوى ... بأمانة لشراه بالاحداق
يا سعد بلغ من رأيت مؤرخا ... في طبعه مجد الضيا الاسحاقي

٩٠ ٨٦ ٤٧ ٨٤٢ ٢١١

١٢٧٦

بالمطبعة الفاخره الكائنة بمصر القاهره ادارة محمود افندي بخان الخليلي على ذمة ملتزميه كل من جناب الشيخ عبد الرازق والراجي عفو ربه القريب عبده محمد الديب حفظهما الله تعالى وغفر لهما

اول من نظر فيه وتمل معانه الفقير الى ربه
محتاج العفو محمد ابن الشيخ نجيب الفلعي
شعيا المبارك الذي من [illegible]

اودعت في هذا المكان شهادة
لا اله الا الله محمد الرسول
نظر فيه وتأمل معانيه الراجي الى ربه
العفو السيد سليم ابن الحاج حمزه التبكجي

نظر فيه وتأمل معانيه
الحقير الفقير الى الله
خليل ابن الحاج احمد
السمان غفر الله
له ولوالديه
والى جميع المسلمين
وصدر في ١٥ صا ٧٧

نظر فيه وتأمل معانيه الفقير الحقير الراجي عفو
ربه الكريم الحسيني سليم ذنبي
غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين امين
اجمعين

روى عن ابى اسحاق سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه
قال لما تولى الخلافه ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
قال فبينما هو ذات يوم جالس فى محرابه وهو يحدثنا
بحديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل راهبا ومعه اثنين راهب ووقفوا جميعهم على
باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابرك الراهب ناقته
له وتقدم الى وسط المسجد وقال السلام عليك يا خليفة
محمد فقال ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه السلام على
من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع العلى الاعلى
مالذى اتيت فيه يا راهب فقال يا خليفة محمد اتيت اسالك
عن مسائل غريبه وعجايب كثيره فان شرحتها لنا كما
هى عندنا امنا وصدقنا وعلمنا ان صاحبك نبى كريم
مرسل من عند السميع العليم فقال ابو بكر الصديق اسال
يا راهب عما شئت فقال الراهب اول ما اسالك ان تخبرنى
عن مستقر اسمك من جسمك واخبرنى عن اى شئ جاء
معى من البضايع واخبرنى عن الحاملات وقرا وعن

الجاريات يسرا وعن المقسمات امرا واخبرني عن اربعة
عشر كلموارب العالمين كلمة واحدة واخبرني عن شيئ
يتنفس وليس له روح واخبرني عن قبر مشى بصاحبه
وعن الطريق البيضا الذى لا في السماء ولا في الارض واخبرني
عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض واخبرني عن
اول شجرة هزتها الرياح وعن شيئ خلقه الله وانكره
وعن شيئ خلقه الله وسال عنه واخبرني عن شيئ خلقه
الله واشتراه واخبرني عن شيئ خلقه الله واستعظمه
واخبرني عن رجل يدخل الجنة وقد نهاه الله تعالى ان
لا يفعل احدا بفعله واخبرني عن شئ يتكلم وليس له
روح ولا لحم ولا دم وعن طير لم تبضه الطيور وعن
شيئ قليله حلال وكثيره حرام وعن رسول لا من الجن
ولا من الانس ولا من الملائكة واخبرني عن شيئ بعضه
حلال وبعضه حرام واخبرني عن شيئ ان فعلته كان
حرام وان تركته كان حرام واخبرني عن رجل خاطب
امراة وهي عريانه ولم يكن بعلها ولم يلحقه اثم واخبرني
عن اليوم الذى كلم الله موسى فيه واخبرني عن ادم

كم كان طوله وكم سنة عاش واخبرني عن نفس اوحى
الله اليها ولم تكن من الانبياء واخبرني عن خمس كانوا
في الدنيا اكلوا وشربوا ولم يكونوا من ذكر ولا انثى واخبرني
صيدين ماتوا فحلل الواحد وحرم الاخر واخبرني عن اثنين
اوحى الله اليهما واخبرني عن موضع طلعت عليه الشمس
مرة واحدة ولم تطلع عليه مرة اخرى الى يوم القيمة
واخبرني عن شئ حلال الى الخلق وحرام على رجل واحد
واخبرني عن من حرمت عليه زوجته من غير طلاق
واخبرني عن نفس ماتت واحيت غيرها واخبرني كم بين
المشرق والمغرب وكم بين السماء والارض واخبرني ماتقول
البقرة في خوارها وماتقول الفرس في صهيلها ومايقول
الاسد في هديره وماتقول الحمامه في تغريدها ومايقول
الهدهد في صياحه وماتقول اليمامه في تسبيحها ومايقول
الضفدع في نعيقه وماتقول الدجاجه في سفيرها ومايقول
الطاوس في لفاته ومايقول الغراب في نعيقه وماتقول
الحداه في صفيرها وماتقول النار في اضرامها واخبرني
عن الممسوخين كم كانوا وباى ذنب مسخوا وهذه
مسا

مسائلنا اشرحها لنا قال فعند ذلك قال ابو بكر
الصديق رضى الله عنه الى سلمان الفارسى يا سلمان
امضى الى على ابن ابى طالب وائتنا به واخبره بما نحن
فيه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
انا مدينة العلم وعلى بابها قال سلمان الفارسى فانطلقت
الى على رضى الله عنه فسلمت عليه فرد على السلام
وقال لى ما الخبر يا سلمان فقلت له ان ابا بكر الصديق
يطلبك الى عنده فقال السمع والطاعة لله ثم الى ابو
بكر ثم قال على يكون الراهب والرهبان حضروا اليه
فقلت يا امير المؤمنين ومن اخبرك بذلك قال اخبرنى ابن
عمى محمد صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بحضورهم
فى هذا اليوم ثم ان الامام على توجه هو وسلمان الفارسى
ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى المسجد فنهضوا
القوم كلهم قيام هذا والرهبان ينظروه الى الامام على
رضى الله تعالى عنه فسلم عليهم فرد واعليه السلام
فقال له ابى بكر يا ابى الحسن انظر الى هذا الراهب وما
يقول فنظر الامام الى الراهب وقال له انت مراحيل

ابن شرجيل من المكان الفلانى فقال الراهب هذا هو
العجب العجيب يافتى من اخبرك باسمى قال الامام اخبرنى
باسمك ابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فقال
الراهب يافتى انت الطاعن بالرمحين والضارب بالسيفين
فى غزاة بدر وحنين قال نعم انا قال الراهب يافتى اننا
قد وجدنا فى كتبنا هذه المسائل فقال الامام على اسال
عن ماشئت فاعاد الراهب المسائل على الامام مثل ماقالها
الى ابوبكر رضى الله عنه من اولها الى اخرها فقال
الامام يا راهب ان شرحت لك هذه المسائل ما الذى يكون لى
عندك قال الذى تقول انت يافتى قال اريد منك ان
تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
قال الراهب يافتى لك هذا قال الراهب واشهد على ذلك
الحاضرين فقال الامام يا راهب اما مستقر اسمك من
جسمك فهو اذنيك لان من دعى باسمه سمع باذنيه
قال الراهب صدقت يافتى فقال الامام واما ما اتيتم
فيه فانكم اتيتم تسالون عن دين الاسلام ان كان صحيح
ام باطل واما ماجاء معكم من البضايع فقد جاء معكم

الف

الف دينار من الذهب الاحمر والف اوقيه من الفضة
البيضا واما الرياح الاربع فالشمالى والجنوب والصبا
والدبور واما الحاملات وقرا فهى السحاب التى تحمل الماء
من مكان الى مكان واما الجاريات يسرا فهى المراكب الجاريات
فى البحار واما المقسمات امرا فهى الملائكة الذين
يقسمون الارزاق على الخلائق واما الاربعة عشر الذين
كلموا الله كلمة واحدة فهى السموات والارض ولذلك قوله
تعالى لما قال للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين واما الشئ الذى يتنفس وليس له
روح فهو الصبح وذلك قوله تعالى والصبح اذا تنفس الاليه
واما القبر الذى مشا بصاحبه فهو حوت يونس ابن متى
عليه السلام واما الطريقة البيضا التى لا فى السماء
ولا فى الارض فهو مخرمة ابن لوط عليه السلام واما
الماء الذى لا تزل من السماء ولا ينبع من الارض فهو
عرق الخيل واما شجرة الذى هزتها الرياح فهى شجرة
الصنوبر كان منها سفينة نوح عليه السلام واما اول
قتيل قتل على وجه الارض فهو هابيل لما قتله اخاه

قابيل واما الذى خلقه الله واشتريه فهى ارواح
المؤمنين والشهداء وذلك قوله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم الاية واما الذى خلقه الله وسال
عنه فهى عصاة موسى عليه السلام وذلك قوله تعالى
وما تلك بيمينك يا موسى الايه واما الذى خلقه الله
وانكره فهو صوت الحمار وذلك قوله تعالى ان انكر
الاصوات لصوت الحمير واما الذى خلقه الله واستعظمه
فهو كيد النساء وذلك قوله تعالى ان كيدكن عظيم
واما الذى يدخل الجنة وقد نهاه الله تعالى ان لا يفعل
احدا يفعله فذلك قوله تعالى ولا تكن كصاحب
الحوت فهو يونس عليه السلام واما الذى يتكلم وليس
له روح ولا لحم ولا دم فهى جهنم وذلك قوله تعالى
يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد
واما الطير الذى لم تبضه الطيور ولم تحضنه فهو
الطير الذى نفخ فيه عيسى عليه السلام واما الذى
قليله حلال وكثيره حرام فهو نهر طالوت وذلك
قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى الايه

واما الرسول الذى ليس من الجن ولا من الانس ولا
من الملائكة فهو الهدهد واما الذى بعضه حلال
وبعضه حرام فهو الذى شرب من اناء ثم رعف فيه قبل
ان يرعف شرب حلال ولما رعف حرم عليه الباقى
واما الذى خاطب امراة عريانه ولم يكن بعلها فانه رجل
اعمى كلم امراة عريانه فما عليه اثم واما الذى
ان فعلته كان حرام وان تركته كان حرام فهو السكران
وصلاته واما رضاع موسى كم ارضعته امه فانها
ارضعته ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ثم ارمته فى البحر
واما اليوم الذى كلم الله موسى فيه فهو يوم الجمعه
واعطاه فيه التورية واما ادم عليه السلام فكان
طوله ستون ذراعا وعاش ثلاث مائة سنة واما
الذى اوحى الله اليه ولم يكن من الجن ولا من الانس
ولا من الملائكة فهو النحل وذلك قوله تعالى واوحى
ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يعرشون واما الخمسة الذى اكلوا وشربوا فى الدنيا
ولم يكونوا من ذكر ولا انثى فهم ادم وحوى وناقة صالح

وكبش اسمعيل وعصاة موسى عليه السلام واما
الصيدين الذى ماتوا جميعا فحلل الواحد وحرم الواحد
فهو طير صاد سمكه ووقع فى البحر وماتوا جميعا فالطير
حرام والسمكة حلال واما الذى اوحى الله اليهما وهما
اثنين فهما الحواريون واما كم طير ذكرهم الله تعالى
فهم الغراب والهدهد والفراش والبعوضة واما الذى
ابصرته الشمس مرة واحدة ولا تعود تراه ابدا الى
يوم القيمة فهو قعر البحر لما انفلق الى موسى ابن عمران
عليه السلام واما الذى حرمت عليه زوجته من غير
طلاق فهو رجل اتى الى امراته فاقسمت عليه بالله
العظيم بالعفه وهى فى الحيض فماله عليها من سلطان
فى ذلك الوقت واما النفس التى ماتت واحيت غيرها
فانها بقرة بنى اسرائيل واما كم بين المشرق والمغرب
فمسيرة يوم واحد الى الشمس واما كم بين السماء
والارض فدعوة المظلوم مستجابه واما كلام الطيور
والبهايم والوحوش وغيرهم فان الفرس تقول اللهم
اعز المؤمنين واخزى الكافرين واما الابل فانها
تقول

تقول عجبت لمن عدم القوت كيف يستطيع السكوت واما
البقرة فانها تقول ياغافل انت عن قليل راحل ستلقا
غدا ما انت فاعل واما الحمار فانه يقول لعن الله المرابي
وكسبه واما الكلب فيقول اللهم انى محروم وانت الرحيم
فارحمنى وارحم من يرحمنى واما الغراب فانه يقول معاشر
الامم احذروا حلول النقم واما الحداه فانها تقول
البعد عن الناس انس لمن عقل واما الحمامه فانها تقول
صلوا من قطعكم وكلموا من هجركم تكون الجنة مستقركم
واما النار فانها تقول اللهم اجرنى من نار جهنم واما
الرياح فانها تقول اللهم انى مطيعه فالعن من يسبنى
واما الضفدع فانه يقول سبحان من يسبح له فى لجج البحار
واما الهدهد فانه يقول اللهم رب انى ظلمت نفسى
واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنبى فانه لا يغفر الذنوب
الا انت واما الدجاجه فانها تقول الرحمن على العرش استوى
واما الديك فانه يقول ياغافلين اذكروا واما ما سالتم
عن الممسوخين كم كانوا وباى ذنب مسخوا اعلم يا راهب
ان الله تعالى مسخ سبعة وعشرين طائفه منهم الفيل

فانه كان رجل ياتى البهايم فمسخه الله تعالى واما
الارنب فانها كانت امراة لا تغتسل من الجنابه والحيض
فمسخها الله تعالى واما الذيب فانه كان رجل مخنث
فمسخه الله تعالى واما ابن اوى فانه كان رجل يجادل
فى الله بغير علم فمسخه الله تعالى واما الخنازير فانهم
كانوا سبع مائة من النصارى الذين اكلوا مائدة عيسى
ولم يامنوا بالله تعالى وكفروا فمسخهم الله تعالى واما
القرود فانهم كانوا خمس مائة من اليهود الذين اعتدوا
فى السبت وكانوا يصطادوا الحيتان فى يوم السبت فمسخهم
الله تعالى واما العنكبوت فانها كانت ساحره تسحر زوجها
فمسخها الله تعالى واما الزلحفه فانه كان رجل يطفف
المكيال اذا اكتال للناس فمسخه الله تعالى واما السرطان
فانه كان رجل ينبش القبور ويأخذ اكفان الموتى فمسخه
الله تعالى واما الحيه فانها كانت حاكم يحكم على الناس
بغير عدل فمسخها الله تعالى واما الثعلب فانه
كان رجل كذاب يكذب على العلماء ويسبهم فمسخه
الله تعالى واما الكلب فانه كان رجل يشهد
بالزور

بالزور ويمنع الناس عن حقوقهم فمسخه الله تعالى
واما العقاب فانه كان رجل يحتكر القمح ويشتهي الى
الناس الغلا فمسخه الله تعالى واما الفاخته فانها كانت
امراة لا تمنع الناس من نفسها فمسخها الله تعالى واما
الفاره فانها كانت امراة متزوجة بزوجين كل موضع
زوج فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم الفويسقه
فعند ذلك قام الراهب والرهبان وقطعوا زنانيرهم وقالوا
نحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ففرح الامام على كرم الله
وجهه والامام ابو بكر الصديق
رضى الله تعالى عنه
باسلامهم وهذا اخر
حديثهم على التمام
والكمال والحمد
لله على
كل
حال
تم

قصة ابا يزيد البسطامى

روى عن بعض المشايخ الراشدين انه كان فى القرن
الثالث ولى الله تعالى يقال له ابا يزيد البسطامى
وكان حافظ كتاب الله تعالى والعلم الشريف وكان
تجرد الى العباده وحفظ الصلاة وصوم النهار وقيام
الليل والاعتكاف فى الخلوات وصحبة المشايخ والسادات
قال فلما بلغ مبالغ الرجال حج حجة الفريضة وكان
يحج كل عام ماشيا صائما وكان يختم كل يوم ختمه
فلم يزال كذلك حتى انه حج خمسة واربعين حجه فلما
كان فى الثالث واربعين حج رئ البيت زمردة خضراء
وفى الخامس واربعين راه نورا يزهر فاعجبته نفسه
فقال طيب يا ابا يزيد الناس يطوفون بالاحجار وانت
تطوف بالانوار فحجب الله عنه ذلك الحال وعاد ينظر
الى البيت كما تنظر الناس فبرك على ركبته وحث
التراب على راسه وصبغ احرامه اسود وانشد يقول

جس الطبيب يدى فصحت منا ديا
ا ياطبيب اترك يدى وجس فؤادى

ان لم تسامحنى وتجبر فاقتى
من ذا يكون د خيرتى فى معادى

فلئن رجعت ولم تكن لى مواصلا
واحسرتى من شقوتى وبعادى

فاوليك انشرح فى السرائر باطنى
ماحل بى ياسيدى وانادى

يا فارج الكربات فرج كربتى
قبل الرحيل وقبل يوم احصادى

ان لم تكن لى راحما ياسيدى
من ذا يكون د خيرتى فى معادى

ماتم باب غير بابك سيدى
متوسل بمحمد و باله الامجادى

انت الرحيم وراحم لبديتى
فاعطف على فكم لديك انادى

قال ثم انه يبكى ويتضرع حتى صعد على جبل عرفات
فلما كان ساعة العزقه بكا بكاء شديد فقال فى نفسه
لم تبكى فو الله ماعلى الجبل رجل اخر مثلك من له

خمسة واربعون حجه مع صيام خمسون عام مع ثلاث مائة
ختمه فعندها قال ابا يزيد يا نفس الشوم انا عذبتكى
ومقتكى حتى تنكسرى وشومك ماينكسر ثم نادى معاشر
الحجاج من يشترى منى خمسة واربعون حجه برغيف فقال له
رجل اعرابى انا ثم اخذ منه الرغيف وارماه الى الكلب
ثم قال لنفسه اذهبى يا نفس الشوم فلم يبقى لكى عند
ربك عملا تتذللى به قال فلما اتم مناسكه ودخل
يطوف طواف الافاضه وفى طوافه رئ البيت كما تراه
الناس على حاله ولم يرجع اليه مثل الحال الاول ثم انه
قال والله ان لم يصلحنى ربى لاشدن الزنار حتى
ترجمنى الناس بالاحجار ثم انه بعدها شد وسطه
وجعل الناس يقولوا مكر الله بابى يزيد ثم انهم
جعلوا يشتموه ويرجموه وهو مشتغل فى نفسه ثم
انشد يقول

ان كان يهجرنى والله ماظلما فهو الحبيب الذى تشفا به السقما
والله ما جن ليلى الا وهمت به طوبى لمن بات من هجرانكم سلما
كتمت الهوى جهدى فما انكتما وصنت دمعى ففاضت مقلتى ندما

مولاى

مولاى مولاى جد بالعفو من زللى
وارحم بفضلك من اخطا وقد ندما
ثم قال يا نفس الشوم اشد العذاب فراق الاحباب
والله لافارقك عن الاهل والمشايخ والاصحاب
ولالحقنك بدار المشركين من اهل الكتاب
ثم ان ابا يزيد سار الى بلاد الروم وجلس فى السوق
عند رجل نصرانى تاجر فقال له التاجر وهو يظن انه
نصرانى اظن انك حبيت من ديار المحبين الى ديار
المطرودين تعاقب نفسك بجرمها قال نعم وازيدها غما
على غمها فقال له النصرانى اين اقسم عليك بالانجيل
ومن انزله ان تجعل مقامك عندى لانى ارى على وجهك
نورا ساطعا وضياء لامعا فقال له ابا يزيد من دعى
فاليجب فمشى معه الى منزله فعشاه ثم دخل به الى
كنيسه قد بناها النصرانى فى داره وفيها اصنام
مصوره قال النصرانى الى ابا يزيد دونك والعباده
فى هذه الكنيسه قال فدخل ابا يزيد الى الكنيسه
واخذ الاصنام وكبها على وجهها ومحا التصاوير

واقام فيها شهرا كاملا والنصراني ياتيه بالاكل
والشرب وهو بناوله من الباب ولم يعلم سر ابا يزيد
وما صنع قال فبينما ابا يزيد يعاتب نفسه اذ سمع
هاتفا يقول يا ابا يزيد دع عنك عتاب النفس وتعالى
فلما سمع ابا يزيد ذلك فرح فرحا شديدا بالوصال
وصلاح الحال وعزم على الرجوع الى بيت الله الحرام
وبات تلك الليلة يصلي شكرا لله تعالى الى الصباح
فلما اصبح الصباح فتح النصراني باب الكنيسه ودخل
على ابا يزيد فوجده يصلي الصبح الى قبلة المسلمين
ووجد الاصنام مكبوبه على وجوهها فقال له يا راهب
انت اسلمت البارحه وانت من جملة المسلمين فقال
انا من المسلمين من اول ما خلقني الله تعالى ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من
الخاسرين وجعل ابا يزيد يصف الى النصراني فضائل
الاسلام وفضائل سيدنا محمد عليه من الله افضل
الصلاة واتم السلام فقال النصراني اين جاهل ملك صرف
شئ مما تقول ولكن لنا عالم اسمه منهاد يعتكف عنا
سنة

سنه ويأتينا فى راس يوعظنا نعمل له الى العام القابل
وقد قرب خروجه وقد بقى له عشرون يوما فبالذى
انزل الانجيل على عيسى ابن مريم لا تسافر حتى
يأتى الراهب وتحدثه وتجتمع به فان كان قولك
حق اتبعناك فقال ابا يزيد حبا وكرامة فانى يشق
على ان اسافر وانت على دين النصرانيه وقد احسنت
الى هذا الاحسان ثم ان ابا يزيد اقام عند النصرانى
واذا بالراهب منهاد قد اقبل هذا وابا يزيد قد
لبس الثياب البيض وخلع الثياب السود فقال
النصرانى الى ابو يزيد اذا قدم الراهب الينا
اخلع الابيض والبس الاسود وشد الزنار حتى
لا ينكروا عليك النصارى والرهبان فعظم ذلك
على ابا يزيد فلما كان يوم خروج الراهب منهاد
اجتمعوا اكابر النصارى وعلمائهم فى الكنيسه فقال
التاجر الى ابا يزيد اخلع المرقعه والبس البرنس
وخذ الانجيل والمزامير بين يديك وشد الزنار
على وسطك حتى لا ينكر عليك احد ولا ينظر اليك

فعظم ذلك على ابا يزيد واذا بالهاتف يقول له
افعل مثل ما قال لك لان لنا فى ذلك عنايه
ومشيئه قال فنزل ابا يزيد فى زى الرهبان
وسار الى الكنيسه فصار فى جملة النصارى فى تلك
الكنيسه وجلسوا الجميع وابا يزيد جالس فى جملتهم
واذا قد دخل الى الكنيسه رجل طاعن فى السن
قد بلغ من العمر مائة وستون سنة فعظموه
النصارى وقبلوا ايديه ثم صعد على منبر وجلس
الى ان ارتفع النهار ولم ينطق بكلام فقام اليه
رجل من النصارى وقال له يا ابونا ان لنا فى انتظار
هذا اليوم سنه وقد حميت الشمس فان كنت
غضبان عرفنا حتى نزيل غضبك وسمعنا شيئا حتى
ننتفع به وان كان قد بدا لك امر تكرهه فى هذا
اليوم عرفنا حتى انتا نطلع فقال الراهب منهاد
ما عندى شئ من ذلك ولكن ما يمنعنى ان اتكلم
الا عندكم فى هذا المكان رجل محمدى وهو من
عباد الله الصالحين قد مسك على الوقت

فلا

قلا اقدر اتكلم فقالوا دلنا عليه حتى اننا
نخرجه من بيتنا فقال الراهب والله ما اد لكم عليه
تحلفوني انكم لا تكلموه ولا تؤذوه ولا بكلمة واحدة
فقالوا نقسم بالانجيل ما نخالف لك قولا ابدا فعندها
التفت الراهب منهاد وقال ايها العابد الصالح
اقسم عليك بمحمد صلى الله عليه وسلم انك تقوم قائما
على قدميك حتى تنظر العيون اليك قال فقام ابا يزيد
على قدميه والنور يتلالا على وجهه فقال منهاد
الى اصحابه انظروا اليه قالوا قد نظرنا فقال
الراهب السلام عليك ياشيخ فقال ابا يزيد السلام
على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع
العلى الاعلى قال الراهب ياشيخ ما اسمك قال ابا
يزيد فقال منهاد ياشيخ اتعرف شيئا من العلوم
قال اعرف ما علمني الله اسال ما الذي تريد قال ايها
الشيخ اريد ان اسالك مسائل فان اجبتني عنها
نعرف ان الحق معكم فقال ابا يزيد اسال عن ما تريد
فسوف تسمع الجواب باذن الملك الوهاب

فقال الراهب ما قولك في واحد ماله ثاني وثاني
ماله ثالث وثالث ماله رابع ورابع ماله خامس
وخامس ماله سادس وسادس ماله سابع وسابع ماله
ثامن وثامن ماله تاسع وتاسع ماله عاشر وعاشر
ماله حادي عشر وحادي عشر ماله ثاني عشر
وثاني عشر ماله ثالث عشر فقال ابايزيد اسمح
ايها الراهب لجواب باذن الملك الوهاب اما قولك
عن واحد ماله ثاني فهو الله عز وجل لا شريك له
واما الثاني ماله ثالث فهو الشمس والقمر واما
الثالث ماله رابع فهو يمين الطلاق واما الرابع ماله
خامس فهو المذهب واما الخامس ماله سادس فهو
الخمس صلوات الذي فرضها الله على عباده المؤمنين
واما السادس ماله سابع فهي الايام الستة الذي
خلق الله تعالى فيها السموات والارض واما السابع
ماله ثامن فهي السبع ايام التي اهلك الله فيها قوم
عاد واما الثامن الذي لا تاسع له حملت العرش
واما التاسع الذي ماله عاشر فهي التسعة اشهر الذي

تحمل فيها المرأة واما العاشر الذى ماله حادى عشر
فهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واما الحادى
عشر الذى ماله ثانى عشر فهى الرؤيا التى راها يوسف
ابن يعقوب عليه السلام واما الثانى عشر الذى
ماله ثالث عشر فهى اشهر السنة هذا سؤالك
ايها الراهب فقال الراهب واسالك عن من خلق
من النار ومن هلك فى النار ومن حفظ فى النار
قال ابا يزيد اعلم يا راهب خلق من النار ابليس
وهلك فى النار ابى لهب وحفظ فى النار ابراهيم
عليه السلام قال الراهب واسالك عن من خلق
من الماء ومن حفظ فى الماء ومن هلك فى الماء فقال
ابا يزيد خلق من الماء ادم عليه السلام وحفظ فى الماء
يونس عليه السلام وهلك فى الماء فرعون قال
منهاد واسالك عن من خلق من الحجر ومن حفظ
فى الحجر ومن هلك فى الحجر قال ابا يزيد خلق من الحجر
ناقة صالح وحفظ فى الحجر اهل الكهف وهلك فى الحجر
اصحاب الفيل قال منهاد واسالك عن من خلق

من الخشب ومن حفظ فى الخشب ومن هلك فى الخشب
قال ابا يزيد خلق من الخشب عصاة موسى عليه
السلام وحفظ فى الخشب نوح عليه السلام وهلك
فى الخشب يحيى ابن زكريا عليه السلام قال منهاد
اخبرنى عن من خلق من الهوى ومن حفظ فى الهوى
ومن هلك فى الهوى قال ابا يزيد خلق من الهوى
عيسى عليه السلام وحفظ فى الهوى سليمان عليه
السلام وهلك فى الهوى عاد وثمود قال منهاد وما
قولك فى شجرة لها خمسة اغصان من مسك منها
غضنا وتلك البا فى جعل فى النار ولها خمسة اوراق
اثنين فى الشمس وثلاثة فى الظل فقال ابا يزيد اما
الخمسة اوراق فهى الصلوة الخمس الظهر والعصر فى الشمس
والمغرب والعشا والصبح فى الظل والثانى الصوم
والثالث الزكاة والرابع الحج والخامس الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر واصل الشجرة كلمة التوحيد
والايمان بالله ورسوله وباليوم الآخر قال صدقت
يا ابا يزيد فقال ابا يزيد يا راهب القيت على

ثمانى

ثمانى وثلاثين مسالة فرديت لك جوابها واجبتك
عنها بعون الله تعالى وانا اريد اسالك فرد مسالة
واحدة ترد على جوابها قال منهاد اسال عن ماتريد
قال يامنهاد اخبرنى ما مكتوب على باب الجنة وما
مكتوب على اوراق اشجار الجنة وما يُطلب من العبد
عند الجواز على الصراط وما مكتوب على سماء الدنيا
وما مكتوب على سرادقات العرش وما يطلب من
الانسان عند خروج روحه قال فسكت منهاد عن
رد الجواب فقالت له الرهبان والنصارى يا ابونا
ارميت فينا العيب رد عليك هذا الفقير ثمانية
وثلاثون مسالة ورد لك جوابها ويسالك فرد
مسالة ماترد جوابها قال منهاد انا ماغلبت عن رد
الجواب لكن اخشى ان رديت الجواب تقتلونى فقالوا
لا والذى انزل الانجيل على عيسى انا لك مجيبين
ومطيعين ومصدقين قل ولا تخف قال منهاد مكتوب
على باب الجنة لا اله الا الله محمد رسول الله من
مات عليها فتحت له ابواب الجنة الثمانية ثم انه

اسلم وقطع الزنار فقالت النصارى والرهبان والحاضرون
ونحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقطعوا زنانيرهم واسلموا كثيرا منهم وبقا منهم
خمس مائة رجل قالوا ما نسلم حتى يعطينا المسيح
ابن مريم دستور قال منهاد ويحكم اسلموا قالوا نسلم
من ستين سنة وانا اكتم ايماني خوفا من شركم
ان الدين عند الله الاسلام قال ابا يزيد قوموا معي
الى عند صورت عيسى فاتوا معه الى صنم على
صورة عيسى كان مصورا في الكنيسه فقال ابا يزيد
ايها الصنم ترضى ان هؤلاء النصارى يعبدوك من
دون الله تعالى وما تعلموا ايها الاحجار ان من كفر
احترق بالنار فشالت الاصنام وجوهها الى فوق
ونكست رؤسها وقالت لا لا وانشق حائط الكنيسه
وتساقطت الصور على وجوهها فلما نظروا الى
الاصنام والصور قد تكلموا وشهدوا ان الدين
عند الله الاسلام اسلموا الجميع واخرجوا الصور من
الكنيسه وعلموها جامع فسمعوا الهاتف وهو يقول
يا ابا

يا ابا يزيد شددت من اجلنا زنار قطعنا من اجلك
سبعة الاف زنار واقام ابا يزيد فيهم يعلمهم
شرايط الاسلام وسمع ابا يزيد الهاتف يقول

شعر

تجلت غيوم الصد عن قمر الشهبى
واصبح نور النور فى خلوة العتبى
وهب نسيم من شذاها تعطفا
وجاءت اشارات الهداية من ربى
ولما دنينا زالت الحجب بيننا
ولولا مقال الصدق لم ترفع الحجبى

ثم قال الهاتف الا ان حزب الله هم المفلحون نظم

الحمد لله حبى هدانى الى طريق الهدا والرشد مولانا
وارسل لنا احمد المبعوث من مضر
هادى الانام الى دين وايمانا
طه البشير النذير المصطفى القرشى
احمد محمد رسول الهدى جانا
ارسله ربى بدين قيم وتقى

وملة قد حوت علما وتبيانا
هذا النبي الذى نرجا شفاعته
يوم الحساب جزاء جنات وولدانا
شكرا لله رب العرش خالقنا
منشئ الوجود والى الاسلام اهدانا

قال فلما سمع منهاد من ابا يزيد هذا الكلام طرب وقال احسنت فى نظمك واطربت المسامع من كلامك ياشيخ الاسلام وقدوة الانام انى اريد ان اجدد اسلامى على يديك واحج فى هذا العام الى بيت الله الحرام فانى كنت مسلما لكننى اوافق المشركين خوفا من شرهم ان يقتلونى حتى شد الله عضدى بك وبقدومك فلعل الله ان يغفر لى ذنوبى بزيارة محمد عليه افضل الصلاة والسلام قال فلما كان اوان الحج تجهز ابا يزيد ومنهاد وخرجوا الى بيت الله الحرام فلما وصلوا الى مكان الاحرام كان تبعهم قوم من الذين اسلموا فامروهم يغتسلوا غسل الاحرام والبسهم ابا يزيد مثل ما يعرف من الاحرام من

الوا

الواجبات وجعل يقول ذهب الباس وزال العنا وظهر
الحق ونلنا المنا وطابت الانفس عند اللقا ودار
كوس الوصال من بيننا حتى اذا سكرنا قد قال لى
اشرب شراب لاانس من قربنا قلت من الساقى قال
الذى قال لموسى انا الله وهو على العرش استوى
قال وعلمهم ابا يزيد مناسك الحج والعمرة هذا ولما
وصل منهاد الى الكعبة تعلق باستار الكعبة
وجعل يقول هذه الابيات شعر
ايا من ليس لى منه بخير بعفوك من عذابك استجير
انا العبد المقر بكل ذنب وانت السيد الرب الغفور
فان عذبتنى فالذنب منى وان تغفر فانت بنا بصير
اجرنى من عقابك يا الهى
فانت عليك فكاك كل عسير
قال منهاد يا ابا يزيد انى اشتهى ان اموت
فى حرم الله تغسلنى بيديك فلما حضرت وفاته كشف
له ما اعطاه الله من الثواب فرفع راسه وانشد
وجعل يقول شعر

ومن كان ذا خير اعطاه جنة الرضا
بدار النعيم بين حور وولدانا
بها درّ وياقوت ودار زمرد
وانهار خمر جاريات والبانا
ومعهم ثياب من حرير وسندس
يسيرون فى روضات ورد وريحانا
واحسن من هذا وصال مليكهم
فانواره تغشانا ايما كانا

فقال منهاد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم انه توفى الى رحمة الله وغسله ابايزيد وكفنه ودفنه فى حرم الله رحمة الله عليهم اجمعين تمّ حديث ابايزيد

مسائل موسى

قال كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه كان موسى بارض مدين وكان فيها نهر جارى وكان من وراه عشب كثير ولم يكن الى الناس طريق الى ذلك العشب وكان موسى عليه السلام يجعل نفسه جسر على ذلك النهر حتى تمر عليه غنم شعيب كل يوم مرتين بالغداة والعشى فلما

فلما علم الله من موسى ذلك وحسن تواضعه اوحى الله
اليه ان يا موسى اسمع منى البيان انا الله الملك الديان
يا موسى طهر قلبك من شهوات الدنيا ولسانك من قبيح
الكلام فانى اريد اناجيك بلا ترجمان قال فاختار
موسى من قومه سبعين رجلا فامر الله ان يصعد الى
جبل طور سينا فصعد موسى عليه السلام وصلى
ركعتين فاذا بالندا من العلى الاعلى يا موسى خذ
ما اتيتك وكن من الشاكرين فاخذ موسى التورية
وهى فى خمسة الواح من الياقوت فنظر فيها واذا
بالندا يا موسى من لا يصبر على حكمى وقضائى ويشكر
نعمائى فاليطلب ربا سوائى قال موسى يارب اجد
فى التورية امة هم خير امةٍ اخرجت للناس فاجعلهم
امتى قال تلك امة محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى
يارب انى اجد فى التورية امة على قلوبهم مثل نور
الكواكب اجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال موسى
يارب انى اجد فى التورية امة يصلون مع الامام
فكتبت لهم بكل صلاة خمس وعشرون صلاة فاجعلهم

امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد
فى التورية امة اعطيتهم شهرا يصومونه فتغفر
لهم ذنوبهم احدى عشر شهرا فاجعلهم امتى قال
تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد فى التورية امة
يحجون الى بيتك الحرام فلا يرجعون الا مغفورلهم
فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب
انى اجد فى التورية امة يدخلون الجنة ولا يحاسبون
فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب
بما نالوا ذلك كله قال ببركة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم قال موسى يارب انى اجد فى التورية امة
يفقهون فى الدين فتحشرهم فى زمرة الانبيا فاجعلهم
امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد
فى التورية امة يجالسون علمائهم وعليهم من الذنوب
مثل اوزان الجبال فيقومون من عند علمائهم وليس
عليهم من الذنوب شيئ فاجعلهم امتى قال تلك
امة محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب انى
اجد فى التورية امة يبدل الله سيئاتهم حسنات

فا

فاجعلهم امتی قال تلک امة محمد قال موسی یارب
انی اجد فی التوریة امة حسنتهم بعشرة وسیئاتهم
بواحدة قال تلک امة محمد قال موسی یارب انی اجد
فی التوریة امة یعتق منهم فی شهر رمضان کل یوم
ستمائة الف عتیق من النار فاجعلهم امتی قال
تلک امة محمد قال موسی یارب انی اجد فی التوریة
امة اخر الامم فی الاسلام وهم السابقین الی الجنة
قال تلک امة محمد قال موسی یارب فاجعلنی من
امة محمد صلی الله علیه وسلم قال قد فعلت ذلک وانا
علی کل شیء قدیر قال موسی یارب من احب الناس
الیک قال ازهدهم فیما عند الناس قال موسی یارب
ای عبادک احب الیک قال احسنهم خلقا قال موسی
یارب فای عبادک اظلم قال من ظلم اخیه المسلم قال
موسی یارب فای عبادک اسلم قال من سلم الناس من
یده ولسانه قال موسی یارب فای عبادک ارفع قدرا
قال من عفی عند المقدرة قال موسی یارب فای عبادک
ابعد من رحمتک قال اکثرهم اکلا للحرام قال موسی

يارب فاى عبادك اخشع قلبا قال الذين تقشعر جلودهم
عند ذكرى وتلاوة القران قال موسى يارب فاى عبادك
احلم قال الذى لا يدعوا على من ظلمه قال موسى يارب
فاى عبادك اقرب اليك قال اخوفهم منى قال موسى
يارب فاى عبادك ابخل قال من يبخل على اخيه المسلم
بالسلام قال موسى يارب فاى عبادك اولى الناس بك
قال كل سخى تقى هين لين قال موسى يارب ما لمن
قتل مؤمنا متعمدا قال يا موسى ادخله نارى قال موسى
يارب ما لمن اكل الربا قال تاخذه النار من كل
جانب يوم القيمة قال موسى يارب ما لمن زنا قال
يا موسى البسه درعا من النار يا موسى وعزتى
وجلالى لو ان درع الزانى وقع على جبل شاهق عالى
فى الهوى لاصبح رمادا قال موسى يارب ما لمن اكل
اموال الناس ظلما قال يا موسى يتقلب فى اطباق
جهنم قال موسى يارب ما لمن عاش فى الحرام قال
يا موسى ان دعانى لاخرته احرمته وان دعانى
لدنياه اعطيته قال موسى يارب ما لمن يؤخر
الصلاة

الصلوة من وقت الى وقت قال يا موسى سوف
يلقون غيا ولا ابالى فى اى واد من اوديتها اهلكته
قال موسى يارب ما لمن شرب الخمر قال يا موسى
يموت عطشانا ملعون ويبعث سكرانا قال موسى
يارب ما لمن استهان بعالم من علمائك قال يا موسى
فكانما استهان بى واشرك قال موسى يارب ما لمن
احتكر شرابا وطعاما واشتهى الى الناس الغلا
قال يا موسى هو عندى ملعون قال موسى يارب
ما لمن اغتاب مسلما قال يا موسى احمل حسناته
فى كتاب من اغتابه قال موسى يارب ما لمن اقتطع
مال مسلما باليمين قال يا موسى اقطع حظه من
الجنة قال موسى يارب ما لمن ظلم اجيرا فى اجرته
قال حرام عليه الجنه ونعيمها ولم يراها ابدا قال
موسى يارب ما لمن اعان ظالما على ظلمه قال لا اقبل
له حسنه ولا ارفع له سيئه قال موسى يارب
ما لمن استحقر مسكين قال اسلط عليه الافاعى
والزبانية فى الموقف قال موسى يارب ما لمن احب

ان يسمح الفاحشه فى المسلمين قال يا موسى اهتك
استاره واذيقه نارى التى وقودها الناس والحجارة
قال موسى يارب مالمن تحبب الى الناس بالكذب
قال تبغضه ملائكتى وادخله نارى قال موسى يارب
فمالمن نقص صلاته قال لا يجدها فى ميزانه يوم
القيمة وانا سائله عنها قال موسى يارب مالمن
تفسد طهارته ويقوم يصلى قال تاخذه النار من
كل مكان وانا عليه غضبان ويعود الى النار حيران
قال موسى يارب مالمن قرا اية الكرسى عشر
مرات قال انظر اليه وابنى له قصرا فى الجنه قال
موسى يارب مالمن قرا سورة الاخلاص مائة مره
قال اكتب له بها حجه وعمره وعتق رقبه وصيام
سنه قال موسى يارب مالمن قرها الف مرة قال
ذلك اشترا نفسه منى ويدعانى فى كل وقت عتيق الله
ولو بلغت ذنوبه وزن الجبال وسيئاته سيئات
الكهان ولو كان مانع الزكاه اجعله يوم القيمه شفيع
اهل بيته واغسل ما عليه من الذنوب قال موسى
يارب

يارب مالمن بنا لك مسجدا قال ابنى له قصرا فى الجنة
من ذهب قال موسى يارب مالمن قرا كتابك قال
يجوز على الصراط كالبرق الخاطف قال موسى يارب
مالمن تعلمه ثم نسيه قال ابعثه يوم القيمة اعمى
قال موسى يارب مالمن احسن الى عياله قال احسن اليه
فى الدنيا والاخرة وانزله منازل الابرار قال موسى
يارب مالمن يصلى بالليل والناس نيام قال اطلع عليه
وانشر عليه رحمتى وانور قبره وقلبه وسمعه وبصره
واستجب دعاه واكتب له بكل صلاة وركعة ثواب
من صلى بالنهار ثم قال وعزتى وجلالى استحى
ان اعذبه فى النار وارزقه وعافيتى ومن سعة
رحمتى ويكون من السابقين الى الجنة قال موسى يارب
مالمن ذكرك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال
اكتب له بعدد ما طلعت عليه الشمس وما غربت
حسنات وامحوا ما فى صحيفته من السيئات قال
موسى يارب مالمن يستغفرك فى الاسحار قال تستغفر
له ملائكتى وتشتاق اليه جنتى واغفر له ولا ابالى

قال موسى يارب ما لمن كفل يتيما قال يا موسى احشره
يوم القيمة فى زمرة الانبيا واكتب له بكل نفس
يتنفسه اليتيم حسنات الى ان يموت ولا يخاف اذا
خاف الناس واجرى له اربعة انهار فى الجنة قال
موسى يارب ما لمن امر بالمعروف ونهى عن المنكر قال
اكتب له بكل كلمة يتكلم بها عتق رقبة واغفر
له ولا ابالى قال موسى يارب ما لمن كفل يتيما واحسن
اليه قال ادخله جنتى وافيض عليه من رحمتى قال
موسى يارب ما لمن اعان غازيا مجاهدا فى سبيلك
قال اكتب له اجر من غزا من غير ان انقص من
اجورهم شيئا قال موسى يارب ما لمن اعان حاجا
على حجه قال اكتب له اجر من حج قال موسى يارب
ما لمن كسى عريانا قال اكسيه من حلل الجنه والبسه
ثياب العافيه فى الدنيا والاخرة قال موسى يارب
ما لمن كذب على انبيائك قال ما تخرج روحه من
جسده حتى ينظر مقعده فى النار قال موسى يارب
وجهك الكريم مستقبل البر ام البحر ام المشرق

ام المغرب قال الله تعالى يا موسى اوقد نارًا ففعل
موسى ذلك فقال يا موسى اين ترا وجهِ هذه النار
قال ارى وجهها من كل مكان قال يا موسى اينما تولوا
فثم وجه الله قال موسى يا رب انت تنام امرلا قال
يا موسى خذ بيدك قدحا واملاه ماءً ففعل موسى
ما امره الله سبحانه وتعالى فسلط الله عليه النوم
فوقع القدح وانكسر واندفق الماء فقال الله عز
وجل يا موسى وعزتي وجلالي لو اخذني النوم طرفة
عين لوقع العرش على الكرسي وسقطت السموات
على الارض قال موسى يا رب اين انت قال يا موسى
انا على العرش قال موسى يا رب وما على العرش قال
اعلم يا موسى اني خلقت اربعة انوار نور اخضر
ونورا احمر ونورا ابيض ونورا اصفر فخلقت من هذه
الانوار العرش وخلقت للعرش ثمان مائة قائمة
طول كل قائمة ثلاث مائة وستون عام وخلقت
بين كل قائمتين ثلاث مائة الف صف من الملائكة
لكل واحد منهم مائتين الف راس في كل راس مائتين

الف وجه فى كل وجه مائتين الف فم فى كل فم مائتين
الف لسانا يسبحون الله تعالى دائما وثواب ذلك
لامة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا الاية قال موسى
يارب وما تحت العرش قال الكرسى الذى لا يتحرك
ولا يزول وعنده الفصل والقضا وانصاف المظلوم
واخذ حقه من ظالمه قال موسى يارب وما سعت
الكرسى قال يا موسى وسع السموات والارض بل هى
جانبه كحلقة ملقاة فى ارض فلاه قال موسى يارب
وما تحت الكرسى قال يا موسى ثلاثون الف قصر
كل قصر ملاء دنياكم هذه عشر مرات وحشوهن
رحمتى فاذا كان يوم القيمه اقسمها كلها على امة
محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب ارزقنى
معهم من سعت رحمتك قال قد فعلت ذلك وانا على
كل شئ قدير قال موسى يارب اين كنت قبل الكرسى
والسموات والارض قال كنت على درة عرضها

خمسمائة عام وطولها ثلاث مائة عام وكان عرشك
عليها قال موسى يارب فاين ذهبت تلك الدرّة قال
كلمتها فارتعدت وذابت وصارت ماء ثم نظرت الى
ذلك الماء فاضطربت بالامواج وازبدت فخلقت من
دخانها السموات ومن زبدها الاراضين ثم استويت
الى السماء وهي دخان فقلت لها وللارض ائتيا طوعا
اوكرها قالتا اتينا طائعين قال موسى يارب لو
لم تستطيعك السموات والارض فما كنت صانع بها
قال كنت اسلط عليها دابة من دوابي تبلعها
في لقمة واحدة والدابة من مرج من مروجي ملقاه
في ارض فلاه قال موسى يارب ما اول ما خلقت
قال خلقت نور محمد فهو اول المخلوقات واخر الانبيا
واول من يشفع في الخلق يوم القيمة واول من عبدني
قال موسى يارب حبّبه الىّ حتى اتقرّب اليك
بمحبته قال الله تعالى قد فعلت ذلك وانا على كلّ
شيئ قدير قال موسى يارب تغفر وترضى قال
نعم قال فما علامة ذلك قال يا موسى اذا غضبت

على عبدى صرفته عن خدمتى وسددت فى وجهه
طريق الصواب قال موسى يارب ارنى ملائكتك
فامر الله تعالى الى الملائكة ان يفتحوا باب
السماء الى السماء السابعه الى منتهى العرش
فنظر موسى الى ملائكة السبع سموات فراى
منهم سجود لا يرفعون وجوههم ومنهم ركوع
لا يرفعون غير ملائكة السماء السابعة فانهم
قيام على فرد رجل واحد دائما تعظيما لله تعالى
قال فسمع موسى بكاء من تحت العرش قال
يارب من هؤلاء الذين يبكون قال ياموسى
هولاء حملة العرش يبكوا على المذنبين
من ذرية ادم قال موسى يارب انى اجد
على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله وارى قبة تحت العرش من نور
فما الذى فى القبة قال ياموسى فى القبة
ارواح النبيين والمؤمنين والصديقين
والشهداء والصالحين قال موسى يارب انى
ارى

ارى قنديلا يغلب نوره نور الشمس والقمر قال
يا موسى ذلك نور حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم
قال موسى يارب بما رفعت ادريس مكانا
عليا قال لانه لم يغفل عن ذكري ولا ساعة
واحدة قال موسى يارب بما اصطفيت نوح قال
بصبره على قومه قال موسى يا رب بما اتخذت
ابراهيم خليلا قال بكرمه على قومه واكرامه الى
الضيفان ومحبته لهم قال موسى لم ابتليت
يعقوب بالمحنة العظيمه قال كان ياكل اللحم
دون جاره قال موسى يارب لم اصطفيت محمد
صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق قال لانه تواضع
لعظمتي وقطع ليله ونهاره بذكري وكف
نفسه عن الشهوات من اجلي وهو لليتيم كالاب
الشفوق وللارامل كالزوج العطوف اعلم يا موسى
اني خلقت الف جزء من النور اعطيت محمد
تسع مائة وتسعة وتسعون من النور فاخترته
واختارني على كل شيء واختار الاخرة على الدنيا

يا موسى اسمع ما اقول والحق اقول ما خلقت خلقا
اكرم ولا اعز ولا ارحم ولا افصح ولا انجح
ولا اتقا ولا انقا ولا ابهى ولا ازهد من حبيبى
محمد صلى الله عليه وسلم قد افلح من امن به
وصدق برسالته يا موسى اقرا تسعة اسطر
من التورية ثم اسالنى عن ما شئت فقرا موسى
عليه السلام تسعة اسطر واذا هى برسالاتى
وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين
قال فاخذ موسى التورية ورجع الى بنى
اسرائيل وبلغ الرسالة
وادى الامانة والحمد
لله رب
العالمين

قصة الجاريه وماجرالها

قال كان فى زمن على ابن ابى طالب كرم
الله وجهه جارية يقال لها روميّه اتت ذات
يوم الى عند الامام على كرّم الله وجهه فقالت
له انت ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم
قال لها نعم فقالت اعلم يا امير المؤمنين انى
جارية اسمى روميّه ولست على دين الاسلام
وجئت اليك باربع مسائل فان اجبتنى بها
اسلمت وامنت وصدقت وان لم تجبنى بها
ها انا على دينى فقال لها اسألى وبالله التوفيق
فقالت خلقنى ربى ولى ذكر كذكر بنى ادم
ولى فرج كفروج النساء ولى زوج يطأنى
بالليل ولى زوجة اطأها فى النهار وهى حامله
منى وجابت منى ولد ذكر وجبت انا من
بطنى ولد ومات ولدنا فان جئت الى الرجال
يقولون لى انثى من النساء وان جئت الى
النساء يقولون انثى من الرجال فقالت يا امام

اذا مت من يغسلنى ان غسلنى رجّال فانا
امراة وان غسلتنى امراة فانا رجّال وان
وضعت جنازتى فما يقال على فان قيل الصلاة
على عبد الله فانا جارية وان قيل الصلاة
على امَةِ الله فانا رجال فقال لها الامام
اسئلى قالت انى مرضت مرضات شديد ٥
فنذرت على نفسى ان عوفيت من مرضى
لاسلمن واجاهد فى سبيل الله حق جهاده
فزادنى الله مرضا على مرضى ثم انى نذرت
نذرا ان عوفيت من مرضى هذا لاكسين
الارامل والايتام فزدت مرضا على مرضى
ثم انى نذرت لله نذرا ان عوفيت من مرضى
هذا لاتركن فرجى على قارعة الطريق يستعلمنى
الفادى والصادى والكلب والذيب والمسلم
والنصرانى قالت ثم انى عوفيت على هذا النذر
وهذه مسائلى افتنى يا امير المؤمنين فعندها
زعق الامام على قنبر على وكان عبد له
فحضر

فحضر اليه فى الحال فقال له ائتنى بماء وانآء فاتاه
بماء وانآء وطشت وعامود فقال الامام ياقنبر
على اكشف لى راس هذه الجارية واخرج منه
اربعة كؤس دم فتقدمت الجارية وهو يقول
لها اسمعى جوابك من هذا الدم الذى لا فم له
ولا يتكلم فقالت الجارية ان كان الدم
ينطق فانا مسئلة على يد الامام هذا وقد
خرج الدم فقال لها وقد نطق ياجارية
اما المسئلة الاولى انك لا ترثين مع الرجال ولا
ترثين مع النساء بل ترثين نصف حصة امراة
المسئلة الثانية لا يغسلكى رجل ولا امراة
بل يغسلكى صبى دون البلوغ ما نظر قط الى
عورة النساء المسئلة الثالثة لا يقال
الصلاة على عبد الله ولا على امة الله بل
يقال الصلاة على عجيبة من عجايب الله
المسئلة الرابعة ياجارية هل لكِ زوج قالت
نعم قال لها هل لكِ على زوجكِ صداق

قالت نعم قال لها خذى صداقك من زوجك
واستكرى لك رجل يحفر بئرا على قارعة
الطريق وابنى على جانبه فستقيه يعنى
بَحْرَمْ وادعى الرجل ينزح ماءً من البئر يفرغه
فى البَحْرَمْ حتى انه يستعمل منه الفادى
والبادى والذيب والكلب والمسلم والنصرانى
فقالت الجارية امنت وصدقت انى
قائلة اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ان علمها قواعد الاسلام وهن

* قصة الجارية على *
* التمام والكمال *
* والحمد لله *
* على كل *
* حال *
* م *
* م *
*

قصة الحجاج مع زين العابدين

ولما كان فى بعض الايام دخل زين العابدين
على الحجاج فقال له من اين انت ياصبى قال
من مدينة الرسول محمد ابن عبد الله مولد التنزيل
والتاويل والتحريم والتحليل اهل الايمان
والاحسان وانا من بنى غالب من سلالة الامام
على ابن ابى طالب وكل حسب ونسب
ينقطع الا حسبنا ونسبنا فانه لا ينقطع
ابدا الى يوم القيمة فلما سمع الحجاج ذلك
اغتاض وضاقت به المسالك واراد قتله
فقام اليه من كان حاضر فى المجلس وقالوا
له نفدى هذا الغلام بانفسنا سالناك بالله
توهب لنا هذا الغلام لانه لا يستحق القتل
قال لهم لا بد من قتله ولو نادى منادى
من السماء لا تقتله لا بد ان اقتله فقال
الصبى اخسس ياحجاج فمن هو انت حتى

يناديك منادى من السماء فقال له الحجاج
ياويلك من يحول بينى وبينك فقال له الصبى
الذى يحول بين المرء وقلبه وهو لا يخلف
الميعاد فقال للحجاج هو الذى يعينى على
قتلك فقال الصبى حاش لله ان يعينك على
قتلى وانما يغويك الشيطان وانا اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم فقال الحجاج قل عن
هذا القول لابد عن قتلك وان كان
ما اقتلك احتج عليك بحجه قال وماهى يا حجاج
قال اخبرنى بما ذا يتقرب العبد الى الله تعالى
قال بالصلاة والصوم والحج الى بيت الله
الحرام قال الحجاج انا اتقرب الى الله تعالى
بدم رجل يقول ان الحسن والحسين اولاد
رسول الله والله تعالى يقول فى محكم كتابه
العزيز ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين فقال
الصبى يا حجاج اما سمعت قول الله تعالى

وما

وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا
واتقوا الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الحسن والحسين سبطاي وابناي وقال الله
تعالى اندعوا ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم
فقال الحجاج من اين انت يا صبي قال من ابي وامي
قال ومن اين جيئت قال من وراي قال والى اين
تريد قال امامي قال وعلى اي شيء جيئت
قال على الارض قال اخبرني عن اكرم العرب
واقراها الى الضيف قال بني طي قال ولم ذلك
قال لان حاتم طي منهم قال فمن اشرف العرب
قال مضر قال ولم ذلك قال لان محمد صلى
الله عليه وسلم منهم قال من اشجع العرب
قال بني هاشم قال ولم ذلك قال لان الامام
علي منهم قال من ابخل العرب قال بني ثقيف
قال ولم ذلك قال لانك انت يا حجاج منهم
قال فاغتاظ الحجاج من كلامه وامر بقتله
فقاموا اليه الحاضرين وتشفعوا فيه فارتجع

عنه ثم انه قال يا صبي اخبرني اين كان منشاك
قال بين ارض وسماء قال اخبرني عن هذا الجدي
الذي في السماء هل هو ذكر او انثى فقال
الصبي يا حجاج اكشف عن دينه حتى اقول
لك ما هو قال فتبسم الحجاج وقال اظنك
عاشق يا صبي قال نعم وانا بذلك معترف
صادق قال فما الذي تعشقه قال اعشق
ربي الذي يفرج كربي ومنك يخلصني قال
اين ربك قال اقرب الى من حبل الوريد قال
فيما عرفت ربك قال بكتابه المنزل على
نبيه المرسل قال وانت تحفظ القرآن
قال نعم قال اخبرني عن اي اية اعظم
وعن اي اية اعدل وعن اي اية اخوف
وعن اي اية فيها عشر ايات واي اية
كذبت فيها الانبياء واي اية صدقت
فيها اليهود والنصارى واي اية قالها الله
تعالى خالصة لنفسه واي اية فيها قول

اهل

اهل الجنة واي اية فيها قول اهل النار
واي اية فيها قول الملائكة واى اية فيها
قول ابليس لعنه الله قال الصبي يا حجاج اما
اعظم اية فى القران فهى اية الكرسى
واما احكم اية فهى قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان واما اعدل اية فهى قوله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره واما اخوف اية
فهى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة
نعيم واما ارجوا اية قال ياعبادى الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم واما الاية التى فيها عشر ايات فهى
قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى
فى البحر بما ينفع الناس الى اخرها واما الاية
الذى كذبت فيها الانبياء فهى قوله تعالى

وجاؤا على قميصه بدم كذب فهم اخوة يوسف
كذبوا على ابيهم يعقوب واما الذى صدقت
فيها اليهود والنصارى فهى قوله تعالى
وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت
النصارى ليست اليهود على شئ وصدقوا
جميعهم وليس هم على شئ واما الاية
التى قالها الله تعالى لنفسه خالصة فهى
قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون واما الاية التى قالتها الانبياء
فهى قوله تعالى وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله واما الاية التى
قالتها الملائكة فهى قوله تعالى قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم واما الاية التى فيها قول اهل
الجنة فهى قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
واما الاية التى فيها قول اهل النار فهى
قوله

قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
قال فيجيبهم بعد خمسمائة عام اخسئوا فيها
ولا تكلمون واما الاية التى قالها ابليس
لعنه الله فهى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين فقال الحجاج احسنت
ياصبى اخبرنى ما الذى يوجب عليك فى اليوم
والليلة قال خمس صلوات قال وفى السنة
قال صيام شهر رمضان قال وفى عمرك كله
قال الحج الى بيت الله الحرام قال وفى مالك
قال الزكاه قال فاى شئ اقرب اليك قال
الاخرة اقرب من الدنيا قال فاى شئ
ابعد قال الدنيا ابعد من الاخرة قال فاى
شئ احسن قال الجسد ما دام فيه الروح
قال واى شئ اوحش قال الجسد اذا خرجت
منه الروح قال اخبرنى عن موضع العقل
منك قال فى الدماغ قال واين وضع البصر
منك قال فى العين قال واين موضع السمع منك

قال فى الاذنين قال واين موضع الشم منك
قال فى الانف قال واين موضع الخير منك قال
فى اللسان قال فاين موضع الماء منك قال
فى النفس قال واين موضع الريح منك قال
فى الريه قال واين موضع الرحمة منك قال
فى الكبد قال واين موضع الضحك منك قال
فى الطحال قال واين موضع الغضب منك قال
فى الكلوتين قال واين موضع الحلاوة منك قال
قال فى الحلق قال واين موضع الضعف منك قال
فى الساق قال واين موضع العلم منك قال
فى القلب قال واين موضع المعرفة منك قال
فى العقل فقال الحجاج سبحان الله العظيم
ما رايت صبى اعطاه الله العلم والعقل والحظ
والادب والزكاوة الا انت يا صبى ولكن
اخبرنى ما كمال الدين قال الرضا بحكم الله
تعالى قال والوسيلة فقال التوكل على الله
تعالى فقال الحجاج فما الكفر قال كفران النعمة
قال

قال والكبر قال فما الرضا قال القناعة بالقضا
والاتباع لما مضى قال واى شيئ اخير فى الدنيا
قال المال قال وما خير من الجاه قال رحمة الله تعالى
قال واى العلوم افضل قال علم الشريعة وعلم الطبيعة
قال فما الحلم قال قلت الغضب وترك الغضب
وكظم الغضب قال فما السفاهة قال الشتيمة
والجواب قال فما السماحة قال بذل المال وترجيب
السؤال قال فما الشجاعة قال شدة الباس فقال
الحجاج احسنت يا صبى اخبرنى عن الزرع قال
خياره ما التفت سنبلته وجفت حبته وغلظت
قصبته قال فما تقول فى النخل قال خياره ما غلظ
جرمه ودنا ارتقاه وصغر فى الجميح نواه واخذ
حلاته بلاهات قال فما تقول فى الكرم قال
خياره ما غلظ عامودة وكبر عنقوده قال فما
تقول فى السماء قال هى مد البصر ومسكن النجوم
والشمس والقمر قائمة بغير عمد مظلة
لمن تحتها من العدد قال فما تقول فى المطر

قال اجوده ما ملاء البريّه وقاض الاوديه فقال
للحاج احسنت يا صبي اى الطعام اطيب والذ
قال من اراد التبقى ولا يبقا الا الله فاليباكر
فى الغدا ولا يتمسا فى العشا ويخفف فى الصيف
الردا ويحفظ الراس وما حفا والجوف وما وعا
ومن ابتدا فى اكله بالملح فهو يصرف احدى
وسبعون نوع من البلا ومن اكل ثلاث تمرات
على الريق قتل دود البطن ومن اكل سبع زبيبات
على الريق لا يرى فى باطنه كره ابدا ومن اكل
الجرجيره بعد العشا بات وعرق وعرق الجذام
ينازع الى الصباح ومن خلل سنانه فى عود
الريحان حرك عليه الاكل ومن تخلل بعود
المكنسه انتن فمه ومن كنس البيت بخرقه
صوف اسرع اليه الفقر ومن قلم اظافيره بسنانه
كان الله برئ منه ويورث البرص والزباله
تورث الفقر وتورث عماوة القلب والاكل على
الجنابة يورث النسيان والايمان الكذب تقطع
النسل

النسل ويورث الفقر ومن جامع امراة على جنبه
يورث وجع الجنب والنوم فى الحمام والحجامة فى الحمام
تورث ظلامة البصر وخذ من الحمام ولا يؤخذ
منك ولا تجامع وانت شبعان ولا تعبان ولا
سكران ولا اول ليلة من الشهر ولا ليلة
النصف من الشهر ولا ليلة العيدين فهو مكروه
ولا تحت شجرة مثمرة ولا تجامع امراة عجوز لانها
تاخذ منك ولا تعطيك ولا تكثر من اكل لحم القديد
فانه يضعف الحيل ويقلل المجامعه ولا تاكل
معلاق الغنم وكل راس الضان ينفع الراس والثريد
اكل قريش والشعير اكل العرب واللحم ينبت
الشحم وكل لحم البقر اذا ولبنه دوا وسمنه
شفا وجلده حذا والرائحه الطيبه اطيب الى
القلب والنظر الى وجه المليح عباده والعمل الصالح
طريق الى الجنه والنظر الى الماء الجارى يجلى
البصر وخير المذاهب الاسلام وشرب الماء
على الريق يضعف القلب والسواك يزيد الرجل

فصاحه ويذهب البلغم والتختم بالعقيق امان
من الفقر والكحل يجلى البصر ويحد النظر
والنظر الى وجه الوالدين عباده والنظر فى المصحف
ينور القلب والذهن ينبت الشعر واكل
البارد ينفع الانسان وعليك ياحجاج بالمرهم
الاكبر فقال الحجاج وماهو فقال الكسره
اليابسه على الريق تلف جميع مافى الانسان
من البلغم والرطوبة واذا عطشت فاقرا
سورة يس تَرَوْا باذن الله تعالى فقال
الحجاج احسنت ياصبى ماتقول فى جارية بنت
عشرين سنة قال قرة عين الناظرين قال
وبنت الثلاثين قال لذة للمتقين قال وبنت
الاربعين قال ذات شحم ولحم قال وبنت الخمسين
قال ذات بنات وبنين قال وبنت الستين
قال ابت عنها السائلين قال وبنت السبعين
قال عجوز فى الغابرين قال وبنت الثمانين
قال لا تصلح لا للدنيا ولا للدين

قال

قال وبنت التسعين قال لا تسالني عن
اصحاب الجحيم وبنت المائه قال اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم فلما سمع
الحجاج بذلك الكلام ضحك وقال احسنت
ياصبي لكن اشتهي عليك مثل ما وصفتهم
نثرا توصفهم لي نظما فقال الصبي حبا وكرامه

ثم انه انشد يقول

متى تلتقي بنت العشره قد قام نهدها •
• كلؤلؤة الغوص يهتز جيدها
وبنت العشرون لا شيء مثلها •
• فتلك الذي تهواها وتريدها
وبنت الثلاثين اشفا في حديثها •
• هي العيش لم تكبر ولم يتساعودها
وبنت الاربعين فغبطة •
• خيار النساء طوبى لمن يستفيدها
وبنت الخمسين لله درها •
• بالعقل والتدبير تربي ولدها

وبنت السنين قد رق جلدها.
• وفيها بقايه والحرير يريدها
وبنت السبعين لا اريدها.
• لقد خلقت عمرا وبان جديرها
وبنت الثمانين الذى قد تضعفت.
• من الكبر والقلا وقل مرادها
وبنت التسعين تعرش راسها.
• فى الليل تصفر ان يقل رقادها
وان زادت العشرة اللوانى فليتها.
• تغرق فى بحر وحوت يقودها
فقال الحجاج احسنت يا صبى واجملت فاى
الاجناس فيهم احسن قال ذات الدلال
الكامل والجمال الفاضل والمنطق
القاتل التى يهتز جيدها ويرتج ردفها
وقد رق خصرها وجلا وشاحها التى
ليس لها فى الجمال نظير ولا فى البهجه خطير
قرة عين الكبير والصغير التى لها

وَجْهٍ كسوار الذهب وعينين كمصباح
ذاهب لو وطئت صم الصفا لاعشب ولو
نظرت الى السحاب لامطر ثغرها لؤلؤ وثغرها اعذب
من الزلال واطيب ونفسها كالمسك الازفر
والعنبر الاشهب التى يزهر جبينها ويلمع عرنينها
ويهتز منكبها ويبان من الثياب ردفها التى من
ملاء عينه منها اورثته الكمد كما قال فيها بعض
واصفيها يقول شعر

ولوانها للمشركين تعرضت ٭ لاتخذوها دون اصنامهم ربا
ولوانها فى الغرب تبدو والراهب ٭ لخلا صلوة الشرق واتبع الغربا

قال فاعجب الحجاج ذلك وقال ياصبى زدنى
وصفا فيهن قال نعم ينبغى ياحجاج ان يكون
فى المراة اربعة اشياء سواد شعرها وحاجبها
وعينها واربعة اشياء بياض اسنانها واظافرها
وعنقها وساقها واربعة اشياء احمرار لسانها
وشفافها ووجناتها واصابعها واربعة اشياء
واسعات الجبهة والعينين والصدر والافخاذ

واربعة اشياء ضيقات الفرج والفم والانف
والاذنات واربعة اشياء غلاظ الاكتاف
والسواعد والافخاد واربعة اشياء رقاق
الشفف والحواجب والمنطق والريق واربعة اشياء
طيبة الرايحه الانف والفم والفرج قال فتبسم
الحجاج واعجبه ذلك ثم قال اخبرني عن اول
من نطق في الشعر فقال ابونا ادم عليه السلام
حيث قال شعر

تغيرت البلاد ومن عليها •
• وعاد وجه الارض مغبرا قبيح
قتل قابيل هابيل اخاه •
• فوا اسفا على الوجه المليح
تغير كل ذي طعم ولون •
• وقل بشاشة الوجه المليح

فاجابه ابليس

تنوح على البلاد وساكنيها •
• وفي الفردوس ضاق بك الفسيح

وكنت

وكنت فيها وروحك فى نعيم
• من الدنيا وقلبك مستريح
فلا زالت مكيدتى ومكرى
• الى ان فاتك الخلد الربيح
فقال الحجاج احسنت ياصبى اخبرنى اى بيت
شعر اجود فى الكرم قال حاتم طى حيث يقول
واكرم الضيف حتما حيث يطرقنى
• قبل العال على عسر ويسرا
واما قول ربيعه حيث قال شعر
يا واقد النار بكل فريق
• قفرن والريح مع ذاتك صرى
ارفع سنا النار لما يمرّوا
• فان جليت الضيف حرى
فقال الحجاج حسبك قد غرقتنا فى بحر فهمك
ثم ان الحجاج التفت الى بعض خواصه وقال
له ائتنى فى بدله فيها عشر الاف دينار وائتنى
بجاريه من خواص جوارى وفرس من اجود

خيلى بسرج من الذهب وعلق عليها سيف
مليح وبدله من خاص ملبوسى قال فلم يكن
الا القليل واذا بالجميع حضروا فقال الحجاج ياصبى
هذه جارية من جوارى وكانت الجاريه قريبه
من الصبى فاشارت اليه بعينها خذنى وخلى
الجميع فانشد الصبى يقول شعر

وقعقعت اللجام براس مهرى
• احب الى مما تغمزينى
اخاف اذا وقعت فى مضيق
• وجد السير فلا تصحبينى
اريد قرينة تفعل كفعلى
• وتصبر عند غصات السنين

فاجابته الجاريه تقول شعر

معاذ الله ان تفعل ما تقوله
• ولو قطعت شمالى مع يمينى
انا اكتم شرح حالى فى ضميرى
• واقنع فى القليل وما يجيئى

وان

وان سالني كيف حالك
اقول بخير من رب معيني
اذا عاشرتني وعرفت طبعي
ستعلم انني خير القريني
فلما سمع الحجاج قولها اغتاظ غيظا شديدا
وقال لها يا ملعونه بين الجوار انا ما كنت اعرف
يطلع منك هذه الفصاحة يا صبي خذها وخذ
الجميع لا باركَ الله لكَ فيهم فقال الصبي
اخذتهم لا خلف الله عليك فيهم ولا جمع الله
بيني وبينك بعد هذا اليوم قال فغضب
الحجاج غضبا شديدا وامر بقتله فشفعوا فيه
اكابر دولته وقالوا له هذا عتيقك وعند
احسانك فقال الصبي يا حجاج لكَ باب تهلكه
وباب سلامه فقال الحجاج هذا باب التهلكه
وهذا باب السلام اخرج من ايهما شئت فطلع
الصبي وهو فرحان الذي خرج من عنده ولم
يقتله وتوجه الى حال سبيله فقالوا اكابر

دولته وكيف دليته على باب السلام فقال
الحجاج الصبي استشارني والمستشار يكون
امين لا يكون خوان فلاجل هذا لا يجوز عليه
• اللعنة لانه كان منصف من نفسه •
• ولا يجوز ان يترحموا عليه •
• لانه كان يحاجج الناس •
• ويقتل الاشراف •
• وهذا ما انتهى الينا •
• من قصة الحجاج •
• مع زين •
• العابدين •
• م •
• م •
• م •

ANNEX A

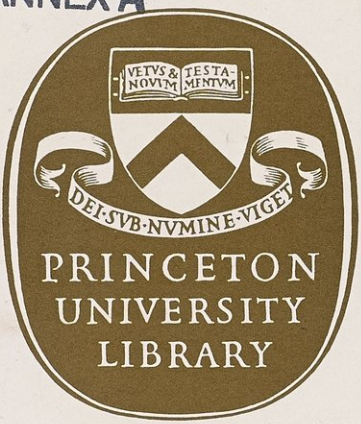
VETVS & NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 063577850